هاروكي موراكامي



رواية

1Q84

الكتاب الثاني يوليو - سبتمبر

المركز الثقافي العربي

هاروكي موراكامي

1Q84

الكتاب الثاني يوليو - سبتمبر

هاروكي موراكامي

1Q84

الكتاب الثاني يوليو - سبتمبر

رواية

ترجمة: أنور الشامي

العنوان الأصلي للرواية:
Haruki Murakami
1Q84 (Book 2)

الكتاب

1Q84

الكتاب الثاني

تأليف

هاروكي موراكامي

ترجمة

أنور الشامي

الطبعة

الأولى، 2017

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-850-3

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء - المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 303339 0522 - 307651 0522

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت - لبنان

ص.ب: 5158 - 113 الحمراء

شارع جاندارك - بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 - 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

الكتاب الثاني

يوليو ـ سبتمبر

الفصل الأول

أَوْمَامِه
إنها المدينة الأكثر ضجراً في العالم

لم يكن موسم الأمطار قد انتهى رسمياً، ومع ذلك بدت سماء طوكيو شديدة الزرقة فيما راحت شمس الصيف الذي انتصف تلهب الأرض بأشعتها. وعاد شجر الصفصاف الذي تجدد غطاؤه الورقي بكثافة، يلقي ظلالاً كثيفة ومرتعشة على الشارع مرة أخرى.

استقبل تامارو أومامه لدى الباب الخارجي، وكان يرتدي بذلة صيفية داكنة وقميصاً أبيض وربطة عنق أحادية اللون. لم تكن تظهر على جسمه حبة عرق واحدة. وكانت أومامه دائماً ما تستغرب من كَون هذا الرجل ضخم البنيان لا يتعرَّق حتى في أَحر أيام الصيف.

انحنى لها انحناءة خفيفة، وبعد تحية قصيرة غمغم بها ولم تكد تسمعها، لم يتفوه بكلمة أخرى. لم يتبادلا اليوم أيّاً من ممازحاتهما المعتادة. مشى أمامها عبر ممرّ طويل دون أن ينظر خلفه، وأرشدَها إلى حيث تنتظرها الأرملة الثرية. خمَّنت أومامه أنه ليس في مزاجٍ يسمح بالدردشة الخفيفة. ربما لا يزال منزعجاً لموت الكلبة. كان قد قال لها عبر الهاتف: «نحتاج كلب حراسة جديد»، وكأنه يعلق على حالة الطقس، رغم أن أومامه أدركت أن هذا لا يعبِّر عن حقيقة

شعوره. كانت للكلبة «الجرمن شبرد» مكانة خاصة لديه، وقد ظلا معاً على مدى سنوات. رأى في موتها المفاجئ والمُحيِّر إهانة شخصية وتحدياً له. وبينما كانت أومامه تنظر إلى تامارو العازف عن الكلام مِن ظهره، وقد بدا عريضاً وكأنه سَبورة في صف دراسي، كان بوسعها أن تتخيل غضباً صامتاً يمور بداخله.

فتح تامارو باب غرفة المعيشة كي يسمح لأومامه بالدخول، فيما وقف في المدخل ينتظر تعليمات الأرملة الثرية.

قالت له: «لن نحتاج أي شيء نشربه الآن».

انحنى لها تامارو في صمت ثم أوصد الباب في هدوء، تاركاً المرأتين وحدهما. كان هناك وعاء دائري بداخله سمكتين ذهبيتين وقد وُضع على منضدة بجوار كرسي كبير تجلس فيه الأرملة الثرية - وعاء لسمك ذهبي عادي يضم سمكتين ذهبيتين عاديتين وقطعة خضراء من أعشاب البحر. كانت أومامه قد دخلت هذه الغرفة الرحبة والأنيقة مرات ومرات، لكنها لم تكن قد رأت سمكاً ذهبياً في حياتها. أحسَّت بتيار هواء بارد غير منتظم وخمّنت أن جهاز تكييف الهواء ربما يعمل ولكن بصوت خفيض. وُضِعت فوق منضدة خلف الأرملة الثرية مزهرية بها ثلاث زنابق بيضاء. كانت أزهارها غضة بيضاء وكبيرة الحجم، وكأنها حيوانات صغيرة من عالم آخر ومستغرقة في تأمل عميق.

أشارت الأرملة الثرية لأومامه بالجلوس على الأريكة المجاورة. كانت ستائر الدانتيل الأبيض مسدَلة على النوافذ المطلة على الحديقة، ومع ذلك كانت شمس ما بعد الظهيرة لا تزال قوية. وفي ضوئها، بدت الأرملة متعبة، وذلك على غير عادتها. ولأنها غاصت في المقعد الكبير، فقد أسندت ذقنها إلى يدها، فيما بدت عيناها غائرتين وبرزت تجاعيد رقبتها أكثر من ذي قبل وشَحَب لونُ شفتيها. تهدَّلت أطراف

حاجبيها الطويلين قليلاً، وكأنها قد أذعنت بعد مقاومة لقوة الجاذبية. لعل كفاءة دورتها الدموية قد تراجعت: فقد ظهرت على بشرتها بقعٌ بيضاء تشبه حبيبات صغيرة. وبدت وكأنها كبرت خمس سنوات أو ست على الأقل منذ لقائهما الأخير. واليوم وللمرة الأولى، كان يبدو أنها لا تعبأ بظهور هذا الإعياء الواضح عليها. لم يكن ذلك من طبيعتها. وحسبما كانت أومامه تلاحظ، كانت الأرملة تحاول دائماً وبنجاح كبير، أن تبدو بمظهر أنيق، وأن تُبقي قوتها الداخلية في كامل أُهبتها، وأن يظلّ قوامها منتصباً وذهنها حاضراً، وأن تُخفي جميع علامات الشيخوخة لديها.

لاحظت أومامه أن أشياء كثيرة قد تغيرت اليوم في المنزل. وحتى الضوء قد اكتسب لوناً مغايراً. ولم يكن وعاء السمك الذهبي، وهو من الأشياء الشائعة، يلائم الغرفة الأنيقة ذات السقف العالي والممتلئة بقطع الأثاث العتيقة.

بقيت الأرملة صامتة بعض الوقت، فيما أسندت ذقنها إلى يدها وراحت تحدق في الفراغ المجاور لأومامه التي كانت تدرك ألّا شيء بجوارها يسترعي الانتباه. كانت الأرملة تحتاج فقط إلى نقطة تُثبّت عليها ناظريها حتى حين.

سألتها الأرملة بهدوء: «هل ترغبين في شراب؟».

أجابتها أومامه: «لا، شكراً، لا أشعر بعطش».

«يوجد شاي مثلج. صُبِي لنفسك كوباً إن أحببتِ».

كانت الأرملة تشير نحو منضدة جانبية بجوار الباب، وقد وُضع عليها إبريق من الشاي المثلج وشرائح ليمون، وبجانب ذلك، ثلاثة أكواب زجاجية بألوان مختلفة.

قالت أومامه: «أشكرك»، وبقيت جالسة في انتظار ما ستقوله الأرملة تالياً.

لكن الأرملة، مع ذلك، ظلت على صمتها وقتاً. كانت تريد التحدث إلى أومامه حول شيء ما، ولكنها إذا صاغته فعلاً في كلمات، فإن الحقائق التي يتضمنها هذا «الشيء» ربما تصبح أكثر وضوحاً باعتبارها حقائق نهائية لا رجوع عنها، ولذلك أرادت أن ترجئ هذه اللحظة، ولو لوقت وجيز. كان هذا هو المغزى الواضح من صمتها. ألقت نظرة خاطفة على وعاء السمك الذهبي المجاور لكرسيها. وكمَن استسلمت لأمر محتوم، وجَّهت نظرتها مباشرة إلى أومامه أخيراً. أطبقت شفتيها في خط مستقيم، وقد تعمدت أن توجه طرفيه إلى أعلى.

«لعلك سمعتِ من تامارو أن كلبة الحراسة في دار الإيواء ماتت، أليس كذلك - بطريقة تستعصي على التفسير؟».

«نعم، سمعت».

«وبعد ذلك، اختفت تسوباسا».

انقبض وجه أومامه قليلاً: «اختفت؟».

«تلاشت تماماً. ربما في الليل. لم نجد لها أثراً هذا الصباح».

زمَّت أومامه شفتيها، وهي تفتش عمّا يمكنها قوله، ولكن لم تسعفها الكلمات في الحال. «ولكن... بحسب ما قلتِه لي آخر مرة... فإن إحدى السيدات توجد دائماً في رفقة تسوباسا وهي تنام... في الغرفة نفسها... كإجراء احترازي».

«نعم، هذا صحيح، ولكن المرأة راحت في نوم عميق على غير عادتها، ولم تُحسّ بأي شيء عندما غادرت تسوباسا. ومع شروق الشمس، لم يكن لتسوباسا أثر في فراشها».

قالت أومامه وكأنها تتحقق من دقة فهمها: «إذاً ماتت الكلبة «الجرمن شبرد»، وفي اليوم التالي اختفت تسوباسا».

أومأت الأرملة: «حتى الآن، لا نعرف على وجه اليقين إن كانت الحادثتان مرتبطتين، ولكني أظنهما كذلك».

نظرت أومامه نظرة سريعة إلى الوعاء الذهبي الموجود على المنضدة من دون سبب معين. تتبعت الأرملة نظرة أومامه. كانت السمكتان الذهبيتان تسبحان بهدوء جيئة وذهاباً في الحوض الزجاجي، ولا تكادان تحركان زعانفهما. وكانت آشعة شمس الصيف تنكسر داخل الوعاء بشكل غريب، فتخلق خداعاً بصرياً يُخيِّل للمرء أنه يحدق في أحد الكهوف الغامضة في قاع المحيط.

قالت الأرملة على سبيل الشرح وهي تنظر إلى أومامه: «اشتريت هاتين السمكتين لتسوباسا. اصطحبتها للنزهة ذات يوم إلى مهرجان صغير في أحد شوارع التسوق بحي أزابو. رأيت أنه لن يفيدها صحياً أن تظل حبيسة غرفتها طوال الوقت. وبطبيعة الحال رافقنا تامارو إلى هناك. اشتريت لها السمكتين من أحد الأكشاك. يبدو أنها فُتنت بهما، ووضعتهما في غرفتها ثم قضَّت بقية نهارها تحدق فيهما. ومنذ علمنا باختفائها جئتُ بهما إلى هنا. وأنا الآن أُقضي وقتاً طويلاً في مشاهدتهما. أحدق فيهما فحسب. لكن ما يثير الاستغراب فعلاً، هو أنكِ لا تملين النظر إليهما. لم أفعل ذلك من قبل، لم أحدق في سمك ذهبي بهذا التركيز الشديد».

سألتها أومامه: «هل لديك أي فكرة عن مكانٍ ربما قصدته تسوباسا؟».

أجابت الأرملة: «لا على الإطلاق. ليس لديها أي أقارب.

وعلى حدّ علمي، ليس لهذه الطفلة مكان آخر تذهب إليه في هذا العالم».

«وماذا عن احتمالية أن يكون أحدٌ ما قد اختطفها؟».

هزت الأرملة رأسها هزة خفيفة تنمّ عن شيء من العصبية، كما لو كانت تهشّ ذبابة لا تراها: «لا، لقد غادرت فحسب. لم يأت أحد ويجبرها على الذهاب معه. ولو حدث ذلك، لكان قد أيقظ أحداً ممن حولها. فهؤلاء النسوة كلهن نومهن خفيف. لا، أنا متأكدة أنها هي مَن قرّرت وغادرت من تلقاء نفسها. هبطت السلم على أطراف أصابعها، وفتحت الباب الخارجي، بهدوء، ثم خرجت. أتخيل أن هذا هو ما جرى. ولم تُثر نباح الكلبة، لأنها كانت قد ماتت في الليلة السابقة. إنها حتى لم تبدِّل ملابسها. كانت ملابسها لليوم التالي مطوية بجوارها، لكنها خرجت في بيجامة النوم. ولا أظن أن بحوزتها أي نقود أيضاً».

اشتد عبوس أومامه: «وحدها، في بيجامة؟».

أومأت الأرملة: «نعم، أين يمكن لفتاة في العاشرة من عمرها- وهي وحدها وترتدي بيجامة وليس لديها نقود، أن تذهب في منتصف الليل؟ أمر لا يُعقل، بحسب المنطق السليم. ولكن لسبب ما، لا أجده غريباً بشدة، بل على العكس. لدي شعور بأنه كان حتماً سوف يحدث. ولذلك فلن نبحث عنها. وها أنا ذا لا أفعل شيئاً، وأكتفي بالنظر إلى السمك الذهبي هكذا».

في أثناء حديثها، ألقت الأرملة نظرة خاطفة على وعاء السمك. ثم التفتت نحو أومامه: «أعرف أن البحث عنها لن يُجدي. لقد مضت إلى مكانٍ لا يسعُنا الوصول إليه».

توقفت الأرملة الثرية عن إسناد ذقنها بيدها، وبعد أن وضعت يديها على ركبتيها، زفرت ببطء نفَساً كانت قد احتبسته مدةً.

سألتها أومامه: «ولكن ما الذي يدفعها لذلك؟ ما الذي يدفعها لمغادرة دار الإيواء؟ كانت تحظى بالأمان طالما لزمتها، وليس لديها مأوى آخر».

«لا أدري. ولكني أظن أن موت الكلبة كان السبب. تسوباسا كانت تألف الكلبة، والكلبة تألفها. وكأنهما صديقتين مقرّبتين. وتسبَّب لها موت الكلبة، بهذه الطريقة الدامية غير المفهومة، في صدمة حادة. بالطبع. كان صدمة لجميع مَن في المنزل. ولكني الآن عندما أفكر في الأمر، أجد أن قتل الكلبة ربما كان رسالة ما إلى تسوباسا».

«رسالة؟».

«بأنها ينبغي ألّا تبقى هنا. وبأنهم يعرفون أنها تختبئ هنا. وبأن عليها أن تغادر. وبأن أموراً أسوأ قد تقع لهؤلاء الذين يحيطون بها إذا لم تغادر».

كانت الأرملة الثرية تنقر بأناملها على حجرها وكأنها تحصي لحظات استراحة تخيلية، فانتظرتها أومامه حتى تنتهي من كلامها.

«ربما فهمَت الرسالة وغادرت من نفسها. أنا واثقة أنها لم تغادر بمحض إرادتها. اضطُرَّت للمغادرة، رغم معرفتها أنها ليس لديها مكان تذهب إليه. لا أكاد أحتمل مجرد التفكير في أن فتاة في العاشرة تضطر لاتخاذ هذا القرار».

أرادت أومامه أن تمدّ يدها كي تمسك بيد الأرملة، ولكنها منعت نفسها. لا يزال لديها المزيد من الذي تقوله.

تابعت الأرملة: «بالطبع كان ذلك صدمة كبيرة لي. أشعر كما لو

أن قطعة من جسمي قد أُنتزعت. كما تعلمين، كنت أنوي تبنيها رسمياً. وكنت أدرك أن ذلك لن يتحقق بسهولة، ورغم علمي بجميع الصعوبات التي تنتظرني، فقد بقيتُ راغبة في ذلك. لم يكن لي أن أشكو إلى أيّ أحد إذا لم أنجح، ولكن حتى أكون صادقة معك، فإن هذه الأشياء في مثل عُمري تسبب ضرراً كبيراً».

قالت أومامه: «ولكن قد تعود تسوباسا فجأة قريباً ذات يوم. ليس لديها نقود وليس لديها مكان تذهب إليه..».

قالت الأرملة وقد أصبح صوتها رتيباً للغاية: «أتمنى أن تكوني على صواب، ولكن هذا لن يحدث. إنها لم تتجاوز العاشرة، ومع ذلك لديها أفكارها الخاصة. قررت بنفسها وغادرت. أشك أنها يمكن أن تقرِّر العودة في أي وقت».

«اسمحي لي بلحظة من فضلك»، قالت أومامه، وهي تمضي نحو المنضدة الموضوعة بجوار الباب، حيث صبت لنفسها بعض الشاي المثلج في كوب زجاجي أخضر. لم تكن ترغب في شراب شيء، ولكنها أرادت استراحة قصيرة من الكلام عندما تركت مكانها. عادت بعدئذٍ إلى الأريكة، ثم أخذت رشفة من الشاي قبل أن تضع الكوب على سطح المنضدة الزجاجية.

انتظرت الأرملة أومامه حتى تستقر في جلستها على الأريكة مرة أخرى، وقالت وهي تمد عنقها وتشبِّك يديها معاً كي تهدئ من خواطرها: «يكفينا ذلك الآن عن تسوباسا. دعينا نتحدث عن ساكي جاكه وزعيمه. سوف أحدِّثك بما استطعنا اكتشافه. فهذا هو السبب الرئيس لدعوتك اليوم إلى هنا. وهو بالطبع، يتعلق أيضاً بتسوباسا».

أومأت أومامه. كانت تتوقع ذلك.

«كما قلت لك آخر مرة، يجب أن «نعتني» بهذا الزعيم. لا بد أن ننقله إلى عالم آخر. أنت تعلمين، بالطبع، أنه اعتاد اغتصاب فتيات لم يبلغن بعد، ولم يحِضْن. إنه يختلق «ديناً ما» ويستغل تعاليمه في تسويغ هذه الأفعال. لقد تقصَّيتُ الأمر من كلّ وجوهه الممكنة ودفعت أموالاً طائلة لاستخلاص هذه المعلومات. لم يكن أمراً سهلاً. التكاليف تجاوزت توقعاتي بكثير، ولكننا نجحنا في تحديد أربع فتيات يُرجَّح أنه اغتصبهن. تسوباسا هي رابعتهن».

تناولت أومامه كوبها وأخذت رشفة من الشاي المثلج، لم تشعر بأيّ مذاق، كما لو أن فمها قد حُشي قُطناً امتصّ كل نكهة للشاي.

تابعت الأرملة: «لم نعرف كل التفاصيل بعد، ولكن توجد فتاتان على الأقل لا تزالان داخل المجمع الخاص بهذه الديانة. قيل لنا إنهما تخدمان الزعيم وكأنهما عذراوات ضريح له شخصياً. فهما لا يظهران مطلقاً أمام المؤمنين العاديين. ولا ندري هل هما هناك بمحض إرادتهما أو أنهما لا يستطيعان الهروب. ولا ندري أيضاً إن كانت العلاقة الجنسية لا تزال قائمة بينهما وبين الزعيم. على أيّ حال، إنهم جميعاً يعيشون في مكان واحد، كأسرة. ويُحظر على المؤمنين العاديين الوصول إلى منطقة سكن الزعيم. ولا يزال يوجد كثير من الأمور الغامضة».

كان الكوب الزجاجي قد بدأ يتعرق على سطح المنضدة. توقفت الأرملة كي تلتقط أنفاسها ثم تابعت كلامها. «يوجد شيء واحد نعرفه يقيناً، وهو أن ابنة الزعيم كانت أولى الضحايا الأربعة».

تجهمت أومامه. وبدأت عضلات وجهها تنقبض لا إرادياً، حتى بدت شديدة التشوه. أرادت أن تتلفظ بشيء، ولكن صوتها احتبس داخلها.

قالت الأرملة: «هذا صحيح. إنهم يعتقدون أن ابنته هي أول فتاة اغتصبها. جرى ذلك قبل سبع سنوات، حينما كانت في العاشرة».

رفعت الأرملة جهاز الإنتركوم وطلبت من تامارو أن يُحضر لهما قنينة نبيذ شيري وكأسين. التزمتا بالصمت وهما في انتظاره فيما راحت كلّ منهما ترتب أفكارها. جاء تامارو يحمل صينية عليها قنينة شيري جديدة وكأسين صغيرين من الكريستال الأنيق. بعد أن وضع كل شيء على المنضدة، فتح القنينة بالتواءة حادة ودقيقة، وكأنما ينتزع رقبة دجاجة. سُمعت بقبقة النبيذ وهو يصبه. أومأت الأرملة، فانحنى تامارو وغادر الغرفة، دون أن يقول شيئاً، كما هي عادته، بل لم يُسمع حتى وقع أقدامه.

قالت أومامه في نفسها، **ليست الكلبة وحدها هي ما تثير انزعاجه. اختفاء الفتاة جرحٌ غائر آخر لديه. كانت موضع اهتمام كبير من الأرملة، ومع ذلك فقد تلاشت أمام عينيه!** إذا شئنا الدقة، لم تكن الفتاة ضمن مسؤولياته. لم يكن حارساً شخصياً مقيماً؛ وكان ينام ليلاً في بيته الذي يبعد عشر دقائق سيراً على الأقدام، ما لم تضطره بعض المهام الخاصة للبقاء في بيت الأرملة. وقد وقع موت الكلبة واختفاء الفتاة ليلاً، حينما لم يكن موجوداً. لم يكن بوسعه أن يمنع أيهما. كانت وظيفته هي حماية الأرملة و«بيت الصفصاف». لم تكن دار الإيواء الواقعة خارج المجمع من ضمن مسؤولياته. ورغم ذلك، حملت الواقعتان هزيمة شخصية لتامارو، وإهانة لا تُغتفر.

سألت الأرملة أومامه: «هل أنت مستعدة للاعتناء بهذا الرجل؟».

طمأنتها أومامه: «تمام الاستعداد».

قالت الأرملة: «لن تكون مهمة سهلة. بالطبع، لا توجد مهمة

سهلة في ما أكلفك به. ولكن هذه صعبة للغاية. سوف نفعل كل ما بوسعنا، ولكن لا أدري إلى أي مدى يمكنني ضمان سلامتك. هذه المرة سيكون فيها مخاطر أكبر من المعتاد غالباً».

«أتفهّم ذلك».

«وكما قلت لك من قبل، فأنا أفضل ألّا أرسلك إلى مثل هذه المهمات الخطرة، ولكن كي أكون صادقة معك، خياراتنا محدودة هذه المرة».

قالت أومامه: «لا مانع لدي. لا يمكننا ترك هذا الرجل على قيد الحياة في هذا العالم».

رفعت الأرملة كأسها وسمحت لبعض نبيذ الشيري أن ينزلق على لسانها. ثم نظرت إلى السمكتين مرة أخرى لبرهة.

«لقد كنت أستمتع دائماً بالشيري في درجة حرارة الغرفة صيفاً في ساعات ما بعد الظهيرة. لستُ مولعة بالمشروبات الباردة في الأيام الحارة. سوف أشرب بعض الشيري، وبعد ذلك بقليل سوف أغفو، ثم أغطّ في نوم عميق دون أن أشعر. وحينما استيقظ، ستكون حرارة النهار قد انكسرت. أرجو أن يأتيني الموت بهذه الطريقة - أشرب قليلاً من الشيري بعد ظهيرة يوم حارّ ثم أتمدّد على أريكة وأغطّ في نوم عميق، ثم لا أستيقظ أبداً».

تناولت أومامه كأس الشيري الخاص بها وأخذت رشفة صغيرة. لم تكن مولعة بالشيري ولكنها كانت قطعاً بحاجة إلى شراب. في هذه المرة أحست بالمذاق، على النقيض من الشاي المثلج. شعرت بلسعة الكحول على لسانها.

قالت الأرملة: «قولي لي الحقيقة، هل تخافين الموت؟».

لم تكن أومامه بحاجة إلى أي تفكير كي تجيب عن سؤالها.

هزت رأسها وقالت: «ليس بالضبط. فالعيش مع نفسي يخيفني أكثر».

ابتسمت الأرملة ابتسامة عابرة وبدا أنها بعثت فيها بعض الحيوية. ظهر على شفتيها أثرُ لونٍ خفيف. ربما ساعدها على ذلك كلامها مع أومامه أو لعلّ رشفة الشيري قد فعلت مفعولها.

«أتذكر أنك قلت ذات مرة أن لديك رجلاً بعينه تحبينه».

«نعم، هذا صحيح، ولكن احتمال لقائي به في الواقع يقارب الصفر إلى حدّ بعيد. ولذلك وحتى إذا مت، فإن الخسارة الناجمة ستقارب الصفر أيضاً إلى حد بعيد».

ضيّقت الأرملة عينيها: «هل لديك سبب ملموس يجعلك تظنين أنك لن تقابليه أبداً؟».

قالت أومامه: «ليس لدي سبب بعينه. لا شيء سوى كوني أنا هي أنا».

«ألا توجد لديك أي نية بالمبادرة للوصول إليه؟».

هزت أومامه رأسها: «الأهم عندي هو أني أتشوق إليه بكل قلبي».

أبقت الأرملة عينيها مثبتتين لبرهة على أومامه وقد ظهرت على وجهها أمارات إعجاب واضح. وقالت: «أنتِ واضحة للغاية بخصوص أفكارك، ألست كذلك؟».

قالت أومامه وهي تتناول كأس الشيري كي تقرِّبه من شفتيها: «اضطررت لأن أكون هكذا. لم يكن لدي بديل».

ساد الصمت الغرفة لبرهة قصيرة. ظلت زهور الزنابق مُدلّاة وبقيت السمكتان الذهبيتان تسبحان وسط آشعة الشمس المنكسرة.

قالت الأرملة: «يمكننا تهيئة الأمور بما يضمن لك الانفراد

بالزعيم. لن يكون سهلاً، وسوف يستغرق ذلك وقتاً، ولكن يمكنني أن أدبر ذلك. كل ما عليك هو أن تفعلي ما تفعلين دائماً. عدا أنه سيكون عليك هذه المرة الاختفاء وإجراء جراحة تجميلية. وبالطبع تستقيلين من وظيفتك الحالية وتذهبين بعيداً. وتغيرين اسمك. وتتخلصين من كل ممتلكاتك. وتصبحين شخصاً آخر. سوف يتم تعويضك عن ذلك بمبلغ مالي مناسب طبعاً. سأتولى أنا مسؤولية كل شيء آخر. هل توافقين؟».

قالت أومامه: «مثلما قلتُ من قبل، ليس لدي ما أخسره. وظيفتي واسمي وهذه الحياة التي أعيشها في طوكيو: لا شيء منها يعني لي أي شيء. ليس لدي أي اعتراض على الإطلاق».

«وماذا عن وجهك؟ هل تمانعين إذا تغيَّر؟».

«هل سيتغير للأفضل؟».

أجابت الأرملة بحزن في ملامحها: «إن شئتِ، يمكننا ذلك بالطبع. نستطيع أن نصنع الوجه حسبما ترغبين - ولكن بالطبع، في حدود».

«ما دمنا في هذا، فربما أطلب أيضاً تكبيراً للثدي».

أومأت الأرملة: «لعلها فكرة جيدة - أعني لأغراض التخفي بالطبع».

قالت أومامه وقد رقَّقت من تعبيرها: «هذه مجرد مزحة. لست شديدة الإعجاب بهما، ولكن لا مانع أن أدعهما كما هما. فهما خفيفان ويسهل حملهما. وسيكون مزعجاً أن أشتري حمالات صدر جديدة».

«لا عليك. سوف أشتري لك ما تشائين».

«لا، أنا أمزح في هذه أيضاً».

ابتسمت الأرملة ابتسامة واهنة: «معذرة، ولكني لم أعتد سماع النكات منك».

قالت أومامه: «ليس لي اعتراض على إجراء جراحة تجميلية. لم أرغب يوماً في إجراء واحدة، ولكني لا أجد سبباً لرفضها أيضاً. لم أحب وجهي يوماً، ولا أعرف أحداً أُحبه بشدة أيضاً».

«سوف تفقدين جميع أصدقائك، أيضاً، هل تدركين ذلك؟».

قالت أومامه: «ليس لديّ أي أصدقاء»، لكن سرعان ما خطرت لها أيومي. **إذا كان لي أن أختفي تماماً دون أن أقول لها أي شيء، فقد تحزن لذلك، بل ربما تشعر بالخيانة**. ولكن لعله من الخطأ أصلاً اعتبارها «صديقة». كانت أومامه مقبلة على طريق خطرة للغاية ولا تسمح بصداقات مع ضابطة شرطة.

قالت الأرملة: «كان لدي طفلان. ولد وبنت. البنت كانت تصغر شقيقها بثلاث سنوات. ومثلما قلت لك من قبل، فقد ماتت منتحرة، ولم يكن لديها أبناء. أما ابني فقد وقعت بيني وبينه خلافات وبقيت أنا وهو غير منسجمين لفترة طويلة. لا أتحدث إليه الآن إلا نادراً. لدي أحفاد ثلاثة منه، ولكني لم أرهم منذ مدة أيضاً. ومع ذلك، فإن أغلب تركتي سوف تؤول إلى ابني الوحيد وأبنائه بعد موتي، بشكل تلقائي تقريباً. الوصايا ليست لها تأثير كبير هذه الأيام، على النقيض ممّا كانته في الماضي. والآن، ورغم ذلك فإن أرصدتي البنكية كبيرة جداً. وأود أن أترك لك جزءاً كبيراً من هذه الأموال، إذا نجحت في هذه المهمة الجديدة. لكن أرجوك لا تسيئي فهمي، فأنا لا أحاول أن أشتريك. ما أريد قوله هو أنني أعتبرك ابنة لي. ليتك كنت ابنتي فعلاً».

حدَّقت أومامه بهدوء إلى الأرملة، التي كانت قد وضعت كأس

الشيري على المنضدة وكأنها تذكرت فجأة أنها تمسكه. ثم استدارت كي تنظر وراءها حيث تويجات الزنابق اللامعة. استنشقت عبيرها الفواح، ثم نظرت مرة أخرى إلى أومامه.

«كما قلت من قبل، كنت أنوي أن أتبنى تسوباسا، ولكني الآن فقدتها هي أيضاً. لم أستطع مساعدتها. اكتفيت بالوقوف والفرجة وهي تتلاشى وحدها في ظلمة الليل. والآن، ها أنا أستعد لإرسالك في مهمة أخطر من أي مهمة سابقة. لا أريد حقاً عمل ذلك، ولكن لسوء الحظ، لا توجد لدي أي وسيلة أخرى لتحقيق غايتنا. كل ما بوسعي هو أن أقدم لك مكافأة مجزية».

أصغت إليها أومامه بانتباه دون أن تعلق بشيء. عندما سكتت الأرملة، سُمعت زقزقة أحد الطيور عبر زجاج النافذة. استمر الصوت بعض الوقت، حتى طار الطائر إلى مكان ما.

قالت أومامه: «لا بد أن 'نعتني' بهذا الرجل مهما جرى. هذا هو الأهم الآن. لا يسعني إلا أن أعبر عن امتناني الكبير لشعورك نحوي. وأظنك تعرفين أني نبذتُ والديّ وأنهما نبذاني عندما كنت طفلة؛ كان لكلّ منا سبب دفعه لذلك. لم يكن أمامي خيار سوى أن أشق طريقي وأستغني عن أمور مثل دفء الأسرة. وحتى أُعيل نفسي، كان لا بد من التأقلم مع هذه الحالة النفسية. لم يكن أمراً سهلاً. كنت أشعر غالباً بأنني مجرد حثالة - أو ثمالة قذرة لا قيمة لها، وهو ما يجعلني ممتنة للغاية لما قلتِه لي للتو. ولكن فات أوان ذلك تقريباً ولم يعد ممكناً أن أغير موقفي أو نمط حياتي. لكن هذا لا ينطبق على تسوباسا. أنا واثقة أنه لا يزال بوسعنا إنقاذها. أرجوك لا تستسلمي لفقدانها بهذه السهولة. لا تفقدي الأمل. استرديها!».

أومأت الأرملة وأضافت: «اعذريني إن كنت لم أحسن التعبير

عن ذلك. بالطبع لم أستسلم لفقدانها. سأفعل كل ما بوسعي لإعادتها. ولكن كما ترين، أنا متعبة للغاية الآن. وأشعر بعجز شديد لإخفاقي في مساعدتها. أحتاج إلى بعض الوقت كي أستعيد طاقتي. أو لعلي أصبحت طاعنة في السن، ولن تعود إليّ الطاقة أبداً، مهما طال انتظاري».

نهضت أومامه من جلستها على الأريكة وتوجهت صوب الأرملة. جلست على ذراع كرسي الأرملة، ثم أمسكت بكف المرأة الضئيل والأنيق.

قالت أومامه: «يا لكِ من سيدة صلبة. تستطيعين أن تواصلي العيش بحيوية تفُوق أي أحد آخر. كلّ ما هنالك هو أنك مرهَقة. يجب أن تحصلي على قسط من النوم. وحالما تستيقظين سوف تجدين نفسك التي تعرفينها، أنا واثقة».

قالت الأرملة وهي تضغط على يد أومامه في المقابل: «أشكركِ. معك حق. ربما ينبغي أن أحصل على قسط من النوم».

قالت أومامه: «سأنصرف إذاً. وسأنتظر أوامرك. سوف أرتب متعلقاتي، ليس لأن لدي «متعلقات» كثيرة تحتاج إلى من يرتبها».

«تهيئي للسفر بأخف الأشياء. وسوف نتكفل بكل ما تحتاجينه».

حررت أومامه يد الأرملة ونهضت: «تصبحين على خير. أنا متأكدة أن كل شيء سيكون على ما يرام».

أومأت الأرملة. وبينما كانت لا تزال في كرسيها، أغمضت عينيها. ألقت أومامه نظرة خاطفة وأخيرة على وعاء السمكتين الذهبيتين وتنسمت نفحة أخيرة من عبير الزنابق قبل مغادرة غرفة المعيشة ذات السقف العالي.

وجدت تامارو في انتظارها عند الباب الخارجي. كانت الساعة قد بلغت الخامسة، ومع ذلك كانت الشمس لا تزال في كبد السماء، ولم تخفّ حدّتها. انعكس وهجها على حذاء تامارو القرطبي الأسود، الذي كان كالمعتاد شديد اللمعان. ظهرت في السماء بضع سحابات صيفية بيضاء، ولكنها كانت تتجمع في أركانها، حيث لا يمكنها أن تحجب أشعة الشمس. لم تكن نهاية موسم الأمطار قد اقتربت بعد، ومع ذلك كانت تأتي أيام يصبح فيها الطقس أشبه بطقس منتصف الصيف، وهي تأتي مصحوبة بصيحات حشرات السيكادا الآتية من أشجار الحديقة. لم تكن الصيحات عالية، بل على العكس، بدت مكبوتة بعض الشيء. ولكنها كانت علامة إيجابية للموسم المقبل. كان العالم لا يزال يمضي كدأبه دائماً. حشرات السيكادا تصدر صيحاتها، والسحاب يمر، وحذاء تامارو لا تشوبه شائبة. لكن كل ذلك بدا جديداً لدى أومامه: وأن العالم ينبغي أن يمضي كالمعتاد.

سألت أومامه تامارو: «هل يمكن أن نتحدث قليلاً؟ هل لديك وقت؟».

قال تامارو دون أن تتغير ملامحه: «أجل. لدي وقت. قتل الوقت هو جزء من عملي الذي أؤديه لكسب عيشي». ألقى نفسه في أحد الكراسي الموجودة بجوار الباب الخارجي. وجلست أومامه في الكرسي المجاور. كانت الأفاريز الناتئة تحجب ضوء الشمس. جلس كلاهما في ظلها البارد فيما كانت رائحة العشب المتجدد تفوح في المكان.

قال تامارو: «الصيف بدأ هنا بالفعل».

أجابت أومامه: «وبدأت حشرات السيكادا بالصياح».

«يبدو أنها بدأت باكراً نوعاً ما هذه السنة. هذه المنطقة سوف

تصبح مزعجة للغاية مرة أخرى. وهذه الصيحات الحادة سوف تؤذي آذانك. سمعت هذه الأصوات نفسها على مدى بضعة أيام حينما كنت في مدينة شلالات نياجرا. كانت أصواتها تستمر من الصباح حتى الليل دون انقطاع، وكأنها لمليون حشرة من حشرات السيكادا».

«إذاً فقد زرت شلالات نياجرا».

أومأ تامارو: «إنها المدينة الأكثر ضجراً في العالم. مكثتُ فيها ثلاثة أيام وحدي، ولم أجد ما أفعله سوى الاستماع لصوت الشلالات. كان مزعجاً للغاية وتتعذر معه القراءة».

«وماذا كنت تفعل وحدك في شلالات نياجرا لثلاثة أيام؟».

بدلاً من جواب سؤالها، اكتفى تامارو بهز رأسه.

واصل تامارو وأومامه الاستماع لصيحات السيكادا الخافتة، دون أن يتلفظا بشيء.

قالت أومامه: «أريدك أن تُسدي لي معروفاً».

بدا أن ذلك قد أثار انتباه تامارو. لم تعتد أومامه أن تطلب شيئاً من أحد.

قالت: «إنه شيء غير مألوف نوعاً ما. أرجو ألا يزعجك».

«لا أدري إن كنت سوف أستطيع توفيره لك، ولكن يسعدني على الأقل أن أعرفه. ليس من الذوق أن ينزعج المرء عندما تطلب منه سيدة معروفاً».

قالت أومامه بنبرة قاطعة: «أنا بحاجة إلى مسدس. مسدس يسهُل حمله في حقيبة يد. ويكون ارتداده محدوداً، ولكنه قوي ويمكن الاعتماد عليه. ليس مقلَّداً أو معدَّلاً أو من تلك النسخ الفلبينية. لن أستخدمه سوى مرة واحدة. وتكفيني رصاصة واحدة».

عمّ الصمت. أبقى تامارو عينيه مسلطتين على أومامه خلال ذلك الصمت، ولم يُنزلهما عنها.

ثم ببطء وحذر قال تامارو: «ألا تعرفين أن القانون يُجرِّم حيازة المسدس على المواطن العادي في هذا البلد؟».

«بالطبع أعرف».

وتابع تامارو: «وليكن في معلومك، اسمحي لي أن أقول ذلك، أنني لم أُتهم ولو مرة واحدة في جريمة. وهذا معناه أنه لا توجد لي أي سجلات لدى الشرطة. ربما يكون السبب في ذلك الآن هو بعض القصور في نظام العدالة، وهو شيء لا أنكره. ولكن على الأقل بحسب السجلات الرسمية، فأنا مواطن صالح. أمين ومستقيم ونقي. ميولي الجنسية مثلية، ولكن القانون لا يجرم ذلك. أدفع ضرائبي المقررة، وأدلي بصوتي في الانتخابات - رغم أنه لم يحدث مطلقاً أن منحت صوتي لمرشح ثم نجح، بل إنني سدَّدت كل مخالفات ركن السيارة قبل حلول موعدها المحدد. ولم يتم إيقافي مطلقاً لتجاوز السرعة خلال السنوات العشر الماضية. وأنا مسجل ضمن نظام التأمين الصحي الوطني. وأدفع رسوم الاشتراك في 'إن إتش كيه' مباشرة من حسابي المصرفي، وأحمل في جيبي بطاقَتَي أمريكان إكسبريس وماستر كارد معاً. ورغم أنني لا أنوي عمل ذلك الآن، فإنه يحق لي الحصول على رهن عقاري مدته ثلاثين سنة إذا شئت، وكم يسعدني دائماً أن أجد نفسي في هذا الوضع. بعبارة أخرى، يمكن أن أُسمى ركيزة المجتمع دون أي قدر من السخرية. هل تدركين أنك تطلبين من مثل هذا الشخص أن يدبر لك مسدساً؟».

«ولهذا السبب رجوتك ألّا تنزعج من طلبي».

«نعم، سمعتك تقولين ذلك».

«آسفة، ولكني لا أجد سواك أسأله».

أصدر تامارو صوتاً خافتاً ومخنوقاً من مؤخرة حنجرته يُرجح أنها كانت تنهيدة مكتومة: «لنفترض الآن أني في وضع يسمح لي بأن أوفر لك ما تطلبين، فإن المنطق السليم يقتضي أن أسألك مَن الذي تنوين أن تطلقي عليه الرصاص؟».

أشارت أومامه بسبابتها نحو صدغها: «هنا، على الأرجح».

نظر تامارو محدقاً في إصبعها وتملّكه الذهول للحظة: «ربما يكون سؤالي التالي: لماذا؟».

قالت أومامه: «لأني لا أريد أن يُقبض عليّ. ولأنني لا أخاف الموت. ورغم أنه لن يروق لي غالباً، فربما أحتمل السجن. ولكني أرفض أن أصبح رهينة وأتعرض للتعذيب على أيدي مجموعة مجهولة من الناس. ولا أريد البوح باسم أي أحد. هل تفهم قصدي؟».

«أظن ذلك».

«لا نية لدي لقتل أحد أو السطو على بنك. لذلك لست بحاجة إلى مسدس نصف آلي كبير الحجم ويُحشى بعشرين طلقة. أحتاج شيئاً صغيراً دون ارتداد كبير».

«تناول العقاقير قد يكون خياراً آخر. إنها أكثر سهولة من محاولة الوصول إلى مسدس».

«إخراج عقار وابتلاعه قد يتطلب وقتاً. وقبل أن أطحن كبسولة بأسناني، قد يضع أحدهم يده في فمي ويوقفني. ولكن بالمسدس، يمكنني أن أُبعد الطرف الآخر وأتولى أمر نفسي».

فكر تامارو في ذلك لبرهة، وارتفع حاجبه الأيمن قليلاً. وقال: «لا أودّ أن أفقدك، ما دمت أستطيع ذلك. أنا أحبك على نحوٍ ما. شخصياً، أقصد».

ابتسمت أومامه ابتسامة خفيفة: «كإنسانة، تقصد؟».

دون أن يتغير تعبير وجهه، قال تامارو: «إنسان، إنسانة، كلب - ليس لدي عدد كبير من الأشخاص الذين أحبهم».

قالت أومامه: «لا، بالطبع لا».

«وفي الوقت نفسه، مهمتي الوحيدة والأهم هي حماية السيدة وسلامتها. وأنا أيضاً - ماذا أقول؟ محترف من نوع ما».

«هذا ما لا شك فيه».

«حسناً، دعيني أرى ما الذي يمكنني عمله. لا أضمن لك أي شيء، لكن ربما أستطيع أن أجد شخصاً يدبِّر لكِ طلبك. وهذه مهمة حساسة للغاية. إنها ليست مثل شراء بطانية كهربائية عبر نظام الطلب بالبريد. ربما يستغرق الأمر أسبوعاً قبل أن أعود إليك بخبر».

قالت أومامه: «وهذا مناسب».

نظر تامارو بعينين مُضيَّقتين إلى أعلى الشجر الذي تنبعث منه صيحات حشرات السيكادا: «آمل أن يسير كل شيء على ما يرام. سوف أفعل كل ما بوسعي، في حدود المعقول».

«أشكرك تامارو. ستكون المهمة القادمة هي الأخيرة لي غالباً. ربما لن أراك ثانية».

بسط تامارو ذراعيه، ورفع كفيه لأعلى، كما لو كان واقفاً وسط صحراء، في انتظار المطر، لكن دون أن يتلفظ بكلمة. كانت لديه كفان كبيرتان وغليظتان وتظهر فيهما آثار ندوب. أما يداه فتبدوان جزءاً من آلة عملاقة أكثر ممّا تبدوان جزءاً من جسم بشري.

قال تامارو: «لا أحب الوداع. لم أحصل حتى على فرصة أن أقول وداعاً لوالديّ».

«هل مات كلاهما؟».

«لا أدري إن كانا في عداد الأحياء أو الموتى. أنا وُلدت على جزيرة سخالين قبل عام من نهاية الحرب. كان الطرف الجنوبي من جزيرة سخالين أرضاً يابانية اسمها كارافوتو، ولكن الاتحاد السوفياتي احتلها، وأُخذ أبواي أسيرين. والدي كان على ما يبدو يؤدي عملاً ما في مرافق الميناء. وسرعان ما أعيد معظم السجناء المدنيين اليابانيين إلى اليابان، ولكن لم يستطع أبواي أن يعودا إلى اليابان لأنهما كانا كوريين وأُرسلا كعمال إلى سخالين. ورفضت الحكومة اليابانية استقبالهما. وبمجرد خسارة اليابان للحرب، لم يعد الكوريون رعايا لإمبراطورية اليابان. كان أمراً فظيعاً. لم تُظهر الحكومة ناحيتهم أيّ ذرة تعاطف. كان بوسعهما أن يذهبا إلى كوريا الشمالية إذا شاؤوا، ولكن ليس إلى الجنوبية، لأن الاتحاد السوفياتي لم يكن قد اعترف آنذاك بكوريا الجنوبية. كان أبواي يتحدران من قرية صيد واقعة بالقرب من بوسان ولم يكن لديهما أي رغبة في الذهاب إلى الشمال. لم يكن لديهما أقارب أو أصدقاء هناك. كنت لا أزال طفلاً رضيعاً. سلّماني إلى زوجين كانا سوف يتم تسليمهما إلى اليابان، واصطحبني هؤلاء الأشخاص عبر المضايق إلى هوكايدو. كان الوضع الغذائي في سخالين آنذاك مريعاً، والجيش السوفياتي كان يتعامل مع الأسرى بطريقة وحشية. كان أبواي لديهما أبناء صغار آخرين، ولا بد أنهما ربما فكرا في إرسالي إلى هوكايدو أولاً قبل أن يلحقا بي بعد ذلك. أو ربما كان ذلك مجرد حجّة للتخلص مني. لا علم لي بالتفاصيل. على أي حال، فإن شملنا لم يلتئم ثانية أبداً. ربما لا يزالان في سخالين حتى يومنا هذا، إذا افترضنا أنهما لم يموتا بعد».

«ألا تذكر ملامحهما؟».

«مطلقاً. كنت قد تجاوزت بقليل سنة واحدة من عمري عندما

فُصلت عنهما. أبقاني الزوجان معهما فترة ثم أرسلاني إلى ملجأ أيتام في الجبال القريبة من هاكوداتي، بالقرب من الطرف الجنوبي لهوكايدو، أي أبعد ما يكون عن سخالين ولكن مع البقاء ضمن هوكايدو. ربما لم يكونا قادرين على إعالتي. كانت منظمة كاثوليكية تدير ملجأ الأيتام الذي كان مليئاً بالقسوة. كان يضم أعداداً كبيرة من الأيتام بعد الحرب، ولم يكن فيه من الغذاء أو وسائل التدفئة ما يلبي حاجة كل هؤلاء. اضطررتُ لفعل كل ما يخطر على البال كي أبقى على قيد الحياة». حدَّق تامارو في ظهر يده اليمنى.

«وهكذا تم ترتيب عملية تبني كإجراء روتيني، وأصبحتُ مواطناً يابانياً، وحصلت على اسم ياباني: كنيتشي تامارو. كل ما أعرفه عن اسمي الأصلي هو اللقب فحسب: بارك، لكن الكوريين الذين يحملون اسم بارك هم بعدد نجوم السماء».

كانت أومامه وهي تجلس بجانب تامارو، تستمع إلى صيحات حشرات السيكادا.

قالت أومامه: «يجب أن تقتني كلبة أخرى».

«هذا هو ما تقوله السيدة أيضاً. دار الإيواء تحتاج كلب حراسة آخر على الأقل. ولكني لا أرغب في ذلك الآن».

«أفهم ذلك. ولكن عليك اقتناء أحدها. لا أقصد أنني في حال يؤهلني لإسداء النصائح للناس».

قال تامارو: «سوف أفعل. وفي نهاية المطاف، نحن بحاجة إلى كلب حراسة مدرَّب. سوف أتصل من فوري بأحد مُربيّ الكلاب».

نظرت تامارو في ساعتها ثم نهضت. كان لا يزال هناك بعض الوقت قبل أن يحين غروب الشمس، ولكن السماء كانت بالفعل قد اكتست بملامح المساء - سماء مختلفة تختلط زرقتها بزرقة ما بعد

الظهيرة. كانت لا تزال تشعر ببعض آثار شراب الشيري. تُرى أتكون الأرملة لا تزال نائمة؟

قال تامارو وهو ينهض من كرسيه: «بحسب تشيخوف فإن المسدس عندما يظهر في قصة، فلا بد أن تُطلَق منه النار».

«ماذا يعني بذلك؟».

وقف تامارو في مواجهة أومامه مباشرة. كان أطول قامة منها ببوصة أو بوصتين: «يعنى: لا تُدخلي الكثير من الأدوات غير الضرورية إلى القصة. إذا ظهر مسدس، فلا مفرّ من استخدامه في لحظة ما. تشيخوف كان يحب كتابة القصص التي تخلو من أي تنميقات غير مجدية».

مسَّدت أومامه أكمام ثوبها وعلقت حقيبتها في كتفها مرة أخرى: «وذلك يقلقك - إذا ظهر مسدس في المشهد، فحتماً سوف يُستخدم في لحظة ما».

«بحسب رأي تشيخوف، نعم».

«ولذلك أنت ترى أن الأفضل ألا تسلمني مسدساً».

«إنها خطيرة. والقانون يجرمها. وتشيخوف كاتب يمكن الوثوق به».

«ولكننا لسنا في قصة. نحن نتحدث عن عالم الواقع».

ضيَّق تامارو حدقتيه ونظر إلى أومامه نظرة حادة. ثم فتح فمه ببطء، وقال: «ومَن يدري؟».

الفصل الثاني

تنغو

لا أملك سوى روحي

وضع أسطوانة سينفونييتا لمؤلفها ياناتشيك على القرص الدوار ثم ضغط على زر «التشغيل التلقائي». كان سيجي أوزاوا هو مَن يقود أروكسترا شيكاغو السيمفونية.

بدأ القرص يدور بمعدل $33\ ^1/_3$ لفة في الدقيقة، حيث يتحرك ذراع النغمات فوق حافة الأسطوانة فيما تسير الإبرة داخل الأخدود. بعد دخول أدوات النفخ النحاسية، سُمع دوي الطبول المزخرفة من مكبرات الصوت. كان هذا هو المقطع الذي يستهوي تنغو كثيراً.

في أثناء استماعه للموسيقى، كان تنغو يجلس قبالة شاشة معالج الكلمات ويطبع كلماته. كانت عادة يومية لديه أن يستمع إلى مقطوعة سينفونييتا لمؤلفها ياناتشيك في الصباح الباكر. ظلت للمعزوفة أهمية خاصة عنده منذ أن شارك في أدائها كضابط إيقاع مرتجل وهو في المدرسة الثانوية. كانت تمنحه إحساساً شخصياً بالتحفيز والحماية، أو لعله على الأقل كان يشعر أنها تفعل له ذلك.

وفي بعض الأحيان كان يستمع إلى مقطوعة ياناتشيك رفقة صديقته الأكبر سناً، فتقول له: «لا بأس بها». ولكنها كانت تميل

إلى أسطوانات الجاز القديمة أكثر ممّا تميل إلى الموسيقى الكلاسيكية - كلما تقادَمَ الشيء، كان أفضل. ذائقة غريبة على امرأة في مثل عمرها. أمّا أسطوانتها المفضلة فهي مجموعة أغاني البلوز «دبليو. سي. هاندي» التي يؤديها الشاب لويس أرمسترونج بمصاحبة بارني بيجارد على الكلارينيت، وترومي يونج على آلة الترومبون. قدَّمت لتنغو نسخة منها، وإن كانت ليست له بقدر ما هي لها كي تسمعها.

بعد انتهائهما من ممارسة الجنس، كانا يبقيان غالباً في الفراش يستمعان إلى الأسطوانة. لم تسأم الاستماع إليها يوماً وتقول: «لا شك أن عزف أرمسترونج على البوق وغناءه في غاية الروعة، ولكن إذا سألتني، فإن ما يجب عليك الإنصات إليه هو عزف بارني بيجارد على الكلارينيت». لكن العدد الفعلي للمعزوفات المنفردة التي يؤديها بيجارد كان ضئيلاً، وكانت تميل إلى الاقتصار على جوقة واحدة. كان لويس أرمسترونج هو نجم هذه الأسطوانة. ولكن كان واضحاً أنها أحبَّت تلك المعزوفات المنفردة القليلة لبيجارد، حتى إنها كانت تدندن بصوت هادئ مع كل نغمة تحفظها.

قالت إنها كانت تظن أنه يوجد عازفو كلارينيت يفوقون بيجارد بارني موهبةً في الجاز، ولكنك لا تستطيع أن تجد أحداً غيره يؤدي بهذا القدر من الدفء والنعومة. إن معزوفاته الرائعة دائماً ما تخلق صورة ذهنية محددة. لم يكن تنغو يستطيع أن يستحضر من ذاكرته اسم أي عازف جاز آخر على الكلارينيت، ولكن لأنه استمع إلى هذه الأسطوانة مراراً وتكراراً، فقد بدأ يشعر بالتقدير بإزاء الجمال الخالص والطبيعي لعزف الكلارينيت فيها - ولا سيما سماتها المبتكرة وحيويتها وثرائها. كان عليه أن يستمع إليها وينصت مرة تلو أخرى حتى يحدث

ذلك، وكان لزاماً عليه أن يتخذ دليلاً مرشداً. إذ كانت ستغيب عنه الفروق الدقيقة إن اعتمد في ذلك على نفسه.

وقالت له صديقته ذات مرة: «إن بارني بيجارد يعزف بشكل رائع، وكأنه لاعب موهوب في كرة البيسبول. معزوفاته المنفردة رائعة، ولكن موضع إبداعه الحقيقي هو في ما يقدمه من مساندة للموسيقيين الآخرين. وهو أمر بالغ الصعوبة، ولكنه يؤديه بكل سهولة. ولا يقدر قيمته الحقيقية إلا مستمع يقظ».

وكانت كلما بدأ اللحن السادس على الوجه الآخر من أغنية «أطلانتا بلوز»، تُمسك بأحد الأعضاء في جسم تنغو ثم تثني على معزوفات بيجارد المنفردة القصيرة والرائعة، التي كانت تتخلل أغنية أرمسترونج وعزفه المنفرد على البوق: «اسمع تلك! إنها مدهشة، ذلك النحيب الأول والطويل الذي يشبه بكاء طفل صغير! ماذا تسمي ذلك - مفاجأة؟ فرح غامر؟ نداء للسعادة؟ إنها تتحول إلى تنهيدة بهيجة تشق طريقها عبر نهر جميل من الأصوات حتى يتم امتصاصها بسهولة في مكان رائع ومجهول. هناك! اسمع! لا أحد سواه يمكنه أن يؤدي هذه المعزوفات المنفردة الخلابة. صحيح أن جيمي نون وسيدني بيكيت وبي واي راسل وبيني جودمان، هم جميعاً عازفو كلارينيت رائعون، ولكن لا أحد منهم يستطيع أن يخلق مثل هذا العمل الفني المنحوت بإتقان».

سألها تنغو ذات يوم: «كيف تسنى لك معرفة كل ذلك عن موسيقى الجاز القديمة؟».

قالت وهي تضع وعاء خصيتيه في راحة يدها وتدلكه بلطف: «عشت تجارب ماضية كثيرة أنت لا تدري عنها شيئاً - تجارب مضت وليس لأحد أن يغيرها بأي حال من الأحوال».

عندما انتهى تنغو من الكتابة في الصباح، مشى صوب المحطة واشترى صحيفة من أحد أكشاك الصحف. ثم حملها معه إلى مقهى قريب، حيث طلب «فطور الصباح» وكان يتكون من خبز محمص بالزبدة وبيضة مسلوقة. شرب القهوة وراح يتصفح الصحيفة في انتظار وصول الطعام. كما توقع كوماتسو، وجد خبراً حول فوكا-إري في صفحة «قضايا إنسانية». لم يكن الخبر كبيراً، ولكنه ظهر فوق إعلان لسيارات ميتسوبيشي، وبعنوان «هروب الفتاة الفائزة بجائزة الكُتَّاب الجُدد؟».

أُعلن ظهر أمس عن اختفاء فوكا-إري (الاسم المستعار لإريكو فوكادا، 17 سنة)، وهي مؤلفة رواية 'الشرنقة الهوائية'، الأفضل مبيعاً حالياً. وبحسب ولي أمرها، أستاذ علم الأنثروبولوجيا الثقافية، تاكايوكي إبيسونو (63 عاماً)، الذي تقدَّم ببلاغ ببحث وتحري لمركز شرطة أويومي، فإن إريكو لم ترجع إلى منزلها في مدينة أويومي أو إلى شقتها في طوكيو منذ ليلة الـ 27 من يونيو، ولم يوجد لها أي أثر منذ ذلك الحين. ورداً على سؤال لهذه الصحيفة عبر الهاتف، قال السيد إبيسونو إن إريكو كانت في حالة معنوية جيدة كعادتها حينما رآها آخر مرة، وأنه لا يجد أي سبب يدفعها للاختباء، وأنها لم تغب يوماً عن المنزل دون إذن، وأنه قلق من أن يكون مكروهٌ قد أصابها. أما يوجي كوماتسو محرِّر 'الشرنقة الهوائية' في شركة ** للنشر، فقال: «لقد تصدَّر الكتاب لائحة أفضل الكتب مبيعاً على مدى ستة أسابيع متتالية وحظي بقدر كبير من الاهتمام، ولكن الآنسة فوكادا

نفسها لم ترغب في أن يكون لها أي ظهور علني. ونحن في الشركة لم نستطع أن نحدد هل اختفاؤها الحالي مرتبط بموقفها تجاه هذه الأمور. ورغم حداثة سنها، فإن الآنسة فوكادا مؤلفة تمتلك قدراً وفيراً من الموهبة ما يجعلنا نتوقع منها الكثير مستقبلاً. ونحن نرجو أن تظهر في أقرب وقت وهي في صحة جيدة». وتجري الشرطة تحقيقاتها استناداً إلى عدة خيوط محتملة.

خلص تنغو إلى أن ذلك على الأرجح هو أقصى ما يمكن للصحف أن تورده في هذه المرحلة. لو أن الصحيفة تعاطت مع الخبر بجرعة أكبر من الإثارة، ثم ظهرت فوكا-إري في منزلها بعد يومين وكأن شيئاً لم يكن، فسوف يقع المراسل صاحب الخبر في الحرج فيما ستفقد الصحيفة احترامها. والأمر نفسه يسري على الشرطة. أصدر كلاهما بيانات محايدة وقصيرة مثل بالونات اختبار حتى يروا ما سيحدث. لكن القصة سوف تكبر عندما تتناولها المجلات الأسبوعية وتؤججها البرامج الإخبارية التلفزيونية. وذلك لن يحدث قبل انقضاء بضعة أيام.

عاجلاً أو آجلاً، مع ذلك، سوف تزداد الإثارة، دون شك. لا مفرّ من الإثارة. لم يكن هناك على الأرجح سوى أربعة أشخاص فقط في العالم يعرفون أنها لم تُختطف وإنما تختبئ في مكان ما بمفردها. كانت فوكا-إري نفسها على علم بذلك، بطبيعة الحال، وكذلك تنغو. وكان البروفيسور إيبسونو وابنته أزامي يعلمان ذلك أيضاً. لم يكن أحد سوى هؤلاء يعرف أن الضجة المُثارة بشأن اختفائها لا تعدو كونها خدعة تهدف إلى لفت الانتباه على أوسع نطاق.

لم يكن بوسع تنغو أن يقرر ما إذا كانت معرفته بالحقيقة شيئاً يجب أن يُسرّ به أو ينزعج منه. يُسر، ربما: لم يكن عليه على الأقل أن يقلق بشأن سلامة فوكا-إري. فهي في مكان آمن. وفي الوقت نفسه كان واضحاً أن تنغو ضالعاً في هذه المكيدة المعقدة. كان البروفيسور إبيسونو يستخدمها كرافعة، يزيح بها صخرة مشؤومة ويسمح لضوء الشمس بالدخول. وعندئذٍ سوف ينتظر كي يرى ما الذي سوف يبرز من تحت الصخرة، وكان تنغو مضطراً للوقوف بجانبه. لم يكن تنغو يريد أن يعرف ما الذي يمكن أن يبرز من تحت الصخرة، بل كان يفضِّل ألّا يرى ذلك. سيكون حتماً مصدراً لمتاعب هائلة. ولكنه أحسّ أنه ليس لديه خيار سوى النظر.

بعد احتسائه قهوته وتناوله الخبز والبيض، غادر تنغو المقهى، وخلَّف وراءه الصحيفة التي تجعدت صفحاتها. عاد إلى شقته ونظَّف أسنانه بالفرشاة ثم تحمم وراح يتهيأ للذهاب إلى المدرسة.

خلال استراحة الظهيرة في المدرسة التأهيلية، استقبل تنغو زائراً غريباً. كان قد انتهى لتوه من حصة صباحية وراح يطالع بعض الصحف في غرفة المعلمين حينما جاءته سكرتيرة مدير المدرسة تخبره بأن شخصاً ما يريد مقابلته.

كانت السكرتيرة امرأة قوية وتكبر تنغو بسنة واحدة، وكانت رغم مُسمَّاها الوظيفي، تتولى تقريباً جميع الشؤون الإدارية للمدرسة.

كانت قسمات وجهها غير متناسقة بعض الشيء، ما يتعذر معه اعتبارها في عداد الجميلات، ولكنها كانت ذات قوام ممشوق وتمتلك ذوقاً رفيعاً في انتقاء ملابسها.

«يقول إن اسمه السيد يوشيكاوا».

لم يتعرّف تنغو على الاسم.

لسبب ما، اعترى وجهها عبوس طفيف: «ويقول إن لديه أمر مهم يريد مناقشته معك، ويريد مقابلتك على انفراد إن أمكن».

سأل تنغو مستغرباً: «أمر مهم؟» لم يحدث قطّ أن جاءه أحدٌ «بأمر مهم» لمناقشته معه في المدرسة التأهيلية.

«وجدت غرفة الاستقبال خالية، فأدخلته إلى هناك. لا يُفترض أن يستخدمها المعلمون دون سابق إذن، ولكني رأيت . . .».

قال تنغو وقد منحها أفضل ابتسامة لديه: «شكراً جزيلاً».

بشيء من عدم الارتياح على وجهها، مضت قاصدة مكاناً ما، فيما كان النسيم يداعب طرف سترتها الصيفية الجديدة من ماركة آجنس بي.

كان يوشيكاوا قصير القامة، وأغلب الظن أنه في منتصف الأربعينيات. كان ذو قوام شديد الامتلاء تلاشت معه كل دلائل وجود الخصر، وتراكم لحم زائد عند حنجرته. لكن تنغو لم يستطع أن يخمن عمره. وبسبب غرابة (أو فَرادة) مظهره، كان يصعب العثور على الشواهد اللازمة التي يستدلّ بها على عمره. وقد يكون أكبر أو قد يكون أصغر، فعمره يتراوح ما بين، مثلاً، اثنين وثلاثين وستة وخمسين سنة. كانت أسنانه معوجة وعموده الفقري متقوّساً بغرابة. صنعت مقدمة رأسه الكبيرة منطقة صلعاء ومسطحة على نحو غير مألوف وذات حواف مائلة. ذكرته بمهبط طائرات عمودية أُنشئ بعد إزالة قمة تلة صغيرة ذات أهمية استراتيجية. وكان تنغو قد رأى هذا المهبط في فيلم وثائقي يتناول حرب فيتنام. وعلى حدود المنطقة المسطحة ذات الحواف المائلة التصق شَعرٌ كثيف أسود ومجعد تُرك حتى طال أكثر مما ينبغي وأصبح مشعثاً ويتدلى من فوق أذنيه. ومن

بين كل مائة شخص، سوف يُذكِّر غالباً ثمانية وتسعين بشعر العانة. أما الشخصان المتبقيان فلم يكن تنغو يدري بما سوف يُذكِّرهما.

كان يبدو أن كل شيء في الرجل -بداية من وجهه وجسمه- قد تشكَّل على نحو غير متناسق. لاحظ تنغو ذلك من فوره. صحيح أن جميع أجسام البشر بها شيء من عدم التناسق: وهذا في حدّ ذاته لا يتعارض مع قوانين الطبيعة. تنغو نفسه كان يدرك أن جفنيه يأخذان شكلين مختلفين قليلاً، وأن خصيته اليسرى تتدلى لأسفل أكثر قليلاً من اليمنى. فأجسادنا لم ينتجها مصنع للإنتاج الضخم وفق معايير ثابتة. ولكن في حالة هذا الرجل، تتجاوز الفروق بين اليمين واليسار حدود الحس العام. هذا الخلل، الذي لا تخطئه عين، لا يمكن إلا أن يثير الضيق لدى هؤلاء الذين يوجدون في حضرته ويسبب لهم الانزعاج نفسه الذي سوف يعتريهم إذا هم وقفوا إزاء مرآة مشوّهة.

كانت بذلة الرجل الرمادية تنتشر بها تجعدات صغيرة لا تُحصى، ما جعلها تبدو وكأنها قطعة أرض سحقها جبل جليدي. وكان يوجد نتوء في أحد طرفي ياقة قميصه الأبيض، فيما يظهر انبعاج ما في عقدة ربطة عنقه، وكأنها قد لوت نفسها لمجرد وجودها في هذا المكان. كان يوجد خطأ بسيط في مقاسات البذلة والقميص وربطة العنق جميعها. أما الخطوط المرسومة على ربطة عنقه فكانت أشبه برسم انطباعي يؤديه طالب فنون معدوم الكفاءة لوعاء من الشعرية المتشابكة والمشبعة بالماء. بدا أن كل قطعة من ملابسه قد اشتراها تحت ضغط الحاجة الملحة في موسم التخفيضات. وكلما أطال تنغو النظر فيها، زاد شعوره بالأسى للملابس نفسها، ولكون هذا الرجل يرتديها. لم يكن تنغو يأبه كثيراً بملابسه، لكنه كان شديد الاهتمام بما يلبسه الآخرون. وإذا كان عليه أن يُعدّ لائحة بهؤلاء الذين ارتدوا أسوأ

ملابس ممن التقاهم خلال السنوات العشر الماضية، فسوف يحل هذا الرجل في مرتبة قريبة من صدارة اللائحة. ليس لبشاعة أسلوبه في الملبس فحسب، ولكن أيضاً لكونه يعطي انطباعاً بأنه يُدنس عامداً فلسفة ارتداء الملابس.

عندما دخل تنغو إلى غرفة الاستقبال، نهض الرجل وأظهر بطاقة تعريفية من حافظة بطاقاته، ثم سلمها إليه بانحناءة.

كانت البطاقة تحمل اسمه بالرموز اليابانية والحروف اللاتينية: توشيهارو يوشيكاوا. اسمه الأول اسم عادي لا غبار عليه، ولكن «يوشيكاوا؟» «نهر الثور؟» لم يكن تنغو قد رأى هذا الاسم من قبل. عرَّفت البطاقة الرجل بأنه «مدير متفرغ، في مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون»، وهي تقع في كوجيماتشي، إقليم شيودا، وكان عليها رقم هاتف المؤسسة. لم يكن لدى تنغو أدنى فكرة عمَّا قد تكونه مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون، ولا ماذا يعني أن يكون أحدهم «مديراً متفرغاً» لأي شيء. لكن البطاقة رغم ذلك كانت أنيقة وعليها شعار طُبع بأحرف بارزة، وليست مجرد شيء صُنع لتأدية الغرض. دقق تنغو النظر فيها للحظات قبل أن ينظر إلى الرجل مرة أخرى. أيقن أنه لا يمكن أن يوجد أشخاص كثيرون في العالم ممّن يتعارض مظهرهم مع لقب مهيب مثل «مدير متفرغ، في مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون».

جلسا في مقعدين متقابلين تتوسطهما منضدة منخفضة، وراح كل منهما ينظر إلى الآخر. مسح الرجل على جبهته المتعرقة بمنديل بضع مرات بقوة ثم أعاد قطعة القماش المهترئة إلى جيب سترته. أحضرت عاملة الاستقبال كوبين من الشاي الأخضر على صينية. شكرها تنغو وهي تغادر.

لم يقل يوشيكاوا لها شيئاً، ولكنه قال لتنغو: «أرجو المعذرة لقطعي عليك استراحتك ولقدومي دون موعد سابق». كانت الكلمات نفسها مهذبة وذات نبرة رسمية، ولكن لهجته كانت لهجة عامية بشكل غريب، حتى إن تنغو كاد أن يعتبرها مُهينة. «هل انتهيت من غدائك؟ أو إذا كنت ترغب، يمكننا الخروج والتحدث على الطعام».

قال تنغو: «لستُ معتاداً على تناول الغداء في ساعات العمل. سوف أتناول شيئاً خفيفاً بعد انتهاء حصة ما بعد الظهيرة، لا داعي للقلق».

«فهمت. إذَن، بعد إذنك، سوف أقول لك ما عندي ويمكننا مناقشته هنا. هذا المكان يبدو جميلاً وهادئاً ويمكننا التحدث دون مقاطعة». استطلع غرفة الاستقبال وكأنه يُقدِّر ثمنها. لم يكن في الغرفة شيء محدد يميزها. كانت تضم لوحة زيتية كبيرة معلقة على الحائط- صورة لبعض الجبال، تثير الإعجاب لوزن دهانها أكثر من أي شيء آخر. ومزهرية بها باقة من زهور تشبه زهور الأضاليا- زهور جافة تذكِّر بمدبرة منزل كسولة. استغرب تنغو لماذا تُبقي مدرسة تأهيلية على غرفة استقبال بهذه القتامة.

قال يوشيكاوا مبتسماً: «اسمح لي أن أعرِّف بنفسي متأخراً. كما ترى في بطاقتي، اسمي يوشيكاوا. جميع أصدقائي يدعونني «يوشي» وليس «يوشيكاوا» مطلقاً. «يوشي» اسم واضح وقديم، كما لو كنت ثوراً».

أصدقاء؟ تساءل تنغو في نفسه، مدفوعاً بمحض الفضول - أي شخص هذا الذي يمكن أن يرغب في صداقة هذا الرجل.

كان الانطباع الأول عن يوشيكاوا لدى تنغو قد جعله يتخيل كائناً

مخيفاً وقد زحف خارجاً من حفرة في الأرض - كائناً لزجاً غامض الشكل ويُفترض في واقع الأمر ألا يخرج إلى النور. ربما كان على الأرجح أحد الكائنات التي أغراها البروفيسور إبيسونو بالخروج من تحت الصخرة. عقد تنغو حاجبيه بشكل لا إرادي ثم وضع البطاقة التعريفية، وكانت لا تزال في يده، على المنضدة.

توشيهارو يوشيكاوا. ذلك هو اسم هذا الرجل.

قال يوشيكاوا: «أنا متأكد أنك مشغول للغاية يا سيد كاوانا، ولذلك اسمح لي أن أختصر أي مقدمات وأدخل مباشرة إلى صلب الموضوع».

أجاب تنغو بإيماءة خفيفة من رأسه.

أخذ يوشيكاوا رشفة من الشاي ثم باشر المهمة التي بين يديه: «لعلك لم تسمع مطلقاً عن مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون، يا سيد كاوانا». أومأ تنغو. «إننا في الأساس مؤسسة جديدة نسبياً تركز على انتقاء ودعم الشباب ولاسيما هؤلاء الذين لم يُعرفوا بعد على نطاق واسع ممن يشاركون في نشاط أصلي في مجالات المنح الدراسية والفنون. وبعبارة أخرى، هدفنا هو دعم الشباب الصاعد الذي سوف يحمل الجيل القادم على أكتافه في كل حقول الثقافة المعاصرة في اليابان. نحن نتعاقد مع مختصين كي يقترحوا علينا مرشحين في كل فئة. ونختار خمسة فنانين وباحثين كل عام، ونقدِّم لهم المنح. يمكنهم أن يفعلوا أي شيء يحلو لهم لمدة سنة واحدة، ولا نفرض عليهم أي قيود أو شروط. كل ما نطلبه منهم هو أن يرفعوا تقريراً بسيطاً في نهاية سنتهم -مجرد مسألة شكلية- يُضمِّنونه أنشطتهم ونتائجها، حتى يتم نشره في مجلة المؤسسة. لا توجد أي أعباء أخرى. وقد بدأنا لتونا هذا النشاط، ولذلك فالمهم

لدينا هو تحقيق نتائج ملموسة. نحن، وبعبارة أخرى، لا نزال في مرحلة غرس البذور. وبكلمات واضحة، هذا يعني أننا سوف نمنح كل متلقي راتباً سنوياً قدره ثلاثة ملايين ين».

قال تنغو: «سخاء كبير».

«إن بناء أو اكتشاف شيء ذي قيمة يحتاج وقتاً ومالاً. صحيح أن الوقت والمال ليسا في حدّ ذاتهما ضمانة على تحقيق نتائج عظيمة، ولكن ذلك لا يضر. إن إجمالي الوقت المتاح محدود للغاية. والساعة تدق ونحن نتكلم. والوقت يجري للأمام. والفرص يتم إهدارها يميناً ويساراً. إذا توفر لديك المال، فيمكنك شراء الوقت. يمكنك حتى شراء الحرية إذا شئت. الوقت والحرية: هذان الشيئان هما أهم ما يمكن للأشخاص أن يشتروه بالمال».

بعد سماعه ذلك، نظر تنغو تلقائياً في ساعته. صحيح، كان الوقت يجري للأمام دون هوادة.

أضاف يوشيكاوا: «أرجو المعذرة إن كنت قد أخذت من وقتك الكثير». كان واضحاً أنه يفسر نظرة تنغو في الساعة كدليل على وجهة نظره: «اسمح لي أن أختصر هذا الموضوع. بالطبع، في هذه الأيام ثلاثة ملايين ين وحدها لن تتيح لشخص أن يعيش حياة باذخة، ولكنها يمكن أن تساعد شاباً على تدبير تكاليف المعيشة بشكل مُرضٍ للغاية. وهذا هو غرضنا الأساس: أن نعين المتلقين على قضاء عام كامل من التركيز في أبحاثهم أو مشاريعهم الإبداعية دون الانشغال بإعالة أنفسهم. وإذا قرر مجلس الإدارة في تقييم نهاية العام أن الشخص حقق نتائج جديرة بالاهتمام خلال هذه الفترة، فإن إمكانية تمديد الراتب لسنة أخرى تظل قائمة».

لم يعلق تنغو بشيء وانتظر من يوشيكاوا أن يتابع كلامه.

«يا سيد كاوانا، ذات يوم منحت نفسي الإذن واستمعتُ إليك وأنت تحاضر على مدى ساعة كاملة هنا في المدرسة. صدقني، وجدتها مثيرة للاهتمام جداً. ليس لي أدنى صلة بالرياضيات، أو يجب أن أقول كنت فيها دائماً سيئاً للغاية، وكنت أبغض بشدة حصة الرياضيات في المدرسة. لم يكن علي إلا أن أسمع كلمة «رياضيات» حتى أتلوى من المعاناة وألوذ بالفرار. ولكن محاضرتك، يا سيد كاوانا، أمتعتني للغاية. بالطبع، لم أفهم شيئاً من منطق حساب التفاضل والتكامل، ولكن مجرد الاستماع إلى حديثك عن ذلك، جعلني أفكر وأقول في نفسي، إذا كانت الرياضيات مثيرة إلى هذا الحد، فينبغي أن أشرع في دراستها. عليك أن تعتز بنفسك. لديك موهبة خاصة - أو يجب أن أقول موهبة في اجتذاب الناس. كنت قد سمعت أنك معلم محبوب، وأدركتُ عندئذٍ السبب».

لم يكن تنغو يدري شيئاً عن متى أو أين سمعه يوشيكاوا وهو يحاضر. كان دائماً ما يهتم بشدة بمن داخل القاعة وهو يُدرس الطلاب، ورغم أنه لم يكن يحفظ وجوه كل الطلاب، فإنه لا يمكن بأي حال أن يكون قد فاته ملاحظة شخص غريب المظهر مثل يوشيكاوا، الذي كان سوف يبرز بين الجالسين مثل حشرة أم أربعة وأربعين وقد وقعت في وعاء من السكر. لكنه مع ذلك لم يشأ أن يستفسر عن هذه المسألة، ما يمكن أن يطيل المحادثة التي طالت بالفعل أكثر مما ينبغي.

استهل تنغو كلامه وهو يتوجس من إضاعة أهون قدر ممكن من الوقت: «كما تعرف يا سيد يوشيكاوا، فأنا هنا مجرد موظف، شخص تعينه المدرسة التأهيلية لتدريس بضع دورات. لا أُجري أي بحوث أصيلة في الرياضيات. أنا أقوم بنقل المعرفة الموجودة بالفعل

وأشرحها للطلاب بأبسط وأمتع طريقة أستطيعها. كل ما أفعله هو أن أعلمهم طرقاً أكثر فاعلية في حلّ المسائل في اختبارات القبول بالجامعات. ربما أملك موهبة معينة في ذلك، ولكني تخليت عن فكرة أن أصبح باحثاً متخصصاً في هذا الحقل منذ زمن. لسبب واحد، وهو أني لا أطيق البقاء في المدرسة لفترة أطول، ولم أفكر يوماً أنني أملك استعداداً أو قدرة على أن أنحت لنفسي اسماً في العالم الأكاديمي. وبهذا المعنى، فأنا لست ذلك الشخص الذي تبحث عنه».

سارع يوشيكاوا برفع يده: «لا، ليس هذا هو ما أقصده على الإطلاق. معذرة، ربما تسببت في تعقيد الموضوع أكثر مما ينبغي. صحيح أن محاضراتك في الرياضيات مثيرة للاهتمام وفريدة من نوعها ومبتكرة. ولكني لم آتِ إلى هنا اليوم من أجل ذلك. إن الذي استرعى انتباهنا يا سيد كاوانا، هو عملك كروائي».

لم يكن تنغو يتوقع سماع ذلك بأي حال، ولذلك تاهت منه الكلمات للحظة: «عملي كروائي؟».

«بالضبط».

«لا أفهم. صحيح أنني أكتب الرواية منذ عدة سنوات، ولكن حتى الآن لم يُنشر أي شيء مما كتبت. لا يمكنك أن تعد شخصاً بهذا الحال روائياً. كيف لي أن أسترعي انتباهكم إذاً؟».

إزاء ردة فعل تنغو، ابتسم يوشيكاوا ابتسامة عريضة، كاشفاً عن فم مليء بأسنان شديدة التشوه. بدت مثل دعائم ساحلية ضربتها موجات عاتية، فتناثرة في شتى الاتجاهات وتلوثت من كل ناحية. قال تنغو في نفسه، **بكل تأكيد لم تعد تفلح معها أي عملية تقويم أسنان، ولكن ينبغي لأحد ما على الأقل أن يعلمه كيف ينظف أسنانه بشكل صحيح.**

قال يوشيكاوا متباهياً: «وهذا هو ما يجعل مؤسستنا فريدة من

نوعها. فالباحثون الذين نتعاقد معهم يدركون أشياء لم ينتبه لها الآخرون بعد. وهذا هو أحد أهدافنا. مثلما تقول، لم يُنشر لك أي من أعمالك بشكل سليم، ونحن ندرك ذلك تماماً. ولكننا نعرف أيضاً أنك كنت تدخل العديد من مسابقات «الكتَّاب الجُدد» في المجلات الأدبية تحت اسم مستعار كل سنة تقريباً. وللأسف، لم تفز حتى الآن، ولكنك بلغت المرحلة النهائية بضع مرات في عملية الفرز، ما يعني أن أعمالك قد قرأها بالطبع عددٌ لا يستهان به من الأشخاص، وعرف العديد من هؤلاء الأشخاص بموهبتك. وقد أكد الباحث المكلَّف لدينا أنك سوف تفوز حتماً بجائزة الكُتَّاب الجُدد في المستقبل القريب، وتخطو أولى خطواتك ككاتب. إنه «استثمار في عقود آجلة»، ربما تكون هذه طريقة فجة في التعبير عن ذلك، ولكن كما قلتُ من قبل، هدفنا هو «دعم الشباب الصاعد الذي سيحمل الجيل القادم على أكتافه».

تناول تنغو كوبه وأخذ رشفة من الشاي، الذي كان قد برد الآن قليلاً: «إذاً، ما تقوله هو أنني مرشح للحصول على منحة كروائي شاب، أليس كذلك؟».

«ذلك هو بالضبط ما قصدت. إلا أنك لست مرشحاً للوصول إلى المرحلة النهائية. إذا قلت إنك مستعد لقبول المنحة، فإنني مخوّل بوضع اللمسات النهائية على الترتيبات. إذا كان بوسعك أن توقِّع على الوثائق اللازمة، فسوف يتم تحويل الثلاثة ملايين ين إلكترونياً إلى حسابك المصرفي على الفور. سوف يكون بوسعك الانقطاع عن هذه المدرسة في إجازة مدتها ستة أشهر أو سنة تكرس خلالها كل طاقاتك للكتابة. لقد سمعنا أنك تكتب حالياً رواية طويلة. وهذه سوف تكون فرصة مثالية، ألا ترى ذلك؟».

تساءل تنغو وقد بدت علامات العبوس على وجهه: «وكيف عرفتم أنني أكتب رواية طويلة؟».

ابتسم يوشيكاوا له ابتسامة أخرى عريضة، ولكن بمزيد من التدقيق، أدرك تنغو أن عينيه لم تكونا تشيان بأيّ ابتسامة على الإطلاق. فبريقهما كان بارداً برودة الجليد.

«الباحثون لدينا متحمسون وقادرون. فهم يختارون عدداً من المرشحين ويتحرون عنهم من كل زاوية. ربما لا يوجد سوى عدد ضئيل من المحيطين بك يعرفون أنك تكتب رواية. الأخبار تنتشر . . . ».

كان كوماتسو يعرف أنه يكتب رواية، وكذلك صديقته الأكبر منه سناً. هل مِن أحد آخر؟ الأرجح لا.

قال تنغو: «أود أن أسأل عن بعض الأشياء في مؤسستك».

«من فضلك. اسأل كيفما تشاء».

«من أين تأتي المؤسسة بالمال اللازم لتشغيلها؟».

«من شخص معين. أو ربما يمكنك القول، من مؤسسة تابعة له. ولكي أتحدث بشكل واقعي -وهذا سرّ بيني وبينك- فهذه إحدى وسائله لخفض الضرائب. بالطبع، وبغض النظر عن ذلك، هذا الشخص يُبدي اهتماماً كبيراً بالمنح الدراسية والفنون، ويرغب في دعم جيل الشباب. لا يمكنني الخوض في مزيد من التفاصيل هنا. فهذا الشخص لا يريد الكشف عن هويته، وهذا ينطبق على مؤسسته أيضاً. وقد عهد بجميع الأعمال اليومية للجنة المؤسسة، التي أنا عضو بها حالياً».

فكّر تنغو في ذلك لبرهة، ولكنه لم يجد فعلاً الكثير الذي يفكر فيه. كل ما فعله هو أنه رتب الأشياء التي أخبره بها يوشيكاوا معاً.

سأله يوشيكاوا: «هل يضيرك أن أدخن؟».

قال تنغو: «لا على الإطلاق»، ثم دفع نحوه منفضة سجائر زجاجية ثقيلة.

أخرج يوشيكاوا من جيبه العلوي علبة سجائر «سفن ستارز»، واستلّ واحدة ووضعها في فمه، ثم أشعلها بقداحة ذهبية. بدت القداحة ضئيلة الحجم وغالية الثمن.

سأله يوشيكاوا: «إذاً، ماذا تقول، يا سيد كاوانا؟ هل تُشرفنا بقبول منحتنا؟ عن نفسي، وبصراحة، وبعد استماعي لمحاضرتك المبهجة، فأنا أتطلع بشغف لرؤية ذلك العالم الذي سوف تخلقه في الأدب».

قال تنغو: «أنا في غاية الامتنان لك على هذا العرض. إنه فوق ما أستحق بكثير. ولكن يؤسفني أني لا أستطيع قبوله».

كان الدخان يتصاعد من السيجارة وهي بين أصابع يوشيكاوا.

نظر إلى تنغو وقد ضيَّق حدقتيه. «وهو ما يعني. . .؟».

«أولاً وقبل كل شيء، أنا لا أحب فكرة أخذ أموال من أشخاص لا أكاد أعرفهم. ثانياً، وكما هو الحال الآن، فأنا لا أحتاج المال بالفعل. فأنا أدبر أموري بشكل جيد حتى الآن بالتدريس ثلاثة أيام في الأسبوع في المدرسة التأهيلية ثم التركيز على كتاباتي بقية الأيام. ولست مستعداً لتغيير نمط حياتي».

وثالثاً، يا سيد يوشيكاوا، أنا شخصياً لا أرغب في أن تجمعني بك أي علاقة. ورابعاً، وبغض النظر عن رؤيتك لذلك، يوجد شيء مريب يحوم حول هذه المنحة. تبدو رائعة للغاية إلى درجة يتعذّر معها أن تكون حقيقية. يوجد شيء يدور وراء الكواليس. ليس لدي بالتأكيد أفضل قدرة على الحدس في العالم، ولكن أستطيع أن أستشف ذلك من الرائحة.

لم يتلفظ تنغو بالطبع بكلمة من ذلك.

قال يوشيكاوا وقد ملأ رئتيه بدخان السيجارة ثم زفره وقد بدا عليه ارتياح واضح: «أفهم ذلك. أفهم ذلك. أعتقد أنني أتفهم، بمنطقي الخاص، وجهة نظرك في هذه المسألة. ما تقوله منطقي جداً. ولكن في الواقع، يا سيد كاوانا، ليس من الضروري أن تعطيني جوابك الآن. لماذا لا تعود إلى البيت وتفكر في الموضوع يومين أو ثلاثة؟ خذ وقتاً أطول للوصول إلى قرارك. نحن لسنا في عجلة. والعرض ليس سيئاً».

هزّ تنغو رأسه هزة حاسمة: «أشكرك، هذا لطف بالغ منك، ولكن توصلنا إلى قرار نهائي اليوم سوف يوفر على كلّ منا كثيراً من الوقت والجهد. يشرفني أن يتم ترشيحي للمنحة، واعذرني على أني حمَّلتك عناء القدوم إلى هنا من أجلي، ولكن يؤسفني أن أرفض. هذا قراري النهائي ، ولا يوجد احتمال لإعادة النظر فيه».

أومأ يوشيكاوا برأسه بضع مرات، وبحسرة راح يسحق السيجارة التي لم يسحب منها سوى نَفسين في منفضة السجائر.

«لا بأس، يا سيد كاوانا. أتفهم دوافعك، وأريد أن أحترم رغباتك. المعذرة على إضاعة وقتك. أمر مؤسف، ولكن عليّ أن أتقبله. سأتركك الآن».

لكن يوشيكاوا لم يُظهر أي علامة على أنه يَهم بالوقوف. فقد أخذ يحك مؤخرة رأسه حكاً شديداً وهو ينظر بعنين مُضيَّقتين إلى تنغو.

«لكن، يا سيد كاوانا، قد لا تكون أنت نفسك مدركاً لذلك، ولكن الناس ينتظرون منك أشياء عظيمة ككاتب. لديك الموهبة. ربما لا توجد صلة مباشرة بين الرياضيات والأدب، ولكن مَن يستمع إليك

تحاضر في الرياضيات هو كمَن يستمع إلى شخص يروي حكاية. وهذا ليس شيئاً يستطيعه أي شخص عادي. لديك شيء خاص يجب أن يُحكى. وهذا أمر واضح حتى لأمثالي. لذلك عليك أن تعتني بنفسك. سامحني إن كنت مبالغاً في القلق. ولكن من فضلك حاول ألّا تتورط في أمور خارجية، واتخذ قراراً بالسير مباشرة على طريقك في الحياة».

سأله تنغو: «أمور خارجية؟».

«مثلاً، يبدو أنه توجد، لا أدري كيف أعبِّر عن ذلك! - صلة ما بينك وبين الآنسة إريكو فوكادا، مؤلفة 'الشرنقة الهوائية'. أو على الأقل لقد قابلتها عدة مرات، أليس كذلك؟ بطريق الصدفة، قرأتُ في الصحيفة اليوم أنها على ما يبدو قد اختفت. أنا متأكد أن وسائل الإعلام سوف تصول وتجول حول هذا الخبر المثير».

«وعلى فرض أنني قابلت إريكو فوكادا، هل يُفترض أن ذلك يعني شيئاً؟».

رفع يوشيكاوا يده مرة أخرى ليُسكت تنغو. كانت يداً صغيرة، ولكن أصابعه قصيرة ومكتنزة: «الآن، الآن، من فضلك لا تغضب من ذلك. فأنا لا أقصد أيّ ضرر. كل ما أحاول قوله هو أن إهدار المرء لموهبته ووقته قطرة قطرة لتغطية النفقات لا يثمر مطلقاً نتائج جيدة. قد يبدو اجتراء مني أن أقول هذا، ولكن موهبتك مثل ألماسة مهملة، وأنا لا أريد أن أراها تُبدد وتُدمر في أشياء لا معنى لها. إذا خرجت العلاقة بينك وبين الآنسة فوكادا للعلن، يا سيد كاوانا، فلا بد أنّ أحدهم سوف يفتش عنك في المنزل. سوف يبدؤون في تعقبك، ويكشفون كل حقيقة لا يظهر سوى نصفها. إنهم مجموعة لا تعرف اليأس».

راح تنغو يحدق في يوشيكاوا دون أن ينطق بشيء. ضيَّق يوشيكاوا حدقتيه وبدأ يحك إحدى شحمتي أذنيه الكبيرتين. كانت

الأذنان نفسهما صغيرتين، ولكن الشحمتين كبيرتان بشكل لافت. إنّ شواهد الشذوذ الجسمي لدى يوشيكاوا مصدر إبهار لا ينتهي.

قال يوشيكاوا: «والآن، لا تُسِئ فهمي، لن أفتح فمي بكلمة» وهو يشير إلى فمه كمن يقفل سحاب سوسته: «أَعِدك بذلك. ربما لا يبدو عليّ، ولكني أعرف كيف أحفظ الأسرار. بعض الناس يقولون إنني ربما كنت مَحارة في حياة سابقة. سوف أكتم هذا الأمر كدليل على تقديري الشخصي لك. لن يعرف به أحد».

وأخيراً نهض واقفاً، وراح يحاول إزالة التجعدات الصغيرة في سترته لكنه لم يفلح إلّا في جعلها أكثر وضوحاً.

«إذا غيرت رأيك في المنحة، فأرجو الاتصال بي على الرقم الموجود في بطاقتي وقتما تشاء. لا يزال لدينا متسع من الوقت. إذا كانت هذه السنة لا تناسبك، فلا بأس، فلدينا دائماً سنة أخرى قادمة». وبإصبع سبابته المرفوع، قلّد يوشيكاوا حركة الأرض في دورانها حول الشمس. «لسنا في عجلة. وأنا نجحت على الأقل في مقابلتك وتبادل هذا الحديث القصير معك، وأظن أن رسالتنا قد وصلتك».

بعد ابتسامة أخرى، لم تُظهر إلّا أسنانه التالفة، استدار يوشيكاوا وغادر غرفة الاستقبال.

أمضى تنغو الوقت المتبقي حتى موعد محاضرته التالية وهو يفكر في كلام يوشيكاوا. يبدو أن الرجل يعلم أن تنغو قد شارك في إعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'. كلامه يحمل تلميحات لذلك. يوشياكوا قال بوضوح: **كل ما أحاول قوله هو أن إهدار المرء لموهبته ووقته قطرة قطرة لتغطية النفقات لا يثمر مطلقاً نتائج جيدة.**

«نحن نعرف»، كانت هذه حتماً هي الرسالة.

وأنا نجحت على الأقل في مقابلتك وتبادل هذا الحديث القصير معك، وأظن أن رسالتنا قد وصلتك.

هل يمكن أن يكونوا قد أرسلوا يوشيكاوا كي يقابل تنغو ويعرض عليه منحة الثلاثة ملايين ين لا لشيء إلا لإيصال هذه الرسالة؟ لا، هذا غير معقول. ليسوا مضطرين لوضع هذه الخطة الطويلة. كانوا يعرفون بالفعل نقطة ضعفه. إذا كانوا يريدون أن يهددوا تنغو، فليس عليهم سوى إظهار الحقائق. أو لعلهم كانوا يحاولون رشوته بالمنحة؟ المسألة برمتها مفعمة بالإثارة. ومَن «هُم» على أي حال؟ هل مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون ترتبط بساكي جاكه؟ وهل هي موجودة فعلاً؟

توجه تنغو إلى السكرتيرة، وهو يحمل بطاقة يوشيكاوا التعريفية، وقال لها: «هناك معروف آخر أنا مضطر لأن أطلبه منك».

سألته: «وما هو؟»، فيما بَقيَت جالسة واكتفت بالنظر نحو تنغو.

«أودّ منك الاتصال بهذا الرقم، والسؤال إن كانوا مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون. أيضاً، اسألي هل هذا المدير، السيد يوشيكاوا موجود. سيقولون غالباً إنه ليس موجوداً، فاسألي متى يُتوقع أن يعود إلى مكتبه. إذا طلبوا منكِ اسمك، فاختلقي أي اسم. كنت سأفعل ذلك بنفسي، لولا أنهم قد يتعرفون على صوتي فأقع في حرج».

اتصلت السكرتيرة بالرقم وتبادلت كلاماً مختصراً مع الطرف الآخر. عندما انتهت المكالمة أبلغت السكرتيرة تنغو، «مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون موجودة. امرأة هي مَن ردت، ربما تكون في مطلع العشرينيات، وهي موظفة استقبال عادية.

أما السيد يوشيكاوا فهو يعمل هناك فعلاً. ويُفترض أن يعود في الثالثة والنصف. لم تسألني عن اسمي، وكنتُ سأخبرها حتماً به».

قال تنغو: «بالطبع. أشكرك على أي حال».

قالت: «على الرحب»، ثم أعادت إلى تنغو بطاقة يوشيكاوا التعريفية: «هل هذا السيد يوشيكاوا هو الشخص نفسه الذي جاء لمقابلتك؟».

«إنه هو».

«لم أكد أنظر إليه، ولكنه بدا مخيفاً».

وضع تنغو البطاقة في حافظته: «أظن أن انطباعك لم يكن ليتغير حتى لو أتيحت لك فرصة أطول للنظر إليه».

«أنا دائماً أطالب نفسي بألّا أحكم على الناس من مظهرهم. أخطأتُ التقدير في الماضي، وندمتُ بشدة في مرات عديدة. ولكن ما إن رأيت هذا الرجل، حتى تملكني شعور بأنه لا يمكن الوثوق به. ولا يزال شعوري لم يتغير».

قال تنغو: «لستِ وحدك في ذلك».

أعادت كلامه قائلة: «لستُ وحدي»، كما لو كانت تؤكد الدقة النحوية في جملة تنغو.

قال تنغو: «سترتك هذه جميلة». كان تنغو يعني ما يقول بكل صدق. لم يكن هذا لمجرد الإطراء. بعد بذلة يوشيكاوا المتجعدة، بدت سترتها الأنيقة المصنوعة من الكتان وكأنها قطعة قماش جميلة هبطت من السماء في ظهيرة يوم هادئ.

قالت: «أشكرك».

«ولكن ليس بالضرورة أن تكون مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض

بالمنح الدراسية والفنون موجودة في الواقع لمجرد أن شخصاً قد رد على الهاتف».

«هذا صحيح. قد تكون حيلة متقنة. ما عليك سوى أن تُركب خط هاتف وتكلف شخصاً بالرد عليه. مثلما هو الحال في فيلم The Sting «اللدغة». ولكن لماذا يتجشمون كل ذلك العناء؟ اعذرني يا تنغو، ولكنك لا تبدو ذلك الشخص الذي يكنز مالاً وهم يريدون أن يستخلصوه منك».

قال تنغو: «لا أملك سوى روحي».

قالت: «تبدو وكأنها مهمة الشيطان مفستوفيليس».

قال: «ربما عليّ الذهاب إلى هذا العنوان كي أتحقق إن كان لديهم مكتب هناك حقاً».

قالت وهي تتفحص طلاء أظافرها بعينين مُضيَّقتين: «أخبرني بما تجد هناك».

كان لمؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون وجود حقيقي. بعد انتهاء يومه الدراسي، استقل تنغو قطار الأنفاق إلى يوتسويا، ومن هناك مشى صوب كوجيماتشي. وفقاً للعنوان المطبوع على بطاقة يوشيكاوا، فقد وجد بناية تتألف من أربعة طوابق وقد ثُبتت على مدخلها الأمامي لوحة معدنية: «مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون». كان مكتبها في الطابق الثالث. وفي ذلك الطابق يوجد أيضاً مكتبا «ميكيموتو للموسيقى» و«كودا للمحاسبات». قياساً بحجم المبنى، استنتج أنه لا يمكن لأي من هذه المكاتب أن يكون كبيراً. ولا يبدو أن أيّاً منها مزدهر، أيضاً، رغم استحالة معرفة وضعها الحقيقي استناداً إلى رؤيتها من الخارج. هَمّ تنغو أن يستقل

المصعد إلى الطابق الثالث. كان يريد أن يرى شكل المكتب، أو على الأقل كيف يبدو بابه. ولكنه قد يقع في حرج شديد إذا قابل يوشيكاوا مصادفة في المدخل.

استقل تنغو قطاراً آخر وعاد إلى منزله، ثم هاتف مكتب كوماتسو. على غير العادة، كان كوماتسو موجوداً ورد على الهاتف من فوره.

قال كوماتسو وهو يتحدث بإيقاع أسرع من المعتاد وبنبرة صوت أعلى قليلاً من صوته الطبيعي: «لا أستطيع التحدث الآن. معذرة، ولكني لا أظنني أستطيع الكلام في أي شيء هنا الآن».

قال تنغو: «إنه شأن مهم للغاية. زارني اليوم شخص غريب الأطوار في المدرسة. وبدا أنه يعرف شيئاً عن صلتي بـ'الشرنقة الهوائية'».

صمت كوماتسو من ناحيته بضع ثوان: «أعتقد أنه يمكنني الاتصال بك في غضون عشرين دقيقة. هل أنت في المنزل؟».

أخبره تنغو أنه في المنزل، ووضع كوماتسو السماعة. وبينما كان ينتظر اتصال كوماتسو، راح تنغو يشحذ سكينين من سكاكين المطبخ على المشحذ وغلى ماء ثم صب لنفسه بعض الشاي. رنّ جرس الهاتف بعد عشرين دقيقة بالضبط، وهو شيء لم يألفه أيضاً من كوماتسو.

بدا كوماتسو هذه المرة أهدأ مما كان في المرة الأولى. وبدا أنه يُجري الاتصال من مكان أهدأ. قدم له تنغو تقريراً موجزاً عمّا قاله يوشيكاوا في غرفة الاستقبال.

«مؤسسة اليابان الجديدة للنهوض بالمنح الدراسية والفنون؟ لم أسمع بها من قبل. ومنحة الثلاثة ملايين ين لك يصعب فهمها أيضاً.

أنا أوافق، بالطبع، على أن مستقبلاً رائعاً ينتظرك ككاتب، ولكنك لم تنشر أي أعمال بعد. شيء لا يصدق. يبدو أن لديهم بعض الدوافع الخفية».

«وكذلك يبدو لي».

«أعطني بعض الوقت. وسوف أرى ما الذي يمكنني عمله مع هذه المؤسسة. سوف أهاتفك إذا نما لعلمي أي شيء. ولكن هل هذا المدعو يوشيكاوا يَعلم صلتك بفوكا-إري؟».

«يبدو كذلك».

«هذه مشكلة كبيرة».

قال تنغو: «شيء ما بدأ يحدث. أمر جيد أن يتمكن البروفيسور إيبسونو من إزاحة صخرته، ولكن يبدو أن وحشاً ما قد خرج من تحتها».

تنهد كوماتسو في الهاتف: «إنه يتعقبني أنا أيضاً. المجلات الأسبوعية أصابها السعار. والصحفيون في التلفزيون يدسّون أنوفهم. وفي هذا الصباح حضر رجال الشرطة إلى المكتب لسؤالي. لقد أدركوا بالفعل العلاقة بين فوكا-إري وساكي جاكه. وبطبيعة الحال اختفاء أبويها. وسوف تبدأ وسائل الإعلام في تضخيم هذه الزاوية قريباً».

«وما الذي يفعله البروفيسور إيبسونو؟».

«لم يستطع أحد الاتصال به منذ مدة. لا يرد على الاتصالات الهاتفية، ولا يتصل بأحد. ربما يواجه صعوبات هو الآخر. أو ربما يشتغل على خطة سرية أخرى».

سأل تنغو كوماتسو: «آه، بالمناسبة، سأغير الموضوع قليلاً، هل أخبرتَ أحداً أنني أكتب رواية طويلة؟».

أجاب كوماتسو من فوره: «لا، لا أحد. ولماذا سأخبر أحداً بذلك؟».

«حسناً إذاً. مجرد سؤال».

صمت كوماتسو للحظة، ثم قال: «أعلم أن أوان كلامي هذا قد فات نوعاً ما، ولكن يبدو أننا قد ورَّطنا أنفسنا في منطقة قذرة».

«أيّاً كان ذلك الذي ورطنا فيه أنفسنا، ليس هناك تراجع الآن، هذا أمر مؤكد».

«إذا كنا لا نستطيع التراجع، فإن قصارى ما نستطيعه هو المضي قُدماً، حتى إن صحّ رأيك بشأن ذلك الوحش».

قال تنغو: «الأفضل أن تربط حزام الأمان».

قال كوماتسو: «أوافقك تماماً». ثم وضع السماعة.

لقد كان يوماً طويلاً. جلس تنغو إلى مائدة المطبخ، وراح يشرب شايه المُثلَّج ويفكر في فوكا-إري. تُرى ما الذي تفعله طوال اليوم، وحدها في مخبئها؟ بالطبع، لم يكن هناك أحد على الإطلاق يدري ما الذي تفعله فوكا-إري.

في رسالتها المسجلة لتنغو، كانت فوكا-إري قد قالت إن الناس الصغار بما يمتلكون من حكمة وسطوة يمكنهم أن يُلحقوا الأذى بكلٍّ من البروفيسور وتنغو. **الأفضل أن تتوخى الحذر في الغابة**. وجد تنغو نفسه يُقلِّب النظر في ما حوله. حقاً، فالغابة كانت عالمهم.

الفصل الثالث

أومامه

لا يمكنك أن تختاري كيف تولدين، ولكن يمكنك أن تختاري كيف تموتين

في إحدى الليالي قرب نهاية شهر يوليو، انقشعت أخيراً تلك الغيوم الكثيفة التي ظلت تغطي السماء فترة طويلة، كاشفة عن وجود قمرين. كانت أومامه تقف في الشرفة الصغيرة لشقتها وهي تنظر إلى السماء. أرادت من فورها أن تنادي أحداً ما وتسأله: «هل يمكنك أن تُسدي لي معروفاً؟ أخرج رأسك من النافذة وانظر إلى السماء. حسناً، كم قمراً ترى؟ مِن مكاني، أستطيع أن أرى قمرين بوضوح تام. ماذا ترى مِن مكانك؟».

ولكن لم يكن يوجد أحدٌ يمكنها أن تناديه لعمل ذلك. كانت أيومي أحد خياراتها، ولكن أومامه فضلت ألا تُعمِّق علاقتهما الشخصية. فهي شرطية على أي حال. وأومامه على الأرجح سوف تقتل رجلاً آخر عمّا قريب، وبعد ذلك سوف تُغير وجهها واسمها وتنتقل للعيش في منطقة أخرى وتختفي. وقطعاً، لن يكون بمقدورها مقابلة أيومي أو الاتصال بها بعد الآن. عندما تدع نفسك ترتبط بشخص ما، يصبح فَصْم عُرى هذا الارتباط مؤلماً.

عادت إلى داخل الشقة، وأغلقت باب الشرفة، ثم قامت بتشغيل جهاز تكييف الهواء. أسدلت الستائر كي تضع حاجزاً بينها وبين القمرين. كان وجود القمرين في السماء يثير انزعاجها. كانا يُحدثان خللاً مبهماً في توازن الجاذبية الأرضية، وبدا أنهما يؤثران فيها جسمانياً أيضاً. لم يكن موعد حيضها قد اقترب، ومع ذلك كانت تشعر بخمول وثِقَل غريب في جسدها. ووجدت بشرتها جافة ونبضها غير طبيعي. طالبت نفسها ألا تفكر في القمرين بعد الآن - حتى وإنْ كان عليها أن تُفكر فيهما.

وكي تقاوم حالة الفتور، رقدت أومامه على البساط كي تمدد عضلاتها، وراحت بطريقة منهجية تمدِّد عضلة تلو أخرى من تلك العضلات التي لا يوجد سوى احتمال ضئيل لاستخدامها يومياً، وتُمددها بقدر ما تستطيع. كانت كل عضلة تستجيب بصرخات مكتومة فيما ينهمر عرقها على الأرض. كانت هي مَن وضعت برنامج التمديد لنفسها وهي مَن تُعدِّله كل يوم، كي تجعله أقوى تأثيراً وأكثر فاعلية. كان لاستخدامها حصرياً. لم تكن تستطيع أن تُدخله ضمن حصصها الرياضية في النادي. فالأشخاص العاديون لا يستطيعون احتمال ذلك الألم المضني على الإطلاق. وحتى معظم زميلاتها المدربات كن يصرخن طلباً للرحمة عندما تجربه عليهن.

وبينما كانت منهمكة في برنامجها، كانت تستمع لمقطوعة **سينفونييتا** لمؤلفها ياناتشيك التي قادها جورج زيل. استمر عزف الموسيقى خمساً وعشرين دقيقة، وهو وقت كافٍ لتمديد كل عضلة في جسمها بنجاح - لم يكن قصيراً ولا طويلاً. ومع انتهاء الموسيقى، توقف القرص الدوار وعاد ذراع اللحن الآلي إلى مكانه، وبدا أن عقلها وجسدها قد أصبحا مثل خرقتين باليتين وقد مُزقتا تماماً.

أصبحت أومامه الآن تحفظ عن ظهر قلب كل نغمة في المقطوعة. وبفضل استماعها إلى الموسيقى وهي تمدِّد جسمها إلى أقصى مدى تقريباً، أصبح بوسعها أن تبلغ حالة من السَكينة الغامضة. فهي المعذِّب والمعذَّب في آنٍ معاً، والقاهر والمقهور. كان شعورها بالاكتفاء الذاتي الموجه إلى الداخل هو أهم ما تريده على الإطلاق. لأنه منحها شعوراً عميقاً بالسلوان. وكانت مقطوعة سينفونييتا لمؤلفها ياناتشيك هي الموسيقى المصاحبة الأكثر ملاءمة لهذه الغاية.

قُبيل الساعة العاشرة من تلك الليلة، رنّ الهاتف. عندما رفعت السماعة، أتاها صوت تامارو.

«هل لديك أي خطط للغد؟».

«سأنتهي من عملي في السادسة والنصف».

«هل يمكنك المرور بنا بعد ذلك؟».

قالت أومامه: «بكل تأكيد».

قال تامارو: «حسناً». كانت تسمع صرير قلمه وهو يدون ذلك في مفكرته.

سألته أومامه: «هل وجدت كلباً جديداً؟».

«كلب؟ آه. نعم. كلبة شبرد ألمانية مرة أخرى. ما زلت لا أعرف كل شيء عن طباعها، ولكنها تلقت التدريبات الأساسية ويبدو أنها تطيع الأوامر. تسلمناها قبل عشرة أيام تقريباً واستقر حالها بشكل جيد. وقد شعرت النساء في دار الإيواء بالارتياح لاقتناء كلب مرة أخرى».

«حسناً فعلت».

«هذه الكلبة ترضى بطعام الكلاب العادي. وهي أقل إزعاجاً».

«الكلاب العادية من سلالة «الجرمن شبرد» لا تأكل السبانخ».

قال تامارو متشكياً بنبرة حنين: «كانت كلبة غريبة. وبحسب الموسم الزراعي، قد تكون السبانخ غالية الثمن». بعد صمت دام بضع ثوان، أضاف: «إنها ليلة تحلو فيها مشاهدة القمر».

تجهمت أومامه قليلاً وهي على الهاتف: «ما الذي نقلنا لذلك فجأة؟».

«رغم أني لست جاهلاً بجمال الطبيعة، فسوف أخبرك».

قالت أومامه: «لا، بالطبع لا». **ولكنك لست من هذا النوع الذي يناقش موضوعات شعرية عبر الهاتف دون سبب معين، أيضاً.**

بعد صمت وجيز آخر من ناحيته، قال تامارو: «أنتِ مَن أثارت موضوع مشاهدة القمر آخر مرة تحدثنا فيها عبر الهاتف، هل تذكرين؟ منذ ذلك الحين وأنا أفكر فيه، وخصوصاً عندما نظرتُ في السماء منذ قليل ووجدتها صافية، ولا توجد فيها غيمة واحدة».

كادت أومامه تسأله كم قمراً رأى في تلك السماء الصافية، ولكنها استوقفت نفسها. وجدته أمراً محفوفاً بالخطر. كان تامارو قد حدّثها عن حياته في المرة الماضية، وعن نشأته يتيماً لم يُقدَّر له أن يرى أبويه، وعن جنسيته. لم يسهب هكذا في الكلام من قبل، ولكنه ليس ذلك الرجل الذي اعتاد الحديث عن نفسه على أي حال. كان يشعر بميل شخصي إلى أومامه وكاد أن يفضي لها بذلك. ولكنه في نهاية المطاف، شخص محترف واعتاد أن يسلك أقصر الطرق لإتمام مهامه. ولا جدوى من إكثار الكلام معه.

قالت: «أظن أنه يمكنني المجيء في السابعة مساء تقريباً بعد نهاية العمل».

قال تامارو: «حسناً. ربما ستكونين جائعة. الطباخ في إجازة

غداً، ولن نستطيع أن نقدم لك شيئاً مناسباً، ولكن إن كانت شطيرة أو شيء من هذا القبيل تكفيكِ، فيمكنني أن أتدبر ذلك».

قالت: «أشكرك».

«سوف تحتاجين إلى رخصة القيادة وجواز السفر وبطاقة التأمين الصحي. نريدها غداً. وفوق ذلك، نريد نسخة من مفتاح شقتك. هل يمكنك أن تجهزي لنا كل هذه الأشياء؟».

«نعم، أظن ذلك».

«وثمة شيء آخر. أود أن أراك على انفراد بخصوص الموضوع الذي لم نكمله المرة الماضية. لذلك خصِّصي بعض الوقت لي بعد انتهائك من السيدة».

«الموضوع الذي لم نكمله المرة الماضية؟».

صمت تامارو لحظة. كان صمته ثقيلاً وكأنه جِوال من الرمل: «أظن أن هناك شيئاً كنت تريدين الحصول عليه. هل نسيتِيه؟».

سارعت أومامه: «لا، بالطبع أذكره». وفي زاوية من عقلها، كانت لا تزال تفكر في القمرين.

قال تامارو: «إذاً، غداً في السابعة»، ثم وضع السماعة.

بقي القمران كما هما دون تغيير في الليلة التالية. وعندما تحممتْ سريعاً بعد نهاية ساعات العمل وغادرت النادي، كانت ترى بالفعل قمرين شاحبي اللون جنباً إلى جنب في السماء التي لا تزال صافية. وقفت أومامه على جسر المشاة الممتد عبر طريق جاين-نيشي، واتكأت على الحاجز الحديدي للجسر وراحت تحدق في القمرين بعض الوقت. لم يهتم أحدٌ سواها بالنظر إلى القمرين هكذا. كان الناس الذين يمرون بأومامه يكتفون بنظرات حائرة نحوها وهي واقفة

تنظر في السماء. كانوا يُسرعون الخطى نحو محطة قطار الأنفاق وكأنهم لا يأبهون بالسماء ولا بالقمر. ومع استمرار تحديقها، بدأت أومامه تستشعر ذلك الإعياء الجسمي الذي أصابها في اليوم السابق. قالت في نفسها، **يجب أن أتوقف عن النظر هكذا إلى القمرين. لن يعود ذلك عليّ بأي فائدة.** لكنها ورغم محاولتها التوقف عن النظر إلى القمرين، لم تستطع أن تمنع نفسها من الشعور بأنهما يرمقانها. **حتى إذا لم أنظر إليهما، فهما ينظران إليّ. إنهما يعرفان ما أُوشك على فعله.**

في فنجانين مزخرفين يعودان لحقبة تاريخية، شربت الأرملة وأومامه قهوة ثقيلة ساخنة. أضافت الأرملة قليلاً من الحليب لفنجانها وشربت القهوة دون تقليب. ولم تُضف أي قدر من السكر. أما أومامه فقد شربت قهوتها كعادتها، سادة. قدم لهما تامارو الشطائر التي وعد بها، وقد قطعها قطعاً صغيرة في حجم لُقيمات. تناولت أومامه بضع قطع. كانت شطائر سهلة الإعداد: خيار وجبن فوق خبز أسمر، ولكنها ذات نكهة لذيذة. كانت لدى تامارو لمسة خاصة في إعداد هذه الأطباق البسيطة، فيمسك سكين المطبخ بحرفية، ويُقطع كل مكوناتها إلى قطع مثالية في حجمها وسمكها. ويعرف الترتيب الصحيح لخطوات كل عملية. وهذا هو كل ما يتطلبه الأمر حتى يصنع فارقاً هائلاً في مذاق الطعام.

سألتها الأرملة: «هل انتهيت من تدبير شؤونك؟».

«تبرعت بملابسي الزائدة وكتبي إلى جمعية خيرية. وحزمت حقيبة تحوي كل شيء سوف أحتاجه في حياتي الجديدة، وأنا مستعدة للذهاب في أي وقت. الأشياء الوحيدة المتبقية في شقتي هي

الأساسيات التي أحتاجها في الوقت الحالي: أجهزة كهربائية وأدوات طهي وسرير ومفارش وبعض الأطباق».

«سوف نعتني بكل ما تبقى. ولا داعي للقلق بشأن الإيجار أو غيره من تفاصيل. يمكنك المغادرة بالأشياء القليلة التي تحتاجينها فعلاً من بين أمتعتك».

«هل ينبغي لي أن أخطرهم في العمل؟ ربما أُثير الشكوك إذا اختفيت ذات يوم فجأة».

أعادت الأرملة بهدوء فنجان قهوتها إلى المنضدة: «لا تشغلي نفسك بذلك أيضاً».

أجابت أومامه بإيماءة. وتناولت شطيرة أخرى وأخذت رشفة من القهوة.

سألتها الأرملة: «بالمناسبة، هل لديك مال في البنك؟».

«لدي 600 ألف ين في حساب توفير عادي ومليونا ين في شهادة إيداع».

أجرت الأرملة بعض الحسابات: «لا ضير من سحب 400 ألف ين من حساب التوفير طالما ستفعلين ذلك على دفعات، ولكن لا تقربي شهادة الإيداع. ليس من الصواب إلغاؤها فجأة. ربما يراقبون أمورك الشخصية. يجب أن نتوخى الحذر. سوف أعوضك عن الفارق لاحقاً. هل لديك أي ممتلكات أو أصول أخرى؟».

«لدي المال الذي دفعتِه لي من قبل. وهو محفوظ في خزينة بالبنك».

«خذي النقود، ولكن لا تُبقيها في شقتك. ابحثي عن مكان آخر مناسب».

«حسناً».

«هذا كل ما عليك عمله في الوقت الراهن. أما عدا ذلك، فمارسي عملك كالمعتاد، ولا تُغيري نمط حياتك ولا تقومي بأي عمل قد يلفت الانتباه. واحرصي على ألّا تتحدثي عن أي شيء مهم في الهاتف».

عندما انتهت من قول كل ذلك الكلام، غاصت الأرملة أكثر في كرسيها، كما لو أنها قد استنفدت كل مخزونها من الطاقة.

سألتها أومامه: «هل تَقرر الموعد؟».

أجابت الأرملة: «ليس بعد، للأسف. ما زلنا ننتظر منهم اتصالاً. اتخذنا الترتيبات اللازمة، ولكنهم لن يحددوا الجدول الزمني إلا في اللحظة الأخيرة. ربما ننتظر أسبوعاً آخر، أو شهراً آخر. وحتى المكان لا نعرفه أيضاً. كوني متأهبة، ويؤسفني، أن أجعلك تنتظرين في هذا الوضع الصعب».

قالت أومامه: «لا بأس من الانتظار، ولكن هل تستطيعين أن تعطيني فكرة عامة عن الترتيبات».

قالت الأرملة: «سوف تُؤدين له جلسة تمديد عضلات. العمل الذي تؤدينه دائماً. إنه يعاني بعض المشكلات الجسمانية. مشكلات لا تهدد حياته، ولكننا سمعنا أنها تؤرقه بشدة. وبالإضافة إلى الطب التقليدي، فقد جرب العلاجات البديلة لحل هذه المشكلات، مثل التدليك الياباني والوخز بالإبر والتدليك العادي - لكن أيّاً منها لم يُفده على ما يبدو. وهذه المشكلات الجسمانية هي نقطة الضعف الوحيدة لدى هذا الرجل الذي يسمونه «الزعيم». إنها الثغرة التي كنا نبحث عنها في دفاعاته».

كانت الستائر المسدلة على النافذة الموجودة خلف الأرملة،

تحجب القمرين ولكن أومامه كانت تشعر بأثر تحديقتهما المخيفة على بشرتها. وبدا لها أن صمتهما التآمري يتسلل إلى الغرفة.

«لدينا جاسوس داخل تنظيم ساكي جاكه، وقد استخدمناه في تمرير مقولة تتحدث عن وجود خبيرة ممتازة في تمديد العضلات. لم نواجه صعوبة كبيرة في ذلك، لأنه تصادف أنها صحيحة. وهم الآن مهتمون بك للغاية. في البداية، أرادوا أن يستقدموكِ إلى مجمعهم في ياماناشي، ولكن أوضحنا لهم أنّ جدولك مزدحم ولا يمكنك مغادرة طوكيو. والرجل على أيّ حال يأتي إلى طوكيو في أعمال تجارية مرة في الشهر على الأقل. وهو ينزل متخفياً في فندق بوسط المدينة. وهناك سوف تؤدين له الجلسة. ليس مطلوباً منك سوى اتباع الخطوات المعتادة عندما تصبحين معه بالداخل».

تخيلت أومامه المشهد. غرفة في فندق. رجل يرقد على بساط يوجا فيما تقوم هي بتمديد عضلاته. لا يمكنها أن ترى وجهه. ولكونه مستلقياً على وجهه، يصبح مؤخَّر رقبته مكشوفاً لها ودون حماية. وتمد يدها وتتناول كسارة الثلج من حقيبتها.

سألتها أومامه: «إذاً أنا وهو يمكن أن نكون معاً وحدنا في غرفته؟».

أومأت الأرملة: «الزعيم يخفي مشكلاته الجسمانية عن الآخرين في التنظيم، ولذلك يجب ألا يوجد أحدٌ آخر. سوف تكونين أنت وهو وحدكما».

«هل يعرفون اسمي ومكان عملي؟».

«إنهم أناس حذرون للغاية. وقد أجروا بالفعل تحريات دقيقة عنك ولم يجدوا أي شبهة عليك. تلقينا أمس إشارة بأنهم يريدون استقدامك إلى مكان إقامته. سوف يبلغونا بالتفاصيل فور تحديد الزمان والمكان».

«لقد جئتُ إلى هنا مرات كثيرة، ألا ترين أن علاقتنا قد تثير بعض الشكوك لديهم؟».

«أنا مجرد عضو في النادي الرياضي الذي تعملين فيه، وأنت تأتين إلى بيتي كمدربة شخصية. لا يوجد سبب يدفعهم للشك في أن علاقتنا تتجاوز ذلك بأي شكل من الأشكال».

ردت أومامه بإيماءة.

قالت الأرملة: «عندما يغادر هذا الزعيم المجمع ويذهب إلى هنا وهناك، يرافقه حارسان شخصيان. كلاهما من المؤمنين ومن حاملي الأحزمة في الكاراتيه. لا ندري حتى الآن هل يحملان أسلحة أيضاً، ولكنهما على ما يبدو يُجيدان ما يؤديان. ويتدربان يومياً. لكنهما رغم ذلك، وبحسب تامارو، هواة».

«على العكس من تامارو».

«نعم، على العكس من تامارو الذي كان ينتمي إلى وحدة «رينجر» في قوات الدفاع الذاتي. وهي وحدة غُرست لدى أفرادها ضرورة عمل كل ما يجب عمله لإنجاز المهمة المطلوبة، وهم يُنجزونها على الفور ودون أدنى تردد. والشيء المهم لديهم هو عدم التردد، بغض النظر عمّن قد يكون الخصم. أما الهواة فهم يترددون، ولا سيما عندما يكون الخصم، مثلاً، امرأة شابة».

أمالت الأرملة رأسها إلى الخلف حتى غاصت في الكرسي وتنهدت تنهيدة عميقة. ثم اعتدلت مرة أخرى ونظرت إلى أومامه نظرة مباشرة.

«الحارسان سوف ينتظران غالباً في الغرفة الأخرى داخل الجناح فيما تتولين أنت علاج الزعيم. سوف تكونين معه وحدك لمدة ساعة. هذه هي الكيفية التي رتبنا بها الأمور حتى الآن. لكن كيف سوف تسير

في الواقع، فهذا أمر لا أحد يستطيع أن يخمِّنه. فالأمور قد تتغير. والزعيم لا يكشف خطة عمله مطلقاً إلا في اللحظة الأخيرة».

«كم عمر هذا الرجل؟».

«في منتصف الخمسينيات على الأرجح. علمنا أنه ضخم البنية. وللأسف، لا نعرف عنه أكثر من ذلك».

كان تامارو ينتظر لدى الباب الخارجي. سلمته المفتاح الإضافي للشقة ورخصة القيادة وجواز السفر وبطاقة التأمين الصحي. ذهب إلى الداخل وصنع نسخاً من الوثائق. بعدما تأكد أنه قد صنع كل النسخ اللازمة، أعاد إلى أومامه النسخ الأصلية. بعد ذلك اصطحب أومامه إلى مكتبه، الذي يوجد بجوار الباب الخارجي. كان مكتباً صغيراً مربع الشكل وخالياً من أي ديكور. لا يوجد به سوى نافذة صغيرة تطلّ على الحديقة. كان يُسمع فيه طنين جهاز تكييف الهواء المثبت في الحائط. أَجلس أومامه على كرسي خشبي صغير، فيما جلس هو إلى مكتبه. ثُبتت على الحائط فوق المكتب أربع شاشات عرض تعمل كل منها وفق زوايا كاميرا متغيرة. وهناك أربعة أجهزة فيديو تسجل صورها باستمرار. كانت الشاشات تُظهر مشاهد من خارج الأسوار. وبينما كانت الشاشة الموجودة إلى أقصى اليمين تعرض صورة للباب الخارجي لدار الإيواء حيث تعيش النساء المعُنَّفات. وكانت الصورة تُظهر أيضاً كلب الحراسة الجديد، وهو باسطٌ ذراعيه على الأرض. كان أصغر حجماً بقليل من الكلب السابق.

قال تامارو: «شريط الفيديو لا يُظهر كيف ماتت الكلبة». ثم وكأنه يتوقع سؤالاً من أومامه: «لم تكن عندئذٍ في قيدها. من المستحيل أنها فكَّت قيدها بنفسها، لذلك قد يكون شخصٌ ما هو مَن فك القيد».

«شخص يمكنه الاقتراب منها دون أن يستثير نباحها».

«هذا هو ما يمكن استخلاصه».

«غريب».

أومأ تامارو ولكن دون أن يقول شيئاً. كان قد فكَّر بنفسه كثيراً في شتى الاحتمالات حتى ضجر من التفكير فيها. لم يتبقَّ أي شيء لديه كي يقوله لأي أحد آخر.

مدّ تامارو يده وفتح درج خزانة بجوار مكتبه، فأخرج كيساً أسود من البلاستيك. ثم أخرج من الكيس منشفة حمام زرقاء حال لونها، وعندما بسط المنشفة، ظهر شيء أسود لامع - مسدس آلي صغير الحجم. دون أن يقول شيئاً، سلَّمه إلى أومامه التي لزمت الصمت أيضاً وهي تتسلمه. هزَّته في يدها كي تقدِّر وزنه. كان أخف وزناً بكثير ممّا يبدو. هذا الشيء الصغير ذو الوزن الخفيف يمكنه أن يرسل إنساناً إلى الموت.

سألها تامارو: «لقد ارتكبتِ لتوك خطأين جسيمين. هل تعرفين ما هما؟».

فكرت أومامه في ما فعلته لتوها، ولكن لم تتبيّن أي أخطاء. كل ما فعلته هو أنها أمسكت المسدس الذي سُلِّم إليها.

قالت: «لا أعرف».

«أولاً، عندما تسلمت المسدس، لم تتحققي أولاً هل هو محشو بالطلقات، وإذا كان محشواً، فهل هو في وضع الأمان. والثانية هي أنك بعد إمساكك بالمسدس، أشرت به ناحيتي - حتى لو كان ذلك لجزء من الثانية فقط. لقد خالفت قاعدتين ثابتتين. أيضاً، يجب ألّا تضعي إصبعك أبداً داخل حامية الزناد إذا لم يكن لديك نية لاطلاق النار».

«فهمت ذلك. سأتوخى الحذر من الآن فصاعداً».

«وفي غير حالات الطوارئ، يجب ألّا تتعاملي أو تسلمي أو تحملي مسدساً أبداً حتى لو كان فيه رصاصة واحدة. وعندما ترين مسدساً، يجب أن تعتبريه محشواً حتى يثبت لك العكس. المسدسات تُصنع لقتل الناس. وعليكِ أن تكوني دائماً شديدة الحذر معها. بعض الأشخاص قد يسخرون مني لكوني شديد الحذر، ولكن الحوادث الغبية تحدث في كلّ الأوقات، والأشخاص الذين يُقتلون أو يتعرضون لإصابات بالغة هم عادة هؤلاء الذين كانوا يسخرون».

أخرج تامارو كيساً بلاستيكياً من جيب سترته. كان بداخله سبع رصاصات جديدة. وضعها على مكتبه: «كما ترين، الرصاصات ليست في المسدس. الخزنة في المسدس، ولكنها فارغة. وكذلك حجرة الإطلاق فارغة».

أومأت أومامه.

«هذه هدية شخصية مني. ومع ذلك، إذا لم تستخدميها، فإنني أودّ استعادتها مرة أخرى».

قالت أومامه وقد جفّ حلقها: «بالطبع .ولكن لا بد أن ذلك كلفك مالاً».

قال تامارو: «لا تشغلي بالك. توجد أشياء أخرى عليك الانشغال بها. دعينا نتحدث عنها. هل استعملت مسدساً من قبل؟».

هزت أومامه رأسها: «مطلقاً».

«المسدسات اليدوية غالباً ما تكون أسهل استخداماً من النوع الآلي، وخصوصا لدى الهواة. لأن آلية عملها أبسط، ويسهل تعلم استعمالها، واحتمال ارتكاب الأخطاء بها ضئيل. ولكن المسدس اليدوي الجيد قد يكون ضخماً وحَمْله ليس مريحاً. ولذلك رأيت أن

مسدساً آلياً سيكون الخيار الأفضل لك. هذا المسدس من «هيكلر أند كوخ» طراز HK4. صناعة ألمانية. وزنه 480 جراماً دون طلقات. إنه صغير وخفيف، لكن خراطيشه القصيرة الـ 9 مم شديدة القوة، وقوته الارتدادية ضئيلة. دقته ليست كبيرة في المسافات الطويلة، ولكنه مثالي لما تريدينه من أجله. شركة هيكلر أند كوخ تأسست بعد الحرب، ولكن هذا الطراز HK4 تمّ تطويره استناداً إلى مسدس آخر من طراز «ماوزر» HSc، وهو طراز يحظى باحترام واسع من قبل الحرب. يتم تصنيعه منذ عام 1968، ولا يزال مستخدماً على نطاق واسع. لذلك يمكن الاعتماد عليه. هذا المسدس ليس جديداً، ولكنه كان بحوزة شخص يُدرك جيداً ماذا يفعل. المسدسات مثل السيارات: يمكنك الوثوق بسيارة مستعملة بحالة جيدة أكثر ممّا تثقين بسيارة جديدة كلياً».

تناول تامارو المسدس من أومامه مرة أخرى وأوضح لها كيف تتعامل معه - مثلاً، كيف تقفل أو تفتح الأمان وكيف تنزع الخزنة أو تستبدلها.

«تأكدي أنّ الأمان مفعَّلاً عندما تنزعين الخزنة. بعد فتح مزلاج الأمان ونزع الخزنة، اسحبي الأجزاء إلى الخلف حتى تخرج الرصاصة من حجرة الإطلاق - ليس الآن، بالطبع، لأن المسدس لا يوجد فيه طلقات. بعد ذلك، تظلّ الأجزاء مفتوحة، وعندئذٍ تسحبين الزناد هكذا فتنغلق الأجزاء ولكن تظل المطرقة مرفوعة وجاهزة للضرب. اسحبي الزناد مرة أخرى حتى تنزل المطرقة. ثم ضعي خزنة جديدة».

قام تامارو بتأدية هذه الحركات المتوالية بسرعة كبيرة. ثم أعاد الحركات نفسها ببطء، موضحاً كلّ عملية على حدة. وكانت أومامه تشاهده باهتمام.

«والآن حاولي ذلك».

أخرجت أومامه الخزنة بحرص، وسحبت الأجزاء إلى الخلف مرة أخرى ثم أفرغت حجرة الإطلاق وأنزلت المطرقة ثم أعادت تثبيت الخزنة.

قال تامارو: «هذا رائع». ثم أخذ المسدس من أومامه وأخرج الخزنة، ثم بعناية عبأها بسبع رصاصات قبل أن يثبتها مرة أخرى في المسدس الذي أحدث صوت طقة عالية. وبعد أن سحب الأجزاء، دفع رصاصة إلى حجرة الإطلاق. ثم أنزل رافعة في الجانب الأيسر من المسدس لضبط المسدس على وضع الأمان.

قال لها تامارو: «والآن افعلي الشيء نفسه الذي فعلتيه من قبل. لكنه في هذه المرة سيكون محشواً بطلقات حقيقية. وهناك طلقة في حجرة الإطلاق أيضاً. لا يزال المسدس في وضعية الأمان، ومع ذلك لا ينبغي أن تشيري بفوهته إلى أيّ أحد».

عندما أمسكت بالمسدس محشواً بالطلقات، وجدته أومامه أثقل كثيراً ممّا كان عليه. أصبح له الآن ملمس الموت الأكيد. إنه أداة دقيقة تستخدم في قتل الناس. بدأت تشعر بتعرق إبطيها.

تحققت مرة أخرى كي تتأكد أن المسدس في وضع الأمان، وفتحت السقاطة وسحبت الخزنة ثم وضعتها على الطاولة. سحبت الأجزاء وأخرجت الرصاصة من حجرة الإطلاق. سقطت على الأرضية الخشبية للغرفة مُحدِثة صوتاً جافاً. ضغطت على الزناد لإغلاق المزلاج، ثم ضغطت على الزناد مرة أخرى، وأنزلت المطرقة. ثم، وبيَدٍ مرتعشة، التقطت الرصاصة التي كانت قد وقعت أرضاً بجوار قدميها. جف حلقها، وأصبح كل نفس تسحبه يأتي مصحوباً بإحساس مؤلم ولافح.

قال تامارو وهو يعيد الرصاصة 9 مم التي سقطت إلى الخزنة:

«ليس أداءً سيئاً للمرة الأولى، ولكن تحتاجين الكثير من التمرين. يداك مرتعشتان. عليك أن تتدربي على فك الخزنة وتركيبها عدة مرات يومياً حتى تعتادين ملمس المسدس. يجب أن تكوني قادرة على عمل ذلك في أقل وقت ممكن وبشكل تلقائي مثلما فعلت. وفي الظلام. في حالتك، ليس عليك أن تبدلي الخزنة أثناء الاستخدام، ولكن هذه الحركات هي أهم الحركات الأساسية المطلوبة ممن يتعاملون مع مسدسات. يجب أن تحفظيها».

«ألستُ بحاجة إلى التدريب على إطلاق النار؟».

«حسناً، ليس كما لو كنت سوف تقتلين به أحداً. إنك سوف تقتلين نفسك فحسب، أليس كذلك؟».

أومأت أومامه.

«في هذه الحالة، ليس عليك التدريب على إطلاق النار. ما عليك سوى أن تتعلمي كيف تعبئينه بالرصاص وكيف تحرري مزلاج الأمان، ثم تعتادين على ملمس الزناد. وعلى أي حال، أين كنت تنوين التدريب على إطلاق النار؟».

هزت أومامه رأسها. لم تكن تعرف.

«أيضاً، كيف تنوين إطلاق النار على نفسك؟ يمكنك أن تجربي هنا».

أدخل تامارو الخزنة المحشوة، وتأكد أن المسدس في وضع الأمان، ثم سلم المسدس لأومامه. وقال: «الأمان مضبوط».

ضغطت أومامه بفوهة المسدس على صدغها. شعرت ببرودة الصُلب. هز تامارو رأسه عدة مرات وهو ينظر نحوها.

«صدقيني، ليس عليك أن توجهي الفوهة نحو صدغك. سيكون أصعب ممّا تظنين كثيراً أن تطلقي النار على نفسك في الدماغ بهذه

الطريقة. عادة ما ترتعش أيدي الناس، فيخطئون أهدافهم. وينتهي بك الأمر إلى جرح في الجمجمة، وليس قتل نفسك. وأنت حتماً لا تريدين حدوث ذلك».

هزت أومامه رأسها في صمت.

«انظري إلى ما حدث للجنرال توغو بعد الحرب. عندما جاءت القوات الأميركية لإلقاء القبض عليه، حاول أن يطلق النار على نفسه في القلب عبر توجيه الفوهة إلى صدره ثم الضغط على الزناد، ولكن الرصاصة أخطأت وأصابت بطنه دون أن تقتله. أنت هنا تتحدثين عن الجندي الأول في اليابان، الذي لم يعرف كيف يقتل نفسه بمسدس! حملوه مباشرة إلى المستشفى، وتلقى أفضل رعاية ممكنة من فريق طبي أميركي، ثم تعافى وحُوكم وأُعدم. يا لها من طريقة رهيبة للموت. اللحظات الأخيرة للشخص شيء مهم. لا يمكنك أن تختاري كيف تولدين، ولكن يمكنك أن تختاري كيف تموتين».

عضَّت أومامه على شفتها.

«إن الطريقة الأكيدة هي إدخال ماسورة المسدس في فمك وتفجير دماغك من أسفل. هكذا».

تناول تامارو المسدس من أومامه كي يمثِّل تلك الحركة. كانت تعرف أن المسدس في وضع الأمان، ومع ذلك راعها المشهد. أصبحت تجد صعوبة في التنفس، وكأن شيئاً قد علق في حلقها.

«ولكن حتى هذه الطريقة ليست مؤكدة مائة في المائة. وأنا أعرف بالفعل شخصاً فشل في قتل نفسه، وانتهى به الأمر إلى وضع شنيع. كنا معاً ضمن قوات الدفاع الذاتي. أدخل فوهة البندقية في فمه وأطلق النار عن طريق الضغط بإصبعي قدميه الكبيرين على ملعقة ثبتها على الزناد. أظن أن الفوهة قد تحركت قليلاً. وبدلاً من أن يموت، أصبح

كسيحاً وعاجزاً عن الكلام. وعاش على هذه الحال عشر سنوات أخرى. ليس سهلاً أن ينهي الناس حياتهم. ليس الأمر كما ترينه في أفلام السينما. يقوم الأشخاص فيها بذلك بكل سهولة، دون أي ألم، وينتهي الأمر، ويموتون. ليس هكذا الواقع. ترقدين طريحة الفراش عشر سنوات والبول يتسرب منك».

أومأت أومامه في صمت.

أخرج تامارو الطلقات من الخزنة والمسدس ووضعها في كيس من البلاستيك. ثم سلّم أومامه المسدس والطلقات كلاً على حدة.

«ليس محشواً الآن».

أخذتهما أومامه بإيماءة.

«صدقيني، الذكاء هو أن تفكري في النجاة. وهذا هو الأكثر فائدة، أيضاً. هذه نصيحتي لك».

قالت أومامه بفتور: «أدرك ذلك». ثم لفّت وشاحاً حول المسدس هيكلر أند كوخ HK4، الذي كان يشبه آلة بدائية أيضاً، ودسته في أسفل حقيبتها. أصبح وزن الحقيبة أثقل بمقدار رطل أو أكثر، لكن شكلها لم يتغير. فطراز HK4 مسدس صغير الحجم.

قال تامارو: «إنه ليس سلاحاً للهواة. وعن تجربة، لا يأتي من ورائه خير كثير. ولكن يجب أن تكوني قادرة على التعامل معه بشكل صحيح. إنك تشبهيني في بعض الجوانب. عند الضرورة، يمكنك أن تقدمي الالتزام بالقواعد على نفسك».

«ربما لأن «النفس» لا وجود لها في الواقع».

لم يعلق تامارو على ذلك.

سألته أومامه: «هل كنت ضمن قوات الدفاع الذاتي؟».

«نعم، وفي أصعب الوحدات. كانوا يطعموننا فئران وثعابين

وجراد. إنها أشياء صالحة للأكل، ولكنها بالتأكيد ليست طيبة المذاق».

«وماذا عملت بعد ذلك؟».

«كل ما يخطر ببالك. عملت في الأمن، وبالأساس كحارس شخصي، رغم أن هذه الكلمة ربما تكون منمقة للغاية للتعبير عن المهام التي كنت أؤديها في بعض الحالات. لستُ ممّن يجيدون العمل الجماعي، ولذلك أميل إلى العمل وحدي. تورطت أيضاً في عالم الجريمة بعض الوقت، عندما كانت هي الشيء الوحيد المتاح أمامي. رأيت أشياء كثيرة تحدث، أشياء لا يجب أن يراها معظم الناس في حياتهم أبداً. ومع ذلك، لم أوضع بعد في أسوأ الظروف. كنت دائماً حريصاً على عدم تجاوز الحدود. وأنا بطبيعتي حريص، ولا أفكر كثيراً في عصابات الياكوزا. وكما قلت من قبل، سجلّي نظيف. بعد ذلك، جئت الى هنا». وأشار تامارو إلى منزل الأرملة. «لقد استقرت حياتي تماماً منذ ذلك الحين. ليس معنى هذا أن الحياة المستقرة هي كل ما أتطلع إليه، ولكني أود أن تبقى الأمور على ما هي عليه الآن. ليس من السهل للمرء العثور على وظيفة يريدها».

قالت أومامه: «لا، بالطبع لا. ولكن ألا يجب عليّ حقاً أن أدفع لك شيئاً مقابل هذا؟».

هز تامارو رأسه: «لا، لا أريد نقودك. النقود لا تحرك العالم بقدر ما يحركه ما تَدينين به للناس وما يَدين به الناس لك. وأنا لا أحب أن أكون مديناً بأي شيء لأي أحد، ولذلك أبقي نفسي قدر استطاعتي في الجانب الدائن».

قالت أومامه: «أشكرك».

«إذا، حدث واستجوبك رجال الشرطة وقسوا عليك لمعرفة من

أين لك بالمسدس، فلا أريدك أن تبوحي باسمي. إذا جاءوا إلى هنا، فسوف أنكر كل شيء، بطبيعة الحال. لن يكتشفوا أبداً أي شيء عن حياتي الماضية. أما إذا لاحقوا السيدة، فلن يكون لدي أي سَند».

«لن أبوح باسمك، بالطبع».

أخرج تامارو قصاصة ورق مطوية من جيبه وسلمها إلى أومامه. وقد كتب عليها اسمٌ لرجل. قال تامارو: «في 4 يوليو، التقيتِ هذا الرجل في مقهى رينوار بالقرب من محطة سنداجايا. وهو من أعطاك المسدس والرصاصات السبعة، وقد دفعتِ له في المقابل 500 ألف ين نقداً. وقد اتصل بك بعد معرفته أنك تبحثين عن مسدس. إذا استجوبته الشرطة، فمن المفترض أن يُقر من نفسه بالاتهامات ويقضي بضع سنوات في السجن. ليس عليك أن تقولي أي شيء أكثر من ذلك. وطالما استطاع رجال الشرطة أن يحددوا كيفية وصول المسدس إلى يديك، فسوف يخرجون راضين عن النتيجة. وقد تقضين بعض الوقت وراء القضبان أيضاً، لمخالفتك قانون حيازة الأسلحة النارية والسيوف».

حفظت أومامه الاسم وسلمت قصاصة الورق إلى تامارو. مزقها قطعاً صغيرة ورمى بها في سلة المهملات. ثم قال: «كما قلت من قبل، أنا حريص جداً بطبيعتي. وغالباً لا أعتمد على أي أحد في أي شيء، وحتى عندما أفعل، لا أضع ثقتي به. ولا أدع الأمور تسير كيفما اتفق. ولكن ما أرجوه بشدة في هذه الحالة هو أن يعود المسدس إليّ دون أن يُستخدم. فعندئذٍ لن يتورط أحد في مشكلة، ولن يموت أحد، ولن يصاب أحد، ولن يدخل أحدٌ السجن».

أومأت أومامه: «تعني، أنك تريدني أن أخالف قاعدة تشيخوف؟».

قال تامارو: «بالضبط. تشيخوف كان كاتباً عظيماً، ولكن ليس بالضرورة أن تتبع جميع الروايات قواعده. ليس لزاماً أن تطلق جميع المسدسات النار في الروايات». ثم عبس وجهه قليلاً، وكأنه يستذكر شيئاً: «أوه، نعم، كدت أنسى شيئاً مهماً. عليّ أن أعطيك جهاز نداء آلي».

أخرج جهازاً صغيراً من الدُرج ووضعه على المكتب. كان به مشبك معدني يُعلَّق منه بالملابس أو بحزام. أمسك تامارو بالهاتف وضغط رمز اتصال سريع يتألف من ثلاثة أرقام. رن الهاتف ثلاث مرات، فردّ جهاز النداء بعدد من الصافرات الإلكترونية. بعد رفع مستوى الصوت لأقصى درجة، ضغط تامارو مفتاحاً لإيقاف تشغيله. حدَّق بعينين نصف مغمضتين في الجهاز كي يتأكد أن الجهاز يُظهر رقم المتصل، ثم سلمه إلى أومامه.

قال تامارو: «أودّ أن تجعلي هذا معك في جميع الأوقات إذا أمكن، أو على الأقل لا تبتعدي عنه كثيراً. إذا رن، فهذا يعني أن هناك رسالة مني. رسالة مهمة. لن أرسل لك إشارة كي نتكلم في أحوال الطقس. اتصلي بالرقم الذي يظهر على الشاشة. من فورك. من هاتف عمومي. شيء آخر: إذا كانت لديك أمتعة، فضعيها في خزانة في محطة شنجوكو».

قالت أومامه: «محطة شنجوكو».

«يجب أن تكوني جاهزة للسفر من دون أمتعة كثيرة».

«بالطبع».

عند عودتها إلى شقتها، أسدلت أومامه الستائر وأخرجت مسدس هيكلر أند كوخ HK4 وكذلك الطلقات من حقيبتها. وفي أثناء جلوسها

إلى مائدة المطبخ، راحت تُجرب إخراج الخزنة الفارغة وإدخالها عدة مرات. كانت سرعتها تزيد مع التكرار. أصبحت حركاتها إيقاعية، ولم تعد يداها ترتعشان. وبعدئذٍ لفَّت المسدس في قميص تي شيرت قديم وأخفته في صندوق أحذية، ثم دفعته إلى مؤخر الخزانة. أما كيس الطلقات فوضعته في جيب معطف واقٍ من المطر كان معلقاً في شماعة. أحست فجأة بعطش شديد، فأخذت إبريقاً من شاي الشعير المبرد من الثلاجة وشربت ثلاثة أكواب. كانت عضلات كتفيها مشدودة ومتيبسة، واشتمت رائحة غير عادية تنبعث من عرق ما تحت إبطيها. كان إدراكها أنّ بحوزتها الآن مسدساً يكفي لجعلها ترى العالم مختلفاً قليلاً. اكتسى الوسط المحيط بها بألوان غريبة لم تألفها.

تجردت من ثيابها وتحممت بمياه ساخنة لإزالة رائحة العرق الكريهة. قالت لنفسها أثناء ذلك، **ليس من اللازم أن تطلق جميع المسدسات النار. المسدس مجرد أداة، والعالم الذي أعيش فيه ليس كتاباً من الحكايات. إنه العالم الحقيقي، المليء بالثغرات والتناقضات والتحولات.**

انقضى أسبوعان خاليان من أي أحداث ذات أهمية. كانت أومامه تذهب إلى العمل في النادي الرياضي كعادتها، تعلِّم فنون الدفاع عن النفس وتجري جلسات في تمديد العضلات. لم يكن مفترضاً أن تغير نمط حياتها اليومية. كانت تطبق تعليمات الأرملة بحذافيرها. وعند عودتها إلى المنزل، كانت تتناول عشاءها وحدها. بعد ذلك، كانت تسدل الستائر، وتجلس إلى مائدة المطبخ، وتتمرن على التعامل مع المسدس حتى أصبح بوزنه وصلابته ورائحة زيت آلته وقوته الغاشمة وصمته جزءاً منها.

وكانت في بعض الأحيان تتمرن على ذلك وهي معصوبة العينين، مستخدمة وشاحاً. وسرعان ما أصبح بوسعها أن تحشو الخزنة بسرعة ورشاقة، وتحرر الأمان وتسحب الأجزاء دون أن تستخدم عينيها. أصبحت أذناها تأنسان للصوت المكثف والمنتظم الذي يَصدر عن كلّ عملية. في الظلام، فقدت تدريجياً الإحساس بالفرق بين الأصوات التي تصدر فعلاً وبين إدراكها السمعي لتلك الأصوات. كانت الحدود بين نفسها وأفعالها تتلاشى تدريجياً حتى تختفي تماماً.

وكانت تقف مرة واحدة على الأقل في اليوم إزاء مرآة الحمام وتضع فوهة المسدس المحشو بالرصاص في فمها. عندما تشعر بصلابة المعدن على حواف أسنانها، تتخيل نفسها وقد ضغطت على الزناد. كان ذلك هو كل ما ستحتاجه لإنهاء حياتها. في اللحظة التالية، سوف تكون قد تلاشت من هذا العالم. وقالت لنفسها التي كانت تراها واقفة إزاءها في المرآة: **هناك بعض النقاط المهمة: لا تدعي يديّ ترتعشان، واستعدي لتحمل قوة الارتداد، ولا تجعلي الخوف يتمكن منك، والأهم من ذلك، لا تترددي.**

وقالت أومامه في نفسها، **أستطيع أن أفعلها الآن إن شئت. لم يكن علي إلا أن أسحب إصبعي إلى الداخل بمقدار نصف بوصة. سيكون ذلك سهلاً للغاية. لماذا لا أُكمل ذلك وأفعلها؟** لكنها راجعت نفسها وأخرجت فوهة المسدس من فمها، وأعادت المطرقة لوضعيتها غير المُهيَّأة للضرب، وضبطت الأمان، ثم وضعت المسدس بجوار الحوض بين أنبوب معجون الأسنان وفرشاة شعرها. **لا، الوقت لا يزال مبكراً على ذلك. هناك عمل يجب أن أؤديه أولاً.**

بحسب تعليمات تامارو، كانت أومامه تحمل جهاز النداء معها في جميع الأوقات. وعندما تنام تضعه بجوار ساعة المنبه. وكانت مستعدة للتعامل معه حالما يرن، ولكن مضى أسبوع آخر دون شيء.

المسدس في صندوق الأحذية، والطلقات السبعة في جيب المعطف الواقي من المطر، وجهاز النداء صامت، وكسارة الثلج المصنوعة يدوياً، وسنها المميت، وحقيبتها المعبأة بمتعلقاتها الشخصية، والوجه الجديد والحياة الجديدة التي تنتظرها، وحزمة الفواتير الموجودة في خزانة العملة في محطة شنجوكو: أمضت أومامه أيام منتصف الصيف في حضرة كل هذه الأشياء. خرج أناس كثيرون لقضاء إجازاتهم الصيفية الكاملة. وأغلقت المتاجر أبوابها. وقلَّت أعداد المارة في الشوارع. وانخفضت أعداد السيارات وخيَّم الصمت على المدينة. كانت تشعر أحياناً بأنها توشك أن تفقد الإحساس بالمكان. تساءلت في نفسها، **أهذا فعلاً هو عالم الواقع؟ إذا لم يكن هو، فأين يجب عليّ أن أجده؟** لم تكن تدري في أي مكان آخر يجب أن تبحث، ولذلك لم يكن لديها الآن خيار سوى الاعتراف بأن هذا هو الواقع الوحيد وأن تستجمع كل قواها كي تتغلب عليه.

هدأت أومامه من روعها وقالت في نفسها، **أنا لا أخاف الموت. ما أخافه هو أن يهزمني الواقع، وأن يخلفني وراءه.**

كانت قد هيأت كل شيء. وأصبحت متأهبة عاطفياً أيضاً. بإمكانها أن تترك شقتها في أي وقت، بمجرد تلقيها الاتصال من تامارو. لكن لم يأتها خبر منه. كان شهر أغسطس يقترب من نهايته. وعمّا قريب سوف يبدأ الصيف في التراجع، وسوف تطلق حشرات السيكادا آخر صيحاتها. كيف مضى شهر كامل بهذه السرعة رغم أن كل يوم كان يمر بتثاقل رهيب؟

وصلت أومامه إلى شقتها عائدة من عملها في النادي الرياضي، وألقت بملابسها المبتلة بالعرق في السلة، وارتدت بدلاً منها كنزة دون أكمام وسروال. هطل مطر كثيف بعد الظهيرة. ادلهمت السماء. كانت قطرات مطر كبيرة تتساقط فوق أرضية الشوارع، فيما يدوي صوت الرعد. ابتلت الشوارع تماماً، ولكن عادت الشمس وظهرت مرة أخرى، واستخدمت كل طاقتها كي تبخر تجمعات المياه، وتغلف المدينة بستار لامع من البخار. ظهرت الغيوم عندما انحدرت الشمس إلى المغيب، فغطت السماء بحجاب سميك وحجبت القمرين.

شعرت بالحاجة إلى بعض الاسترخاء قبل إعدادها العشاء. وبعد أن شربت كوباً من شاي الشعير المثلج وتناولت بعض فول الصويا الذي سلقته في وقت سابق، فتحت إحدى الصحف المسائية على مائدة المطبخ، وبدأت تتصفحها بالترتيب، من الصفحة الأولى إلى الأخيرة. لم يثر اهتمامها شيء. كانت مجرد صحيفة مسائية عادية. لكنها مع ذلك عندما انتقلت إلى صفحات «القضايا الإنسانية»، كانت صورة أيومي هي أول ما لفت انتباهها.

حبست أومامه أنفاسها وتجهمت.

قالت في نفسها أول الأمر، **لا، لا يمكن أن تكون أيومي**. ظنت أومامه أنها لا بد أن تكون مخطئة: وأن الصورة لأخرى تشبه كثيراً صديقتها الشرطية الشابة. أيومي لا يمكن أن تظهر بذلك الشكل البارز في الصحيفة، ومصحوبة بصورة كاملة. وكلما أطالت النظر، مع ذلك، زاد يقينها بأنها هي شريكتها السابقة في تلك الليالي الجنسية القليلة التي جمعتهما. في الصورة الملتقطة عن قرب، كان وجه أيومي يحمل أثر ابتسامة - ابتسامة مصطنعة ومنزعجة. أيومي الحقيقية كانت دائماً صاحبة ابتسامة طبيعية وصافية تغطي وجهها كله. بدت الصورة

وكأنها قد التقطت كي توضع ضمن ألبوم مشترك. كان ثمة شيء يبعث على القلق في انزعاجها الواضح.

لم تكن أومامه تريد أن تقرأ الخبر، إذا أمكنها ذلك. إذا قرأت العنوان الكبير المجاور للصورة، فسوف يكون بوسعها أن تخمن ما حدث. ولكن تجاهلها الخبر لم يكن أمراً وارداً. هذا جزء من الواقع. ومهما كان ذلك، لا يمكنها أن تمرّ مرور الكرام على الواقع. أخذت أومامه نفساً عميقاً ثم شرعت في القراءة.

أيومي ناكانو (26 سنة). عزباء. مقيمة في إقليم شنجوكو، طوكيو.

أشار الخبر إلى أن أيومي قد عُثر عليها ميتة في غرفة بفندق شيبويا. وقد خُنقت بحزام لرداء حمَّام. وأنها وجدت عارية تماماً وقد كبلت يداها إلى السرير وحُشي فمها بقطعة ملابس. أحد موظفي الفندق هو مَن عثر على الجثة أثناء تفقّده الغرفة قبل الظهر. كانت أيومي ورجل آخر قد حجزا الغرفة قبل الحادية عشرة من الليلة الفائتة، وقد غادر الرجل وحده فجراً. كانت أجرة الغرفة قد دُفعت مقدماً. لم يكن ذلك حدثاً غير معتاد تماماً في المدينة الكبيرة، حيث يولد اختلاط الناس حرارة، غالباً ما تأخذ شكلاً من أشكال العنف. فالصحف تمتلئ بمثل هذه الحوادث. لكن هذه الحادثة، رغم ذلك، كانت ذات أبعاد غير عادية. فالضحية شرطية، والأصفاد التي يبدو أنها استخدمت كلعبة جنسية كانت من النوع الأصلي الذي تستخدمه الشرطة، وليست ذلك النوع الرخيص الذي يُباع في متاجر الأدوات الجنسية. بطبيعة الحال، كان ذلك هو الجانب الذي استرعى انتباه الناس في الخبر.

الفصل الرابع

تنغو
لعلّ الأفضل ألا أتمنى ذلك

تُرى أين هي الآن، وما الذي تفعله؟ ألا تزال على انتمائها لجمعية الشهود؟ أرجو ألا يكون ذلك، هكذا قال تنغو في نفسه.

إن مسألة الإيمان الديني بالطبع هي حرية فردية. وما ينبغي له أن يتطرق إليها. ولكن حسبما يتذكر، فإنها لم تُظهر أي علامة حينما كانت فتاة صغيرة على أنها تستمتع بكونها من أتباع جمعية الشهود.

أثناء دراسته الجامعية، عمل تنغو بدوام جزئي في مستودع لبيع الكحوليات بسعر الجملة. لم يكن الأجر الذي يتقاضاه سيئاً، ولكن نقل حاويات ثقيلة كان عملاً شاقاً، حتى لدى صاحب بنيان قوي مثل تنغو، الذي كان يشعر بألم في كل مفصل من مفاصله مع نهاية اليوم. وتصادف أن اثنين من زملائه في العمل كانا قد نشآ كعضوين من «الجيل الثاني» ضمن جمعية الشهود. كانا شابين مهذبين ولطيفين. وكانا في عمر تنغو نفسه ويعملان بجد. فلا يشكوان ولا يخالفان قواعد العمل. وذات مرة توجه ثلاثتهم بعد انتهاء العمل إلى حانة واحتسوا معاً بعض الجعة. كان الاثنان صديقين منذ الطفولة، حسبما قالا له، ولكنهما تخلّيا قبل بضع سنوات عن إيمانهما. وبتخليهما عن

الدين، وضعا أقدامهما في العالم الحقيقي، لكن وحسبما كان يرى تنغو، فإن أيّاً منهما لم يتكيف تماماً مع عالمه الجديد. ولأنهما قد تربَّيا في مجتمع ضيق ومترابط، فقد وجدا صعوبة في فهم قواعد العالم الأوسع وقبولها. وكانا في أحايين كثيرة يفقدان ما لديهما من ثقة في آرائهما فينتهي بهما الأمر إلى الحيرة والارتباك. كانا يشعران بأنهما قد تحرّرا بتخليهما عن الإيمان، لكن شكوكاً مؤرقة ظلّت في الوقت ذاته تخالجهما حول احتمالية أن يكون قرارهما قد شابه الخطأ.

لم يكن بوسع تنغو إلا أن يتعاطف معهما. لو أنهما كانا قد انفصلا عن ذلك العالم في أثناء طفولتهما، قبل أن تترسخ الأنا لديهما، لكانت فرصتهما أفضل في التأقلم مع الاتجاه العام في المجتمع، ولكن لأنهما أضاعا تلك الفرصة فقد أصبح خيارهما الوحيد هو العيش في كنف جمعية الشهود، والانصياع لقيمها. وإلا لكان عليهما، وبتضحية كبيرة واعتماداً على قدرتهما الخاصة فقط، أن يعيدا بناء نسق العادات والاتجاهات لديهما من نقطة الصفر. كان تنغو عندما يتحدث إليهما، يستحضر الفتاة وهو يرجو في داخله ألا تكون قد مرت بهذا الألم نفسه الذي يمر به هذان الشابان.

بعد أن حرَّرت الفتاة أخيراً يدَه من قبضتها وخرجت مسرعة من الصف الدراسي دون أن تنظر وراءها، ظل تنغو متسمراً في مكانه لا يقدر على شيء. كانت تقبض بشدة على يده اليسرى، وعلى مدى أيام ظلّ أثر لمستها واضحاً على تلك اليد. وحتى بعد أن انقضى وقتٌ على ذلك وبدأ يضعف إحساسه المباشر بها، ظلّ قلبه محتفظاً بهذا الأثر العميق الذي خلَّفته يدها هناك.

بعد ذلك بفترة وجيزة، عرف تنغو أول عملية قذْف في حياته.

أنزل من طرف قضيبه المنتصب قدراً ضئيلاً للغاية من السائل. كانت كثافته أعلى نوعاً ما من كثافة البول، وخرج مصحوباً بخفقان مفعم بألم خفيف. لم يدرك تنغو أن هذه علامة على تمام نضج سائله المنوي. ولم يكن قد رأى في حياته شيئاً من هذا القبيل، ما أثار قلقه. خشي أن يكون ثمة مكروه قد أصابه. لكن ذلك لم يكن أمراً يمكنه أن يناقشه مع والده، ولا أن يسأل زملاءه في المدرسة بشأنه. في تلك الليلة، استفاق من حلم (لم يستطع أن يتذكر أحداثه) فوجد ملابسه الداخلية رطبة قليلاً. بدا لتنغو كما لو أن الفتاة، وعبر ضغطها على يده، قد استخلصت شيئاً ما منه.

لم يجمع بينهما أي تواصل بعد ذلك. حافظت أومامه على موقفها الانعزالي نفسه داخل الصف، إذ لا تتحدث إلى أيّ أحد، وكعادتها تتلو صلواتها المعتادة قبل الغداء بصوت مسموع. وحتى إن تصادف أن أحدهما قد مرّ بالآخر في مكان ما، فإن تعبيرات وجهيهما لم يكن يعتريها أدنى تغيير، وكأن شيئاً لم يكن بينهما - وكأنها لم ترَ تنغو من قبل.

أما تنغو فقد أصبح مولعاً بمراقبتها خُفية وعن كثب كلما سنحت له فرصة. أصبح يدرك الآن، بعد تحرٍّ دقيق لها، أنها صاحبة وجه جميل - جمال يكفي لأن يحبها. كانت طويلة القامة ونحيفة، ودائماً ما ترتدي ملابس باهتة وفضفاضة. وحينما ترتدي ملابسها الرياضية، كان بوسعه أن يجزم أنّ صدرها لم يمتلئ بعد. لم يكن وجهها يحمل غالباً أي تعبيرات، ولم تكن تتحدث إلّا نادراً، ولم تكن عيناها، اللتان تبدوان دائماً مسلطتين على شيء بعيد، تشيان بأدنى أثر للحياة فيهما. استغرب تنغو ذلك، لأنه، حينما نظر ذاك اليوم مباشرة في عينيها، وجدهما صافيتين ولامعتين للغاية.

بعد أن اعتصرت يده على ذلك النحو، أدرك تنغو أن هذه الفتاة النحيفة أقوى بكثير في داخلها من أي فتاة عادية. فقبضتها نفسها كانت تبعث على الإعجاب، ولكن الأمر يتعدى ذلك. كان يبدو أنها تمتلك طاقة ذهنية أكبر. وهي عادة ما تُبقي هذه الطاقة الخفية حيث لا يدركها أقرانها من الطلاب الآخرين. وعندما يوجِّه لها المعلم سؤالاً داخل الصف، لم تكن في جوابها تزيد على الحد الأدنى والضروري (بل وأحياناً لا تبلغ ذلك الحدّ)، ولكن درجاتها في الاختبارات التي تقدمها لم تكن سيئة قطّ. وكان تنغو يرى أنها تستطيع، إن شاءت، أن تحقق درجات أفضل، ولكن ربما تتعمد إخفاء قدراتها في الامتحانات حتى لا تلفت الانتباه. ربما كانت هذه هي الحكمة التي استطاعت بها طفلة في مكانها أن تحافظ على وجودها: وذلك عبر تقليل جروحها بالبقاء صغيرة قدر الإمكان، وشفافة قدر الإمكان.

كم سيكون رائعاً، فكر تنغو، لو أنها كانت فتاة عادية يمكنه أن يتجاذب معها أطراف أحاديث خفيفة! ربما كان بوسعهما أن يصبحا صديقين حميمين. لم يكن سهلاً تحت أي ظروف أن تنشأ صداقة جيدة بين فتى وفتاة في العاشرة من عمرهما. بل وربما يكون ذلك واحداً من أصعب الأشياء في العالم. ورغم أنهما كان يتبادلان كلاماً ودياً من حين لآخر، فإن مثل تلك الفرصة لم تكن تسنح من نفسها لتنغو وأومامه. ولذلك وبدلاً من أن يوجّه تنغو جهده لبناء علاقة حقيقية مع أومامه الحقيقية، قرر أن يتواصل معها عبر عالم الخيال والذكرى الصامت.

لم يكن لدى تنغو ذي العشر سنوات أيّ صورة حسية عن الجنس. وكان قُصارى ما يتمناه من الفتاة أن تمسك بيده مرة أخرى إذا أمكن. كان يريدها أن تعتصر يده مرة أخرى في مكان يجمعهما

وحدهما. وكان يريدها أن تخبره بشيء، أي شيء، عن نفسها، وأن تهمس له ببعض أسرارها، وما الذي يعنيه أن تكون فتاة في العاشرة. سوف يحاول جاهداً أن يفهم ذلك، وسوف تكون هذه هي البداية لشيء ما، رغم أن تنغو، وحتى الآن، لم يكن لديه أدنى فكرة عمّا يمكن أن يكونه ذلك «الشيء».

جاء شهر أبريل، وبدأت السنة الدراسية الجديدة. أصبحا الآن في الصف الخامس، ولكن تنغو والفتاة وُضعا في فصلين منفصلين. كانا أحياناً يمران ببعضهما في الممر أو ينتظران بعضهما بعض في محطة الحافلات، ولكن الفتاة ظلّت تتصرف وكأنها لا تعي بوجود تنغو أو على الأقل هكذا بدا لتنغو. فقد يكون بجوارها مباشرة، ولكن لا يطرف لها جفن، بل لم تكن تكلِّف نفسها عناء أن تشيح بوجهها عنه. وكما كان حالها من قبل، كان عمق عينيها وألقهما قد تلاشيا تماماً. تساءل تنغو في نفسه عمّا قد يعنيه ما جرى بينهما داخل الصف الدراسي. كان غالباً ما يبدو له ذلك وكأنه شيء جرى في أثناء حلم. ومع ذلك ظلت يده تحتفظ بالأثر الواضح لقبضة أومامه الاستثنائية. كان هذا العالم متخمٌ بألغاز كثيرة تستعصي على تنغو.

ولاحقاً أدرك أنّ الفتاة التي تدعى أومامه لم يعُد لها وجود في المدرسة. لقد انتقلت إلى مدرسة أخرى، ذلك هو كلّ ما استطاع اكتشافه. لا أحد يعرف إلى أي مدرسة انتقلت. ولعله كان الوحيد في المدرسة الابتدائية كلها الذي اهتم ولو قليلاً بكونها لم تعُد موجودة في المدرسة.

ظلّ تنغو مدة طويلة للغاية بعد ذلك يشعر بالندم على ما فعله، أو بعبارة أدق، على ما لم يفعله. وأخيراً، أصبح يفكر الآن في الكلمات

التي كان ينبغي أن يقولها لها. وأخيراً تجلت له في دخيلته الأشياء التي كان يريد أن يقولها لها، والأشياء التي كان ينبغي أن يخبرها بها. لم يكن الأمر بالغ الصعوبة. كان ينبغي له أن يستوقفها في الشارع ويقول لها شيئاً. ليته قد أُتيحت له فرصة جيدة واستجمع قدراً ضئيلاً من الشجاعة! لكن ذلك كان ضرباً من المستحيل لدى تنغو. وها هو الآن قد فقد الفرصة للأبد.

ظلت أومامه تشغل بالَ تنغو حتى بعد انتقاله من المدرسة الابتدائية إلى مدرسة إعدادية حكومية. بدأت تزداد لديه وتيرة الانتصاب والاستمناء عندما يفكّر فيها. كان دائماً ما يستعين بيده اليسرى - تلك اليد التي احتفظت بلمسة قبضتها. وفي ذاكرته، ظلت أومامه هي الفتاة الصغيرة ذات القوام الناحل التي لم يمتلئ صدرها، ومع ذلك كان يستطيع أن يبلغ بنفسه القذف عندما يفكر فيها وهي ترتدي ملابسها الرياضية.

ومع التحاقه بالمدرسة الثانوية، بدأ يواعد فتيات في مثل سنه. وكانت نهودهن الغضة تبرز بوضوح من خلال ثيابهن، وهو مشهد كان تنغو يشعر معه بضيق في التنفس. ولكن رغم ذلك، وهو في الفراش، وقبل أن يخلد إلى النوم ليلاً، كان تنغو يحرّك يده اليسرى فيما ينصرف فكره إلى صدر أومامه المسطح، الذي يخلو من أيّ أثر للامتلاء. لا بد أنّ ثمة خللاً أو شذوذاً قد أصابه، هكذا فكر تنغو.

لكنه حينما التحق بالكلية، لم يعد يفكر في أومامه في كل وقت وحين. وكان السبب الرئيس وراء ذلك هو أنه بدأ بمواعدة نساء حقيقيات، بل ومضاجعة بعضهن. كان قد أضحى رجلاً ناضجاً ولو جسدياً على الأقل، ولم تعُد صورة فتاة صغيرة لا تتجاوز العاشرة

وبملابس رياضية وذات قوام نحيل، تكفي بطبيعة الحال، لأن تحرِّك رغبته.

ومع ذلك، لم يعرف تنغو مرة أخرى ذلك الخفقان الشديد الذي اعترى قلبه عندما أمسكت أومامه بيده داخل الصف في المدرسة الابتدائية. لم تستطع أي امرأة التقاها في الكلية أو بعد تخرجه وحتى يومنا هذا، أن تترك أثراً مميزاً في قلبه كما فعلت أومامه. لم يجد في أيّ منهن ما كان يبحث عنه حقاً. كانت من بينهن جميلات وأُخر ذوات قلوب مفعمة بالدفء وأُخر كُن يُعنين به حقاً، ولكنهن كن يأتين ويذهبن، مثل طيور ذات ألوان زاهية تحطّ للحظة فوق غصن قبل أن تطير مرة أخرى نحو مكان ما. لم يستطعن إشباعه، وكذلك هو لم يستطع إشباعهن.

وحتى الآن، وهو على أعتاب الثلاثين، لا يزال تنغو يستغرب كلما وجد أفكاره تنجرف نحو أومامه ذات العشر سنوات. وهناك يجدها داخل صف دراسي خاوي، تحدِّق إليه مباشرة بعينيها بالغتَي الصفاء، فيما تقبض على يده بشدة. أحياناً كانت تتراءى له بقوامها النحيل وهي ترتدي ملابس رياضية. أو وهي تمشي خلف والدتها عبر مركز إتشيكاوا للتسوق في صبيحة يوم أحد، بشفتين مزمومتين تماماً وعينين تحدقان في الفراغ.

في مثل هذه الأوقات، كان تنغو يقول في نفسه، **أظن أني لن أستطيع أن أُخلص نفسي منها**. ثم يتملكه الندم مرة أخرى، بعد فوات الأوان، على كونه لم يتحدث إليها قط في الممر. **ليتني أرغمت نفسي على ذلك! ليتني قلت لها شيئاً، ربما كانت حياتي ستختلف كثيراً.**

كان شراؤه بعض فول الصويا من المتجر هو السبب في تذكره أومامه. كان ينتقي قرون فول الصويا الطازج المحفوظ في الثلاجة عندما خطرت له أومامه بشكل طبيعي تماماً. ودون أن يشعر وقف هناك ذاهلاً، وقد استغرق في حلم يقظة. كم من الوقت استمر ذلك، لم يكن يدري، ولكن صوت امرأة تقول: «من فضلك» هو ما أعاده إلى عالم الواقع. فقد كان يحُول بهيكله الكبير بينها وبين الوصول إلى قسم فول الصويا.

خرج تنغو من حلم اليقظة، واعتذر للمرأة، ثم ألقى بقرون فول الصويا في سلة التسوق، ثم حمله إلى البائع ومعه مشتريات بقالة أخرى مثل الجمبري والحليب والتوفو والخس والمقرمشات. وهناك، اصطف في الطابور مع ربات البيوت في المنطقة. كانت هذه هي ساعة التسوق المسائية الأشد زحاماً وكان البائع متدرباً بطيء الأداء، ممّا تسبب في إيجاد طابور طويل، ولكن ذلك لم يزعج تنغو.

لو فُرض أن أومامه كانت إحدى الواقفات في هذا الطابور، فهل كنت سأعرفها بمجرد النظر إليها؟ أشك في ذلك. فنحن لم نرَ بعضنا بعضاً منذ عشرين سنة. لا بد أن إمكانية تعرُّف كلّ منّا على الآخر ضئيلة للغاية. أو، لنفترض أننا مررنا بعضنا ببعض في الشارع، وسألت نفسي، «أيمكن أن تكون هذه هي أومامه؟»، فهل سيكون بوسعي أن أناديها من فوري؟ ليس بوسعي أن أتيقن من ذلك أيضاً. ربما لن تسعفني شجاعتي ومن ثم سأدعها تذهب دون أن أفعل شيئاً. وعندئذٍ كان الندم سيتملكني مرة أخرى -«لماذا لم أستطع أن أقول لها شيئاً- ولو كلمة واحدة؟».

اعتاد كوماتسو أن يقول لتنغو، «ما ينقصك هو الرغبة والموقف الإيجابي». ولعله كان محقاً في ذلك. إذ كان تنغو عندما يجد صعوبة

في أن يحزم أمره إزاء مسألة ما، يفكر ويقول، **لا بأس**، ثم يقبل بالأمر الواقع كارهاً. وهكذا كانت طبيعته.

ولكن إذا، صدف، أننا تقابلنا وجهاً لوجه وأسعدنا الحظ بأن يتعرف كلّ منا على الآخر، فربما كنت سأصارحها وأفضي لها بكل شيء. كنا سنقصد مقهىً قريباً (على فرض أنها لديها الوقت وقبلت دعوتي) ونجلس بعضنا قبالة بعض ثم نحتسي شراباً فيما أحدِّثها بكل شيء.

كانت لديه أشياء كثيرة يريد أن يحدِّثها بها! «لا أزال أتذكر عندما أمسكتِ يدي في ذلك الصف. بعد ذلك، أردت أن أصبح صديقاً لك. رغبتُ في التعرف عليك أكثر. ولكن لم أستطع ذلك. كانت هناك أسباب كثيرة وراء ذلك، ولكن السبب الرئيس هو أني كنت جباناً. ندمتُ على ذلك سنوات. ولا أزال نادماً. ولا يزال طيفك يصحبني طوال الوقت». بالطبع لن يخبرها بأنه استمنى وهو يتخيلها. فذلك يمكن أن يعطي كلامه بُعداً آخر يختلف تماماً عن مجرد الصراحة.

لعلّ الأفضل ألا أتمنى ذلك. ولعلّ الأجدر بي ألّا أراها مرة أخرى أبداً. وقال تنغو في نفسه، **ربما يصيبني الإحباط إذا التقيتها فعلاً**، ولعلها أصبحت موظفة عادية مملّة تبدو على وجهها علامات الإرهاق، ولعلها أضحت أماً محبَطة يعلو صراخها في وجوه أطفالها. وربما لن يجد الاثنان شيئاً مشتركاً يتحدثان فيه. نعم، هذا احتمال وارد جداً. وعندئذٍ سوف يفقد تنغو شيئا ثميناً ظل يعتز به على مدار كل هذه السنين. سوف ينتهي ذلك الشيء إلى الأبد. ولكن كلّا، كان تنغو شبه متيقن أن ذلك لن يكون. لقد اكتشف في العينين الحازمتين لهذه الفتاة ذات العشر سنوات وصاحبة الإرادة القوية إصراراً لا يؤثر فيه الزمن.

وعلى سبيل المقارنة، ماذا عن تنغو نفسه؟

كانت هذه الأفكار تُشعره بعدم الارتياح.

ألا يمكن أن تكون أومامه هي الطرف الذي سوف يصيبه الإحباط إذا التقيا مرة أخرى؟ في المدرسة الابتدائية، كان تنغو معروفاً لدى الجميع بكونه نابغة الرياضيات وكان يحقق أعلى الدرجات في المواد كلها تقريباً. وفوق ذلك كان لاعباً رياضياً بارزاً. وحتى المعلمين كانوا يعاملونه باحترام ويتوقعون منه أموراً عظيمة في المستقبل. وربما كانت أومامه تهيم به حباً. ولكنه الآن مجرد معلم بدوام جزئي في مدرسة تأهيلية. صحيح أنها وظيفة سهلة لم تفرض قيوداً على نمط حياته الانعزالي، لكنه بعيد تماماً عن أن يكون نجماً من نجوم المجتمع. وبينما يقوم بالتدريس في المدرسة التأهيلية، كان يمارس كتابة الرواية كعمل جانبي، ولكن حتى الآن لم تُنشر له أي أعمال. ومن أجل دخل إضافي، كان يكتب عموداً عن الأبراج لمجلة نسائية. كان العمود يحظى بشعبية، ولكنه كان، مجرد حزمة من الأكاذيب. لم يكن لديه أي أصدقاء جديرين بالذكر، ولم تكن تجمعه بأحد علاقة حب. وتكاد مواعداته الأسبوعية مع امرأة متزوجة تكبره بعشر سنوات أن تكون هي العلاقة الإنسانية الوحيدة في حياته. وحتى الآن، فإن الإنجاز الوحيد الذي يستطيع أن يفاخر به هو دوره ككاتب مجهول استطاع أن يحول 'الشرنقة الهوائية' إلى كتاب من أفضل الكتب مبيعاً، ولكن ذلك شيء لن يستطيع أن يذكره لأي أحد.

كانت أفكار تنغو قد وصلت إلى هذه النقطة عندما تناول البائع سلة البقالة التي يحملها.

عاد إلى شقته يحمل في يده كيساً من البقالة. بعد أن بدَّل ثيابه

وارتدى سروالاً قصيراً، أخرج علبة جعة من الثلاجة وشربها وهو واقف، فيما كان يُسخن وعاء كبيراً من الماء. وقبل أن يغلي الماء، كان قد نزع قرون فول الصويا من أغصانها، ثم بسطها على لوح التقطيع، وفركها جميعها بالملح. وحينما غلى الماء، ألقاها في الوعاء.

تساءل تنغو، **لماذا بقيت هذه الفتاة النحيفة ذات السنوات العشر في قلبي كل هذه السنين؟ جاءت إليّ بعد نهاية اليوم الدراسي وأمسكت بيدي دون أن تتفوه بكلمة. هذا هو كل ما جرى.** ولكن خلال ذلك، بدا أن أومامه قد أخذت معها قطعة منه - من قلبه أو جسمه. ووضعت مكانها، قطعة من قلبها أو جسمها. لقد جرت هذه المبادلة في ثوانٍ معدودات.

طحن تنغو مقداراً كبيراً من الزنجبيل حتى صنع منه قواماً ناعماً. ثم قطّع بعض الكرفس والفطر إلى شرائح مقبولة الحجم. وكذلك طحن البقدونس الصيني حتى صار مسحوقاً ناعماً. وقشر الروبيان وغسله في الحوض. بسط منشفة ورقية، ثم وضع عليها الروبيان في صفوف مرصوصة، وكأنها جنود مصطفة. عندما انتهى من سلق فول الصويا، قام بتجفيفه في مصفاة وتركه يبرد. وبعد ذلك قام بتسخين مقلاة كبيرة وقطّر فيها بعضاً من زيت السمسم ونشره في قاعها. ثم راح يقلي الزنجبيل المفروم على نار هادئة.

استغرق تنغو في التفكير مرة أخرى، **ليتني ألتقي أومامه الآن.** ولا يهم إن أصابتها خيبة أمل فيه أو أصابته هو خيبة أمل فيها. أصبح يريد أن يراها على أي حال. كان قصارى ما يريد معرفته هو أي حياة تعيشها منذ ذلك الحين، وفي أي مكان توجد الآن، وأي الأشياء

تُبهجها وأيها يُحزنها. لا يهم أي تَغير قد اعتراهما، ولا يهم إذا كانت فرصة التقائهما قد تبدَّدت فعلاً، فذلك لن يغير بأي حال حقيقة كونهما قد تبادلا منذ زمن طويل شيئاً مهماً في ذلك الصف الدراسي المهجور في المدرسة الابتدائية.

وضع شرائح الكرفس والفطر في المقلاة. وبينما كان يرفع لهب الغاز إلى أعلى درجاته ويرج المقلاة رجاً خفيفاً، أخذ يقلِّب المكونات بعناية مستخدماً ملعقة من الخيزران، ثم أضاف رشة ملح وفلفل. وعندما بدأ الخضار يُطهى، ألقى الروبيان المجفف في المقلاة. أضاف رشة أخرى من الملح والفلفل إلى الطبخة كلها، وصب كوباً صغيراً من شراب خمر الأرز. ثم أضاف بعض صلصة الصويا وأخيراً نثر البقدونس الصيني. قام تنغو بكل هذه الأشياء دون عناء أو تفكير. لم يكن إعداد هذا الصنف من الطعام يستلزم خطوات معقدة: كانت يداه تتحركان بدقة تلقائياً، لكن تفكيره ظلّ منصباً على أومامه طوال الوقت.

عندما أصبح الروبيان المقلي والخضار جاهزاً، نقل تنغو الطعام من المقلاة إلى طبق كبير مع فول الصويا. أخرج علبة جعة باردة من الثلاجة، وجلس إلى مائدة المطبخ، وإنْ ظلّ مستغرقاً في تفكيره، ثم شرع في تناول الطعام فيما يتصاعد منه البخار.

لا شك أنني قد تغيرت كثيراً خلال الأشهر القليلة الماضية. ربما يجوز القول إنني كبرت عقلياً وعاطفياً . . . أخيراً . . . وأنا على أعتاب الثلاثين. حسناً، ألا يبعث ذلك على الإعجاب! لكنه هزَّ رأسه ساخراً من نفسه، وهو يمسك بعلبة الجعة التي شرب بعضها. **حقاً، ألا يبعث ذلك على الإعجاب! كم سنة أحتاجها كي يكتمل نضجي بحسب هذا المعدل؟**

رغم ذلك، وعلى أي حال، بدا واضحاً أن 'الشرنقة الهوائية' كانت هي العامل المحفز للتغييرات الجارية في داخله. لقد أثارت عملية إعادته صياغة قصة فوكا-إري لديه رغبة قوية وجديدة كي يصوغ القصة التي بداخله هو نفسه في قالب أدبي. وكان احتياجه لأومامه جزءاً من هذه الرغبة القوية والجديدة. أصبح لديه الآن شيء يحمله على التفكير في أومامه طول الوقت. مع كل مناسبة، كان تفكيره يعود إلى ذلك الصف الدراسي في ظهيرة أحد الأيام قبل عشرين عاماً بالطريقة التي تجرف بها الأمواج القوية الرمال من تحت قدمي شخص يقف على الشاطئ.

شرب تنغو نصف علبة الجعة فقط وتناول نصف كمية الروبيان والخضار. ثم سكب ما تبقى من الجعة في الحوض، ونقل الطعام إلى طبق صغير، ثم غطاه بغطاء بلاستيكي، ووضعه داخل الثلاجة.

بعد الطعام، جلس تنغو إلى مكتبه، وقام بتشغيل معالج الكلمات وفتح الملف الذي انتهى من بعضه. وقال في نفسه، **حقاً، لا فائدة من إعادة كتابة الماضي تقريباً**. كانت صديقته التي تكبره سناً محقة في ذلك. ومهما كان الحماس أو الدقة التي ربما يحاول بها أن يعيد كتابة الماضي، فإن الظروف الراهنة التي تحيط به ستبقى دون تغيير عموماً. وللزمن قدرة على إبطال جميع التغييرات التي تنجم عن حيل إنسانية، وعلى تنقيح كل المراجعات الجديدة بمزيد من المراجعات، وإعادة التدفق إلى مساره الأصلي. ربما تتغير بعض الحقائق البسيطة، ولكن تنغو سيظلّ هو تنغو.

بدا أن ما يجب على تنغو عمله هو أن يلقي نظرة ثاقبة وصادقة على الماضي وهو يقف في مفترق طرق الحاضر. وعندئذٍ يمكنه أن

يخلق المستقبل، كما لو كان يعيد كتابة الماضي. وهذه هي الطريقة الوحيدة.

النذم والتوبة
يمزقان القلب الآثم إلى نصفين.
ربما تكون هذه الدموع لي
أما البلسم الحلو فهو لك
أيها المسيح الصالح.

كان ذلك هو المعنى الذي انطوت عليه الأغنية المأخوذة من «آلام المسيح برواية متى» التي أنشدتها فوكا-إري في اليوم السابق. ثارت لديه بعض الأسئلة حولها، فاستمع إلى التسجيل مرة أخرى في المنزل، وهو يبحث عن ترجمة الكلمات. كانت أغنية موجودة في بداية «الآلام» وتدور حول ما يسمى بالمسح بالطيب في «بيت عَنْيا». فعندما زار المسيح منزل رجلٍ أبرص في بلدة «بيت عَنْيا»، سكبت امرأة فوق رأسه قارورة «طيب عَبِق الرائحة وغالي الثمن». فوبخها التلاميذ الذين كانوا حوله لأنها أهدرت الطيب الثمين، قائلين إنه كان بوسعها أن تبيعه وتُعين الفقراء بالمال الذي بيع به. ولكن المسيح أسكت التلاميذ الغضبى قائلاً إن المرأة قد أتت عملاً حسناً. «فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني».

كانت المرأة تعرف أن المسيح سوف يموت قريباً. ولذلك، وكأنها كانت تغسّله بدموعها، فليس بأقل من أن تسكب على رأسه أثمن أنواع الطيب. وكان المسيح أيضاً يعرف أنه سيكون عليه أن يخوض طريق الموت قريباً، وقال لتلاميذه: «حيثما يُكرَّز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبَر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها».

لم يكن بوسع أحد منهما، بطبيعة الحال، أن يغير المستقبل.

أغمض تنغو عينيه مرة أخرى، وأخذ نفساً عميقاً، ووجد الكلمات التي كان يحتاجها ورتبها. ثم أعاد ترتيبها كي يضفي قدراً أكبر من الوضوح والدقة على الصورة. وأخيراً، حسَّن الإيقاع.

مثل فلاديمير هورويتز وهو يجلس أمام ثمانية وثمانين مفتاحاً جديداً، كان تنغو يثني أصابعه العشرة التي يعلقها في الهواء. وعندما أصبح مستعداً، بدأ في طباعة الأحرف لملء شاشة معالج الكلمات.

صوَّر عالماً به قمرين يتدليان جنباً إلى جنب في الجهة الشرقية من السماء ليلاً، والناس يعيشون في ذلك العالم، والزمن يتدفق خلاله.

«حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبَر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها».

الفصل الخامس

أومامه
القط النباتي يقابل فأراً

حالما استوعبت الحقيقة المجردة التي تقول إن أيومي قد ماتت، مرَّت أومامه بفترة قصيرة تخلَّلتها عملية تكيُّف نفسي. وفي النهاية، ومع انتهاء المرحلة الأولى من هذه العملية، بدأت في البكاء. كانت تبكي بصوت هادئ، بل وأحياناً بكاء مكتوماً، وهي تدفن وجهها بين راحتيها فيما كتفاها يرتعشان، وكأنما كانت تريد أن تضمن أنه لا أحد سواها في العالم يمكنه أن يجزم بأنها تبكي.

كانت ستائر النافذة مسدلة بإحكام، ومع ذلك، ربما يوجد مَن يراقبها. في تلك الليلة بسطت أومامه الصحيفة على مائدة المطبخ، وفي وجودها، أجهشت بالبكاء دون انقطاع. وكانت تُفلِت منها من حين لآخر نوبة نَشيج، ثم تعود وتبكي بكاء مكتوماً. جرت دموعها على يدها ومنها إلى الصحيفة.

لم تكن أومامه سهلة البكاء في هذا العالم. وحالما تنتابها رغبة في البكاء، كانت بدلاً من ذلك تغضب -إما من شخص آخر أو من نفسها- ما يعني أنها لا تذرف الدمع إلا نادراً. ومع ذلك، حالما تجري الدموع من عينيها، لم تكن تستطيع كفكفتها. ومنذ انتحار

تاماكي أوتسوكا لم تكن قد انتابتها نوبة بكاء بهذا الطول. تُرى كم سنة مضت على ذلك؟ لا تسعفها الذاكرة بذلك. وعلى أي حال، فقد مضى على ذلك زمن، وقد بكتها وقتئذٍ بكاءً طويلاً. تتابعت الأيام وهي على هذه الحال. لم تكن تقرب الطعام وظلت حبيسة المنزل لا تبرحه. وما بين حين وآخر ترتشف بعض الماء كي تعوِّض ما خرج منها دموعاً، ثم تنهار وتغفو. كان ذلك هو كل ما تفعله. أما بقية الوقت فتنخرط في البكاء. وكانت هذه هي آخر مرة تنتابها هذه الحالة.

لم يعد لأيومي وجود في هذا العالم. أصبحت الآن جثة باردة ربما يجري إرسالها إلى مشرحة الطب الشرعي. عندما ينتهون من ذلك، سوف يخيطون ظهرها، وربما يقيمون لها جنازة متواضعة، ثم يرسلونها إلى محرقة الجثث كي يحرقوها. سوف تصبح دخاناً، وترتفع إلى السماء، ثم تختلط بالغيوم. وبعدئذٍ سوف تنزل إلى الأرض مرة أخرى مع المطر، وتسقي رقعة عُشب مجهولة ثم تصبح نسياً منسياً. لكن أومامه لن ترى أيومي مرة أخرى أبداً. بدا ذلك اعوجاجاً وانحرافاً، ومخالفاً لتدفق الطبيعة، بل وينطوي على إجحاف رهيب.

كانت أيومي هي الشخص الوحيد الذي شعرت أومامه إزاءه بما يشبه الصداقة منذ غادرت تاماكي أوتسوكا العالم. ولكن للأسف كانت هناك حدود لصداقتها. أيومي كانت شرطية في الخدمة، أما أومامه فهي قاتلة محترفة. صحيح، أنها لم تكن تقتل إلا بدافع من ضمير وبموجب إدانة، ولكن في النهاية يظل القاتل قاتلاً، وفي نظر القانون مجرماً.

لهذا السبب، كان على أومامه أن تبذل جهدها كي تُقسِّي قلبها ولا تتجاوب مع مسعى أيومي لتعميق علاقتهما. لا بد أن أيومي قد

أدركت على نحو ما - أن أومامه تكتم سراً أو أسراراً شخصية تدفعها إلى جعل العلاقة بينهما أقل حميمية. كانت لدى أيومي قدرة حدس فائقة. وكان نصف صراحتها على الأقل نهجاً تداري خلفه ضعفاً وليناً وهشاشة. وهو أمر تدركه أومامه. ولعل موقف أومامه الاحترازي هذا قد أحزن أيومي، وأشعَرَها بأنها منبوذة وينأى عنها الآخرون. كان انشغالها بهذه الأفكار بمثابة إبرة تُغرَز في صدر أومامه.

وهكذا قُتلت أيومي. ربما قابلت رجلاً في المدينة، وشاركته الشراب، قبل أن تَصحَبه إلى الفندق. ثم، وفي غرفة مظلمة ومقفلة، بدأت بينهما لعبة جنس معقدة. أصفاد أو كمامة فم أو عصب عينين. كان بوسع أومامه أن تتخيل المشهد. شد الرجل حزام رداء الحمَّام حول عنق المرأة، وفيما كان يشاهدها وهي تتلوى من الألم، إذا باستثاراته تتصاعد حتى قذف. لكن الرجل شد الحزام بقوة مفرطة. وما كان يُفترض أن ينتهي عند الحدّ الفاصل لم ينتهِ.

لا بد أن أيومي كانت تخشى أن يكون هذا هو مصيرها. فهي تحتاج إلى نشاط جنسي مكثف وبوتيرة منتظمة. جسدها بحاجة إلى ذلك، وربما عقلها أيضاً. وكما أومامه، لم تكن ترغب في مرافقة عشيق دائم. لكن أيومي كانت تميل إلى الإيغال في ذلك أكثر ممّا تفعل أومامه. كانت تفضل الجنس الأشرس والأخطر، وربما كانت، لا شعورياً، تجد لذة في تعريض نفسها للإيذاء. أما أومامه فكانت مختلفة. فهي أكثر حذراً وترفض الإيذاء من أي أحد. وإذا حاول أحدهم شيئاً من هذا القبيل تقاومه بشراسة؛ أما أيومي فكانت أَمْيَل للتجاوب مع رغبات شريكها، أيّاً كانت، وتصبو إلى ما سوف يمنحها إياه في المقابل. كان نزوعاً خطراً من جانبها. فشركاؤها في الجنس

كانوا، في نهاية المطاف، غرباء عابرين. ومن المحال أن تكتشف ما ينطوون عليه من رغبات، وما يخبئونه من ميول، إلّا حالما تصبح في غمرة اللحظة الحاسمة. بالطبع، كانت أيومي نفسها تدرك خطورة ذلك، وهذا هو السبب الذي جعلها بحاجة إلى رفيقة دائمة مثل أومامه - حتى يمكنها أن تكبح جماحها وتعتني بها.

وبطريقتها الخاصة، كانت أومامه، أيضاً، تحتاج أيومي، التي تصادف أنها تمتلك سمات هي نفسها تفتقدها مثل الشخصية المنفتحة المرحة التي تؤنس مَن حولها وطريقتها الودودة وفضولها الطبيعي وإيجابيتها وموهبتها في تبادل الأحاديث المثيرة ونهديها الكبيرين اللافتين للانتباه. لم يكن على أومامه سوى أن تجلس قبالة أيومي مع رسمها ابتسامة غامضة على وجهها. وسوف يرغب الرجال في معرفة ما يكمن وراء تلك الابتسامة. وبهذا المعنى، كانت أومامه وأيومي يصنعان ثنائياً مثالياً - ماكينة جنس لا تُقهر.

قالت أومامه في نفسها، كان ينبغي أن أكون أكثر انفتاحاً وتجاوباً مع هذه الفتاة. كان ينبغي أن أبادلها وداً بودّ وأن أضمها بشدة بين ذراعيّ. هذا هو الشيء الوحيد الذي كانت ترجوه - أن تجد من يتقبّلها ويعانقها دون قيد أو شرط، وأن تجد من يُطيِّب خاطرها، ولو للحظة واحدة. ولكني لم أستطِع أن ألبي لها هذه الحاجة. نزوعي الغريزي للتحفظ كان لا يقاوم، وكذلك إصراري على إبقاء ذكرى تاماكي أوتسوكا طاهرة.

ولذلك خرجت أيومي وحدها ليلاً إلى المدينة، دون أومامه، كي تلاقي حتفها خنقاً حتى الموت، وتُكبَّل بأصفاد حقيقية من الصلب وذات ملمس بارد، وتُعصب عيناها، ويُحشى فمها بجوربيها أو بقطعة من ملابسها الداخلية. ها هو الشيء الذي كانت أيومي تخشاه دائماً

قد بات حقيقة واقعة. لو كانت أومامه قد تجاوبت معها بتلقائية أكبر، فربما لم تكن أيومي لتخرج في تلك الليلة. كانت سوف تتصل هاتفياً وتطلب من أومامه مرافقتها. وكانتا ستذهبان إلى مكان أكثر أمناً، وتطمئن كل منهما على الأخرى وهي بين ذراعي شريكها. ولكن ربما ترددت أيومي وخشيت أن تفرض نفسها على أومامه. لم يحدث أن بادرت أومامه بالاتصال بأيومي ولو مرة واحدة كي تقترح عليها الخروج.

كانت الساعة تقترب من الرابعة فجراً عندما وجدت أومامه أنها لم تعُد تحتمل البقاء وحدها في شقتها. انتعلت صندلها وخرجت، وراحت تمشي هائمة في الشوارع قبل طلوع الفجر، وهي لا ترتدي سوى سروال قصير وكنزة من دون أكمام. ناداها شخص ما، لكنها تابعت مشيها دون التفات. ظلت تمشي حتى أصابها العطش. وعندئذٍ توقفت أمام متجر يفتح أبوابه طوال الليل، واشترت علبة كبيرة من عصير البرتقال وشربتها في الحال. ثم عادت إلى شقتها كي تستأنف بكاءها. قالت في نفسها، **لقد أحببت أيومي، أكثر ممّا كنت أتصور. كان ينبغي أن أسمح لها بأن تلمس أي موضع تشاءه في جسدي، وبقدر ما تشاء من مرات.**

نشرت صحف اليوم التالي تقريراً آخر، تحت عنوان «مصرع شرطية خنقاً في فندق شيبويا». وأفاد التقرير أن رجال الشرطة يبذلون قصارى جهدهم للقبض على الرجلِ المتهم، وأن زملاء الضابطة تتملّكهم حيرة كبيرة. كانت أيومي صاحبة شخصية مرحة وتحظى بحب الجميع، وتمتلك حيوية وحساً بالمسؤولية ودائماً ما كانت تحقق درجات عالية في مهامها الشرطية. العديد من أقربائها، بما في ذلك

أبيها وأخيها، كانوا ضباط شرطة أيضاً، وتجمعهم روابط أسرية متينة. وقد تملَّكتهم جميعاً الحيرة بشأن الطريقة التي ماتت بها.

قالت أومامه في نفسها، **لا أحد منهم يعرف. ولكني أعرف. أيومي كانت تشعر بفراغ كبير داخلها، مثل بقعة صحراء عند حافة الأرض. مهما سقيتها، فإن الماء سوف يُمتص حتى يصل إلى قاع العالم، ولا يتبقى منه أي أثر للرطوبة. لكن لن تنشأ فيها أي حياة. وحتى الطيور لن تطير فوقها. ما الذي أوجد هذه الأرض القفر داخل أيومي، كان جواب ذلك عندها وحدها. بل لا، ربما حتى أيومي نفسها لم تكن تعرف السبب الحقيقي. ولكن لا بد أن أحد الأسباب الرئيسة هو تلك الرغبات الجنسية الشاذة التي كان الرجال المحيطون بأيومي يقهرونها عليها. وكما لو كانت تبني سياجاً حول الفراغ المميت الذي يسكنها من الداخل، كان عليها أن تجعل من نفسها تلك الشخصية المتفائلة التي أصبحت عليها. ولكنك عندما تقوم بإزالة الذات السطحية التي اتخذتها، لا تجد سوى هُوة سحيقة من العدم والعطش الشديد. ورغم أنها كانت تحاول أن تنساه، فقد كان الإحساس بالعدم يعاودها بشكل دوري - في أثناء ظهيرة ممطرة وهي وحدها، أو مع مطلع الفجر عندما تستفيق من كابوس. وكان ما تحتاجه في مثل هذه الأوقات هو أن يضمها أحدٌ ما إلى صدره، أيٌّ أحد.**

أخرجت أومامه مسدس هيكلر أند كوخ من صندوق أحذية، وقامت بتعبئة الخزنة بحركات متمرسة، ثم حررت مزلاج الأمان وسحبت الأجزاء، وأرسلت رصاصة إلى حجرة الإطلاق، ثم رفعت المطرقة، وصوبت المسدس على نقطة ما على الحائط وهي تمسكه بقوة بيديها كلتيهما. كانت ماسورة المسدس ثابتة تماماً. لم تعد يداها

ترتعشان. حبست أومامه أنفاسها، ودخلت في حالة من التركيز الكامل، ثم أخرجت نفساً طويلاً. وبعد أن وجهت المسدس إلى أسفل، أعادت ضبط مزلاج الأمان وقدَّرت وزن المسدس في يدها، وهي تحدق في لمعانه الباعث على الكآبة. لقد أصبح المسدس تقريباً جزءاً من جسدها.

قالت أومامه في نفسها، **يجب أن أكبح غضبي. حتى وإن كنت سأعاقب عمّ أيومي أو شقيقها، ينبغي ألا يعرفان بأيّ ذنب يعاقبان. وليس في وسعي الآن أن أفعل بهما شيئاً يمكن أن يعيد أيومي إلى الحياة. يا لتعسها، هذا الشيء كان لا بد أن يحدث عاجلاً أو آجلاً. أيومي كانت تمضي نحو دوامة مُهلكة ببطء ولكن بثبات. وحتى لو كنت أظهرتُ معها حميمية أكبر، فغالباً كانت هناك حدود لما قد يحققه ذلك. يجب أن أكف الآن عن البكاء. يجب أن أغير موقفي مرة أخرى. سوف يكون عليّ أن أقدِّم الالتزام بالقواعد على نفسي. هذا هو المهم، كما قال تامارو.**

في صباح اليوم الخامس من وفاة أيومي، رن جهاز النداء أخيراً. كانت أومامه في المطبخ، تعد قهوة وتستمع إلى الأخبار عبر المذياع. وكان جهاز النداء موضوعاً على مائدة المطبخ. رأت رقم الهاتف الذي ظهر على الشاشة الصغيرة. لم يكن رقماً تعرفه. ولكن لا بد أنه رسالة من تامارو. قصدت هاتفاً عمومياً قريباً وطلبت الرقم. ردّ تامارو بعد الرنة الثالثة.

سألها تامارو: «هل أنت جاهزة؟».

أجابت أومامه: «بالطبع».

«هذه هي رسالة السيدة: في الساعة السابعة من هذه الليلة في بهو

المبنى الرئيس لفندق أوكورا. ارتدي ملابس العمل كعادتك. آسف على فترة الإخطار القصيرة، ولكن هذا لم يتم ترتيبه إلّا في اللحظة الأخيرة».

أعادت أومامه كلامه بصورة تلقائية: «في الساعة السابعة من هذه الليلة في بهو المبنى الرئيس لفندق أوكورا».

قال تامارو: «أود أن أتمنى لك حظاً سعيداً، ولكن للأسف أمنيتي لك بالحظ السعيد لن تفيد».

«لأنك لا تؤمن بالحظ».

قال تامارو: «حتى وإن أردت أن أؤمن، فلا أدري كيف يكون ذلك. لم أره يوماً في حياتي».

«لا بأس، لستُ بحاجة إلى الأمنيات الطيبة. هناك شيء أودّ منك أن تؤديه لي بدلاً من ذلك. لدي نبات فيكس مطاط في وعاء بشقتي. أود أن تعتني به. لم أستطع حَمْل نفسي على رميه».

«سوف أعتني به».

«شكراً».

«الاعتناء بنبات الفيكس المطاط أسهل كثيراً من الاعتناء بقطة أو سمكة استوائية. أي خدمة أخرى؟».

«لا. ولكن تخلّص من كلّ ما سأخلفه ورائي».

«عند إتمامك المهمة، اذهبي إلى محطة شنجوكو واطلبي هذا الرقم مرة أخرى. وسوف أعطيك التعليمات التالية عندئذٍ».

أعادت أومامه: «عند إتمامي المهمة، سوف أذهب إلى محطة شنجوكو وأطلب هذا الرقم مرة أخرى».

«أظنك تدركين أن عليكِ ألّا تدوني رقم الهاتف. وعند مغادرة المنزل، كسِّري جهاز النداء وتخلصي منه في مكان ما».

«أدرك ذلك. سأفعل».

«لقد رتبنا كل شيء ولم نغفل أدق التفاصيل. لا تشغلي بالك بأيّ شيء. اتركي البقية علينا».

قالت أومامه: «لن أشغل بالي».

ظلّ تامارو صامتاً للحظة: «هل تريدين رأيي بصراحة؟».

«بالتأكيد».

«لا أريد أن أقول إن ما تفعلانه أنت والسيدة لا طائل منه، لا أريد قول ذلك حقاً. فهذا شأنكما، وليس شأني. ولكني أعتقد أنه عمل، على أقل تقدير، متهور. وليس له نهاية».

قالت أومامه: «ربما معك حق. ولكن فات الأوان».

«مثل الانهيارات الثلجية في فصل الربيع».

«ربما».

«ولكن الناس العقلاء لا يذهبون إلى بلد به انهيارات أرضية في موسم الانهيارات».

«العاقل لن يدخل معك في هذا الحوار».

كان على تامارو أن يقر بذلك: «قد تكونين محقة. وعلى أي حال، هل لك أي أقارب ينبغي الاتصال بهم إذا ما وقع انهيار أرضي؟».

«لا على الإطلاق».

«هل تقصدين أنه ليس لديك أي أقارب ، أو أن لديك ولكن لا تريدين».

«لدي أقارب، ولكن لا أريد».

قال تامارو: «حسناً. يفضل أن تسافري بأمتعة خفيفة. ربما يكون نبات الفيكس المطاط هو الأسرة المثالية».

«لقد جعلتني رؤية السمك الذهبي في منزل السيدة أرغب فجأة في اقتناء بعض السمك. سيكون لطيفاً أن يوجد حولي بعض السمك. إنها أسماك صغيرة وهادئة وليست لها غالباً مطالب كثيرة. ولذلك قصدت متجراً بالقرب من محطتي في اليوم التالي وأنا أفكر في شراء بعض السمك، ولكن عندما رأيت الأسماك فعلاً في الحوض، لم أعد أريدها نهائياً. بدلاً من ذلك، اشتريت نبات فيكس مطاط صغير وحزين، كان من بين آخر النباتات المتبقية لديهم».

«أستطيع القول إنك اخترت الاختيار الصحيح».

«ربما لن أستطيع أبداً شراء سمكة ذهبية. مطلقاً».

قال تامارو: «ربما لا. يمكنك أن تشتري نبات فيكس مطاط آخر».

أعقب ذلك صمت قصير.

قالت أومامه مرة أخرى للتأكيد: «في السابعة من هذه الليلة في بهو المبنى الرئيس لفندق أوكورا».

«اجلسي هناك فحسب. وهم سوف يجدونك».

«سوف يجدونني».

نظَّف تامارو حنجرته: «بالمناسبة، هل تعرفين قصة القط النباتي الذي قابل فأراً؟».

«لم أسمع بها من قبل».

«هل تودين أن أقصها عليك؟».

«جداً».

«قابل قطٌّ فأراً كبيراً في العِلية وطارده حتى حصره في الزاوية. قال الفأر وهو يرتعش: «أرجوك لا تأكلني يا سيد قِط. يجب علي أن

أعود إلى عائلتي. لدي أطفال جوعى في انتظاري. أرجوك اسمح لي بالذهاب». فقال القط: «لا تقلق، لن آكلك. وحتى أكون صريحاً معك، لا يمكنني قول ذلك بصوت عال، ولكني نباتي. لا آكل أي لحم. أنت محظوظ لأنك قابلتني». قال الفأر: «آه، يا له من يوم رائع! كم أنا فأر محظوظ لأني قابلت قطاً نباتياً!» ولكن لم تنقضِ ثانية على ذلك، حتى انقض القط على الفأر، وثبته أرضاً بمخالبه، ثم غرز أسنانه الحادة في حلق الفأر. ومع آخر أنفاسه المتحشرجة، سأله الفأر: «ولكن يا سيد قِط، ألم تقل إنك نباتي ولا تأكل اللحم؟ هل كنت تكذب عليّ؟» لعق القط لحم الفأر، وقال: «صحيح، أنا لا آكل اللحم. لم أكذب في ذلك. سوف أحملك بفمي إلى المنزل كي أقايضك بخس»».

فكرت أومامه في ذلك برهة ثم قالت: «ما هو المغزى؟».

«لا مغزى. خطرت لي القصة فجأة عندما كنا نتحدث عن الحظ. هذا كل ما في الأمر. يمكنك أن تتعلمي منها ما تشائين، بالطبع».

«يا لها من قصة مثيرة للشفقة».

«آه، وهناك شيء آخر. أنا متأكد أنهم سوف يفتشونك ويفتشون حقيبتك قبل السماح لك بالدخول. إنهم حذرون. الأفضل أن تضعي ذلك نصب عينيك».

«سوف أضعه نصب عينيّ».

قال تامارو: «حسناً، إذاً. دعينا نلتقي مرة أخرى في مكان ما».

رددت أومامه كلامه بصورة لا إرادية: «مرة أخرى في مكان ما».

أنهى تامارو الاتصال. نظرت أومامه إلى السماعة وقد اعتراها بعض العبوس ثم وضعتها. سجلت رقم الهاتف الذي ظهر على جهاز النداء في ذاكرتها، ثم حذفته. رددت أومامه بينها وبين نفسها، مرة

أخرى في مكان ما. ولكنها كانت تدرك أنها لن ترى تامارو غالباً مرة أخرى.

راحت أومامه تتصفح جريدة الصباح ولكنها لم تجد شيئاً عن مقتل أيومي. لعلّ ذلك كان يعني أن التحقيقات لم تتمخّض عن أي جديد. لا شك أن جميع المجلات الأسبوعية سوف تتقصى القضية من شتى جوانبها الغريبة. شرطية شابة في الخدمة تمارس ألعاباً جنسية مثل لعبة الأصفاد في أحد فنادق الحب في شيبويا وتتعرض للموت خنقاً وهي عارية تماماً. لم تكن أومامه ترغب في قراءة أي تقارير تسعى للإثارة. وقد تجنبت مشاهدة التلفزيون منذ وقوع الحادثة، لأنها لم تكن ترغب في الاستماع لبعض مذيعات الأخبار وهن يقرأن خبر موت أيومي بنبرات أصواتهن شديدة التصنع.

كانت بالطبع تتمنى إلقاء القبض على الجاني. لا بد أن ينال عقابه، مهما كان. ولكن أي فرق إن هو قبض عليه وحوكم، وكُشفت كل تفاصيل جريمة القتل؟ لن يرد ذلك أيومي إلى الحياة، هذا هو ما توقن به. وعلى أي حال، ستكون العقوبة مخففة. وربما تصنف الجريمة لا باعتبارها قتلاً عمداً وإنما قتلٌ خطأ، أي حادثة. وبالطبع، لا يمكن حتى لحكمٍ بالإعدام أن يعوضها عمّا جرى. طوت أومامه صفحات الجريدة، وأسندت ذراعيها إلى المائدة، ثم غطت وجهها بيديها مدة. فكرت في أيومي، ولكن دون دموع هذه المرة. أصبحت الآن غاضبة فحسب.

كان لا يزال يفصلها وقت طويل عن السابعة مساء ولكن ليس لديها ما تشغل نفسها به حتى ذلك الحين، ولا ما تعمله داخل النادي

الرياضي. بجسب تعليمات تامارو، كانت قد أودعت بالفعل حقيبة سفرها الصغيرة وحقيبة الكتف في خزانة بمحطة شنجوكو. كانت حقيبة سفرها تحتوي على رزمة من النقود وملابس تكفيها عدة أيام (بما في ذلك الملابس الداخلية والجوارب). كانت تقصد شنجوكو مرة كل ثلاثة أيام لإيداع المزيد من النقود والاطمئنان على سلامة المحتويات. لم تكن بحاجة إلى تنظيف شقتها، وحتى إن أرادت أن تطهو طعاماً، فقد كانت الثلاجة شبه خاوية. وعدا نبات الفيكس المطاط، لم يكن يوجد شيءٌ آخر تقريباً في الغرفة التي لا تزال رائحة الحياة تفوح منها. كانت قد تخلصت من كل ما قد ينبئ عن بياناتها الشخصية وأفرغت جميع الأدراج. **اعتباراً من الغد، لن أكون أنا أيضاً هنا. لن يبقى لي أي أثر.**

كانت الملابس التي سوف ترتديها هذا المساء مطوية بعناية ومرصوصة على السرير. وبجوارها وضعت حقيبة رياضية زرقاء توجد بداخلها مجموعة متكاملة من معدات التمديد. تفحَّصت محتويات الحقيبة مرة أخرى كي تطمئن: قميص علوي وبنطال وبساط يوجا، ومناشف كبيرة وأخرى صغيرة، وحاوية معدنية صغيرة تحتوي على كسارة الثلج المدببة. كانت الحقيبة تحوي كل شيء. أخرجت كسارة الثلج من الحاوية، وسحبت غطاء الفلين، ثم لمست السن كي تتأكد أنه لا يزال حاداً للغاية. وزيادة في التأكد، قامت بشحذه سريعاً على مِشحذها. تخيلت الإبرة وهي تنغرز دون صوت في تلك النقطة الخاصة من مؤخَّر عنق الرجل، وكأنما يتمّ امتصاصها نحو الداخل. كما هو معتاد، كل شيء ينبغي أن ينتهي في لحظة - لا صراخ ولا نزيف، مجرد تشنج لحظي. غرزت أومامه الإبرة مرة أخرى في غطاء الفلين، وبعناية أعادت كسارة الثلج إلى حاويتها.

وبعدئذٍ سحبت مسدس «هيكلر أند كوخ» وقد لُف في قميص تي شيرت ووُضِع في صندوق أحذية، وبحركات متمرسة، قامت بتعبئة خزنته بسبع رصاصات عيار 9 مم. وبصوت جاف، أرسلت خرطوشة إلى حجرة الإطلاق. حرَّرت مزلاج الأمان ثم ضبطته ثانيةً. لفَّت المسدس في منديل أبيض ووضعته في جراب من الفينيل. وخبَّأت الجراب في قطعة من ملابسها الداخلية.

والآن، هل يوجد أي شيء آخر يجب أن أفعله؟

لم يخطر ببالها أي شيء. وبينما كانت واقفة في المطبخ، أعدت أومامه قهوة بالماء المغلي. ثم جلست إلى المائدة، وراحت تشربها ومعها بعض الهلاليات.

قالت أومامه في نفسها، **ربما ستكون هذه هي مهمتي الأخيرة. ستكون أيضاً مهمتي الأهم والأصعب. فور انتهائي منها، لن يكون عليّ أن أقتل أي أحد آخر.**

لم يكن لدى أومامه اعتراض على فقدانها هويتها، بل على العكس، كانت ترحِّب بذلك. فهي لم تكن تشعر بألفة خاصة نحو اسمها أو وجهها، ولا تجد في ماضيها ما تأسف على خُسرانه. **العودة إلى نقطة البدء في حياتي: لعل ذلك هو الشيء الوحيد الذي أتوق إليه أكثر من أي شيء آخر.**

وما يبعث على الاستغراب، هو أنّ الشيء الوحيد الذي استشعرت أومامه أنها لا تودّ فقدانه هو ثدييها الضئيلين البائسين. فمنذ بلوغها الثانية عشرة، ترسَّخ لديها شعور بعدم الرضا عن شكل ثدييها وحجمهما. وكثيراً ما كانت تقول في نفسها إنها كانت ربما ستنعم بحياة أكثر صفاءً لو أن ثدييها كانا أكبر قليلاً. ولكن ها هي الآن، وقد

سنحت لها فرصة تكبيرهما (وهو اختيار جاء محمولاً على أكتاف الضرورة)، لم تعد تشعر بأدنى رغبة في هذا التغيير. أصبحت راضية بهما على حالهما، بل ورأتهما حقاً مناسبين تماماً.

تحسست ثدييها من خارج كِنزتها. كانا كما هما دائماً، يشبهان كتلتي عجين لم تختمرا -بسبب إخفاق في مزج المكونات بشكل سليم- ويختلفان اختلافاً طفيفاً في حجمهما. هزت رأسها. **ولكن لا بأس بهما. إنهما أنا.**

ما الذي سوف يتبقى مني غير هذين الثديين؟

بالطبع، سوف تبقى معي ذكرى تنغو. وسوف تبقى لمسة يده. سوف تبقى عاطفتي المرتجفة. سوف تبقى رغبتي في أن يضمني بين ذراعيه. وحتى إنْ اختلفت ملامحي تماماً، فليس لأحد أن ينتزع مني حبي لتنغو. هذا هو الفارق الكبير بيني وبين أيومي. أن قلبي ليس فارغاً. وهو ليس أرضاً مُقفرةً وعَطشى. فقلبي يسكنه حبٌّ ما. وسوف أظلّ للأبد مُحبة لذلك الفتى ذي السنوات العشر المدعو تنغو - أحب فيه قوته وذكاءه وعطفه. إنه ليس موجوداً هنا، معي، ولكن جسداً ليس موجوداً لا يمكن أن يموت أبداً، والوعود التي لا تُقطع لا تُخلَف أبداً.

لم يكن تنغو ذو الثلاثين سنة الموجود بداخل أومامه هو تنغو الحقيقي. ويمكن القول إن تنغو ذلك لم يكن سوى افتراض تشكل كلياً داخل عقل أومامه. كان تنغو لا يزال يحتفظ بقوته وذكائه وعطفه، والآن أصبح رجلاً بالغاً وله ذراعان مفتولان ومنكبان عريضان وعضو ذكري كبير وقوي. يمكنه أن يكون بجوارها في أي وقت تريده، يضمها بشدة، ويمسِّد شعرها بيده، ويُقبلها. كان الصف الذي يضمهما معتماً دائماً، ولم يكن بوسع أومامه أن تراه. كل ما تتبينه عيناها هما

عيناه. وحتى وسط الظلام، كان بوسعها أن ترى عينيه الدافئتين، وتنظر فيهما فترى العالم كما كان يراه.

كانت حاجة أومامه الجارفة لمضاجعة الرجال تعاودها ما بين فينة وأخرى، ربما، بسبب رغبتها في الحفاظ على تنغو الذي ترعرع داخلها طاهراً لا تشوبه شائبة قدر استطاعتها. كانت قطعاً ترجو من انخراطها في ممارسة نوبات الجنس المحموم مع الغرباء أن تحرر جسدها من أغلال الرغبة التي تكبله. كانت تريد أن تقضي بعض الوقت وحدها مع تنغو في ذلك العالم الهادئ الساكن الذي يغمرها بعد تحرير جسدها، والذي لا يضم سواهما، دون أن يزعجهما شيء. كان ذلك حتماً هو ما تريده أومامه.

أمضت أومامه عدة ساعات بعد ظهيرة ذلك اليوم تفكر في تنغو. جلست على الكرسي الموجود في شرفتها الضيقة، وراحت تنظر في السماء، وتستمع إلى أزيز السيارات أثناء مرورها، فيما تمسك من حين إلى آخر بورقة من نبات الفيكس المطاط الضئيل البائس بين أصابعها وهي تفكر فيه. لم يكن القمر قد ظهر بعد في سماء ما بعد الظهيرة. لن يحدث ذلك إلا بعد مُضي بضع ساعات. تساءلت أومامه، **تُرى أين سأكون في مثل هذا الوقت غداً؟ لا أدري. ولكنها مسألة ثانوية إذا ما قورنت بحقيقة أن تنغو موجود في هذا العالم.**

سقت أومامه نبات الفيكس المطاط للمرة الأخيرة، ثم وضعت مقطوعة **سينفونييتا** ياناتشيك في مُشغل الأسطوانات. كانت الأسطوانة الوحيدة التي احتفظت بها بعد تخلصها من جميع الأسطوانات الأخرى. أغمضت عينيها، وراحت تستمع إلى الموسيقى، وتتخيل النسيم يهب عبر سهول بوهيميا. كم سيكون رائعاً أن أمشي مع تنغو

في مثل هذا المكان! بالطبع، سوف يمسكان بيد أحدهما الآخر. وسوف يهب النسيم، فيميل معه العشب الأخضر الناعم دون أن يُحدث صوتاً. يمكن لأومامه أن تستشعر الدفء الذي ينبعث من يد تنغو في يدها. سوف يتلاشى المشهد تدريجياً كما لو كان نهاية سعيدة لفيلم سينمائي.

بعدئذٍ أوَت أومامه إلى فراشها وهجعت ثلاثين دقيقة، وتكورت على نفسها في السرير. لم تحلم. كان نوماً لا يستدعي أي أحلام. عندما استيقظت، كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة والنصف. مستعينة بما تبقى من طعام في الثلاجة، أعدت لنفسها لحماً وبيضاً. شربت عصير البرتقال مباشرة من علبته. كان الصمت الذي أعقب إغفاءتها صمتاً ثقيلاً على نحو يثير الاستغراب. حوَّلت مؤشر موجات الـ أف أم في المذياع فوجدت عزفاً لآلات النفخ الخشبية في كونشرتو فيفالدي. كان صوت الناي به رعشة تشبه زقزقة طائر صغير. بدت الموسيقى لأومامه وكأنها تؤكِّد زيف واقعها الراهن.

بعد رفعها الأطباق من فوق المائدة، تحممت أومامه وبدَّلت ملابسها لترتدي الثياب التي جهزتها منذ أسابيع لهذا اليوم - ملابس بسيطة تساعد في سهولة الحركة: بنطال قطني أزرق فاتح وبلوزة بيضاء لا زركشة فيها وأكمامها قصيرة. عقصت شعرها وثبتته بمشط. لم تستخدم أي اكسسوارات للزينة. وبدلاً من وضع الملابس التي كانت ترتديها في السلة، قامت بحشوها في كيس قمامة أسود كيما يتخلص منها تامارو. قلَّمت أظافرها ونظفت أسنانها جيداً. نظفت أذنيها أيضاً. ثم زجَّجت حاجبيها، ووضعت طبقة رقيقة من الكريم على وجهها، ثم رشَّت قدراً ضئيلاً من الكولونيا على مؤخَّر رقبتها. تمعنت في تفاصيل وجهها من كل زاوية في المرآة كي تتأكد أن كل شيء على

ما يرام، وبعدئذٍ، التقطت حقيبة رياضية من الفينيل وعليها شعار «نايكي»، ثم غادرت الغرفة.

وبينما هي واقفة بإزاء باب شقتها، استدارت كي تلقي نظرة وداع أخيرة، وهي تدرك أنها لن تعود أبداً. وبسبب هذا التفكير، بدت الشقة لها رثة بشكل لا يصدق، وكأنها سجن لا يقفل إلا من داخله، وقد جُردت من أي لوحة أو مزهرية. الشيء الوحيد الذي بقي هو نبات الفيكس المطاط رخيص الثمن الموجود في الشرفة، الذي اشترته أومامه بدلاً من السمك الذهبي. تكاد لا تصدق أنها أمضت سنوات من حياتها داخل هذا المكان دون أن تسأل سؤالاً أو تبدي استياء.

تمتمت «وداعاً»، ولم يكن وداعها للشقة بقدر ما كان لذاتها التي عاشت هنا.

الفصل السادس

تنغو
لدينا أذرع طويلة للغاية

لم يطرأ على الموقف سوى تطورات طفيفة خلال فترة من الزمن. لم يتصل أحد بتنغو. ولم تَرده رسائل من كوماتسو أو البروفيسور إبيسونو أو فوكا-إري. لا بد أنهم جميعاً قد نسوه وصعدوا إلى سطح القمر. إنْ صح ذلك، فلن يضار تنغو في شيء، ولكن الأمور لا يمكن أن تسير على هذا النحو المريح له. لا، فهم لم يصعدوا إلى سطح القمر. كل ما هنالك هو أنهم كان لديهم أشياء كثيرة ظلت تشغلهم عنه يوماً وراء يوم، ولم يكن لديهم الوقت أو الاهتمام حتى يبلغوا تنغو بما يفعلون.

كان تنغو حريصاً على مطالعة الصحف كل يوم، وذلك بحسب تعليمات كوماتسو، لكن الصحف -وعلى الأقل تلك الصحيفة التي كان يطالعها- لم تورد أي شيء إضافي عن فوكا-إري. كانت الصحف تسعى بهمة لاستقصاء الأحداث التي جرت بالفعل، ولكنها تتخذ موقفاً سلبياً نسبياً إزاء الأحداث التي لا تزال جارية. وهكذا، فربما كانت تحمل رسالة ضمنية مفادها، «لا توجد أحداث كثيرة تجري الآن». ولأن تنغو نفسه لم يكن لديه جهاز تلفزيون، فقد ظلّ لا يدري شيئاً عن تناول نشرات الأخبار التلفزيونية للقضية.

أما المجلات الأسبوعية، فجميعها تقريباً غطّت القضية. ليس معنى ذلك أن تنغو قد قرأها بالفعل. فقد كان يكتفي بمطالعة الإعلانات التي تُنشر داخل الصحيفة عن محتوى المجلات وعناوينها الرئيسة المثيرة مثل: «الحقيقة وراء الاختفاء الغامض للفتاة الجميلة المراهقة صاحبة الرواية الأكثر مبيعاً»، «فوكا-إري مؤلفة ’الشرنقة الهوائية‘ (17 سنة): أين اختفت؟» «الملابسات الخفية وراء هروب المؤلفة الجميلة المراهقة». بل لقد تضمنت العديد من الإعلانات صورة فوكا-إري، الصورة نفسها التي اُلتقطت لها في المؤتمر الصحفي. لم يكن تنغو، بطبيعة الحال، لا يكترث بما تقوله هذه التقارير، ولكنه لم يكن مستعداً لأن ينفق المال الذي يتطلبه شراء مجموعة كاملة من المجلات الأسبوعية. وكان كوماتسو غالباً سوف يبلغه في حال وجد أي شيء يثير قلقه. كان انعدام الاتصال يعني أنه لا توجد، في الوقت الحالي، أي تطورات جديدة. وبعبارة أخرى، لم يكن الناس قد أدركوا بعد أن ’الشرنقة الهوائية‘ (ربما) هي عمل أنتجه كاتبٌ مجهول.

بناء على العناوين، فقد انصب تركيز وسائل الإعلام على هوية والد فوكا-إري باعتباره كان ناشطاً راديكالياً مشهوراً ذات يوم، وكذلك على حقيقة كونها قد عاشت طفولة معزولة داخل كومونة على تلال ياماناشي، وعلى ولي أمرها الحالي، البروفيسور إبيسونو (مفكر معروف سابقاً). ورغم أن مكان وجود المؤلفة الجميلة المثيرة للغموض والتي لا تزال في سن المراهقة ظل لغزاً، فقد بقيت ’الشرنقة الهوائية‘ ضمن قائمة أفضل الكتب مبيعاً. وكانت مثل هذه الأسئلة كفيلة بإثارة الاهتمام لدى الناس.

ولكن إذا تبين أن اختفاء فوكا-إري سوف يتواصل، فربما تنطلق

التحقيقات في غضون وقت قصير نحو البحث في جوانب أوسع. وعندئذٍ ربما تتعقد الأمور. وإذا قرر أحدهم أن يتحرى حول تعليم فوكا-إري، مثلاً، فقد يكتشف أنها تعاني متلازمة عسر القراءة، وربما لذلك السبب، لم تذهب إلى المدرسة على الإطلاق تقريباً. وربما تظهر للعلن درجاتها في اللغة اليابانية أو مواضيع الإنشاء (بافتراض أنها كتبت أي شيء)، وذلك قد يفضي بطبيعة الحال إلى طرح سؤال مفاده كيف لفتاة لديها عُسر قراءة أن تنتج هذا النثر البديع. وعند تلك النقطة، لم يكن الأمر يحتاج عبقرية كي يفترض الناس أن أحداً ما قد ساعدها.

سوف تتجه هذه الشكوك إلى كوماتسو أولاً. فهو المحرر المسؤول عن القصة وهو مَن أشرف على كل ما يخص عملية نشرها. وبالقطع، سوف يُصر كوماتسو على أنه لا يعرف شيئاً عن هذه المسألة. وبنظرة من اللامبالاة، سوف يؤكد أن دوره الوحيد تمثَّل في إحالة مخطوطة المؤلف إلى لجنة التحكيم، وأنه لا صلة له بعملية التأليف. كان كوماتسو يجيد الحفاظ على ملامح صارمة فيما يقول أشياء لا يصدِّقها هو نفسه، وإن كانت هذه مهارة يتقنها على نحو ما جميع المحررين المخضرمين. ولن يكاد ينكر أي علم له بعملية الخداع التي جرت، حتى يهاتف تنغو ويقول له بأداء مسرحي: «مرحباً، يا تنغو: لقد وقع المحذور». وكأنما هو نفسه يستلذ بهذه الورطة.

ولعله كان كذلك. كان تنغو يشعر أحياناً أن كوماتسو لديه رغبة ما في تدمير ذاته. ولعله في قرارة نفسه كان يتمنى أن تُفتضح الخطة كلها، وأن تنجم عنها فضيحة كبيرة ومدوية، وأن ينفجر جميع الأطراف ذوي الصلة في السماء. ولكن كوماتسو، وفي الوقت نفسه،

يمكنه أن يكون شخصاً عملياً وعنيداً. والأرجح أنه سوف ينحي رغبته جانباً بدلاً من أن يبحر بجنون نحو الهاوية.

كان كوماتسو غالباً يُلم بشتى أبعاد المسألة ومهما حدث، فعلى الأقل سوف ينجو. أما كيف سيتعامل مع المسألة في هذه الجزئية، فهذا ما لم يكن تنغو يعرفه، لكن كوماتسو على الأرجح لديه أساليبه الذكية التي تتيح له الاستفادة من أي شيء، سواء كانت فضيحة أو حتى دماراً شاملاً. كان شخصاً محنكاً ولم يكن يستطيع أن يوجه انتقاداً للبروفيسور إبيسونو في هذا الجانب. ولكن تنغو قال لنفسه ببعض الثقة أن كوماتسو سوف يهاتفه حتماً إذا بدأت غيوم الشك تظهر في الأفق حول هوية مؤلف 'الشرنقة الهوائية'. حتى الآن، كان تنغو مجرد أداة مطواعة وفعالة في يد كوماتسو، ولكنه الآن أصبح أيضاً بمثابة عَقِب أخيل لدى كوماتسو. إذا كان لتنغو أن يكشف جميع الحقائق، والتي يمكنها أن تضع كوماتسو في مأزق، فإن كوماتسو لا يمكنه أن يتجاهله. لم يكن تنغو أمامه سوى أن ينتظر مكالمة كوماتسو، وطالما أنها لم تأتِ، فهذا يعني أن «المحذور» لم «يقع».

كان تنغو أشد انشغالاً بما قد يكون من البروفيسور إبيسونو في هذه اللحظة. لا شك أنه كان يؤثر في تطور الأحداث مع الشرطة، ويلح عليهم بإمكانية أن يكون تنظيم ساكي جاكه ضالعاً في عملية اختفاء فوكا-إري، ويستغل الحادثة لكسر الحلقة المقفلة حول التنظيم الديني. ولكن هل كانت الشرطة تتحرك في هذا الاتجاه؟ نعم، ربما كانوا كذلك. فوسائل الإعلام كانت غاضبة للغاية من الصلة بين فوكا-إري وساكي جاكه. إذا لم تفعل الشرطة شيئاً وظهرت حقائق مهمة لاحقاً، فسوف تتعرض للانتقاد على فشلها في التحقيق. ولكن على أي حال، فإن تحقيقاتهم سوف تجري من وراء الكواليس، ما يعني أنه

لن يكون بالإمكان استخلاص معلومات جديدة مهمة من المجلات الأسبوعية أو نشرات الأخبار التلفزيونية.

وذات يوم وبينما كان عائداً الى منزله من المدرسة التأهيلية، وجد تنغو مظروفاً سميكاً تمّ حشره في صندوق بريده في المدخل الأمامي للمبنى الذي يضم شقته. كان يحمل اسم كوماتسو باعتباره المرسِل، وشعار دار النشر، وستة أختام بريدية للتسليم الخاص. عندما دخل تنغو إلى شقته، فتح المظروف فوجد نسخاً من جميع المقالات الأخيرة التي تناولت قصة 'الشرنقة الهوائية' ورسالة من كوماتسو. استغرق تنغو وقتاً كي يقرأ خط كوماتسو الرديء.

تنغو —

لم تحدث أي تطورات كبيرة حتى الآن. ولم يعثروا على فوكا-إري بعد. المجلات الأسبوعية والتقارير التلفزيونية تصرف تركيزها بالأساس إلى موضوع مولدها ونشأتها، ولحسن الحظ فالضرر لم يبلغنا. أما القصة فلا تزال تحقق المزيد من المبيعات، ولكن هل ذلك مدعاة للاحتفال أو عدم الاحتفال، هذا ما يصعب علي قوله. ومع ذلك، فالشركة سعيدة للغاية، وقد منحني المدير شهادة تقدير ومكافأة نقدية. لقد عملت مع هذا الناشر لأكثر من عشرين عاماً، ولكن هذه هي المرة الأولى التي يتلفظ فيها بكلمة طيبة عني. وهو ما يجعلني نوعاً ما راغباً في رؤية وجوههم إذا ما اكتشفوا الحقيقة.

أرفق لك طيّ هذه الرسالة نسخة من المراجعات ومقالات أخرى ذات صلة بـ'الشرنقة الهوائية'. اطَّلِع عليها

عندما تسنح لك الفرصة. أعتقد أن بعضها سوف يثير اهتماماً خاصاً لديك، وقليلاً منها سوف يضحكك - هذا إذا كنت في مزاج يسمح بالضحك، إن شئت الدقة.

لقد طلبتُ من أحد معارفي أن يلقي نظرة على مؤسسة اليابان الجديد للنهوض بالمنح الدراسية والفنون التي تحدثنا عنها. لقد تأسست قبل بضع سنوات، وحصلت على اعتماد الحكومة، وهي تعمل الآن بهمة ونشاط. لديها مقر وترفع تقاريرها المالية السنوية. وتقدم منحاً لعدد من العلماء والكتاب كل سنة - أو هكذا يزعمون. مصدري لا يمكنه أن يحدد مِن أين لهم المال، وهو يرى أن المسألة برمتها مريبة. ربما تكون واجهة تم تأسيسها لشطب الضرائب. وإجراء تحقيق مفصل قد يكشف المزيد من المعلومات، ولكن ليس لدينا الوقت أو الجهد الذي نخصصه لذلك. وكما قلت لك في آخر مرة تحدثنا، أنا لست مقتنعاً تماماً بأن جهة مثل هذه تريد أن تقدم ثلاثة ملايين ين لكاتب مغمور مثلك. هناك شيء ما يدور من وراء الكواليس، ولا يمكننا أن نستبعد احتمالية أن ساكي جاكه له صلة بذلك. إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أنهم قد اكتشفوا صلتك بـ 'الشرنقة الهوائية'. وعلى أي حال، فمن المنطقي ألا تربطك أي علاقة بتلك المؤسسة.

أعاد تنغو رسالة كوماتسو إلى المظروف. ما الذي جعل كوماتسو يكلف نفسه عناء كتابة الرسالة؟ قد يكون الأمر ببساطة هو أنه طالما سيرسل المراجعات، فلا ضير أن يرفق معها رسالة، ولكن هذه ليست

طبيعة كوماتسو. لو كان لديه ما يودّ قوله لتنغو، لكان قد فعل ذلك عبر الهاتف كعادته. فمثل هذه الرسالة يمكن أن تكون دليلاً في المستقبل. لا يمكن أن يكون كوماتسو الحذر لم يفكر في ذلك. أو ربما يكون قلق كوماتسو حيال وجود دليل أقل من قلقه حيال تعرض مكالماته الهاتفية للتنصت.

نظر تنغو إلى هاتفه. تنصت؟ لم يخطر له مطلقاً أن أحداً يمكن أن يتنصت على هاتفه. رغم ذلك، وبحسب ما تسعفه الذاكرة، فإن أحداً لم يتصل به خلال الأسبوع الماضي. ربما بات معروفاً أن هذا الهاتف خاضعٌ للمراقبة. إنه حتى لم يتلقَّ أي اتصال من صديقته التي تكبره سناً، والتي تستهويها الأحاديث عبر الهاتف. وهو أمر مُستغرَب تماماً.

لكن الأغرب هو أنها لم تأتِ إلى شقته الجمعة الماضية. كانت تهاتفه دائماً إذا ما حال بينها وبين زيارته حائل قائلة، إن ولدها عاد إلى البيت من المدرسة محموماً، أو أن الحيض قد جاءها بغتة. رغم ذلك، لم تتصل به في تلك الجمعة؛ لم تأتِ فحسب. وكان تنغو قد أعدّ غداءً بسيطاً لهما متوقعاً مجيئها، ولكن انتهى به الأمر أن أمضى النهار وحيداً. ربما أعاقها طارئ ما، ولكن لم يكن طبيعياً ألّا يأتيه منها ولو خبر بسيط. وفي الوقت ذاته، لم يكن يستطيع أن يهاتفها هو من ناحيته.

انصرف تنغو عن التفكير في صديقته والهاتف معاً. جلس إلى مائدة المطبخ كي يقرأ مراجعات القصة حسب ترتيبها. كانت قد رُتبت بحسب توقيت نشرها، حيث كتب في الزواية اليسرى بقلم جاف عنوان الصحيفة أو المجلة وتاريخ النشر. لا بد أن كوماتسو قد كلف

مساعِدته التي تعمل بدوام جزئي أن تعدها له؛ فهو ليس بالشخص الذي يتجشّم عناء هذا العمل الشاق. معظم المراجعات كانت إيجابية الطابع. وأشاد العديد من الكتاب بعمق القصة وجرأتها وأقرّوا بدقة الأسلوب، وذهب بعضهم إلى أنه «لا يتصور» أن فتاة في السابعة عشرة هي من كتبت ذلك العمل.

قال تنغو في نفسه، **تخمين لا بأس به.**

ووصف مقالٌ المؤلفة بأنها «فرانسواز ساغان التي استوعبت أجواء الواقعية السحرية». وقد بدا أن هذا المقال، ورغم الغموض والتحفظات التي امتلأ بها، يمتدح العمل عموماً.

وبدا أن عدداً غير قليل من الكتاب حائرون -أو ببساطة مترددون- فيما يخص معنى الشرنقة الهوائية والناس الصغار. واختتم كاتبٌ مقالته بالقول: «كقصة، فقد وُلِّفت أحداثها بطريقة شائقة للغاية تشد انتباه القارئ حتى النهاية، ولكن عندما نأتي إلى سؤال ما هي «الشرنقة الهوائية»؟ أو مَن هم الناس الصغار؟ نجد أنفسنا إزاء سيل من علامات الاستفهام المُلغزة. ربما كان ذلك مقصوداً من المؤلفة، ولكن قراءً كثيرين سوف يرون هذا النوع من عدم الوضوح على الأرجح دليلاً على «كسل المؤلفة». ربما يكون ذلك مقبولاً في العمل الأول، لكن إذا كانت المؤلفة تنوي مواصلة مسار مهني ممتدّ في عالم الكتابة، فعليها أن تفسر هذا الغموض المتعمَّد في المستقبل القريب».

هزّ تنغو رأسه في حيرة. إذا نجح مؤلف في كتابة قصة «وُلِّفت أحداثها بطريقة شائقة للغاية» و«تشد انتباه القارئ حتى النهاية»، مَن يمكنه يا ترى أن يصف هذا الكاتب بأنه «كسول»؟

لكن تنغو، وبكل صدق، لم يكن لديه رأي محدد يقوله عن ذلك. ربما كان مخطئاً في رأيه بشأن هذه المسألة، وكان الناقد

محققاً. لقد انغمس بشدة في 'الشرنقة الهوائية' في أثناء إعادة صياغتها ولا يمكنه عملياً أن يحافظ على أي قدر من الموضوعية. أصبح الآن يرى الشرنقة الهوائية والناس الصغار باعتبارهما أشياء موجودة داخل نفسه. وهو لا يستطيع حتى القول بصدق إنه يعرف معناهما. كما أن ذلك لا يمثل لديه أهمية كبيرة. العبرة هنا هي بما إذا كان للمرء أن يتقبل أو لا يتقبل وجودهما كحقيقة، وقد استطاع تنغو أن يتقبلها بسهولة بالغة، وذلك على وجه التحديد هو ما جعل تنغو قادراً على الانغماس بقلبه وروحه في إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'. ولولا أنه استطاع أن يتقبل القصة بما هي عليه، لما كان له أن يشارك مطلقاً في هذا الاحتيال، حتى ولو أُغري بالمال الوفير أو تَعرَّض للتهديد.

رغم ذلك، فإن قراءة تنغو للقصة كانت قراءته هو وحده. لم يكن يسعه إلّا أن يشعر ببعض التعاطف نحو هؤلاء الرجال والنساء المصدقين ممّن «وجدوا أنفسهم وسط بِركة من علامات الاستفهام الغامضة» بعد قراءتهم 'الشرنقة الهوائية'. تصور مجموعة من الناس وقد علت وجوههم علامات الفزع وهم يمسكون بأطواق سباحة ملونة فيما ينجرفون دون هدف في بركة ماء كبيرة ملأى بعلامات الاستفهام. وفي السماء فوقهم كانت تشرق شمس ليست حقيقية على الإطلاق. شعر تنغو ببعض المسؤولية لأنه قد فرض مثل هذا الوضع على الجمهور.

وقال تنغو في نفسه، ولكن مَن يا تُرى يمكنه أن ينقذ كلّ سكان العالم؟ حتى لو اجتمعت كل آلهة العالم على صعيدٍ واحد، فلن يكون بوسعهم إزالة الأسلحة النووية أو استئصال الإرهاب. ولن يمكنهم محاربة الجفاف الذي يضرب أفريقيا أو إعادة جون لينون للحياة. بل على العكس - سوف تفترق الآلهة إلى فرقٍ ويندلع بينها

القتال، وسوف يصبح العالم غالباً أكثر فوضى مما هو عليه الآن. وإذا نظرنا إلى الإحساس بالعجز الذي ينجم عن مثل هذا الوضع، فإن إلقاء الناس وسط بِركة من علامات الاستفهام الملغزة يبدو ذنباً هيّناً.

قرأ تنغو ما يقارب نصف المراجعات التي أرسلها له كوماتسو حول 'الشرنقة الهوائية' قبل حشرها مرة أخرى داخل المظروف. كان بوسعه أن يتصور جيداً كيف هي بقية المراجعات. كقصة، أبهرت 'الشرنقة الهوائية' أناساً كثيرين. فقد أبهرت تنغو وكوماتسو والبروفيسور إبيسونو وعدداً هائلاً من القراء. ماذا غير ذلك ينبغي أن تفعل؟

رن جرس الهاتف بُعيد التاسعة مساء في ليلة الثلاثاء. كان تنغو يطالع كتاباً على أنغام الموسيقى. كان هذا هو وقته المفضل للقراءة خلال اليوم، حينما يقرأ ما يحلو له قبل أن يأوي إلى فراشه. وعندما يتعب من القراءة، كان يخلد إلى النوم.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها رنين الهاتف منذ مدة، واستشعر فيه نذير سوء. هذه ليست مكالمة من كوماتسو. كانت رنة الهاتف تبدو مغايرة عندما تكون المكالمة آتية من كوماتسو. تردَّد تنغو، وتساءل عمّا إذا كان عليه أن يرد من الأصل. تركه يرن خمس مرات. وعندئذٍ رفع الإبرة من أخدود الأسطوانة ثم رفع السماعة. ربما تكون صديقته.

«السيد كاوانا؟» سأله رجل. كان الصوت لرجل يبدو في منتصف عمره، وجاء صوته ناعماً وعميقاً. لم يتعرف تنغو على صاحب الصوت.

«نعم»، قال تنغو بحذر.

«أرجو المعذرة على الاتصال في هذا الوقت المتأخر من الليل. اسمي ياسودا»، قال الرجل بصوت محايد، لا هو ودي ولا عدائي، ولا عملي ولا حميمي.

ياسودا؟ كان الاسم من الأسماء العادية، لكن ذاكرته لا تسعفه بأيّ ياسودا التقاه من قبل.

قال الرجل: «أنا أكلمك لكي أوصل لك رسالة». وعندئذٍ صمت قليلاً، فيما يشبه تقريباً مَن يضع علامة تفصل بين صفحات كتاب. «زوجتي لن يمكنها أن تزورك في منزلك بعد اليوم، على ما أعتقد. هذا هو كل ما أريد قوله لك».

ياسودا! كان ذلك هو اسم صديقته. كيوكو ياسودا. لم يحدث أن اُضطرت قطّ لأن تتلفظ باسمها وهي في حضرة تنغو، ولذلك تأخر في التنبه للاسم. كان الرجل الموجود على الهاتف هو زوج كيوكو. شعر تنغو وكأن شيئاً قد علِق في حنجرته.

سأله الرجل وقد خلا صوته تماماً من أي عاطفة - أو من أي شيء يمكن لتنغو أن يسمعه. «هل أوضحت نفسي بما يكفي؟» تحدَّث بلكنة خفيفة، ربما يكون من هيروشيما أو كيوشو. لا يمكن لتنغو أن يجزم بذلك.

أعاد تنغو كلماته، «لن يمكنها أن تزورني».

«نعم، لم يعد بوسعها أن تزورك».

استجمع تنغو شجاعته كي يسأله: «هل أصابها شيء؟».

ساد صمت. تدلى سؤال تنغو في الهواء، دون جواب. وبعدئذٍ قال الرجل، «ما أود قوله لك، يا سيد كاوانا، هو أنك لن ترى زوجتي غالباً مرة أخرى. هذا ما كنت أود أن أخبرك به فحسب».

كان الرجل يعرف أن تنغو يضاجع زوجته. مرة في الأسبوع. على مدى سنة. كان بوسع تنغو أن يجزم بأنه يعرف. ولكن صوت الرجل كان خالياً من أي أثر للغضب أو الاستياء بشكل يبعث على الاستغراب. كان يكتنفه شيء آخر، ليست عاطفة شخصية بقدر ما هي مشهد موضوعي: بستان مهجور طالَ عشبه، أو مجرى نهر جفَّ بعد فيضان كبير - مشهد من هذا القبيل.

«لا أدري على وجه التأكيد ما الذي تحاول أن ـــــ».

قال الرجل، قبل أن يكمل تنغو جملته: «إذاً دعنا نكتفي بهذا القدر». بدا أثر التعب على صوته. «هناك شيء واحد يجب أن يكون واضحاً تماماً لديك. زوجتي ضاعت إلى غير رجعة. لم تعد قادرة على المجيء إلى منزلك في أي شكل من الأشكال. هذا ما أود قوله».

أعاد تنغو قوله: «ضاعت إلى غير رجعة».

«لم أكن أريد إجراء هذه المكالمة، يا سيد كاوانا. ولكن لو كنتُ تجاهلتها ولم أقل لك شيئاً، لما استطعت النوم هذه الليلة. أتظنني أحب الدخول في مثل هذا الحوار؟».

لم تأته أيّ أصوات من أي نوع من ناحية الرجل عندما توقف عن الكلام. يبدو أنه كان يُجري الاتصال من مكان هادئ تماماً. إما أنه كان كذلك أو أن العاطفة التي بداخله كانت بمثابة فراغ، يمتص كل الموجات الصوتية في المنطقة المجاورة.

أحس تنغو أن عليه أن يسأل الرجل سؤالاً أو اثنين. وإلا، كما كان يبدو، فإن هذه المكالمة سوف تنتهي كمجموعة من التلميحات الغامضة. لا يجوز أن يدع هذه المحادثة تنتهي! لكن هذا الرجل لم يكن لديه نية لإبلاغ تنغو بأي تفاصيل عمّا جرى. ما هي الأسئلة التي

يمكنه أن يسألها طالما كان الشخص الآخر لا ينوي أن يكشف ما جرى في واقع الأمر؟ أي نوع من الكلمات يجب عليه أن يمنحها صوته عند مواجهة فراغ؟

كان تنغو لا يزال يحاول جاهداً العثور على أي كلمات يمكن أن تفيد، حينما انقطع الاتصال دون سابق إنذار. فقد وضع الرجل السماعة دون أن يقول أي شيء وترك تنغو. ربما إلى الأبد.

أبقى تنغو السماعة الصامتة ضاغطة على أذنه بعض الوقت. لو أن أحداً آخر كان يتنصت إلى هذه المكالمة، فربما استطاع أن يشعر بحضور هذا الرجل. حبس أنفاسه وأرهف السمع، ولكن لم تأتِه أي أصوات في الخلفية. كل ما كان بوسعه أن يسمعه هو نبضات قلبه. كلما أصاخ السمع، تعزَّز شعوره بأنه أشبه بلصّ تسلّل إلى منزل شخصٍ غريب ليلاً، واختبأ في الظلام، وها هو الآن يحبس أنفاسه في انتظار أن ينام أهل البيت.

قام بغلي بعض الماء وأعد بعض الشاي الأخضر لتهدئة أعصابه. حمل فنجاناً لا مقبض له بين يديه، وجلس إلى مائدة المطبخ وهو يستعيد في ذهنه المكالمة الهاتفية.

«زوجتي ضاعت إلى غير رجعة. لم تعد قادرة على المجيء إلى منزلك بأي شكل من الأشكال. ذلك ما أود قوله». **في أي شكل من الأشكال**: من بين ما قيل كانت هذه العبارة هي أشد ما أزعج تنغو. إنها توحي بشيء معتم ورطب ولزج.

كان الشيء الذي أراد هذا الرجل المدعو ياسودا إيصاله إلى تنغو، على ما يبدو، هو رسالة مفادها أنه حتى لو رغبَت زوجته في زيارة شقة تنغو مرة أخرى، فإنه من المستحيل أن تحقق تلك الرغبة. مستحيل من أي جانب؟ وفي أي سياق؟ وماذا يعني بقوله «ضاعت إلى

غير رجعة»؟ تشكلت في ذهنه صورة عن كيوكو ياسودا وقد لحقت بها إصابات خطيرة إثر حادث أو أصابها مرض عُضال أو تعرضت لعنف تسبب لها في تشوهات فظيعة في وجهها. وأصبحت ملازِمة لكرسي متحرك أو فقدت أحد أطرافها أو أصبحت ملفوفة في الضمادات من رأسها إلى أخمص قدميها، وعاجزة عن الحركة. أو ربما حُبست في غرفة تحت الأرض، وقُيدت وكأنها كلب بسلسلة غليظة. رغم ذلك، كانت كل هذه الاحتمالات تبدو مستبعدة.

كانت كيوكو ياسودا (كما أصبح تنغو يدعوها الآن في ذهنه) نادراً ما تأتي على ذِكر زوجها. لم يعرف تنغو منها أي شيء عنه - مهنته أو عمره أو ملامحه أو شخصيته أو أين تقابلا ومتى تزوجا، وهل كان نحيفاً أو بديناً، طويلاً أو قصيراً، أو هل كانا منسجمين معاً. كل ما كان يعرفه تنغو هو أنها لم تكن تعاني ضوائق مالية (بل في واقع الأمر كانت تبدو في بحبوحة من العيش)، وأنها تبدو غير راضية عن وتيرة أو جودة علاقتها الجنسية مع زوجها، وإن كانت هذه الأمور لا تعدو مجرد تخمينات من جانبه. كانت هي وتنغو يقضيان فترة ما بعد الظهيرة في الفراش يتجاذبان أطراف الكلام حول موضوعات شتى، ولكن لم يحدث ولو مرة أن تطرقا إلى موضوع زوجها، ولم يرغب تنغو يوماً في أن يعرف أي شيء عنه. كان يفضل أن يبقى جاهلاً بحال الرجل الذي يسلبه زوجته. كان يرى أن ذلك هو الصواب. أما الآن وفي ظل هذا الوضع الجديد، فإنه يشعر بالندم على كونه لم يسألها مطلقاً عن زوجها (كانت غالباً سوف تجيبه بصراحة إن سألها). هل كان زوجها غيوراً؟ محباً للتملك؟ هل لديه نزوع نحو العنف؟

حاول أن يضع نفسه في مكان الرجل. كيف سيكون شعوره إذا انعكس الحال؟ أي أن يكون لديه زوجة وطفلين صغيرين وحياة أسرية

هادئة، ثم يكتشف أن زوجته تضاجع رجلاً آخر مرة في الأسبوع - رجلاً يصغرها بعشر سنوات، وأن علاقتهما الجنسية مستمرة منذ أكثر من سنة. كيف سيكون تفكيره إنْ وجد نفسه في مثل هذه الحال؟ أي الانفعالات سوف تنتابه؟ غضب عارم؟ خيبة أمل كبيرة؟ حزن مبهم؟ لا مبالاة مصحوبة بازدراء؟ إحساس بالانفصال عن الواقع؟ أو مزيج من عدة انفعالات يتعذر تمييزها؟

بالرغم من كل هذا التفكير، لم يستطع تنغو أن يحدد كيف سيكون شعوره. وخلال كل هذا التفكير الافتراضي، كانت صورة أمه وهي في قميص نومها الأبيض وتلقم ثدييها لشاب لا يعرفه تلوح في خاطره. قال تنغو في نفسه، **يبدو أن الزمان قد دار دورة كاملة**. لعل ذلك الشاب الغامض هو تنغو نفسه، والمرأة التي بين ذراعيه هي كيوكو ياسودا. إن بنية المشهد متماثلة في الحالتين، ولم يتبدل سوى الأفراد. **هل يعني ذلك أن حياتي ما هي إلا دور أقوم خلاله بتجسيد الصورة النائمة في داخلي؟ وما مقدار مسؤوليتي عن ضياعها إلى غير رجعة؟**

لم يستطع تنغو العودة إلى النوم مرة أخرى. ظل صوت الرجل الذي أسمى نفسه ياسودا يتردد في مسامعه. ألقت التلميحات التي خلَّفها وراءه عبئاً ثقيلاً على تنغو، وحملت إليه الكلمات التي تفوه بها واقعاً غريباً. راح تنغو يفكر في كيوكو ياسودا. تخيل وجهها وجسدها بأدق تفاصيلهما. كانت آخر مرة شاهدها في يوم جمعة، قبل أسبوعين. وكدأبهما، كانا يمضيان وقتاً طويلاً في ممارسة الجنس. ومع ذلك، بعد مكالمة زوجها، بدا له وكأن ممارستهما الجنس كانت شيئاً حدث في الماضي البعيد، مثل مشهد تاريخي.

كانت قد بقيت على رف مكتبته العديد من التسجيلات الموسيقية التي جلبتها صديقته من المنزل للاستماع إليها وهي معه في الفراش، جميعها تسجيلات لموسيقى الجاز وقديمة للغاية - وهي للويس أرمسترونج، وبيلي هوليداي (وهذه أيضاً كانت تضم بارني بيجارد كعازف في الفرقة)، وفي بعض سنوات أربعينيات القرن العشرين ديوك إلينجتون. كانت قد استمعت إليها جميعها وتتعامل معها بعناية كبيرة. كانت أغلفة الأسطوانات قد بهتت بعض الشيء مع مرور الزمن، ولكن الأسطوانات نفسها تبدو جديدة. راح تنغو يلتقط واحدة تلو أخرى. وبينما كان يحدق فيها، شعر بيقين متزايد أنه ربما لن يراها مرة أخرى أبداً.

لم يكن تنغو، إذا شئنا الدقة، واقعاً في غرام كيوكو ياسودا. ولم يشعر يوماً أنه يودّ أن يقضي حياته معها أو أن فراقه لها يمكن أن يكون مؤلماً. ولم يَخفق لها قلبه من صميمه يوماً. ولكنه قد اعتاد وجود هذه الصديقة التي تكبره سناً في حياته، وبطبيعة الحال، أصبح متعلقاً بها. كان ينتظر لقاءها في شقته مرةً كل أسبوع، كي يُقرن جسده العاري بجسدها. كان تنغو يرى في علاقتهما علاقة غير عادية. فهو لم يستطع قطّ أن يشعر بالحميمية إزاء نساء كثيرات. وفي حقيقة الأمر، فإن معظمهن، سواء جمعته بهن علاقة جنسية أو لا، كن يُشعرنه بعدم الارتياح. وحتى يخفف من هذا الشعور، كان على تنغو أن يحيط أرضاً معينة داخل نفسه بسياج. بعبارة أخرى، كان عليه أن يُبقي بعض غرف قلبه مقفلة بإحكام. لكن مع كيوكو ياسودا، لم تكن ثمة ضرورة لمثل هذه الإجراءات المعقدة. أولاً وقبل أي شيء، يبدو أنها كانت تدرك تماماً ما الذي يريده تنغو وما الذي لا يريده. ولذلك اعتبر تنغو نفسه محظوظاً لأنهما قد عثرا بعضهما على بعض.

لكن الآن وقد جرى ما جرى، وضاعت هي إلى غير رجعة. ولسبب مجهول، لم يعُد يمكنها أن تزوره هنا **في أي شكل من الأشكال**. وبحسب كلام زوجها، فإن الأحرى بتنغو ألا يعلم شيئاً عن السبب أو نتيجته.

ظل تنغو أَرِقاً، فجلس أرضاً، وراح يستمع إلى أسطوانة ديوك إلينجتون بصوت خفيض، وذلك عندما رن الهاتف مرة أخرى. كانت عقارب ساعة الحائط تشير إلى 12:10. لم يخطر ببال تنغو أن أحداً سوى كوماتسو يمكن أن يهاتفه في مثل هذا الوقت، ولكن رنة الهاتف لم تكن تبدو أنها لكوماتسو، الذي كان دائماً أكثر توتراً وأقل تصبراً. لعله ياسودا مرة أخرى؛ ربما نسي أن يُبلغ تنغو شيئاً آخر. لم يكن تنغو يرغب في الرد. فقد علَّمته التجربة أن مكالمات هذا الوقت من الليل لم تكن يوماً مكالمات سارة. لكنه حينما تَفكر في وضعه الآني، وجد أنه لا مفرّ من الرد.

قال الرجل: «هذا هو السيد كاوانا، أليس كذلك؟» لم يكن كوماتسو. ولم يكن ياسودا. صوت يعود دون شك إلى يوشيكاوا، الذي كان يتحدث كما لو كان فمه ملآن بالماء أو بأي سائل هلامي آخر. وعلى الفور، لاح في خاطر تنغو وجهه الغريب ورأسه المسطحة الشائهة.

«آه، أنا آسف للاتصال في هذا الوقت المتأخر للغاية. أنا يوشيكاوا. أدرك أني أقحمت نفسي عليك ذاك اليوم وأخذت كثيراً من وقتك الثمين. واليوم، أيضاً، كنت أتمنى أن أتصل قبل الآن، ولكن جاءتني بعض الأعمال الطارئة، ولم أنتبه إلّا وقد تأخر بي الوقت هكذا. صدقني، يا سيد كاوانا، أنا أعرف أنك من النوع الذي ينام

مبكراً ويصحو مبكراً، وهذا شيء يستحق كل إعجاب. السهر حتى وقت متأخر ليلاً، يبدد وقتك، ولا يفيد أي أحد. لا يوجد أفضل من الذهاب إلى الفراش فور حلول الظلام والاستيقاظ مع شروق الشمس في الصباح. ولكن، لا أدري، يمكنك أن تسميه حدساً، فقد لمع في ذهني فحسب أنك ربما لا تزال مستيقظاً هذه الليلة، يا سيد كاوانا، ولذلك ورغم إدراكي أنه ليس من الذوق السليم أن أفعل ذلك، فقد قررت إجراء هذه المكالمة. فهل اتصلت في وقت غير مناسب؟».

لم يستسغ تنغو ما قاله يوشيكاوا، ولم يَرُقْه أن يعرف هاتفه المنزلي. لا شأن للحدس بذلك: لقد اتصل به لأنه يعرف تمام المعرفة أنه مستيقظ، وأنه لا يستطيع النوم. ربما علم أن أنوار منزله مضاءة. أيكون هناك مَن يراقب هذه الشقة؟ كان بوسعه تقريباً أن يتخيل أحد الباحثين «المتحمسين» و«المتمكنين» لدى يوشيكاوا يراقب شقة تنغو من مكان ما عبر منظار دقيق الرؤية.

قال تنغو: «أنا مستيقظ الليلة فعلاً. حدسك صحيح. ربما أكثرت من شُرب الشاي الأخضر الثقيل».

«يا للأسف، يا سيد كاوانا. في الليالي المؤرَّقة غالباً ما يكون التفكير عديم الجدوى. ما رأيك إذاً، هل تمانع في الحديث معي بعض الوقت؟».

«طالما لن يدور ذلك حول شيء يُزيد النوم صعوبة».

انفجر يوشيكاوا بالضحك. وفي المكان الذي يتحدث منه -مكانٌ ما في هذا العالم- هزّ رأسه الشائهة بطريقته الشائهة. «كم أنت مرح، يا سيد كاوانا. بالطبع، ما يجب أن أقوله قد لا يريحك كما تريح الهَدهدة طفلاً، ولكن الموضوع في حدّ ذاته ليس خطيراً بما يجعلك تمضي ليلتك أرقاً، أؤكد لك ذلك. إنها مسألة بسيطة جوابها نعم أو

لا. موضوع المنحة. إنه عرض جذاب، ألا ترى ذلك؟ هل فكرت فيه؟ يجب أن نعرف جوابك النهائي الآن».

«أعتقد أنني رفضت المنحة بشكل قاطع في آخر مرة تحدثنا. أنا مقدِّر للعرض، ولكن لدي كل ما أحتاج إليه حالياً. لست في ضائقة مالية، وإذا أمكن، أود أن تظل حياتي تسير على وتيرتها الحالية».

«تعني، أنك لا تريد أن تكون مديناً لأحد بفضل».

«باختصار، نعم».

قال يوشيكاوا بصوت أشبه بنحنحة خفيفة: «أرى أن ذلك يجعلك تستحق كل إعجاب، يا سيد كاوانا. أنت تريد الاعتماد على نفسك. تريد أن تكون علاقتك بالمؤسسة في أضيق الحدود. وأنا أدرك كيف تشعر، ولكني قلق عليك، يا سيد كاوانا. انظر إلى العالم الذي نعيش فيه. كل شيء وارد في أي وقت. ولذلك فجميعنا بحاجة إلى نوع من التأمين، شيء تُعوِّل عليه، حماية من الريح. يؤسفني أن أقول ذلك، يا سيد كاوانا، ولكن ليس لديك الآن، ما تعول عليه. لا يمكنك الاعتماد على أحد من هؤلاء المحيطين بك، أو يبدو لي أنهم جميعاً سوف يتخلون عنك غالباً وقت الشدة. هل أنا محقّ؟ لعلك تعرف مقولة: الاحتياط واجب. من المهم أن تؤمِّن نفسك وقت الشدة، ألا ترى ذلك؟ وأنا هنا لا أتحدث عن المال فقط. المال، في نهاية المطاف، هو مجرد رمز لشيء آخر».

قال تنغو: «لا أعرف بالضبط ما الذي ترمي إليه». كان إحساسه العفوي بالاشمئزاز الذي شعر به أول مرة التقى فيها يوشيكاوا قد بدأ يتسرب إليه مرة أخرى.

«لا، بالطبع لا. أنت لا تزال شاباً موفور الصحة. ربما هذا هو السبب الذي يجعلك لا تفهم ما أقوله. دعني أعطيك مثالاً. حينما

تتجاوز سناً معينة، سوف تصبح الحياة لديك ما هي إلا خُسران مستمر. الأشياء المهمة في حياتك تبدأ في الانزلاق من بين يديك، شيئاً تلو الآخر، مثل مشط يفقد أسنانه. والأشياء التي تحل محلها هي أشياء زائفة عديمة القيمة. قوتك البدنية وطموحاتك وأحلامك ومبادئك وقناعاتك، وكل المعاني، أو، مرة أخرى، الأشخاص الذين تحبهم: واحداً تلو آخر، يتلاشون. بعضهم يعلن رحيله قبل المغادرة، فيما يتلاشى بعضهم الآخر فجأة دون سابق إنذار. وحينما تفقدهم لا يمكنك استردادهم مرة أخرى. ولن يفيدك أبداً البحث عن بدائل. إنه وضع في غاية الألم - ألم كأنه قطعٌ بسكين. إنك ستبلغ الثلاثين قريباً، يا سيد كاوانا، ما يعني أنك، من الآن فصاعداً، سوف تدخل تدريجياً في مرحلة الغروب - سوف يكبر سنك. ولعلك بدأت تشعر بذلك الإحساس المؤلم بأن هناك شيئاً تفقده، أليس كذلك؟».

تساءل تنغو عما إذا كان هذا الرجل يلمّح إلى كيوكو ياسودا. ربما يعرف أنهما كانا يلتقيان هنا مرة كل أسبوع، وأن شيئاً ما قد جعلها تتركه مؤخراً.

قال تنغو: «يبدو أنك تعرف الكثير عن حياتي الخاصة».

قال يوشيكاوا بإصرار: «لا، على الإطلاق. أنا أتكلم فقط عن الحياة في مجملها. صدقني. لا أعرف سوى أقل القليل عن حياتك الخاصة».

بقي تنغو صامتاً.

قال يوشيكاوا بتنهيدة: «من فضلك، يا سيد كاوانا، اقبل منحتنا. بصراحة، أنت في وضع حرج. يمكننا أن ندعمك وقت الشدة. يمكننا أن نرمي إليك بسترة نجاة. إذا سارت الأمور على هذا المنوال، فقد تجد نفسك في وضع لا خلاص منه».

قال تنغو: «وضع لا خلاص منه».

«بالضبط».

«هل يمكن أن تخبرني على وجه التحديد أي «وضع» تقصد؟».

توقف يوشيكاوا برهة، ثم قال: «صدقني، يا سيد كاوانا، هناك أشياء يحسُن ألّا تعرفها. أشياء تُطيِّر النوم من العيون. الشاي الأخضر لا يضاهيها في شيء. ربما تحرمك من النوم الهادئ إلى الأبد. ما أريد، أوه، قوله لك هو هذا. فكر في الأمر بهذه الطريقة: إنه كما لو أنك فتحت صنبوراً خاصاً وتركت شيئاً خاصاً ينساب منه قبل أن تعرف ماذا يجري، وكان له تأثير على الأشخاص المحيطين بك، وهو تأثير ليس مرغوباً بالمرة».

«هل للناس الصغار صلة بذلك؟».

كان السؤال مجرد تخمين، ولكنه جعل يوشيكاوا يصمت بعض الوقت. جاء صمته ثقيلاً، مثل حجر أسود سقط في قاع بئر ماء سحيق.

«أريد أن أعرف الحقيقة، يا سيد يوشيكاوا. لنكفّ عن إلقاء الألغاز ونتحدث بشكل واضح. ماذا جرى لها؟».

«لها؟ لا أدري ماذا تقصد».

تنهد تنغو. كان الموضوع حساساً للغاية ولا يمكن مناقشته عبر الهاتف.

قال يوشيكاوا بحذر: «اعذرني، يا سيد كاوانا، ولكني مجرد رسول أرسلني موكلي. في الوقت الحالي، مهمتي هي الحديث عن الأمور الرئيسة بصورة غير مباشرة قدر الإمكان. اعذرني إن كان يبدو أنني أحاول متعمداً أن أصيبك بالحيرة، ولكنه ليس مسموحاً لي

بالحديث عن ذلك إلا بشكل غامض. وكي أكون صريحاً، فإن معرفتي بالموضوع محدودة للغاية. ومع ذلك، وعلى أي حال، فأنا لا أعرف فعلاً أي شيء عن «لها» أيّاً كانت. عليك أن تكون أكثر تحديداً».

«حسناً، إذاً، مَن هم هؤلاء الناس الصغار؟».

«مرة أخرى، يا سيد كاوانا، أنا لا أدري شيئاً عن هؤلاء الناس الصغار - أو على الأقل لا أعرف أكثر ممّا جاء في كتاب 'الشرنقة الهوائية'. مع ذلك، سوف أقول لك ما يلي: من خلال كلماتك المندفعة، يبدو لي أنك أفشيتَ سراً دون أن تدري. وهو أمر قد يكون خطيراً جداً في ظروف معينة. موكلي يعلم جيداً مدى خطورة ذلك ونوعية الخطر الذي تشكله، ولديهم درجة من التفاهم بشأن كيفية التعامل مع الخطر، وهذا هو بالضبط السبب الذي جعلنا نحاول أن نساعدك. وأقولها لك بصراحة، نحن لدينا أذرع طويلة للغاية - طويلة وقوية».

«مَن هو هذا 'الموكّل' الذي لا تكفّ عن ذكره؟ شخص على صلة بساكي جاكه؟».

قال يوشيكاوا بما بدا وكأنه أسف حقيقي: «لسوء الحظ، لستُ مخولاً بالكشف عن أيّ أسماء، ومع ذلك أستطيع القول، ودون الخوض في تفاصيل، إنهم يمتلكون قوة خاصة جداً. قوة هائلة. يمكننا أن نساندك. أرجو أن تفهم أن هذا هو عرضنا الأخير. أنت مخيَّر بين قبوله أو رفضه. ولكن عندما تحسم رأيك، لن تكون هناك عودة إلى الوراء. ولذلك، من فضلك فكر فيه بإمعان. واسمح لي أن أقول ذلك: إذا لم تكن معهم، فإنّ أذرعهم الطويلة، للأسف وفي ظروف معينة، يمكنها، عندما تُمد، أن تسبب لك، وإنْ كان دون قصد، آثاراً غير مرغوبة».

«آثار غير مرغوبة من أي نوع؟».

لم يُجِب يوشيكاوا مباشرة عن سؤال تنغو. بدلاً من ذلك، سمع تنغو ما بدا وكأنه صوت خافت لامتصاص ريق في كلا جانبي فم يوشيكاوا.

قال يوشيكاوا: «ليس لدي جواب دقيق على ذلك. لم يخبروني بأي شيء محدد، وذلك هو السبب في كوني أتكلم في العموميات».

سأله تنغو: «إذاً، ما السرّ الذي يفترض أنني أفشيته؟».

قال يوشيكاوا: «ليس لدي جواب لذلك أيضاً. رغم أني أجازف بتكرار نفسي، فأنا مجرد مفاوض مستأجَر. وحينما يصل إليّ المخزن الممتلئ بالمعلومات يكون قد تقلص إلى بضع قطرات. ودوري ينحصر في أن أنقل إليك ما أمرني به موكلي بالضبط بما لا يتجاوز صلاحياتي المحدودة. ربما تتساءل لماذا لا يتصل بك موكلي مباشرة، لتسريع وتيرة الأحداث، ولماذا يستعينون بذلك الرجل الغريب كوسيط، ولكنني لا أعرف عن ذلك أكثر ممّا تعرف».

نظّف يوشيكاوا حنجرته وانتظر سؤالاً آخر، ولكن عندما لم يأتِه السؤال، تابع كلامه: «والآن، يا سيد كاوانا، كنت تسألني ما السر الذي أفشيته أنت، أليس كذلك؟».

قال تنغو: نعم، هذا صحيح.

«حسناً، يا سيد كاوانا، لست متأكداً بالضبط، ولكني لا أستطيع أن أمنع نفسي من التساؤل عمّا إذا كان شيئاً لا يمكن لطرف ثالث أن يجد له حلاً سهلاً. أظن أنه شيء يستدعي منك الخروج وحدك والاجتهاد حتى تتبين ذلك. ومن المحتمل جداً بعد أن تمرّ بكل ذلك وتبلغ نقطة تتبين فيها الجواب، أن تكتشف أن الأوان قد فات. يبدو واضحاً لي أنك تمتلك موهبة مميزة جداً، موهبة فذة وجميلة، موهبة

لا يمتلكها الأشخاص العاديون. وهذا هو بالضبط السبب الذي يمنح إنجازاتك الأخيرة قوة لا يمكن التغاضي عنها بسهولة. ويبدو أن موكلي يقدِّر موهبتك كثيراً. وهذا هو السبب وراء تقديم هذه المنحة لك. لكن ما يُؤسَف له هو أنّ الموهبة في حدّ ذاتها ليست كافية. وبناء على نظرتك إليها، فإن امتلاك الموهبة الفذة غير الكافية قد يحمل خطراً أكبر من عدم امتلاك أي موهبة على الإطلاق. هذا هو رأيي، وإن كان غامضاً، بخصوص المسألة الأخيرة».

«إذاً أنت تقول إن موكلك لديه معرفة وقدرة كافيتين وتسمحان له بالحديث عن هذه الأشياء».

«اممم، لا يمكنني أن أقول ذلك فعلاً، ألا ترى ذلك؟ أقصد أنه ليس باستطاعة أحد أن يعلن ما إذا كانت هذه الصفات «كافية»».

«ولماذا هم بحاجة إليّ؟».

«إذا جاز لي أن أستعير هذا التشبيه من مجال الأوبئة، فأنتم تؤدون -عفواً- دور حاملي العدوى الرئيسيين».

قال تنغو: «أنتم؟ هل تقصد إريكو فوكادا وأنا؟».

لم يجب يوشيكاوا عن السؤال: «همم. إذا جاز لي أن أستعير تشبيهاً كلاسيكياً هنا، فقد فتحتما عُش دبابير وأطلقتما فوضى شاملة في العالم. ويبدو أن هذا هو ما يرى موكلي أنكما قد فعلتماه، بناء على انطباعاتي الخاصة. ربما جمعتكما الصدفة، ولكنكما تشكلان ثنائياً أقوى بكثير ممّا تتصوران. وقد استطاع كل منكما أن يسد نقصاً لدى الآخر».

«ولكن هذه ليست جريمة وفقاً لأي معنى من المعاني القانونية».

«صحيح. إنها ليست، بالطبع، هممم، جريمة وفقاً لأي معنى من المعاني القانونية، أو وفقاً لأي معنى من معاني هذا العالم. إذا

كان لي أن أقتبس من عمل جورج أورويل الكلاسيكي الرائع -أو بالأحرى من روايته التي هي مصدر غني بالاقتباسات- فهي تشبه جداً ما أسماه «جريمة التفكير». وبمحض المصادفة الغريبة، تصادف أن يكون هذا العام هو عام 1984. هل يجب أن نسميها من عجائب الأقدار؟ ولكن يبدو أني تحدثت هذه الليلة بأكثر مما ينبغي، يا سيد كاوانا. ومعظم ما قلته لا يعدو أن يكون تخمينات خرقاء مني، ومحض تكهنات، لا تدعمها أي أدلة قوية. ولأنك سألت، فقد قدمت لك انطباعاتي العامة، هذا هو كل ما في الأمر». سكت يوشيكاوا، وبدأ تنغو في التفكير. «**تخميناته الخرقاء**»؟ **ما هو مقدار ما يمكنني تصديقه من كلام هذا الرجل؟**

قال يوشيكاوا: «أوه، حسناً، سوف أتوقف الآن. إنه موضوع مهم، وسوف أمنحك وقتاً أطول قليلاً. قليلاً فقط. الساعة تعد تنازلياً. تيك توك، تيك توك، دون توقف. من فضلك فكِّر في عرضنا مرة أخرى بعناية. سوف أعاود الاتصال بك قريباً على الأغلب. طابت ليلتك إذاً. أنا سعيد بهذه الفرصة التي أتيح لنا فيها الكلام. هممم، وآمل أن تنعم بنوم هادئ، يا سيد كاوانا».

وضع يوشيكاوا السماعة. أما تنغو فحدق في السماعة وهي في يده بعض الوقت، كما يحدق فلاح في نبات ذابل اقتلعه من حقله الذي أصابه الجفاف. في هذه الأيام، يضع كثيرون السماعة في وجه تنغو.

كما تصور، لم يذُق تنغو طعم النوم الهادئ في تلك الليلة. وإلى أن بدأ الضوء الشاحب للفجر يُلون الستائر واستيقظت غربان المدينة المزعجة كي تبدأ عملها اليومي، كان تنغو لا يزال جالساً على الأرض، متكئاً إلى الجدار وهو يفكر في صديقته وفي الأذرع الطويلة

والقوية التي تمتد نحوه من مكان مجهول. لكن كل هذا التفكير لم يصل به إلى شيء. كان تفكيره يدور حول النقطة نفسها دون هدف. نظر تنغو حواليه وتنهَّد، وقد أدرك أنه وحيدٌ تماماً. يوشيكاوا كان محقاً. فهو لا يملك من الأمر شيئاً وليس لديه أحد يركَن إليه.

الفصل السابع

أومامه
حيثما توشكين أن تطئي بقدميك

بسقفه العالي وإضاءته الخافتة، كان بهو فندق أوكورا الرحب يبدو وكأنه كهف ضخم وجميل. وكان صدى الأحاديث الخافتة بين الأشخاص الجالسين على أرائك البهو يرتطم بجدران الكهف وكأنه حشرجة حيوان تُنتزع أحشاؤه. أما البساط الوثير ذو الملمس الحريري الذي فرشت به الأرض فربما يشبه طُحلباً بدائياً على جزيرة نائية في الشَمال. وكان يبتلع وقع الأقدام في زمنه السرمدي المتراكم. أما الرجال والنساء الذين كانوا يجتازون البهو جيئة وذهاباً فبدوا وكأنهم أشباحاً وقد صُفِّدت في المكان بفعل لعنة من اللعنات القديمة، وبات محكوماً عليهم تكرار الأدوار المحددة لهم إلى ما لا نهاية. كان الرجال يظهرون بأبهى صورة ويرتدون بذلات رسمية ضيقة. أما النساء الحسناوات ممشوقات القوام فكُنّ يرفلن في ثياب سوداء فائقة الأناقة، وقد جئن لحضور حفلٍ في قاعة من قاعات الفندق الكثيرة. لم يكنّ يضعن من إكسسوارات الزينة إلا القليل، ولكنها كانت غالية الأثمان، وتبدو أشبه بطيور مصاصة للدماء تبحث عن دماء، وهي تتوق إلى بصيص ضوء كي تعكسه. وفي الزاوية، كان يلوح زوجان أجنبيان أشبه

بملك وملكة هرِمين، وقد ذوت زهرة شبابهما، وبريحان جسديهما المنهكين على عرشيهما.

في هذا المكان المفعم بأجواء الأساطير والإيحاءات، وجدت أومامه نفسها غريبة على المكان فعلاً، ببنطالها القطني ذي اللون الأزرق الفاتح، والبلوزة البسيطة البيضاء، والحذاء الرياضي الأبيض والحقيبة الرياضية الزرقاء. ظنت أنها ربما تبدو وكأنها جليسة أطفال أرسلتها وكالتها للعمل لدى أحد نزلاء الفندق، وهي الآن تُمضّي بعض الوقت جالسة على مقعد كبير. **حسناً، لستُ هنا من أجل التعارف**. كانت تشعر وهي جالسة بأن أحداً ما ينظر إليها، لكن ورغم محاولتها استطلاع المكان، لم تجد أحداً يبدو أنه يرقبها. **قالت في** نفسها، **لا عليكِ. دعيهم ينظرون كيفما يشاؤون**. عندما أشارت عقارب ساعتها إلى 6:50، نهضت أومامه واقفة وقصدت حمَّام السيدات، وهي تحمل حقيبتها الرياضية. غسلت يديها بالماء والصابون وتفحصت هندامها مرة أخرى كي تتأكد أن مظهرها ليس به ما يعيب. ثم أخذت عدة أنفاس عميقة وهي واقفة إزاء مرآة ضخمة. كان المرحاض رحباً، ولم يكن فيه أحد سواها. بل ربما كان أكبر من شقتها كلها. تحدثت بصوت هامس إلى المرآة: «ستكون هذه هي مهمتي الأخيرة». **بمجرد نجاحي فيها، سأختفي. هكذا فجأة! مثل شبح. أنا هنا الآن، ولكني لن أكون غداً. في غضون أيام قليلة، سيكون لي اسم مختلف ووجه مختلف.**

عادت إلى بهو الفندق واتخذت مقعدها مرة أخرى، بعد أن وضعت حقيبتها الرياضية على المنضدة المقابلة لها. كانت الحقيبة تحوي داخلها مسدساً صغيراً به سبع طلقات وإبرة حادة صُنعت كي يتم غرزها في مؤخر رقبة رجل. وقالت في نفسها، **يجب أن أكون هادئة**

الأعصاب. هذه المهمة ذات أهمية لي، إنها مهمتي الأخيرة. يجب أن أكون كما اعتدت نفسي، أومامه الهادئة والصَلبة.

لكنها لم تستطع أن تصرف عن نفسها الإحساس بأنها ليست في حال طبيعية. كانت أنفاسها منهكة بشدة، وأقلقها تسارع نبضات قلبها. وبلَّل شريط من العرق ما تحت إبطيها. وشعرت بقشعريرة في جلدها. **لكني لستُ متوترة فحسب. يتملكني هاجس. هاجس يوجه لي إنذاراً. ولا يكف عن الطرق على باب عقلي. ويقول لي: «لم يفت الأوان بعد. اخرجي من هنا الآن وانسِ كل ذلك».**

ودَّت أومامه لو استجابت لهذا التحذير، وتركت كل شيء وغادرت بهو هذا الفندق. يوجد شيء ينذر بالشر، وحضور دائم لموت غير مباشر وبطيء وهادئ، ولكن لا مفر منه. **ولكني لا أستطيع أن أهرب خائفة ذليلة. ليس هكذا تعيش أومامه.**

كانت عشر دقائق طويلة. أبى فيها الزمن أن يمضي. بقيت جالسة على الأريكة، وراحت تحاول ضبط أنفاسها. وظل أشباح البهو يثرثرون بجلجلة أصواتهم الفارغة. كان الناس يندفعون في صمت على البساط الوثير وكأنهم أرواح تتلمس طريقها نحو مُستقر راحتها الأبدية. أما الصوت الحقيقي الوحيد الذي كان يبلغ أذنيها ما بين حين وآخر فهو اصطكاك فناجين القهوة عندما توضع على الصينية كلما مرت نادلة. ولكن حتى ذلك الصوت كان به صوت ثانوي داخله يبعث على الريبة. لم تكن الأمور تسير في الوجهة الصحيحة. **إذا كنتُ متوترة إلى هذه الدرجة فعلاً، فلن يمكنني عمل أي شيء عندما يحين الوقت.**

أغمضت أومامه عينيها وراحت لا شعورياً تردد صلاتها، إنها الصلاة ذاتها التي كانت تلهج بها قبل كل طعام منذ زمن حسبما تتذكر. انقضى على ذلك زمن طويل، ولكنها تذكرتها كلمة كلمة وبوضوح تام.

أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك إلى أبد الآبدين، وليأتِ ملكوتك إلينا. اغفر لنا خطايانا الكثيرة، وأسبغ بركاتك على سُبلنا المتواضعة. آمين.

لكن أومامه وعلى مضض، كان عليها أن تُقرّ بأن هذه الصلاة، التي لم تكن تمنحها سوى الألم في الماضي، قد أصبحت توفر لها الآن مصدراً للمؤازرة. هدَّأ وقع هذه الكلمات أعصابها، وأوقف مخاوفها وهي في البهو، وساعدها في تهدئة أنفاسها. ضغطت بأصابعها على جفنيها وأخذت تردد الصلاة مرة بعد مرة.

«آنسة أومامه، على ما أعتقد»، جاءها صوت رجل من مكان قريب. كان الصوت لشاب.

فتحت أومامه عينيها، ثم ببطء رفعت رأسها، ونظرت إلى صاحب الصوت. وجدت شابين يقفان إزاءها. كانا يرتديان بذلتين داكنتين من نوع واحد. وبحسب خامة النسيج والتصميم، لم تكن البذلتان غاليتين في ثمنهما- وتم شراؤهما غالباً جاهزتين من متجر خلال موسم للتخفيضات. لم يكونا لائقتين تماماً، ولكنهما كانتا خاليتين من أي تجعدات بشكل يثير الإعجاب. ربما كان الرجلان يقومان بكيّهما في كل مرة يرتديانهما. ولم يكن أي منهما يرتدي ربطة عنق. وبينما كان أحدهما يزرر قميصه الأبيض حتى رقبته، كان الآخر يرتدي تحت بذلته «تي شيرت» برقبة رمادي اللون. وكان كلاهما ينتعلان حذاءين أسودين في غاية البساطة.

لا بد أن الرجل صاحب القميص الأبيض كان طوله يبلغ ستة أقدام على الأقل، ويصفف شعره على هيئة ذيل حصان. وكان له

حاجبان طويلان، ترتفع نهاية كل منهما بزاوية واضحة وكأنه رسم بياني. أما وجهه فكان هادئ الملامح، ومتناسق القسمات التي يمكن أن تكون لممثل سينمائي. وأما الرجل الآخر فلا بد أن طوله كان يبلغ خمسة أقدام ونصف، وهو حليق الرأس وذو أنف أفطس. نَمَت على طرف ذقنه لحية صغيرة تبدو وكأنها ظلال زينة لوجهه وضعها بطريقة خاطئة، فيما تظهر بجوار عينه اليمنى ندبة صغيرة. كان الرجلان ضئيلي الجسم، ولهما خدان غائران ووجهان لوَّحتهما الشمس. لم يكن يُرى في جسم أي منهما أثرٌ للشحوم، وكان اتساع ما بين منكبيّ كل منهما ينبئ ببنية عضلية قوية تحت الملابس. كانا على الأرجح في منتصف العشرينيات أو أواخرها. كانت نظراتهما عميقة وحادة، ولا تتحرك مُقلهما أكثر مما يلزم، كما هو حال حيوانٍ في مهمة صيد.

نهضت أومامه من كرسيها وكأنها فعلت ذلك لا إرادياً ونظرت في ساعتها. كانت العقارب تشير إلى السابعة تماماً. إنه الوقت المحدد.

«نعم، أنا أومامه».

لم يُظهر أيّ من الرجلين أي تعبير على وجهيهما. تفحصا ملابس أومامه سريعاً ونظرا إلى الحقيبة الرياضية الزرقاء الموضوعة أمامها.

سألها حليق الرأس: «أهذا هو كلّ ما تحملين معك؟».

«نعم، هذا هو».

سألها حليق الرأس: «حسناً. لنذهب إذاً. هل أنت جاهزة؟».

لم يتفوّه ذيل الحصان بكلمة فيما كانت عيناه مسلطتين على أومامه.

قالت أومامه: «نعم، بالطبع». خمنت أن الرجل الأقصر قامة هو أكبرهما سناً وأنه هو القائد.

مشى حليق الرأس إلى الأمام بخطى متمهلة، مجتازاً البهو نحو المصاعد. تبعته أومامه وفي يدها الحقيبة الرياضية. أما ذيل الحصان فمشى خلفها لا يفصله عنها سوى ستة أقدام. ما يجعلها محصورة بينهما. قالت في نفسها، **إنهما يعرفان ما يفعلان**. كانا يسيران منتصبيّ القامة، ويمشيان مشية تنمّ عن قوة ودقة. كانت الأرملة قد أخبرتها بأنهما يمارسان رياضة الكاراتيه. وكانت أومامه تدرك من خلال تدريباتها على الفنون القتالية أن فرصتها في التغلب على هذين الرجلين في أي مواجهة مباشرة شبه معدومة. ولكنها لم تستشعر من هذين الرجلين ذلك الخطر الداهم الذي قدَّره تامارو. ولذلك فإلحاق الهزيمة بهما ليست مسألة مستبعدة تماماً. الشيء الأول الذي سيكون عليها فعله في أي اشتباك بالأيدي هو أن تضرب حليق الرأس ضربة تُعجزه. إنه صانع القرار. وإذا أصبح ذيل الحصان هو خصمها الوحيد، فيمكنها أن تنجو وتلوذ بالفرار.

استقل ثلاثتهم المصعد، وضغط ذيل الحصان على زر الطابق السابع. كان حليق الرأس يقف في مواجهة أومامه، فيما يقف ذيل الحصان في الزاوية، ليصبح في مواجهتهما بزاوية مائلة. كانا يفعلان ذلك كله من دون كلام، وبشكل ممنهج، وكأنهما لاعب القاعدة الثاني واللاعب المصوب.

في غمرة هذه الأفكار، أحست أومامه فجأة أن أنفاسها وضربات قلبها قد عادت إلى طبيعتها. وقالت في نفسها، **لا شيء يدعو للقلق. أنا هي نفسي التي اعتدتها، أومامه الهادئة والصلبة. سوف يسير كل شيء غالباً على ما يرام. لا داعي لهواجس أخرى سيئة.**

انفتح باب المصعد دون صوت. ظلّ ذيل الحصان ضاغطاً على زر «فتح الباب» ريثما خرج حليق الرأس تتبعه أومامه، قبل أن يحرر

الزر ويغادر المصعد. تقدّمهم حليق الرأس عبر الردهة، تتبعه أومامه، فيما أدى ذيل الحصان دور الحارس الخلفي. كانت الردهة الواسعة خالية تماماً: يسودها صمتٌ مطبق ونظافة تامة، وتتجلى فيها العناية بأدق التفاصيل، وتليق بفندق فخم - فلا تُرى أمام الأبواب صينيات خدمة الغرف التي انتهى أصحابها منها، ولا تُرى أعقاب سجائر في منفضة السجائر الموضوعة بجوار المصعد، وتفوح رائحة الزهور المنعشة من مزهريات مصفوفة بشكل أنيق. اجتازوا عدة منعطفات حتى توقفوا أمام أحد الأبواب. طرق ذيل الحصان الباب مرتين، ودون انتظار الرد، فتح الباب ببطاقة ممغنطة. دلف إلى الداخل، ونظر حوله كي يتأكد أن كل شيء على ما يرام، ثم أومأ إلى حليق الرأس إيماءة مقتضَبة.

«تفضلي»، قال حليق الرأس لأومامه بطريقة جامدة.

دخلت أومامه. ثم دخل بعدها حليق الرأس وأغلق الباب، ثم أقفله من الداخل بمِغلاق. كانت الغرفة كبيرة. ليست كغرفة فندق عادية، فقد جُهِّزت بمجموعة كبيرة من أثاث غرف الاستقبال والمكاتب. كان جهاز التلفزيون والثلاجة أيضاً كبيرَي الحجم. كان واضحاً أنها غرفة معيشة ضمن جناح فندقي خاص. كانت النافذة تطلّ على منظر ليلي خلاب لطوكيو العاصمة. لا بد أنها غرفة باهظة الثمن. تطلَّع حليق الرأس في ساعته ودعا أومامه للجلوس على الأريكة. فعلت ما طُلب منها وبجانبها وضعت الحقيبة الرياضية الزرقاء.

سألها حليق الرأس: «هل ستبدلين ملابسك؟».

قالت أومامه: «إذا أمكن. أُفضل أن أرتدي الملابس الرياضية».

أومأ حليق الرأس: «علينا أولاً أن نجري بعض التفتيش، إذا كنت لا تمانعين. معذرة، ولكنه جزء من عملنا».

قالت أومامه: «تفضل، فتش كيفما تشاء»، لم يكن صوتها يشي بأي نبرة توتر، بل على العكس، كان فيه مسحة ملحوظة من التفكه بعنايتهما المَرَضية بالتفاصيل.

تقدم ذيل الحصان نحو أومامه وفتشها تفتيشاً شخصياً كي يتأكد أنها لا تحمل أي شيء يثير الشكوك. لم يكن معها سوى بنطال قطني رقيق وبلوزة، لم تكن القطعتان تستدعيان تفتيشاً للتأكد أنه لا شيء مخبأ تحتهما. كان يجري عملية التفتيش بشكل روتيني. وبدت يداه متوترتين ومتيبستين. ويصعب امتداح مهارته في ذلك. كان على الأرجح قليل الخبرة في إجراء عمليات التفتيش الشخصي للسيدات. وأثناء ذلك، كان حليق الرأس يكتفي بمراقبته، وهو متكئ إلى المكتب.

عندما انتهى التفتيش الشخصي، فتحت أومامه له حقيبتها الرياضية. لم تكن تحوي داخلها سوى سترة صيفية رقيقة من تصميم كارديجان، وتتألف من جزئين علوي وسفلي متماثلين، ومنشفتين، واحدة كبيرة وأخرى صغيرة. وبعض أدوات ومساحيق الزينة البسيطة وكتاب ورقي. كان يوجد أيضاً كيس صغير مطرز يحتوي على حافظة وكيس للفَكة وسلسلة مفاتيح. سلمت أومامه كل شيء إلى ذيل الحصان. وأخيراً أخرجت جراباً من الفينيل الأسود وفتحته. كان بداخله غيارات لملابس داخلية وبعض الحفاظات والمناديل الصحية.

قالت أومامه: «أتعرَّق عندما أعمل، لذلك أنا بحاجة إلى غيارات ملابس». أخرجت حمّالة صدر ذات أشرطة دانتيل وسروال داخلي وبدأت تبسطهما كي يراهما ذيل الحصان. احمر وجهه خجلاً، وأومأ برأسه عدة إيماءات سريعة وكأنه يقول، «حسناً، قد رأيت ما يكفي». بدأت أومامه تشك في أن هذا الرجل لا يستطيع التحدث على الإطلاق.

بحركات غير متعجلة، أعادت أومامه ملابسها الداخلية والأدوات الصحية إلى الجراب، ثم أغلقت السحَّاب، وأعادته إلى الحقيبة.

قالت أومامه في نفسها، **هذان الرجلان هاويان. أي حارس شخصي هذا الذي يحمرّ خجلاً لدى رؤية ملابس داخلية جميلة وبعض الحفاظات؟ لو أن تامارو هو مَن يؤدي تلك المهمة، لكان قد فتش ملابس «سنو وايت» الداخلية حتى بلغ شعر عانتها. وكان سوف يتفحص الجزء السفلي من ذلك الجراب حتى لو اقتضى ذلك منه تفتيش مخزن صدريات وقمصان وسراويل داخلية. وأي أشياء من هذا القبيل لن تكون سوى خرق بالية بالنسبة إليه. صحيح أنه مثليّ الجنس إلى أقصى حد ممكن، لكنه على أقل تقدير، كان سيمسك بالجراب كي يتحرى وزنه. وعندئذٍ سوف يعثر قَطعاً على المسدس الملفوف في منديل (والذي يزن نحو 500 جرام) وكذلك كسارة الثلج المصنوعة الموضوعة في حاويتها الصلبة.**

هذان الشخصان هاويان. ربما يمتلكان بعض المهارة في رياضة الكاراتيه، وربما أقسما على الولاء المطلق لزعيمهما، ولكنهما هاويان. تماما كما توقعت الأرملة. كانت أومامه تفترض أنهما لن يفتشا جراباً ممتلئاً بمتعلقات نسائية، وقد أصابت في ذلك. كانت مقامرة، بطبيعة الحال، لكنها لم تفكر في ما لو لم تنجح المقامرة. قصارى ما كان يمكنها عمله في هذه الحالة هو أن تُصلي. وهي تعرف جيداً أن: الصلاة تفيد.

دخلت أومامه إلى حمَّام الضيوف في الجناح الكبير وارتدت ملابسها الرياضية، ثم قامت بطي البلوزة والبنطال القطني ووضعتهما في الحقيبة. تفحصت شعرها كي تتحقق أنه مثبت بإحكام. وقامت برش فمها بمعطر فم. أخرجت المسدس من الجراب، وبعد فتح

سيفون المرحاض كي تحجب الصوت، سحبت الأجزاء كي ترسل رصاصة إلى حجرة الإطلاق. والآن كل ما عليها هو أن تحرر زر الأمان. وأخيراً، نقلت الحاوية التي تضم كسارة الثلج إلى أعلى الحقيبة حيث يمكنها الوصول إليها مباشرة. عندما انتهت من هذه الاستعدادات، نظرت في المرآة وأرخت ملامح وجهها المشدودة. **رائع، لقد حافظتُ على هدوئي حتى الآن.**

مع خروجها من حمَّام الضيوف، وجدت أومامه حليق الرأس يقف في حالة انتباه وظهره لها، ويتحدث عبر الهاتف بصوت منخفض. عندما رآها، قطعَ مكالمته، ووضع السماعة بهدوء، ثم نظر إليها نظرة فاحصة وهي في ملابسها الرياضية.

سألها: «جاهزة؟».

قالت: «عندما تكونون جاهزين».

قال حليق الرأس: «لدي طلب أولاً».

ابتسمت أومامه له ابتسامة مصطنعة.

قال حليق الرأس: «ألّا تتلفظين بكلمة لأي أحد عن هذه الليلة». صمت للحظة حتى تستوعب رسالته. بدا كما لو أنه قد رش ماء على تربة جافة وينتظر ريثما تتشربها التربة ويتلاشى أثرها. كانت تنظر إليه طوال الوقت دون أن تنطق بكلمة.

تابع حليق الرأس: «المعذرة إن كان في ذلك غِلظة، ولكننا ننوي أن نقدم لك أجراً سخياً، وربما نطلب خدماتك من حين لآخر في المستقبل. ولذلك نود أن نطلب منك نسيان أي شيء وكل شيء يحدث هنا الليلة. كل ما ترين أو تسمعين. كل شيء».

قالت أومامه بنبرة فاترة نوعاً ما: «كما تعلم، فإن عملي ينصبّ

على أجسام الأشخاص، ولذلك أعتقد أني على دراية جيدة بطرق الحفاظ على السرية المهنية. ولن تخرج أي معلومة من أيّ نوع تتعلق بجسم أحد الأشخاص خارج هذه الغرفة. إذا كان ذلك هو ما يُقلقك، فبوسعي أن أؤكد لك أنه لا داعي للقلق».

قال حليق الرأس: «ممتاز. هذا هو ما كنا نريد سماعه. ولكن اسمحي لي أن أضيف أننا سنكون ممتنين لك إذا اعتبرت ذلك حالة تتجاوز نطاق السرية المهنية بالمعنى الأعم. فحيثما توشكين أن تطئي بقدميك، إذا جاز لي التعبير، هو مكان مقدس».

«مكان مقدس؟».

«قد يبدو ذلك غير معقول، ولكن صدقيني، لا توجد فيه أي مبالغة. إن الذي توشكين أن تضعي عينيك ويديك عليه، هو شخص مقدس. لا توجد كلمة أخرى تناسب التعبير عن ذلك».

أومأت أومامه، دون أن تقول شيئاً. لم يكن يوجد وقت لأن تعلق بشيء.

قال حليق الرأس: «لقد سمحنا لأنفسنا بإجراء بعض التحريات حولك. آمل ألّا يسوءك ذلك، لكنه كان لزاماً علينا. لدينا أسبابنا التي تدفعنا لاتخاذ كل الاحتياطات».

استرقت أومامه نظرة خاطفة نحو ذيل الحصان فيما كانت تستمع. كان يجلس على كرسي بجوار الباب دون أن يحرك ساكناً، ظهره مستقيم تماماً، ويديه على ركبتيه، والتصقت ذقنه بصدره. بدا وكأنه يتهيأ لالتقاط صورة. وكانت عيناه مسلطتين عليها طوال الوقت.

نظر حليق الرأس إلى قدميه كما لو أنه يتحقّق من مدى اهتراء حذائه الأسود، ثم رفع وجهه ونظر إلى أومامه ثانية: «باختصار، لم

نعثر على أي مشكلات، وذلك هو ما جعلنا نطلب منك المجيء اليوم. لديك سمعة جيدة كمدربة موهوبة، والناس يقدرونك كثيراً».

قالت أومامه: «شكراً جزيلاً».

«أتفهم أنك كنت عضوة في جمعية الشهود. هل ذلك صحيح؟».

«نعم، صحيح. كان والداي مؤمنَين، وبطبيعة الحال جعلاني مؤمنة أيضاً، منذ مولدي. لم أختر ذلك لنفسي، لكني تخليت عن الدين منذ وقت طويل».

لا أدري إن كانت تحرياتهم قد كشفت لهم أنني وأيومي قد اعتدنا الخروج معاً لاصطياد الرجال في روبونجي؟ آه، صحيح، لا يهم. إذا كانوا قد اكتشفوا ذلك، فلا بد أنه لم يزعجهم. وإلا لما كنت هنا الآن.

قال حليق الرأس: «نحن على معرفة بذلك أيضاً. ولكنك كنت مؤمنة ذات يوم - ولا سيما خلال سنوات طفولتك الأولى المؤثرة. لذلك أظنك تعرفين جيداً ما أعني عندما أصف شيئاً ما بأنه «مقدَّس». في أي ديانة، يقع المقدَّس في صميم الإيمان. ويجب ألا ندنس ذلك العالم أبداً. وتوجد منطقة مقدسة لا نملك أن نضل عنها. والخطوة الأولى في كلّ دين هي الإقرار بوجودها، وقبولها، وتبجيلها تبجيلاً مطلقاً. لعلك تفهمين ما أحاول قوله، أليس كذلك؟».

قالت أومامه: «أعتقد ذلك، وإن كان قبولي به أو رفضي هو مسألة أخرى».

قال حليق الرأس: «بالطبع. بالطبع لا يوجد ما يجبرك على قبوله. هذا دينُنا، وليس دينَك. ولكنك، بغض النظر عن الإيمان أو عدم الإيمان، سوف تشهدين غالباً أموراً خاصة - وكائناً غير عادي على الإطلاق».

بقيت أومامه صامتة. **كائن غير عادي على الإطلاق.**

ضيَّق حليق الرأس حدقتي عينيه وقتاً، محاولاً أن يفهم معنى صمت أومامه. ثم، قال بنبرة متأنية: «أيّاً كان ما تشهدينه اليوم، فلا تذكريه لأحد. سيكون ذلك تدنيساً لا يَمّحي للقُدسية، كما لو أن شيئاً غريباً قد لوَّث بركة ماء صافية وجميلة. وأيّاً كان ما يعتقده العالم بأسره، وأيّاً كان ما تنصّ عليه قوانين هذا العالم، فهذا هو شعورنا إزاء ذلك. إذا كان لنا أن نعتمد عليك، وإذا كان لك أن تُوفِي بوعدكِ، فإن بوسعنا، كما قلت من قبل، أن نقدم لك أجراً سخياً».

قالت أومامه: «أفهم ذلك».

وأضاف: «نحن جماعة دينية صغيرة، ولكن لدينا قلوب قوية وأذرع طويلة».

قالت أومامه في نفسها، **لديكم أذرع طويلة. أظن أني سوف أختبركم كي أكتشف مدى طول هذه الأذرع.**

اتكأ حليق الرأس إلى المكتب بجسمه وقد ضم ذراعيه، وراح يتفحص أومامه، وكأنه ينظر إلى لوحة معلقة على حائط كي يتبين هل هي مائلة أو معتدلة. أما ذيل الحصان فقد ظلّ حيث هو لا يحرك ساكناً، ولم يرفع عينيه قطّ عن أومامه.

نظر حليق الرأس في ساعته.

قال: «هيا بنا إذاً»، نظف حنجرته مرة واحدة، ثم تحرك ببطء وبخطى حذرة عبر الغرفة وكأنه حاجٌّ يجتاز بحيرة. نقر نقرتين هادئتين على الباب المؤدي إلى الغرفة الأخرى، ودون انتظار الجواب، فَتح الباب، وانحنى انحناءة خفيفة، ثم دخل. تبعته أومامه، وهي تحمل الحقيبة الرياضية. بعد خطواتها الحذرة، غاصت قدماها في بساطٍ وثير، فعملت على ضبط أنفاسها. ثَنت إصبعها وأصبحت جاهزة لشد

زناد المسدس في خيالها. **لا داعي للقلق. أنا كما هو أنا دائماً**. ومع ذلك، ظلت أومامه خائفة. شعرت كما لو أن قطعة ثلج قد التصقت بعمودها الفقري - ثلج لم تظهر عليه أي علامة للذوبان. **أنا هادئة ومطمئنة، ولكني خائفة في أعماقي**.

يجب ألا ندنس ذلك العالم أبداً. وتوجد منطقة مقدسة لا نملك أن نضل عنها، كان ذلك هو ما قاله حليق الرأس. كانت أومامه تدرك ما قصده من وراء ذلك. فهي نفسها قد عاشت ذات يوم في عالم يضع مثل هذه المنطقة موضع القلب منه. **وفي الحقيقة، ربما لا أزال أسيرة ذلك العالم، ولكني لا أعي ذلك فحسب**.

لهج لسانها ببعض الأدعية دون أن يُسمع لها صوت. ثم أخذت نفساً واحداً عميقاً، وحسمت أمرها، ثم دلفت إلى الغرفة المجاورة.

الفصل الثامن

تنغو
حان موعد مجيء القطط

أمضى تنغو أسبوعه التالي أو يزيد وسط صمت غريب. ففي ليلة واحدة، اتصل به ذلك المدعو ياسودا كي يخبره أن زوجته قد ضاعت إلى غير رجعة ولن تزور تنغو مرة أخرى أبداً. وبعد ساعة اتصل يوشيكاوا كي يقول له إن تنغو وفوكا-إري كانا «حاملين لوباء جريمة الفكر». حمل كل متصل لتنغو رسالة تتضمن معنىً عميقاً، وألقاها كل منهما وكأنه رومانيٌّ قديم بردائه الفضفاض وقد اعتلى منبراً وسط المنتدى كي يوجه تصريحاً للمواطنين المعنيين. وبمجرد أن انتهي كل منهم من كلامه، وضع السماعة في وجه تنغو.

لم يتصل أحد بتنغو منذ هاتين المكالمتين الليليتين. لم تأته مكالمات هاتفية، ولا خطابات، ولا طَرق بابه أحد، ولا جاءته حتى رسالة بالحمام الزاجل. لم يكن لدى كوماتسو أو البروفيسور إيبسونو أو فوكا-إري أو كيوكو ياسودا أي شيء على الإطلاق يجب أن يخطروا به تنغو.

شعر تنغو وكأنه قد فقد كل اهتمام بهؤلاء الأشخاص. وليس بهم وحدهم: بدا أنه فقد الاهتمام بأي شيء وكل شيء. لم يعُد يبالي

بالمبيعات التي تحققها ’الشرنقة الهوائية‘ أو بما تفعله مؤلفتها، فوكا-إري الآن، أو بمخطط كوماتسو أو بما إذا كانت خطة البروفيسور إبيسونو المرسومة بعناية تسير وفق ما يراد لها، أو بمدى اقتراب وسائل الإعلام من كشف الحقيقة، أو بأي خطوات قد يتخذها تنظيم ساكي جاكه. إذا كان القارب الذي يحملهم جميعاً سوف يندفع فوق الشلالات وينقلب، فلا سبيل أمامه سوى السقوط معهم. يستطيع تنغو أن يقاوم كيفما يشاء في هذه المرحلة، لكن ذلك لن يغير في مجرى النهر شيئاً.

لا شك أن القلق كان يساوره بشأن كيوكو ياسودا. إذ لم يكن يدري حقاً ماذا يجري معها، لكنه لن يدخر جهداً لمساعدتها إنْ استطاع. ولكن أيّاً كانت المشكلات التي تواجهها في الوقت الراهن، فهي تقع خارج نطاق قدرته. وليس بيده حيلة معها.

توقف عن قراءة الصحف. كان العالم يمضي قدُماً نحو وجهة لا صلة له بها. غمره شعور باللامبالاة حتى إنه أصبح كما لو كان غمامة تَصحبه. صار يتقزز بشدة من رؤية أكداس ’الشرنقة الهوائية‘ على الأرفف، فلم يعد يتردد على المكتبات. وأصبح يذهب من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت مباشرة. وبينما كان معظم الناس يستمتعون بعطلاتهم الصيفية، كان تنغو يجد نفسه أكثر انشغالاً في الصيف عنه من أي وقت آخر، وذلك بسبب الدورات الصيفية التي تقدمها المدارس التأهيلية. طاب له هذا الجدول. فعلى الأقل وهو يلقي محاضرته، لن يتعين عليه أن يفكر في أي شيء سوى الرياضيات.

انصرف عن كتابة روايته، أيضاً. قد يجلس إلى مكتبه، ويُشغِّل معالج النصوص، ويرى الشاشة وقد أضاءت، لكنه لا يجد ما يدفعه

للكتابة. وكلما حاول التفكير في شيء، تتبادر إلى ذهنه مقتطفات من محادثاته مع زوج كيوكو ياسودا أو مع يوشيكاوا. ثم لا يستطيع أن يصرف تركيزه إلى روايته.

زوجتي ضاعت إلى غير رجعة. لم يعد بوسعها أن تزورك في بيتك في أي شكل من الأشكال.

هذا ما قاله زوج كيوكو ياسودا.

إذا جاز لي هنا أن أستعير تشبيهاً كلاسيكياً، فأنتم ربما دخلتم عش دبابير وأطلقتم فوضى شاملة في العالم. ويبدو أن هذا هو ما يرى موكلي أنكم قمتم به، بناء على انطباعاتي الخاصة. ربما جمعتكما الصُدفة، ولكن تبين أنكما تشكلان ثنائياً أقوى بكثير مما تتصوران. لقد استطاع كل منكما أن يسد نقصاً لدى الآخر.

وهكذا قال يوشيكاوا.

كان يبدو أنهما يحاولان قول شيء واحد: لقد أطلق تنغو العنان لقوةٍ ما دون أن يعي ذلك تماماً، وكان لهذه القوة تأثير حقيقي (على الأرجح ليس تأثيراً مرغوباً) في العالم من حوله. أطفأ تنغو معالج النصوص، وجلس أرضاً، وراح يحدق في الهاتف. إنه بحاجة إلى مزيد من التلميحات، ومزيد من قطع الأحجية. ولكن أحداً لن يعطيه ذلك. أصبح الرفق هو أحد الأشياء الشحيحة في الوقت الحالي (أو دائماً) في العالم.

فكر في الاتصال بأحد ما - وليكن كوماتسو أو البروفيسور إبيسونو أو يوشيكاوا. ولكنه لم يستطع أن يحمل نفسه على ذلك فعلاً. لديه ما يكفي من أقوالهم الملغزة التي تتقصد الغموض. إذا طلب تلميحاً حول لغز واحد، فلن يقدِّموا له سوى لغز آخر. ليس

بوسعه أن يواصل هذه المباراة إلى الأبد. كان فوكا-إري وتنغو يشكلان فريقاً قوياً. هذا هو كل ما كان يجب عليهم قوله. تنغو وفوكا-إري. يشبهان «سوني وشير».

و«تستمر الحياة». The Beat Goes on.

مرَّت الأيام تترى. وأخيراً ضجِر تنغو من البقاء حبيس شقته، في انتظار ما ستؤول إليه الأحداث. دسّ حافظة نقوده ونسخة من كتاب في جيوبه، ثم ارتدى قبعة بيسبول ونظارة شمسية، وخرج يمشي بخطى حاسمة قاصداً محطة كوينجي، المحطة القريبة من شقته. وهناك أظهر التذكرة واستقلّ القطار السريع على خط تشو لاين. كانت العربة فارغة. لم يكن لديه أي التزامات في هذا اليوم. وكان قرار إلى أين يذهب وماذا يفعل (أو لا يفعل) متروكاً له وحده. كانت الساعة هي العاشرة من صباح يوم صيفي راكد الهواء، فيما شمسُه تُلهب الأرض بأشعتها.

عندما خطر له أن أحد «باحثي» يوشيكاوا ربما يتعقبه الآن، انتبه أكثر إلى طريقه نحو المحطة، وراح يتوقف فجأة كي ينظر نظرة خاطفة وراءه، ولكن أحداً لم يُثِر شكوكه. وفي المحطة، ذهب عامداً إلى الرصيف الخطأ ثم تظاهر وكأنه قد غيَّر رأيه فجأة، وهبط السلم وانتقل إلى رصيف القطارات المتجهة إلى الوجهة الأخرى. ولكن لم يكن يبدو أن أحداً غيره يقوم بهذه المناورات. لا بد أنه واقع تحت تأثير الشعور بأن أحداً ما يتعقبه. لم يكن مِن أحد بالطبع يتبعه. فحتى تنغو نفسه لم يكن يعرف إلى أين هو ذاهب أو ما يوشك أن يفعل. كان هو نفسه أكثر من أي أحد آخر يريد أن يشاهد من بعيد ما هو مُقبل عليه من أفعال.

مرَّ القطار الذي استقله بمحطة شنجوكو، ويوتسويا، وأوتشانوميزو، ثم وصل إلى محطة طوكيو المركزية، في نهاية الخط. نزل جميع الركاب، وتبعهم هو في ذلك. وبعدئذٍ جلس على مقعد، وراح يفكر إلى أين يجب أن يذهب. قال تنغو في نفسه، **أنا في وسط مدينة طوكيو الآن. لا توجد لدي أي التزامات طوال اليوم. أستطيع الذهاب إلى أي مكان أقرره. يبدو أن طقس اليوم سيكون حاراً. يمكنني الذهاب إلى شاطئ البحر.** رفع رأسه ونظر في دليل قطارات الرصيف.

وفي تلك اللحظة أدرك فجأة ما كان منهمكاً فيه خلال ذلك.

حاول أن يهز رأسه بضع مرات، ولكن الفكرة التي داهمته لم تكن لتنصرف عنه. ربما كان يتخذ قراراته دون وعي منذ أن استقل القطار القادم في خط تشو لاين في محطته في كوينجي. أطلق زفرة ثم نهض واقفاً من المقعد، وهبط سلَّم الرصيف، وتوجه إلى رصيف خط سوبو لاين. وفي طريقه، سأل أحد موظفي المحطة عن أسرع وسيلة للوصول إلى تشيكورا، فقلَّب الرجل صفحات دليل ضخم لجداول القطارات. يجب أن يستقل قطار الساعة 11:30 السريع إلى تاتياما، ثم يبدِّل هناك ويستقل قطاراً داخلياً، وسوف يصل إلى تشيكورا بعد الساعة الثانية بقليل. اشترى تذكرة طوكيو - تشيكورا ذهاباً وإياباً وحجز مقعداً على متن القطار السريع. ثم ذهب إلى مطعم داخل المحطة حيث طلب أرزاً وكاري وسلاطة. وبعد تناوله الطعام، راح يُضيِّع ما بقي من وقت في احتساء فنجان من القهوة الخفيفة.

كانت إمكانية ذهابه لرؤية والده فكرة تبعث على الاكتئاب. لم يشعر قط بحب كبير إزاء الرجل، وعلى الأرجح فإن والده أيضاً لم يكن يحمل له حباً خاصاً. لم يكن تنغو يدري هل والده راغب في

رؤيته أو لا. كان والده قد تقاعد من «إن إتش كيه» قبل أربع سنوات، لكنه سرعان ما أُدخل بعد ذلك إلى مصحة في تشيكورا تختص برعاية مرضى الاضطرابات الإدراكية. لم يزُره تنغو سوى مرتين، الأولى جاءت مباشرة عقب دخول الأب إلى المصحة حيث استدعت إحدى المسائل الإجرائية الإدارية وجود تنغو بصفته قريبه الوحيد. وأما الثانية فكانت هي الأخرى في مسألة إدارية ملحة. مرتين: لا أكثر.

أُقيمت المصحة فوق قطعة أرض كبيرة تقع على الطريق بمحاذاة الساحل. وكانت الفيلا الريفية التي تعود لعائلة ثرية ترتبط في الأصل بإحدى تجمعات زايباتسو ما قبل الحرب - وهي احتكارات مالية وصناعية كبيرة وذات نفوذ وتخضع لسيطرة بعض العائلات، قد تم شراؤها لتكون مقراً لشركة تأمين على الحياة، وتم تحويلها في الآونة الأخيرة، إلى مصحة تستهدف في المقام الأول علاج مرضى الاضطرابات الإدراكية. كانت تبدو لمن ينظر إليها من الخارج، كمزيجٍ غريب من مبان خشبية قديمة وأنيقة ومبان خرسانية جديدة تتألف من ثلاثة طوابق. كان الهواء فيها منعشاً، وبرغم هدير الأمواج، كان الهدوء دائماً هو سيد المكان. ويمكن للمرء أن يسير بمحاذاة الشاطئ في تلك الأيام التي لا تشتد فيها الرياح. وتحيط بالحديقة صفوف من شجر الصنوبر كانت بمثابة مصدات للرياح. أما التجهيزات الطبية فهي على درجة ممتازة.

وبفضل تأمينه الصحي، ومكافأة نهاية الخدمة، ومدخراته، ومعاشه التقاعدي، كان بوسع والد تنغو أن يقضي على الأرجح بقية عمره هناك في راحة تامة، وذلك كله لأنه كان سعيد الحظ وتم تعيينه موظفاً بدوام كامل في شركة «إن إتش كيه». ربما لن يترك وراءه أي ميراث كبير، ولكنه على الأقل سوف يحظى بالرعاية التي يحتاجها،

وهو أمر كان تنغو يشعر نحوه بامتنان كبير. وسواء كان الرجل، أو لم يكن، أباه البيولوجي الحقيقي، فإن تنغو لم يكن ينوي أن يأخذ منه أو يعطيه أي شيء. كانا إنسانين منفصلين، كل منهما خرج من مكان مختلف تماماً، ويتجه إلى مكان مختلف تماماً. ومع ذلك قضَّيا بطريق الصدفة، بضع سنوات من الحياة معاً. هذا كل ما هنالك. كان من العار، حسبما يرى تنغو، أن تصل الأمور إلى هذا الحدّ، ولكن لم يكن بيده أن يفعل أي شيء حيال ذلك.

أدرك تنغو أن الوقت قد حان لزيارة والده مرة أخرى. لم تكن هذه الفكرة تروق له كثيراً، وكان يفضل أن يرجع عن طريقه ويعود مباشرة إلى شقته. ولكنه كان يحمل في جيبه بالفعل تذكرة ذهاب وإياب على متن القطار السريع. كان جاهزاً تماماً للذهاب.

غادر الطاولة، ودفع فاتورته، واتجه صوب الرصيف في انتظار وصول قطار تاتياما السريع. ألقى نظرة فاحصة حوله مرة أخرى، ولكن لم تقع عينه على «باحثين» محتملين في المكان. كان الركاب الوحيدون على متن القطار من أفراد الأسر وتبدو على وجوههم السعادة وهم متجهون إلى الشاطئ لقضاء بضعة أيام. خلع نظارته الشمسية، ووضعها في جيبه، وضبط وضعية قبعة البيسبول على رأسه. وفكر، **لا يهمني. ليتجسسوا عليّ كيفما يشاؤون. أنا ذاهب إلى مدينة ساحلية في تشيبا لرؤية والدي الذي أصابه الخرف. ربما يتذكر ابنه، أو ربما لن يتذكره مرة أخرى. ذاكرته كانت بالفعل مشوشة للغاية آخر مرة. والأرجح أنها زادت سوءاً منذ ذلك الحين. الاضطرابات الإدراكية تسير للأمام ولا ترجع للوراء مطلقاً. أو هكذا قيل لي. إنها مثل ترس لا يتحرك إلّا في اتجاه واحد.**

عندما غادر القطار محطة طوكيو، أخرج تنغو الكتاب الذي كان قد اشتراه وشرع في قراءته. كان يحوي مجموعة قصص قصيرة تدور حول موضوع السفر وكان من بينها حكاية عن شاب سافر إلى بلدة تحكمها القطط. كان عنوانها هو «بلدة القطط». كانت عملاً فانتازياً ومن تأليف كاتب ألماني لم يسمع به تنغو. وبحسب حاشية الكتاب، فقد كُتبت القصة في فترة ما بين الحربين العالميتين.

كان الشاب الذي لا يحمل سوى حقيبة واحدة، يسافر وحده حسب نزواته دون أن تكون لديه في ذهنه وجهة بعينها. يستقل القطار وينزل في أي محطة تثير اهتمامه. يستأجر غرفة، ويزور معالم المكان، ويمكث فيه بقدر ما يشاء. وحالما يشعر بأنه قد حصل على كفايته، يستقل قطاراً آخر. وهكذا يقضي كل عطلة.

وذات يوم يرى نهراً جميلاً من نافذة القطار. يرى تلالاً خضراء وجميلة بمحاذاة مجرى النهر المتعرج، وفي سفحها تقع بلدة هادئة وصغيرة وفيها جسر حجري قديم فوق النهر. يجتذبه المنظر. هذا المكان يجب أن يحتوي على السمك النهري اللذيذ. يتوقف القطار في المحطة، فينزل الشاب ومعه حقيبته. لا أحد ينزل من القطار سواه. وبمجرد نزوله، ينطلق القطار.

لا يوجد عمال يديرون المحطة، التي لا يجري فيها سوى نشاط محدود. يعبُر الشاب الجسر الحجري ويدخل إلى البلدة. يجدها غارقة في سكون تام، ولا يرى فيها أحداً. جميع المتاجر مغلقة، ومقر المجلس البلدي مهجور. لا أحد في مكتب الاستقبال في فندق البلدة الوحيد. يدق الجرس، فلا يخرج له أحدٌ. يبدو المكان غير مأهول بالمرة. ربما كان جميع سكانه في قيلولة في مكان ما. ولكن الساعة لم تتجاوز العاشرة ونصف صباحاً، وهو وقت مبكر جداً على ذلك.

لعل هناك سبباً ما حمَل جميع الناس على مغادرة البلدة. وعلى أي حال، لن يمر القطار القادم قبل صباح اليوم التالي، ولا مناص له من أن يقضي الليلة هنا. يتجول في أنحاء البلدة تمضيةً للوقت.

لكن هذه البلدة كانت في واقع الأمر بلدة للقطط. وحالما تميل الشمس للمغيب، تعبر العديد من القطط الجسر باتجاه بلدة القطط - قطط من شتى الفصائل والألوان. إنها أكبر حجماً من القطط العادية، لكنها تظل قططاً. يُصاب الشاب بالصدمة لدى رؤيته هذا المشهد. يهرع إلى برج الجرس في وسط البلدة ويصعد إلى قمته للاختباء. تؤدي القطط أعمالها وترفع أبواب المتاجر أو تجلس في مكاتب المجلس البلدي لبدء عملها اليومي. وسرعان ما تأتي المزيد من القطط فتعبُر الجسر نحو البلدة مثل القطط الأخرى. تدخل إلى المتاجر كي تشتري حاجياتها أو تقصد المجلس البلدي كي تنجز بعض المعاملات الإدارية أو تدخل إلى مطعم الفندق حيث تتناول الطعام أو تحتسي الجعة في الحانة وتغني أغاني جميلة خاصة بالقطط. تعزف قطة على آلة أكورديون فيما ترقص أخريات على أنغام الموسيقى. ولأن القطط قادرة على الرؤية في الظلام، فهي لا تحتاج تقريباً إلى إضاءة الأنوار، ولكن القمر كان بدراً ونوره يغمر البلدة في تلك الليلة، ما يتيح للشاب أن يرى كلّ شيء من مكانه في برج الجرس. وحالما يقترب الفجر، تغلق القطط المتاجر، وتنهي أشغالها أو أعمالها الرسمية، ثم تعود عبر الجسر أفواجاً من حيث جاءت.

ومع شروق الشمس، ترحل القطط، وتعود البلدة مهجورة مرة أخرى. ينزل الشاب من البرج وينتقي لنفسه إحدى غرف الفندق، ثم يخلد إلى النوم. وحينما يجوع، يأكل بعض الخبز والسمك المطهو الذي وجده في مطبخ الفندق. وحالما يقترب حلول الظلام، يختبئ

في أعلى برج الجرس مرة أخرى ويظلّ يراقب أعمال القطط حتى مطلع الفجر. القطارات تتوقف في المحطة قبل الظهيرة وقبل المساء. إذا استقل قطار الصباح، فسيكون بوسعه أن يتابع رحلته، أما إذا استقل قطار ما بعد الظهيرة فسيكون بوسعه أن يعود من حيث أتى. لا أحد من الركاب ينزل في هذه المحطة، ولا أحد يصعد منها إلى القطار، أيضاً. ومع ذلك، تتوقف القطارات في المحطة دقيقة واحدة بالضبط حسبما هو مقرر ثم تنطلق من جديد. يستطيع أن يستقل أحد القطارات ويترك بلدة القطط المخيفة. ولكنه لا يفعل. ولأنه في سن الشباب، فقد كان لديه فضول كبير وطموح لا محدود وكان متأهباً لخوض المغامرات. إنه يرغب في رؤية المزيد من المشاهد الغريبة في بلدة القطط. وإذا أمكن، يريد أن يعرف متى وكيف أصبحت هذه البلدة بلدةً للقطط، وكيف تنتظم الحياة في هذه البلدة، وماذا تفعل فيها القطط. لعله هو الإنسان الوحيد الذي اطّلع على هذا المشهد الغريب.

وفي ليلة يومه الثالث، يسود هرج ومرج في الميدان الواقع أسفل برج الجرس. ويسمع قطاً يقول: «مرحباً، هل تشم رائحة إنسان؟».

يوافقه قط آخر وهو يتشمَّم بأنفه: «بما أنك ذكرت ذلك الآن، أظنني كنت أشم رائحة غريبة منذ أيام قليلة».

يقول قط آخر: «وأنا أيضاً».

يضيف آخر: «شيء غريب. لا ينبغي أن يوجد هنا أي إنسي. لا، بالطبع لا. لا يمكن لأي إنسان أن يأتي إلى بلدة القطط».

«ولكن رائحتهم موجودة هنا بكل تأكيد».

تُشكل القطط مجموعات وتقوم بتفتيش المدينة من أقصاها إلى أدناها وكأنها فرق أمنية. تمتلك القطط حاسة شمّ ممتازة، ولذلك لا

تلبث أن تكتشف أن برج الجرس هو مصدر الرائحة. يسمع الشاب وقع مخالبها الطرية وهي تصعد دَرَج البرج. قال في نفسه، **انتهى الأمر، لقد عثروا عليّ!** يبدو أن رائحته قد أثارت غضب القطط. لديها مخالب حادة وكبيرة وأنياب بيضاء. لا ينبغي للبشر أن يطأوا بأقدامهم هذه البلدة. لا يدري الشاب أي مصير رهيب ينتظره إذا أُكتشف مكانه، ولكنه على يقين أنها لن تدعه يرحل عن البلدة حياً وقد اطلع على سرهم.

تصعد ثلاث قطط إلى قمة برج الجرس وتتشمم الهواء. يقول قط وقد رفع شاربه: «شيء غريب، أشم رائحة إنسان، ولكن لا أحد هنا».

يقول قط ثاني: «شيء غريب حقاً. لكن لا أحد هنا فعلاً. لنبحث في مكان آخر».

«لكني لا أفهم ذلك».

ترفع القطط الثلاثة رؤوسها، في حيرة، ثم تتراجع وتنزل الدَرج. يسمع الشاب وقع خطاها وهي تهبط الدرج وتتلاشى في ظلمة الليل. يتنفس الصعداء، ولكنه لا يفهم ماذا جرى أيضاً. كان في مواجهة مباشرة مع القطط في هذا المكان الضيق. لم تكن القطط لتُفلته. ولكنها لسبب ما لم تره. يضع يده على عينيه فيراها بوضوح. لم تصبح شفافة. شيء غريب. رغم ذلك، وعلى أي حال، مع طلوع الصبح، سوف يكون عليه أن يذهب إلى المحطة كي يستقل القطار ويرحل عن هذه البلدة. بقاؤه هنا سيكون محفوفاً بمخاطر كبيرة. ولن يحالفه هذا الحظ إلى الأبد.

لكن لا يتوقف قطار الصباح في اليوم التالي في المحطة. يراه يُجاوز المحطة دون أن يُخفِّض سرعته. والشيء ذاته يفعله قطار

المساء. يمكنه حتى أن يرى السائق جالساً في غرفة القيادة. وكذلك كان يرى وجوه الركاب عبر النوافذ. لكن القطار لا يُظهر أي علامة على التوقف. يبدو وكأن الركاب لا يمكنهم أن يروا الشاب الذي ينتظر القطار أو حتى يروا المحطة نفسها. وما إن يتلاشى القطار عبر مساره، حتى يسود المكان هدوءٌ أشد من ذي قبل. وتبدأ الشمس في المغيب. ويحين موعد مجيء القطط. يدرك الشاب أنه قد ضاع إلى غير رجعة. ويدرك في نهاية الأمر، أنها ليست بلدة قطط. وإنما هي المكان الذي قدِّر له أن يضيع فيه. إنه مكان لا ينتمي إلى هذا العالم وقد أُعد خصيصاً من أجله هو. وإلى أبد الآبدين، لن يتوقف القطار مرة أخرى أبداً في هذه المحطة كي يرده إلى عالمه الأصلي.

قرأ تنغو القصة مرتين. ولفتت انتباهه عبارة «المكان الذي قدِّر له أن يضيع فيه». طوى الكتاب وترك عينيه تسرحان بلا هدف في المنظر المُكئب للمنطقة الصناعية عبر الساحل وهي تمر عبر نافذة القطار، ما بين لهب متصاعد من مصفاة لتكرير النفط، ومستودعات غاز عملاقة، ومداخن ضخمة يشبه بعضها بعضاً وكأنها مدافع بعيدة المدى، وطابور من شاحنات قاطرة تجر خزانات وتسير عبر الطريق. كان مشهداً منفصلاً عن «بلدة القطط»، ولكن كانت تتخلله مسحة من الفانتازيا، كما لو أن العالم السفلي يمدّ الحياة الحضرية للمدن بأسباب بقائها.

سرعان ما أغمض تنغو عينيه بعد ذلك وراح يتخيل كيوكو ياسودا وهي حبيسة في «مكان ضياعها»، حيث لا قطارات أو هاتف أو بريد. خلال النهار لم يكن يوجد سوى الوحدة التامة، ومع حلول الليل يبدأ بحث القطط التي لا تكلّ، وهكذا تعيد الدورة نفسها دون أي نهاية في الأفق. وعلى ما يبدو، فقد غلبه النعاس وهو في مقعده - لم يكن

نوماً طويلاً، ولكنه كان عميقاً. استيقظ فوجد نفسه يتصبب عرقاً. وكان القطار يتحرك بمحاذاة خط الساحل الجنوبي لشبه جزيرة بوسو في منتصف الصيف.

ترك القطار السريع في تاتياما، وانتقل إلى قطار داخلي حتى بلغ تشيكورا. عندما نزل من القطار، هبَّت عليه نفحة من رائحة البحر المألوفة القديمة. بدا أن الشمس قد لفحت وجوه جميع المارة في الشارع. استقل سيارة أجرة أقلته من المحطة إلى المصحة. وعندما بلغ مكتب الاستقبال، عرَّف باسمه وباسم والده.

سألته ممرضة الاستقبال التي كانت في منتصف عمرها: «هل أخطرتنا بأي طريقة بنيتك الزيارة اليوم؟» جاء صوتها صارماً. كانت امرأة ضئيلة الجسم، وترتدي نظارة ذات إطار معدني، فيما ظهرت في شعرها القصير مسحة خفيفة من الشيب. ربما كان الخاتم الذي تضعه في إصبع البنصر المكتنز لديها قد تم شراؤه ضمن طاقم واحد مع النظارة. كانت شارة الاسم تقول «تمورا».

أجاب تنغو بصراحة: «لا، فقط خطر لي هذا الصباح الحضور فقفزت إلى القطار».

رمقته الممرضة بنظرة بها شيء من التقزز. ثم قالت: «يُفترض أن يخطرنا الزوار قبل وصولهم لزيارة مريض. لدينا جداول مواعيد يجب الالتزام بها، كما أن رغبات المريض يجب أن تؤخذ هي الأخرى في الحسبان».

«آسف، لم أكن أعرف».

«متى كانت آخر زيارة لك؟».

«منذ سنتين».

«منذ سنتين»، قالت الممرضة تمورا وهي تتفحص قائمة الزوار بقلم جاف في يدها. «هل تقصد أن تقول إنك لم تقم بأي زيارة خلال سنتين؟».

قال تنغو: «هذا صحيح».

«بحسب سجلاتنا، فأنت القريب الوحيد للسيد كاوانا».

«صحيح».

وضعت القائمة على سطح المكتب وحملقت في تنغو، لكن دون أن تقول أي شيء. لم تكن تلومه بنظرتها، بل كانت تدقق البيانات. وعلى ما يبدو، فإن تنغو لم يكن وحده في ذلك.

«والدك الآن يخضع لجلسة إعادة تأهيل جماعية. وسوف ينتهي ذلك في غضون نصف ساعة. يمكنك عندئذٍ أن تراه».

«وكيف حاله؟».

قالت وهي تنقر صُدغها بإصبع السبابة: «جسمانياً، هو سليم. ولا يعاني مشكلات بعينها. لكنه في منطقة أخرى يعاني اضطرابات. سوف أتركك تكتشف ما أعنيه باضطرابات».

شكرها تنغو وذهب لتمضية الوقت في الردهة بجوار المدخل، حيث جلس على أريكة يفوح منها عبق حقبة ماضية وراح يقرأ المزيد في كتابه. كان النسيم يهبّ من حين إلى آخر حاملاً معه رائحة البحر وذلك الصوت الجميل الذي يصنعه شجر الصنوبر عندما تمر به الرياح في الخارج. وكانت حشرات السيكادا تتعلق بأغصان الأشجار، وتطلق صيحاتها بأعلى صوتها. بلغ الصيف الآن ذروته، ولكن يبدو أن السيكادا تدرك أنه لن يستمر طويلاً.

وأخيراً، جاءت الممرضة تمورا ذات النظارة كي تقول لتنغو إن بوسعه الآن أن يرى والده حيث انتهت جلسة إعادة التأهيل.

قالت: «سوف أصحبكَ إلى غرفته». نهض تنغو من الأريكة، ولدى مروره بمرآة كبيرة على الحائط، أدرك للمرة الأولى مدى قذارة الثياب التي يرتديها - تي شيرت يحمل صورة لفرقة جيف بيك في جولتها في اليابان تحت قميص حال لونه وأزراره غير متماثلة، وبنطال تظهر قرب إحدى ركبتيه بقع صلصة بيتزا، وحذاء رياضي أزرق لم يُغسل منذ مدة، وقبعة بيسبول. لا يمكن لابن في الثلاثين من عمره أن يأتي بهذا الهندام في أول زيارة لأبيه في المستشفى منذ عامين. ولم يكن يحمل معه أي شيء يقدمه على سبيل الهدية. لم يكن معه سوى كتاب دسه في جيبه، لا أكثر ولا أقل. ولا عجب أن رمقته الممرضة بنظرة التقزز تلك.

وبينما كانا يسيران عبر المصحة قاصدَين الجناح الذي يضم غرفة والده، قدّمت له الممرضة وصفاً عاماً عن المكان. توجد ثلاثة أجنحة مقسمة بحسب شدة مرض المريض. كان والد تنغو الآن موجوداً في جناح «الحالات المتوسطة». يبدأ المرضى عادة بجناح «الحالات الخفيفة»، ثم يُنقلون إلى جناح «الحالات المتوسطة»، ثم إلى جناح «الحالات الحرجة». وكما هو الشأن مع باب لا يُفتح إلا في اتجاه واحد، لا رجوع إلى الوراء. ولا يوجد مكان ينتقل إليه المريض بعد جناح «الحالات الحرجة» - سوى محرقة الجثث. بالطبع، لم تُضِف الممرضة ملاحظتها الأخيرة، ولكن المعنى الذي أرادته كان واضحاً.

كان والده يقيم في غرفة مزدوجة، ولكن زميله كان في الخارج لحضور إحدى الجلسات. كانت المصحة تقدم العديد من الجلسات لإعادة التأهيل مثل صناعة الخزف أو البستنة أو التمرينات الرياضية. ورغم أنها جميعها يُفترض أن تكون بغرض «إعادة التأهيل»، فإنها لم تكن تستهدف «الشفاء». فالغرض منها، بدلاً من ذلك، كان إبطاء

زحف المرض قدر الإمكان. أو مجرد تمضية الوقت. كان والد تنغو يجلس على مقعد بجوار نافذة مفتوحة، وينظر إلى الخارج واضعاً يديه على ركبتيه. وبجواره منضدة عليها نبات في مزهرية. كانت لأزهاره العديد من التويجات الصغيرة الصفراء. أما أرضية الغرفة فكانت مصنوعة من مواد طرية للوقاية من الإصابة في حالة السقوط. كان يوجد سريران بسيطان بأطر خشبية، ومنضدتان للكتابة، وخزانتان للملابس. وبجوار كل مكتب وُضعت خزانة كتب صغيرة، وكانت ستائر النافذة قد اصفر لونها بسبب تعرضها لأشعة الشمس على مدى سنوات.

لم يدرك تنغو في أول الأمر أن العجوز الجالس بجوار النافذة هو والده. كان جسمه قد انكمش - رغم أن «ذَبل» ربما تكون أدق تعبيراً. وكان شعره أصبح أقصر وفي بياض عشب يكسوه الصقيع. أصبحت وجنتاه غائرتين، وربما ذلك هو السبب في أنّ محجري عينيه قد بديا أوسع كثيراً مما كانا عليه من قبل. ظهرت ثلاثة خطوط لتجاعيد عميقة في جبهته. وبدا شكل رأسه أكثر تشوهاً مما كان عليه، ربما لأن شعره الأقصر جعلها أكثر وضوحاً. كان حاجباه طويلين وكثيفين على نحو لافت، وبرز شَعرٌ أبيض من أذنيه. أما أذناه الكبيرتان والمدببتان فأصبحتا الآن أكبر من ذي قبل وتشبهان جناحي خُفَّاش. كان أنفه هو الشيء الوحيد الذي ظل كما كان - مستديراً وغليظاً، في تناقض صارخ مع الأذنين، واكتسى بمسحة سوداء ضاربة للحمرة. أما شفتاه فقد تدليتا من كلا الطرفين، على ما يبدو كي تكونا جاهزتين لسيلان اللعاب في أي لحظة. وكان فمه مفتوحاً قليلاً، ويكشف عن أسنان غير متساوية. وقد ذكَّره والده الجالس في سكون تام عند النافذة، بإحدى لوحات فان غوخ الأخيرة التي رسم فيها نفسه.

ورغم أن تنغو دخل الغرفة، فقد اكتفى الرجل بنظرة عابرة في

اتجاهه، ثم عاد يُحدق بعينين ذاهلتين في الخارج. لم يكن يبدو إنساناً بقدر ما يبدو مخلوقاً من نوع ما، قد يشبه جرذاً أو سنجاباً - مخلوقاً ربما لا يكون شديد النظافة ولكنه يمتلك كل مكرٍ يحتاجه. لكنه مع ذلك، ودون أدنى شك، كان هو والد تنغو أو، بالأحرى، حطام والد تنغو. لقد انتقصت السنتان الماضيتان كثيراً من جسده، على النحو الذي يُجرِّد به جامع ضرائب قاسٍ منزل أسرة فقيرة من كل محتوياته. كان الأب الذي يذكره تنغو رجلاً صلباً وكادحاً في عمله. ربما لم يكن التأمل والخيال سمتين أصيلتين لديه، ولكن كان لديه نظامه الأخلاقي وإحساسه القوي بغايته. كان شخصاً متجلداً؛ فلم يسمعه تنغو يوماً يئن أو يلتمس لنفسه الأعذار. ولكن الرجل الذي رآه تنغو الآن لم يكن سوى قوقعة خاوية، ومنزلٍ جُرِّد من كل دفء فيه.

«يا سيد كاوانا!» قالت الممرضة مخاطبة والد تنغو بنبرة واضحة لا بد أنها تدربت على استخدامها عند مخاطبة المرضى. «سيد كاوانا! انظر مَن هنا! إنه ابنك!».

التفت والده مرة أخرى في اتجاه تنغو. عندما رأى تنغو عينيه الخاويتين من أيّ تعبير استحضر في ذهنه عُشين فارغين لعصفورين يتدليان من إفريز إحدى البنايات.

قال تنغو: «مرحباً».

قالت الممرضة: «سيد كاوانا، ابنك هنا وقد جاءك من طوكيو!».

لم يقل والده شيئاً. وبدلاً من ذلك، حملق في تنغو كما لو كان يقرأ منشوراً مكتوباً بلغة أجنبية.

قالت الممرضة لتنغو: «العَشاء يبدأ في السادسة والنصف. يمكنك البقاء هنا حتى ذلك الحين».

تردد تنغو للحظة بعد مغادرة الممرضة، لكنه اقترب من والده،

وجلس في المقعد المواجه لمقعده - كان مقعداً مغطى بقماش حال لونه، وتشققت أجزاءه الخشبية من أثر الاستخدام الطويل. كانت عينا والده تتبعان تحركاته.

سأله تنغو: «كيف حالك؟».

قال والده بنبرة رسمية: «جيد، أشكرك».

لم يدرِ تنغو ماذا عساه أن يقول بعد ذلك. أدار بصره نحو شجر الصنوبر بالخارج فيما راح يعبث بالزر الثالث في قميصه، ثم عاد ينظر مرة أخرى إلى والده.

سأله والده: «لقد جئت من طوكيو، أليس كذلك؟» كان على ما يبدو غير قادر على تذكر تنغو.

«نعم، من طوكيو».

«لا بد أنك جئت بالقطار السريع».

قال تنغو: «صحيح. ذهبت حتى تاتياما، وهناك انتقلت إلى قطار داخلي حتى وصلت إلى هنا في تشيكورا».

سأله والده: «جئت كي تَسبَح؟».

«أنا تنغو. تنغو كاوانا. ابنك».

سأله والده: «أين تعيش في طوكيو؟».

«في كوينجي. حي سوجينامي».

برزت خطوط التجاعيد الثلاثة في جبهة والده. «كثيرون يكذبون حتى لا يدفعون رسوم اشتراكاتهم في «إن إتش كيه»».

«أبي!» ناداه تنغو. كانت هذه هي المرة الأولى التي يخاطبه بكلمة أبي منذ أمد. «أنا تنغو. ابنك».

قال والده: «ليس لديّ ابن».

أعاد تنغو كلامه تلقائياً: «ليس لديك ابن».

أومأ والده.

سأله تنغو: «إذاً، فمَن أنا؟».

قال والده بعدما هزّ رأسه هزتين قصيرتين: «أنت لا شيء».

حبس تنغو أنفاسه. ولم يجد ما يقوله. وكذلك لم يكن لدى والده ما يضيفه. جلس كلاهما في صمت، يقلبان في أفكارهما المتشابكة. لم يكن يُسمع سوى صوت حشرات السيكادا التي راحت تغني دون ارتباك، وتصيح بأقصى درجات صوتها.

قال تنغو في نفسه، **لعله يقول الصدق. ولعل ذاكرته تَلِفت، ولعلّ عقله غاص في الوحل، ولكن ربما تكون هذه الكلمات التي تخرج من بين شفتيه صحيحة.** فَهِمَ تنغو ذلك بالبداهة.

سأله تنغو: «ماذا تقول؟».

أعاد والده قوله بصوت جامد: «أنت لا شيء. كنت لا شيء، وأنت الآن لا شيء، ولن تكون أي شيء».

قال تنغو في نفسه، **هذا يكفي.**

أراد أن ينهض من مقعده، ويمضي من فوره إلى المحطة، ويعود أدراجه إلى طوكيو. لقد سمع ما كان بحاجة إلى سماعه. لكنه لم يستطع الوقوف. كان حاله يشبه حال ذلك الشاب الذي سافر إلى بلدة القطط. فأقعده الفضول وأراد أن يعرف ماذا وراء تلك الكلمات. كان يريد جواباً أوضح. بالطبع، هناك خطرٌ كامن. ولكنه إذا أضاع هذه الفرصة، فسوف يفقد أي فرصة لاكتشاف حقيقة أصله إلى الأبد. سوف تضيع الحقيقة وسط فوضى عارمة.

راح تنغو يرتب الكلمات في رأسه ثم يعيد ترتيبها، حتى وجد نفسه، أخيراً، مستعداً للنطق بها. كان ذلك هو السؤال الذي ظلّ يراوده منذ سنوات طفولته ولكنه لم يستطع يوماً أن يتلفظ به.

«ما تقوله إذاً، هو أنك لست أبي البيولوجي، هل هذا صحيح؟ وتقول إنه لا توجد صلة دم تربطني بك، أليس كذلك؟».

نظر والده إليه دون أن ينطق. كان محالاً أن تجزم بناء على تعبيرات وجهه بما إذا كان قد فهم معنى سؤال تنغو.

قال والده وهو ينظر في عيني تنغو: «إن سرقة الموجات الإذاعية عمل مخالف للقانون. ولا فرق بينها وبين سرقة المال أو الأشياء الثمينة، ألا ترى ذلك؟».

قرر تنغو أن يسايره الآن: «لعلك محق».

أومأ والده عدة مرات بارتياح واضح.

قال والده: «الموجات الإذاعية لا تهبط من السماء مجاناً مثلما المطر أو الثلج».

بشفتين مضمومتين، أخذ تنغو يحملق في كفيّ والده. كانتا موضوعتين بعناية على ركبتيه، اليد اليمنى على الركبة اليمنى، واليد اليسرى على الركبة اليسرى، وكانتا ساكنتين لا تتحركان. يدان صغيرتان وداكنتان، وبدتا وكأن الشمس لفحتهما بشدة مِن أثر تجوال الشوارع لسنوات طويلة.

سأل تنغو ببطء، وهو ينطق كلمة بعد كلمة: «أمي لم تمت فعلاً من مرض وأنا صغير، أليس كذلك؟».

لم يجب والده. ولم يتغير تعبير وجهه، ولم تتحرك يداه. ظلت عيناه مسلطتين على تنغو وكأنهما تنظران إلى شيء لم تألفاه.

«أمي تركتك. تخلصت منك وتركتني وراءها. لعلها ذهبت مع رجل آخر. هل أنا مخطئ؟».

أومأ والده: «لا يجوز أن تسرق موجات إذاعية. لا يمكنك أن تفلت بهذه السرقة، وتفعل ما بدا لك».

فكر تنغو، هذا الرجل يفهم أسئلتي جيداً. لكنه لا يريد أن يجيب إجابة مباشرة فحسب.

خاطبه تنغو: «أبي. ربما لا تكون والدي فعلاً، ولكني سوف أدعوك أبي في الوقت الحالي لأني لا أعرف بأي صفة أخرى أدعوك. وحتى أكون صادقاً، فأنا لم أحبك يوماً، بل ربما كنت أكرهك معظم الوقت. لعلك تعرف هذا، أليس كذلك؟ ولكن حتى إذا افترضنا أنك لست والدي الحقيقي وأنه لا تربطنا صلة دم، فأنا لم يعد لدي أي سبب يحملني على كراهيتك. ولا أدري إن كان بوسعي أن أصل إلى نقطة أستطيع معها أن أحبك، ولكني أعتقد أنه يجب أن أكون على الأقل قادراً على فهمك بدرجة أفضل ممّا هو حاصل الآن. لقد كنت دائماً أريد معرفة حقيقة أصلي ومَن أكون ومِن أين جئت. هذا هو كل ما أريد. ولكن أحداً لم يخبرني بذلك من قبل. إذا كنت سوف تخبرني بالحقيقة الآن، فلن أكرهك أو أبغضك بعد الآن، بل في واقع الأمر، سأرحب بكوني لم أعد مضطراً إلى كراهيتك أو بغضك بعد الآن».

ظلّ والده يحدق في تنغو بعينين جامدتين، دون أن ينبس بكلمة، ولكن تنغو شعر وكأنه رأى فيهما بصيص ضوء يومض من أعماق عشي العصفورين الفارغين.

قال تنغو: «أنا لا شيء. معك حق. أنا مثل شخص أُلقي به ليلاً في المحيط، حيث أطفو وحدي تماماً. أمد يدي، ولكن لا أحد يأخذ بها. أُنادي، ولكن لا أحد يجيبني. لا صلة تربطني بأي شيء. أنت أقرب شيء يربطني بأسرة، ولكنك تكتم عني السر ولا تريد أن تخبرني بأي شيء. وفي هذه الأثناء، في هذه المدينة الساحلية، تُصاب ذاكرتك باضطرابات وتتدهور بشكل مطرد يوماً بعد يوم. ومثلما تضيع

ذاكرتك، تضيع حقيقة أَصلي. ومن دون هذه الحقيقة أنا لا شيء، ولا يمكنني أبداً أن أكون أي شيء. معك حق في هذه أيضاً».

قال والده بنبرة رتيبة رغم أن صوته جاء أهدأ قليلاً من ذي قبل، وكأن أحداً مدّ يده وخفَّض مؤشر الصوت: «المعرفة هي أحد الأصول الاجتماعية الثمينة. إنها من الأصول التي لا بد من تجميعها بكميات وفيرة والاستفادة منها بأقصى قدر من العناية. لا بد من تسليمها إلى الجيل القادم وهي مُثمرة. ولذلك السبب أيضاً، يجب على «إن إتش كيه» أن تقوم بتحصيل قيمة اشتراكك و..».

قال تنغو في نفسه، **إنها تعويذة لا يفتأ يرددها. ظل يحمي نفسه طوال هذه السنوات بترديد مثل هذه العبارات.** شعر تنغو بأنه كان ينبغي أن يهشم هذه التميمة العنيدة، كي يُخرج الإنسان الحي من وراء الحاجز الذي يحيط بها.

قاطع والده: «أي نوع من النساء كانته أمي؟ وأين ذهبت؟ وما الذي جرى لها؟».

توقف والده فجأة عن ترديد تعويذته.

تابع تنغو: «لقد أعياني العيش في ظلّ الكراهية والاستياء. وأعياني العيش وأنا لا أستطيع أن أحب أحداً. ليس لي أصدقاء، ولا حتى صديق واحد. والأدهى، لا أستطيع حتى أن أحب نفسي. لماذا؟ لماذا لا أستطيع أن أحب نفسي؟ لأني لا أستطيع أن أحب أي أحد آخر. إن المرء يتعلم كيف يحب نفسه حينما يجد أحداً يبادله حباً بحب. هل تفهم ما أقول؟ أما الذي يستطيع أن يحب أحداً آخر فلا يستطيع أن يحب نفسه بشكل سليم. لا، لست ألومك على ذلك. بل على العكس، ربما تكون ضحية. فأنت لا تعرف غالباً كيف تحب نفسك. هل أنا مخطئ في ذلك؟».

لاذ والده بصمت تام وأطبق شفتيه. كان مستحيلاً أن تجزم هل فهم تنغو أو لا، بناء على تعبيرات وجهه. صمت تنغو أيضاً وغاص بدرجة أكبر في مقعده. هبَّت نسمة عبر النافذة المفتوحة، فداعبت الستائر التي لوَّحتها الشمس والتُويجات الصغيرة للنبات الموجود في المزهرية، ثم مرَّت عبر الباب المفتوح إلى الممر. أصبحت رائحة البحر أقوى من ذي قبل. واختلط الصوت الهادئ لإبر الصنوبر التي تتحاكّ فيما بينها مع صياح حشرات السيكادا.

تابع تنغو وقد أصبح صوته أهدأ الآن: «هناك طَيف يعاودني كثيراً. يأتيني الطيف نفسه مرة تلو مرة، منذ أن وعيتُ الحياة. أظنه ليس طيفاً بقدر ما هو ذكرى لشيء حدث بالفعل. أراني وعمري سنة ونصف، وبجواري أمي. وأراها هي وشاباً يتعانقان. ليس أنت. مَن يكون إذاً، لا أدري، لكنه قطعاً ليس أنت. لا أدري لماذا، ولكن هذا المشهد منقوش دائماً في داخلي».

لم يقل والده أي شيء، ولكن كان واضحاً أن عينيه تريان شيئاً آخر، شيئاً ليس موجوداً. لزم الاثنان الصمت. كان تنغو يستمع إلى صوت النسيم الذي اشتد فجأة. لم يعرف ما الذي يستمع إليه والده.

قال والده بنبرة رسمية بعد صمت طويل: «هل لي أن أطلب منك أن تقرأ لي شيئاً. نظري ضعف ولم أعد قادراً على قراءة الكتب. لا أستطيع متابعة الكلمات على الصفحة فترة طويلة. توجد بعض الكتب في هذه الخزانة. اختر منها أي كتاب يعجبك».

أذعن تنغو وغادر مقعده كي يتفحّص كعوب الكتب الموضوعة في الخزانة. كانت في معظمها روايات تاريخية تدور وقائعها في أزمنة قديمة حينما كان الساموراي يسيطرون على البلاد. وجد كل أجزاء

Sword of Doom «سيف الموت». لم يستطع تنغو أن يحمل نفسه على أن يقرأ لأبيه شيئاً من كتب عفنة قديمة تمتلئ بلغة عتيقة.

قال تنغو: «إن شئت، يمكنني أن أقرأ لك قصة عن بلدة للقطط. أحضرتها معي كي أقرأها لنفسي».

قال والده وكأنه يستلذّ بالكلمات: «قصة عن بلدة للقطط. أرجوك اقرأها لي، إذا لم يكن في هذا مشقة عليك».

نظر تنغو في ساعته وقال: «لا مشقّة ولا شيء. لا يزال لدي وقت كثير قبل أن يحين موعد القطار. إنها قصة غريبة. لا أدري هل ستعجبك أو لا».

أخرج تنغو كتابه وبدأ يقرأ «بلدة القطط». استمع له والده وهو يقرأ القصة كلها، دون أن يغير مكانه في المقعد بجوار النافذة. كان تنغو يقرأ ببطء وبصوت واضح للغاية، ويتوقف مرتين أو ثلاثة كي يلتقط أنفاسه. كان يحملق في والده كلما توقف عن القراءة، ولكنه لا يرى على وجهه أي تعبير مفهوم. هل هو مستمتع بالقصة أو لا؟ ليس بوسعه أن يجزم. حينما انتهى من قراءة القصة، كان والده جالساً في مكانه لا يحرك ساكناً وقد أغمض عينيه. بدا وكأنه يغط في نوم عميق، ولكنه لم يكن كذلك. كل ما هنالك أنه اندمج بشدة في أجواء القصة، واستغرق بعض الوقت كي يخرج منها. انتظر تنغو في أناة ريثما يحدث ذلك. كان ضوء ما بعد الظهيرة قد بدأ يضعف وتخالطه لمسات المساء. وظلّ شجر الصنوبر يهتز مع نسيم المحيط.

سأله والده: «هل يوجد في بلدة القطط هذه تلفزيون؟».

«القصة كُتبت في ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين. لم يكن لديهم تلفزيون آنذاك. ولكن المذياع كان موجوداً».

«كنت في منشوريا، ولم يكن لديّ حتى مذياع. لم تكن توجد أي

محطات. وفي أحيان كثيرة، لم تكن الصحيفة تصل إلينا، وعندما تصل، يكون قد مضى عليها أسبوعان. كنا لا نكاد نجد شيئاً نأكله، ولم يكن معنا نساء. وأحياناً كانت الذئاب تجوب المكان من حولنا. كنا أشبه بمن يعيش على حافة الأرض».

لاذ بالصمت فترة، واستغرق في التفكير، ربما كان يستحضر الحياة العصيبة التي عاشها عندما كان من الشباب الذين بادروا بالانتقال إلى منشوريا النائية. ولكن سرعان ما خبت تلك الذكريات، وابتلعها العدم. كان بوسع تنغو أن يقرأ هذه الحركات التي يقوم بها عقل والده عبر تعبيرات وجهه المتغيرة.

سأله والده، وهو يتحدث ناحية زجاج النافذة وكأنه يسأل نفسه، رغم أن السؤال كان يبدو موجهاً إلى تنغو: «هل القطط هي التي أقامت هذه البلدة؟ أم أقامها الناس منذ زمن بعيد وجاءت القطط كي تعيش فيها؟».

قال تنغو: «لا أدري. لكن يبدو أن البشر هم من أقاموها منذ زمن بعيد. لعل الناس تركوها لسبب ما، كأن يكونوا مثلاً قد قضَوا جميعاً في وباء، ثم جاءت القطط للعيش فيها».

أومأ والده: «عندما ينشأ فراغ، فلا بد أن يأتي شيء ما ليملأه. ذلك ما يفعله الجميع».

«ذلك ما يفعله الجميع؟».

«بالضبط».

«وأي فراغ تملؤه أنت؟».

قطّب والده جبينه. وتهدل حاجباه الطويلان حتى حجبا عينيه. ثم قال بنبرة ساخرة في صوته: «ألا تعرف؟».

قال تنغو: «لا أعرف».

انتفخ أنف والده. وارتفع أحد حاجبيه قليلاً. كان ذلك هو التعبير الذي يلجأ إليه دائماً حينما يغضب. «إذا كنت لا تفهم شيئاً من دون شرح، فلن تفهمه مع الشرح».

ضيَّق تنغو حدقتيه، محاولاً أن يقرأ تعبير الرجل. لم يتحدث والده من قبل بمثل هذه اللغة الغريبة الإيحائية. كان دائماً ما يتحدث بكلمات واضحة وعملية. كي يقول ما هو ضروري فقط عند الضرورة: كان ذلك هو تعريفه الثابت للمحادثة. ولكن وجهه كان خالياً من أي تعبير يمكن قراءته.

قال تنغو: «فهمت. إذاً أنت تملأ فراغاً ما. حسناً، فمن الذي سيملأ الفراغ الذي تركته أنت؟».

قال والده: «أنت»، وهو يرفع سبابته ويوجهها مباشرة نحو تنغو: «أليس هذا واضحاً؟ لقد ملأت فراغاً تركه شخص آخر، وأنت سوف تملأ الفراغ الذي تركته. الأمر أشبه بتناوب الأدوار».

«مثلما ملأت القطط الفراغ في البلدة بعد أن تركها الناس».

قال والده: «صحيح. ضاعت مثل البلدة». ثم أخذ يحملق شارداً في سبابته الممتدة وكأنه ينظر إلى شيء غامض وفي غير موضعه.

أعاد تنغو كلمات والده: «ضاعت مثل البلدة».

«المرأة التي ولدتك لم يعد لها وجود في أي مكان».

«لم يعد لها وجود في أي مكان. ضاعت مثل البلدة. هل تقصد أنها ماتت؟».

لم يجبه والده.

تنهد تنغو: «إذاً، فمَن يكون والدي؟».

«مجرد فراغ. أمك قرنت جسدها بفراغ فولدتك. وأنا ملأتُ هذا الفراغ».

بعد أن قال والده كل ذلك، أغمض عينيه وأغلق فمه.

«قَرَنت جسدها بفراغ؟».

«نعم».

«وأنت من تولى تربيتي. أهذا ما تود قوله؟».

تنحنح والده كعادته، وكأنه يحاول شرح حقيقة بسيطة إلى طفل بطيء الفهم: «ولذلك قلت: إذا لم تفهم شيئاً من دون شرح، فلن تفهمه بشرح».

قال تنغو: «إذاً أنت تقول لي إنني أتيت من فراغ؟».

لم يأته جواب.

وضع تنغو يديه في حِجره ثم نظر مباشرة في وجه أبيه مرة أخرى. وقال في نفسه، **هذا الرجل ليس قوقعة خاوية، وليس منزلاً خاوياً. إنه إنسان من لحم ودم، ويحمل روحاً مختنقة وعنيدة ولديه ذكريات مشوشة، ويحيا حياة متقطعة على هذه الرقعة من الأرض الواقعة على شاطئ البحر. لا مناص له من أن يتعايش مع الفراغ المستشري داخله ببطء. ما زال الفراغ وذكرياته على طرفي نقيض، ولكن في النهاية، وبغض النظر عن أمانيه، فسوف يبتلع الفراغ كل ما بقي من ذكريات. إنها مسألة وقت لا غير. أيكون الفراغ الذي يواجهه الآن هو نفسه الفراغ الذي وُلدت منه؟**

ظن تنغو أنه ربما يسمع هدير البحر البعيد ممتزجاً بنسمات أول المساء، وهو يمر خلال أغصان شجر الصنوبر. لكن ذلك قد يكون وَهْماً من اختلاقه.

الفصل التاسع

أومامه

الثمن الذي يجب أن أدفعه حتى تحل بي النعمة السماوية

عندما دخلت أومامه إلى الغرفة المجاورة، تبعها حليق الرأس وأغلق الباب سريعاً. كانت الغرفة معتمة تماماً. أُسدلت ستائرها السميكة على النافذة، وأُطفئت جميع أنوارها. وكانت بعض خيوط الضوء تتسلل عبر فجوة في الستائر، لا لشيء إلا لتؤكد حقيقة أن كلّ شيء آخر غارق في الظلام.

استغرقت عيناها بعض الوقت كي تتكيف مع العتمة، مثلما يحدث داخل دار سينما أو قبة سماوية. كان أول ما رأته هو ساعة إلكترونية على منضدة منخفضة. أرقامها الخضراء تشير إلى الساعة 7:20 مساء. بعد بضع ثوان أخرى، كان بوسعها أن تجزم بوجود سرير كبير عند الحائط الخلفي. كانت الساعة موضوعة بالقرب من مقدمة السرير. هذه الغرفة أصغر قليلاً من الغرفة المجاورة الفسيحة، ولكنها مع ذلك أكبر منِ أي غرفة عادية في فندق.

على السرير كان يوجد جسم أسود داكن، يشبه جبلاً صغيراً. كان على أومامه أن تنتظر مزيداً من الوقت حتى يمكنها أن تجزم بأن

محيطه غير المنتظم يشير إلى وجود جسم إنسان. خلال هذا الوقت، ظل المحيط ثابتاً تماماً. لم تستطع أن تتبين أي علامة من علامات الحياة. لا أنفاس تسمعها. والصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت الهواء الذي يتدفق بهدوء من جهاز تكييف مثبت بالقرب من السقف. ومع ذلك، لم يكن الجسم ميتاً. كانت تصرفات حليق الرأس توحي بأنه إنسان حي.

كان شخصاً ضخم البنيان، وعلى الأرجح رجلاً. لم يكن بوسعها أن تتيقن من ذلك، لكنه لم يكن يولي وجهه نحوها على ما يبدو، ولم يكن يبدو أنه متدثر بأغطية وإنما يرقد مستلقياً على بطنه على سريرٍ رُتب بعناية، مِثل حيوان ضخم يرقد داخل كهف، ويحاول ألا يستنفد طاقته البدنية فيما ينتظر التئام جراحه.

قال حليق الرأس وقد اتجه صوب الظل: «حان الوقت». اعترت صوته نبرة توتر جديدة.

لم يتضح هل سمع الرجل صوت حليق الرأس أو لم يسمعه. ظلت التلّة المعتمة الموجودة على السرير في سكون تام. وقف حليق الرأس منتصب القامة بجوار الباب، رهن الانتظار. كانت الغرفة غارقة في صمت مطبق حتى إن أومامه سمعت شخصاً يزدرد ريقه، لتدرك بعدئذٍ أن صوت الازدراد كان لها. وبينما كانت تقبض على حقيبتها الرياضية بيدها اليمنى، كانت أومامه مثل حليق الرأس، تنتظر أن يحدث شيءٌ ما. تغيرت شاشة الساعة إلى 7:21، ثم 7:22 ثم 7:23.

وأخيراً بدأ الجسم الموجود على السرير يبدي قدراً طفيفاً من الحركة - رعشة بسيطة سرعان ما أصبحت حركة واضحة. لا بد أن هذا الشخص كان في نوم عميق أو في حالة تشبه النوم. استيقظت

العضلات، وبدأ الجزء العلوي من الجسم ينهض، وفي الوقت المناسب، استعاد وعيه. جلس الظلّ منتصباً على السرير فيما ثنى ساقيه. قالت أومامه في نفسها، **إنه حتماً إنسان.**

قال حليق الرأس مرة أخرى: «حان الوقت».

سمعت أومامه الرجل يُخرج نفساً طويلاً. كان أشبه بتنهيدة ثقيلة تخرج ببطء من قاع بئر عميقة. ثم أتبع ذلك بصوت شهيق طويل. كان الصوت جامحاً ومزعجاً كما لو كان عاصفة تخترق غابة. ثم بدأت الدورة مرة ثانية، تكرر الصوتان المختلفان تماماً في نوعهما، يفصلهما صمتٌ طويل. شعرت أومامه ببعض الخوف. أحست أنها قد وطأت منطقة غريبة عليها مثل خندق عميق في محيط، أو سطح كويكب مجهول: مكان من النوع الذي ربما يمكن الوصول إليه عبر جهد جهيد، ولكن العودة منه مستحيلة.

تعذَّر على عينيها التكيف مع العتمة بشكل تام. تستطيع الآن أن ترى حتى نقطة معينة ولكنها لا ترى ما هو أبعد من ذلك. كان قصارى ما تستطيع عيناها الوصول إليه هو الظل المعتم للإنسان. لم يكن بوسعها أن تحدد الوجهة التي ينظر فيها أو الشيء الذي ينظر إليه. وكان كل ما تستطيع رؤيته هو أنه رجل ضخم البنيان، وأن كتفيه، على ما يبدو، كانا يرتفعان وينخفضان بهدوء، ولكن بشدة، مع كل نَفَس. لم يكن تنفساً طبيعياً. ولكنه تنفس له غايته الخاصة ووظيفته الخاصة ويُؤدَّى عبر الجسم كله. تصورت الحركة الكبيرة لعظام كتفيه والحجاب الحاجز وهو ينبسط وينقبض. لا يمكن لبشري عادي أن يتنفس بهذه الحدة الرهيبة. كانت طريقته في التنفس مميزة وليس لأحد أن يتقنها إلّا عبر تدريب طويل ومكثف.

كان حليق الرأس يقف إلى جوارها بانتباه تام وقامة منتصبة،

مُسنداً ذقنه إلى صدره. كانت أنفاسه تخرج ضحلة وسريعة، على النقيض من أنفاس الرجل الجالس على السرير. كان يحاول تقليص حضوره وهو ينتظر نهاية هذه الأنفاس المتوالية شديدة العمق: على ما يبدو كان الرجل يمارس هذا النشاط بشكل معتاد. وكما هو حال حليق الرأس، لم يكن لأومامه أن تفعل شيئاً سوى الانتظار حتى تنتهي هذه الأنفاس. ربما كانت عملية يجب على الرجل المرور بها حتى يبلغ اليقظة الكاملة.

وأخيراً، انتهى التنفس الخاص على مراحل، وعلى النحو الذي تتوقف به آلة كبيرة عن التشغيل. بدأت تطول الفواصل الزمنية بين الأنفاس شيئاً فشيئاً، ثم تنتهي بنفس طويل يبدو أنه كان يعتصر كل ما بداخله. عمّ الغرفة صمتٌ مطبق مرة أخرى.

قال حليق الرأس للمرة الثالثة: «حان الموعد».

تحرك رأس الرجل ببطء. يبدو الآن في مواجهة حليق الرأس.

قال الرجل: «يمكنك مغادرة الغرفة». جاء صوته عميقاً وجهيراً - وحاسماً لا لبس فيه. كان جسمه على ما يبدو قد بلغ اليقظة الكاملة.

ندت عن حليق الرأس انحناءة خفيفة في العتمة وغادر الغرفة بالطريقة التي دخلها، دون أي حركات غير ضرورية. انغلق الباب، لتصبح أومامه وحدها مع الرجل في الغرفة.

قال الرجل، موجهاً كلامه على الأرجح لأومامه: «معذرة إن كانت الغرفة معتمة».

قالت أومامه: «لا بأس».

قال الرجل بصوت هادئ: «اضطررنا لإعتام الغرفة. ولكن لا تقلقي. لن يضرّك شيء».

أومأت أومامه. وعندما تذكرت أنها وسط الظلام، قالت بصوت عال: «أتفهَّم ذلك». جاء صوتها أكثر حدة وأعلى درجة من المعتاد.

ظل الرجل يحدق إلى أومامه في الظلام بعض الوقت. استشعرت أن أحداً يحدق بها بشدة. كانت تحديقته دقيقة وشديدة الاعتناء بالتفاصيل. لم يكن «ينظر إليها» بقدر ما كان «يتفحصها». يبدو أنه استطاع أن يستطلع كل شبر من جسدها. أحست كما لو كان، في لحظة ما، قد جردها من ملابسها قطعة قطعة وتركها عارية تماماً. ولكن نظرته لم تكن تتوقف عند الجلد؛ وإنما تنفذ إلى عضلاتها وأعضائها ورحمها.

قالت في نفسها، إنه يرى في الظلام. ويُبصر أبعد ممّا تستطيع العين رؤيته.

وكما لو أنه قد اطلع على ما يدور في ذهنها، قال: «أستطيع رؤية الأشياء بوضوح أكبر في الظلام. ولكن كلما طالت مدة بقائك في الظلام، تصعب العودة إلى سطح الأرض حيث عالم الضوء. يجب أن تضعي نهاية لذلك في لحظة ما».

بعد أن قال ذلك، ظل مدة أخرى يرقب أومامه. لم تكن نظرته تحمل أي مغزى جنسي. كان يتفحصها باعتبارها جسماً فحسب، على النحو الذي يحدق به مسافر على متن قارب في شكل جزيرة يمر بها. ولكنه لم يكن مسافراً عادياً. كان يحاول أن يرى كل شيء في الجزيرة. ومع تعرّضها لمثل هذه النظرة الطويلة النافذة، أحست أومامه بشدة بعيوبها الجسدية. لم يكن هذا هو إحساسها في العادة. بغض النظر عن حجم ثدييها، كانت، على النقيض، فخورة بجسدها. وكانت تتولاه بالتدريب اليومي وتحافظ على جماله. وعضلاتها كانت ملساء ومشدودة وليس بها أي قدر زائد من اللحم. لكن مع تعرضها

لتحديقة هذا الرجل، أصبحت تشعر بأن جسدها لا يعدو أن يكون كيساً قديماً وبالياً من اللحم.

وكما لو أن الرجل قد اطلع على أفكارها، توقف عن التحديق بها. شعرت بقوة تحديقته وقد تلاشت فجأة. أحست كما لو أن شخصاً ما كان يرش ماء بخرطوم حينما قام آخر وراء المبنى بإغلاق الصنبور.

قال الرجل بصوت هادئ: «عذراً، ولكن هل يمكنك فتح الستائر قليلاً؟ أنا متأكد أنك قد تحتاجين بعض الضوء أيضاً، في عملك».

وضعت أومامه حقيبتها الرياضية أرضاً، ثم مضت نحو النافذة وسحبت الأحبال الموجودة على الجانب كي تفتح، أولاً، الستائر السميكة والثقيلة، ثم الستائر الداخلية المصنوعة من الدانتيل الأبيض. سكب ليل طوكيو أضواءه داخل الغرفة. الأضواء الكاشفة لبرج طوكيو، والمصابيح المضيئة في الطريق العلوي السريع، والمصابيح الأمامية للسيارات المتحركة، والنوافذ المضاءة للبنايات الشاهقة، ولوحات النيون الملونة الموجودة فوق الأسطح: امتزج كل ذلك معاً لإضاءة غرفة الفندق بذلك الضوء المختلط الذي تتفرد به المدينة الكبيرة، ولكن ذلك كان لا يكاد يكفي أومامه كي تتبين بعض الأثاث في الغرفة. شعرت أومامه بشيء من الألفة عندما رأت الضوء. كان هذا الضوء ينبعث من العالم الذي تنتمي هي نفسها إليه. أدركت فجأة شدة احتياجها إلى هذا الضوء. ورغم أنه كان ضعيفاً على النحو الذي كانه، فقد بدا قوياً للغاية ولا تحتمله عينا الرجل. ولأنه كان لا يزال جالساً على السرير في وضعية زهرة اللوتس، فقد غطى وجهه بكلتا يديه الكبيرتين.

سألته أومامه: «هل أنت بخير؟».

قال: «لا داع للقلق».

«هل يجب عليّ أن أغلق الستائر أكثر قليلاً؟».

«لا، هذا جيد. لدي مشكلة في شبكية العينين. يحتاجان وقتاً حتى يتكيفا مع الضوء. سأكون على ما يرام في دقيقة واحدة. تفضلي بالجلوس هناك».

تساءلت أومامه، **مشكلة في شبكية العينين؟** هؤلاء الذين يعانون مشكلات في شبكية العين عادة ما يكونون على وشك الإصابة بالعمى. ولكن لا أهمية لذلك لدى أومامه الآن. فهي ليست هنا للتعامل مع إبصار هذا الرجل.

بينما كان الرجل يحجب وجهه بيديه حتى تتكيف عيناه مع الضوء المتدفق عبر النافذة، كانت أومامه تجلس على أريكة وتراقبه. والآن حان دورها كي تتفحصه بالتفصيل.

كان رجلاً ضخماً. ليس بديناً، بل ضخم فحسب. طويل القامة وعريض المنكبين ويبدو قوياً. كانت قد سمعت عن بنيانه الضخم من الأرملة، لكنها لم تتوقعه ضخماً هكذا. لا يوجد، بالطبع، سبب يحُول دون أن يكون الزعيم الديني ضخم البنية. تخيلت فتيات في العاشرة يغتصبهن هذا الرجل الضخم، فوجدت نفسها تُقطِّب جبينها. تخيلته عارياً وقد اعتلى فتاة صغيرة. لم يكن لأي من هؤلاء الفتيات أن تقاومه، بل وحتى امرأة راشدة سوف تجد ذلك عسيراً.

كان الرجل يرتدي ما يشبه سروالاً رياضياً خفيفاً يضيق عند الكاحلين وبرباطين مرنين، وقميصاً طويل الأكمام أحادي اللون، وبه لمعة حريرية خفيفة. كان القميص الفضفاض مُزرَّراً من الأمام، ولكنه ترك الزرين الأخيرين مفتوحين. بدا لها أن لون السروال والقميص هو اللون الأبيض أو السمني الفاتح. لم تكن هذه الثياب بيجامة ولكنها

أشبه بملابس استرخاء مريحة أو زيٍّ يبدو طبيعياً تحت أشجار النخيل في الأراضي الجنوبية. بدت قدماه العاريتان كبيرتين. وكان كتفاه اللذان يشبهان جداراً حجرياً عريضاً يستدعيان إلى الذهن صورة محارب متمرس في الفنونِ القتالية.

بعد انتظاره وقفة في كلام أومامه، قال الرجل: «أشكرك على حضورك اليوم».

قالت أومامه بصوت يخلو من العاطفة: «إنه عملي. أذهب حيثما توجد حاجة لي». ومع ذلك كانت وهي تتحدث تشعر وكأنها عاهرة جاءت بناء على الطلب. ربما يُعزى شعورها هذا إلى الطريقة التي جرَّدها بها من ثيابها في الظلام بنظراته النافذة.

سأل الرجل أومامه، فيما كانت يداه لا تزالان تغطيان وجهه: «ما هو مقدار ما تعرفين عني؟».

«ما هو مقدار ما أعرفه عنك؟».

«نعم».

قالت أومامه وهي تنتقي كلماتها بعناية: «لا شيء تقريباً. لم يخبرني أحد حتى باسمك. كل ما أعرفه هو أنك رئيس تنظيم ديني في ناجانو أو ياماناشي، وأنك تعاني مشكلة جسمانية ما، وأنني ربما أستطيع مساعدتك».

هزّ الرجل رأسه بضع هزات سريعة ورفع يديه عن وجهه. أصبح هو وأومامه الآن ينظران مباشرة نحو أحدهما الآخر.

كان شعر رأسه طويلاً وكثيفاً، ويتدلى حتى يلامس كتفيه، وخالطه كثير من الشيب. ربما كان الرجل في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات. لديه أنف يشغل حيزاً كبيراً من وجهه. كان مستقيماً على نحو يثير الإعجاب ويستدعي للذهن صورة لجبال الألب

وقد وُضعت على تقويم سنوي. وكان للجبل قاعدة عريضة ومهابة عظيمة. كان هذا هو أول ما يلحظه المرء حالما ينظر في وجهه، ما يتناقض تناقضاً صارخاً مع عينيه الغائرتين بشدة يصعب معها الجزم بما ينظران إليه. وكما جسده، كان وجهه عريضاً وسميكاً. ورغم كونه حليق الذقن، لم تكن تظهر لديه أي ندوب أو شامات. ائتلفت قسماته معاً بشكل جيد، لتوحي بملامح صفاء وذكاء، ولكن أيضاً بشيء غريب، يشذّ عن المألوف، ولا يشجع على ثقة سهلة. كان وجهه من النوع الذي، لأول وهلة، يحمل الناظرين إليه على تأمله. لعلّ ذلك بسبب أنفه الكبير. وبسبب ذلك، كان الوجه يعوزه شيء من التوازن، وربما ذلك هو السبب الذي يجعل الناظر إليه يشعر بالانزعاج. أو ربما كانت العينان الغائرتان هما السبب في ذلك، والطريقة التي ينبعث بها الوهج الهادئ منهما وكأنهما نهر جليدي قديم. ومن ناحية أخرى، ربما السبب هو الانطباع القاسي الذي توحي به شفتاه الرقيقتان، اللتان كانتا تبدوان وكأنهما متهيئتان لأن تتلفّظا في أي لحظة بكلمات لا يمكن لأحد أن يتنبأ بها.

سألها: «وماذا غير ذلك؟».

«غير ذلك، لم أسمع عنك سوى القليل جداً. كل ما قيل لي هو أن أهيئ نفسي كي أجري لك بعض تمارين الشد. فالعضلات والمفاصل هي مجال تخصّصي. ولست بحاجة إلى معرفة الكثير عن شخصيات زبائني أو مناصبهم».

قالت أومامه في نفسها، **تماماً مثل عاهرة.**

قال الرجل بصوت عميق: «أفهم ما تقولين. ولكن في حالتي، ربما تحتاجين إلى بعض التفسير».

«سوف يُسعدني أن أستمع إلى أي شيء تودّ إطلاعي عليه».

«الناس يدعونني الزعيم. ولكني غالباً لا أُظهر وجهي لأحد مطلقاً. ومعظم المؤمنين لدينا، ورغم أنهم يعتنقون الدين ويعيشون في المُجمَّع ذاته، لا يدرون شيئاً عمّا يبدو عليه شكلي».

أومأت أومامه.

«ولكن ها أنا ذا، أسمح لك برؤية وجهي. لسبب واحد، أني لن أستطيع غالباً أن أطلب منك علاجي في الظلام، أو وأنت معصوبة العينين. وفوق ذلك من باب الذوق».

صحَّحت له أومامه بهدوء: «ما أقوم به ليس علاجاً. مجرد شدّ للعضلات. ليس لي أن أمارس أي إجراءات طبية. كل ما أفعله هو إجبار الأشخاص على شد العضلات التي لا يستخدمونها عادة أو تلك التي يصعُب استخدامها، وبهذه الطريقة نمنع تدهور قوتهم البدنية».

بدا وكأن الرجل قد ابتسم ابتسامة واهنة، رغم أنها قد تكون مجرد وهم نَجَم عن ارتعاشة خفيفة في عضلات وجهه.

«أنا مدرك تماماً لذلك. لم أستخدم كلمة «علاج» إلا من باب الملاءمة. لا داعي للقلق. كل ما كنت أحاول قوله هو أنك ترين الآن شيئاً لا يستطيع معظم الناس رؤيته، وأريد منك أن تكوني مدركة لذلك».

قالت أومامه وهي تشير إلى الباب المؤدي إلى الغرفة المجاورة: «لقد حُذرت هناك من التفوّه بأي شيء حول ذلك لأي أحد. ولكن لا داعي لأن يقلق أي منكم. لا شيء ممّا أراه هنا سوف يصل إلى الخارج. أنا ألمس خلال عملي أجساد أشخاص كثيرين. ربما تكون شخصاً يشغل منصباً رفيعاً، ولكنك لدي لست إلا واحداً من هؤلاء الأشخاص الكثيرين ممن لديهم مشكلات عضلية. عضلاتك هي الجزء الوحيد الذي يهمني».

«سمعتُ أنك كنت من أتباع جماعة الشهود في طفولتك».

«ليس كما لو أني قد اخترتُ ذلك. كل ما هنالك أني نشأت على هذا. وهناك فرق كبير بين الحالتين».

قال الرجل: «في الواقع، فرق كبير جداً. ولكن المرء لا يمكنه أبداً أن ينتزع نفسه تماماً من الصور التي تُغرس داخله خلال طفولته المبكرة».

قالت أومامه: «في كل الأحوال».

«عقائد الشهود تختلف كثيراً عن عقائد الديانة التي أنتمي إليها. إذا سألتِني، فإن أي ديانة تعتبر نهاية العالم إحدى معتقداتها الأساسية هي غالباً وهْم. ومن وجهة نظري، فإن الشيء الوحيد الذي لا «نهاية» له أبداً هو الفرد. ورغم ذلك، فإن جماعة الشهود دينٌ صعب للغاية. ليس له تاريخ طويل، لكنه صمد أمام العديد من الاختبارات وظلّ يحقق زيادة مطردة في عدد معتنقيه. وهناك الكثير الذي يمكن تعلمه من ذلك».

«ربما هذا لا يكشف إلّا عن مدى الانغلاق الذي كانوا عليه. كلما كانت هذه الجماعات وأشباهها صغيرة وضيقة، استطاعت أن تقاوم دائماً الضغوط الخارجية».

قال الرجل: «ربما معك حق». توقف بضع لحظات ثم قال: «على أي حال، لسنا هنا لمناقشة قضية الدين».

لم تعلق أومامه بشيء.

«ما أريد منك أن تفهميه هو أن جسدي به العديد من السمات الخاصة التي تميزه».

انتظرته أومامه، وهي لا تزال جالسة، كي يتابع كلامه.

«كما قلت من قبل، عيناي لا تحتملان الضوء الشديد. وهي

مشكلة ظهرت منذ بضع سنوات. ولم يكن لدي أي مشكلة معينة حتى ذلك الحين، ولكن فجأة، وفي مرحلة ما، بدأ ذلك. كان هذا هو السبب الرئيس الذي جعلني أتوقف عن الظهور أمام الناس. وأقضي كل وقتي في واقع الأمر داخل غرف معتمة».

قالت أومامه: «يؤسفني أني لا أقدر على عمل أي شيء لمشكلات الإبصار. كما قلت من قبل، العضلات هي مجال تخصصي».

«نعم، أدرك ذلك جيداً. وقد استشرتُ بطبيعة الحال أطباء متخصصين. ذهبت إلى العديد من أطباء العيون المشهورين، وأجريت العديد من الاختبارات. ولكنهم يقولون لي بأنهم لا يستطيعون عمل أي شيء في هذه المرحلة. لقد تعرضت الشبكيتان للتلف، وهم لا يعرفون السبب. المشكلة تتفاقم ببطء. إذا سارت الأمور على هذا المنوال، فسوف أفقد بصري قبل أن ينقضي وقت طويل. وكما تقولين، بطبيعة الحال، فهذه مشكلة لا صلة لها بالعضلات. ولكن اسمحي لي أن أذكر لك مشكلاتي البدنية بالترتيب، وعندما أنتهي من ذكرها، يمكننا التفكير فيما يمكنك عمله وما لا يمكنك».

أومأت أومامه.

قال الرجل: «المشكلة التالية هي أن عضلاتي غالباً ما تتيبس. ومن دون مبالغة لا أستطيع أن أحرك عضلة واحدة. تصبح صلبة مثل الصخور وتبقى على هذا النحو ساعات. كل ما يمكنني عمله في مثل هذه الأوقات هو الاستلقاء. لا ينتابني أي ألم. ولكن جميع عضلات جسمي تصبح عاجزة عن الحركة. ولا أستطيع حتى أن أحرك إصبعاً. الشيء الوحيد الذي أنجح في تحريكه، من خلال قوة الإرادة المحضة، هو مقلتا عينيّ. وهذا يحدث معي مرة أو مرتين في الشهر».

«هل تشعر بأي علامة تحذيرية مسبقاً تدل على أن ذلك يوشك أن يحدث؟»

«أولاً تنتابني تشنجات. وتنتشر رعشة في جميع عضلاتي. يستمر ذلك ما بين عشر دقائق إلى عشرين. بعد ذلك، تموت عضلاتي، كما لو أن أحدهم قد أطفأها. وخلال العشر أو العشرين دقيقة بعد مجيء الإنذار، أذهب إلى مكان يمكنني أن أتمدد فيه وأرقد. مثل قارب يبحث عن ملاذ أثناء عاصفة في خليج صغير، وأنتظر هناك مختبئاً عن الأنظار حتى يزول عني الشلل. ورغم أن الشلل يكون تاماً عندما يصيبني، فإن عقلي يظل يقظاً تماماً، بل على العكس، يصبح يقظاً ويدخل حالة صفاء خاصة».

«هل تقول إنك تشعر بألم؟».

«أفقد كل إحساس. إذا وخزتيني بإبرة، فلن أشعر بها».

«هل استشرت طبيباً؟».

«لقد ذهبت إلى أفضل المستشفيات والعديد من الأطباء، ولكن كل ما أخبروني به هو أن هذا المرض غير مسبوق ولا يمكن للمعارف الطبية الحالية أن تفعل شيئاً إزاءه. لقد جربت العلاجات الصينية التقليدية، وأطباء العظام والإبر الصينية والكي والتدليك والعلاج بالينابيع الحارة، كل ما يمكن أن يخطر لك، ولكنها لا تستحق حتى الكلام فيها».

قطبت أومامه جبينها قليلاً: «كل ما تفعله طريقتي هو تحفيز الوظائف الجسمية الطبيعية. أشك أنها يمكن أن تُحدث أثراً كبيراً مع هذه المشكلات الحادة».

«نعم، أنا مدرك تماماً لذلك أيضاً. ولكني أحاول أن أستنفد جميع الاحتمالات. حتى إن كانت طريقتك معدومة التأثير، فهذه

يست مسؤوليتك. قدِّمي لي ما تقدمينه لغيري دائماً. أودّ أن أرى كيف ستكون استجابة جسدي لذلك».

تخيلت أومامه الجسد الضخم للرجل وهو يرقد بلا حراك في مكان مظلم مثل حيوان في طور السُبات.

«متى كانت آخر مرة أصابك الشلل؟».

قال الرجل: «قبل عشرة أيام. ويوجد شيء آخر، يصعب عليّ ذكره، ولكن ربما يجب أن أذكره».

«لا تتردد في قول أي شيء».

«يحدث لي انتصاب طوال الوقت الذي تدخل فيه عضلاتي هذه الحالة من الكمون».

زاد انقباض أومامه: «هل تعني أن عضوك الذكري يظل منتصباً ساعات في المرة الواحدة؟».

«هذا صحيح».

«ولكن دون أي شعور بذلك».

قال: «لا شعور على الإطلاق. ولا رغبة جنسية أيضاً. يحدث انتصاب فحسب. ينتصب كالصخرة، وبالطريقة التي تتصلب بها العضلات».

هزت أومامه رأسها هزة خفيفة، وبذلت قصارى جهدها كي تستعيد تعبيرات وجهها العادية: «لا أظنني أستطيع شيئاً إزاء ذلك أيضاً. إنه أمر بعيد كلّ البُعد عن تخصصي».

«يصعب عليّ جداً أن أتحدث في هذا الأمر، ولعلك أيضاً لا تريدين مثل هذا الحديث، ولكن اسمحي لي أن أخبرك بشيء من ذلك؟».

«تفضل. أسرارك في الحفظ والصون».

«وخلال هذه الفترة، أجدني أقرن جسدي بأجساد بعض الفتيات».

«فتيات؟!».

«توجد حولي مجموعة من الإناث. عندما تغشاني حالة الشلل، يتناوبن على امتطائي وممارسة الجنس معي. لا أشعر بأي شيء على الإطلاق. لا أشعر بأي لذة جنسية. لكنني أقذف. مع كل واحدة منهن».

لزمت أومامه الصمت.

تابع: «جميعهن معاً، توجد ثلاث فتيات، وكلهن في سِنوات المراهقة. لا بد أنك تتساءلين لماذا أُبقي هؤلاء الفتيات حولي ولماذا يجب عليهن أن يمارسن الجنس معي».

«أيكون ذلك، ربما، جزء من شعيرة دينية؟».

بينما كان الرجل لا يزال جالساً القرفصاء على السرير، أخذ نفساً عميقاً: «يوجد اعتقاد بأن حالات الشلل التي تنتابني هي شكل من أشكال البركة التي تمنحها السماء، شكل من أشكال القداسة. وهكذا، فعندما تعتريني تلك الحالات، تأتيني الفتيات ويقرن أجسادهن بجسدي. إنهن يحاولن أن يحملن مني. يحملن بوريثي».

نظرت إليه أومامه، دون أن تنطق بكلمة. وصمت هو الآخر.

وعندئذٍ سألت أومامه: «وهكذا، فإن ما تقوله إذاً، هو أن غاية الفتيات هي أن يحملن؟ يحملن بطفلك؟».

«هذا صحيح».

«وخلال هذه الفترة التي تمتد عدة ساعات وتكون فيها مستلقياً ومصاباً بالشلل، فإنك تقذف ثلاث مرات مع هؤلاء الفتيات الثلاث؟».

«هذا صحيح».

لم تستطع أومامه أن تتجنب الشعور بأنها قد وضعت نفسها في موقف بالغ التعقيد. كانت على وشك قتل هذا الرجل، وإرساله إلى العالم الآخر. ولكن ها هو الآن يبوح لها بأسرار جسده الغريبة.

«إنني لا أفهم تماماً الطبيعة الدقيقة لمشكلتك. الشلل يصيب جميع عضلات جسمك مرة أو مرتين في الشهر. وعندما يحدث ذلك، تأتي صديقاتك الثلاث كي يمارسن الجنس معك. صحيح إن ذلك ليس طبيعيا تماماً بلغة المنطق، ولكن - »

قال الرجل مقاطعاً: «لسن صديقاتي. وإنما يَقمن على خدمتي باعتبارهن عذراوات الضريح. ومِن بين واجباتهن أن يقرنّ أجسادهن بجسدي».

«واجبات؟».

«إنه دور يُكلَّفن به، كي يحملن بوريثي».

سألت أومامه: «يكلفن ممَّن؟».

قال الرجل: «هذه قصة طويلة. المشكلة هي أنّ كلّ هذا يؤدي بشكل مطرد إلى تدمير جسدي».

«إذاً هل حملن منك؟».

«لا، ليس بعد. وهناك احتمال ضعيف أن تفعل أي منهن ذلك. لأنهن لم يحضن بعد. ومع ذلك، فهن يأملن أن تحدث المعجزة وتحل بهن النعمة السماوية».

قالت أومامه: «لم تحمل أي منهن. ولم يحضن بعد. وجسدك في سبيله للتدمير».

«شيئاً فشيئاً، يمتد وقت نوبة الشلل مرة بعد مرة. وتزداد وتيرة حدوث النوبات نفسها. لقد بدأت هذه النوبات منذ سبع سنوات.

وكنت عندئذٍ أصاب بنوبة واحدة كل شهرين أو ثلاثة. أما الآن فهي تأتيني مرة أو مرتين في الشهر، وبعد كل نوبة شلل، ينتاب جسدي ألمٌ مبرح وإرهاق مضنٍ. وفي كل مرة أظل هكذا أسبوعاً أو أكثر. أشعر وكأن جسمي قد تعرض للطعن بإبر غليظة. وينتابني صداع حاد وإعياء شديد. لا يمكنني معه النوم، ولا يمكن لأي دواء أن يخفف من ألمي».

تنهد الرجل. ثم تابع قائلاً: «في الأسبوع الثاني بعد النوبة أشعر بتحسّن عمّا كنت عليه في الأسبوع الأول، ولكن لا يزول الألم كلياً أبداً. يعتريني ألم شديد وكأنه موجة تضرب في اليوم عدة مرات. لا أكاد أستطيع التنفس. أعضائي لا تعمل بشكل سليم. ومفاصلي تُصدر صريراً وكأنها آلة تحتاج تزييتاً. جسدي يتم التهامه ودمي يتم امتصاصه. أستطيع أن أشعر بذلك أثناء حدوثه. ولكن ما ينخر فيّ جسدي ليس سرطاناً ولا طفيليات. أجريتُ كلّ الفحوص التي يمكن أن يفكروا فيها، ولكنهم لم يصلوا إلى السبب مطلقاً. يقولون إني في أتمّ صحة. ليس باستطاعة الطب أن يفسر معاناتي. الاستنتاج الوحيد هو أن ذلك هو الثمن الذي يجب أن أدفعه حتى تحلّ بي النعمة السماوية التي أحظى بها».

قالت أومامه في نفسها، **هذا الرجل بكل تأكيد في طريقه للهلاك**. ولكنها لا تستطيع أن تجد أي أثر يدل على هزاله. يبدو قوي البنيان من كل ناحية وعلى ما يبدو فإن لديه قدرة على تحمل الألم الشديد. ومع ذلك كانت تشعر أن جسده في سبيله للهلاك. **هذا رجل مريض. لا أعرف أي مرض ذلك الذي أصابه، ولكن حتى إذا لم أُجْهز عليه الآن، فسوف يظل يعاني ألماً شديداً فيما يتعرض جسده لتلف بطيء حتى يواجه موتاً محتوماً.**

قال الرجل كما لو كان مطلعاً على أفكار أومامه: «لا أستطيع إيقاف تقدمه. كل جزء مني يتم نهشه، جسدي يتحول إلى تجويف، وينتظرني موت فظيع مؤلم. سوف يُلقون بي بعيداً مثل سيارة قديمة لم تعد ذات جدوى».

سألت أومامه: «مَن هؤلاء الذين سوف يلقون بك بعيداً؟».

قال الرجل: «أتحدث عن هؤلاء الذين ينهشون في جسدي هكذا. ولم يأبهوا بذلك يوماً. ما أبحث عنه الآن هو أن أجد طريقة ما تخفف ألمي الفعلي ولو قليلاً. ذلك هو ما أحتاجه أكثر من أي شيء، حتى وإن كان حلاً منقوصاً. الألم لا يطاق. أحياناً، وفي أوقات بعينها، يشتد الألم كثيراً وكأنه موصول مباشرة بمركز الأرض. إنه ألم من نوع لا أحد يفهمه غيري. لقد سلبني أشياء كثيرة، وفي المقابل منحني الكثير. ألم عميق وخاص يمنحني نعمة عميقة وخاصة - ليست تلك النعمة التي تخفف الألم بطبيعة الحال. ولا يمكنها أن تمنع الهلاك المقبل».

أعقب ذلك صمت مطبق دام لحظات.

تمكنت أومامه من الكلام أخيراً: «أعرف أنني أُعيد ما قلته سابقاً، ولكن لا يسعني إلّا أن أقول إن الطرق المتاحة في يدي لا يمكنها غالباً أن تفعل شيئاً إزاء مشكلتك الخاصة، ولا سيما إذا كانت المشكلة قد جاءتك ثمناً لنعمة سماوية».

جلس الزعيم معتدلاً ونظر إلى أومامه بتلك العينين الصغيرتين الغائرتين، اللتين تشبهان نهراً جليدياً. ثم فتح شفتيه الطويلتين الرقيقتين.

«كلا، أظنك تستطيعين أن تفعلي لي شيئاً، شيئاً لا يستطيعه سواك».

«أرجو أن تكون محقاً».

قال الرجل: «أنا محق وأعلم أني كذلك. إنني أعلم أموراً كثيرة. إذا كنت مستعدة، فأنا أود أن تبدئي الآن. افعلي ما تفعلينه دائماً».

قالت أومامه وقد أصبح صوتها أجوف واعترته نبرة توتر: «سأحاول».

قالت أومامه، ما أفعله دائماً.

الفصل العاشر

تنغو
لقد رفضتَ عرضنا

ودَّع تنغو والده قبل السادسة مساء بقليل. وبينما كان في انتظار قدوم سيارة أجرة، جلس كلاهما قبالة الآخر بجوار النافذة، دون أن يقولا شيئاً. كان تنغو منغمساً في أفكاره الوئيدة فيما والده يحدق بقوة في المنظر خارج النافذة وقد قطّب جبينه. وكانت الشمس قد مالت للمغيب، فيما زرقة السماء الشاحبة تزداد ازرقاقاً ببطء.

كانت لديه الكثير من الأسئلة التي يريد سؤالها، ولكنه يعلم أنه لن يتلقى أي أجوبة. أدرك ذلك من رؤيته لشفتيّ والده المُطْبقتين تماماً. كان جلياً أن والده قد عزم ألا يقول أي شيء آخر، ولذلك قرر تنغو ألا يسأله أسئلة أخرى. إذا لم تستطع أن تفهم شيئاً من دون شرح، فلن تفهمه بشرح. كما قال والده. وعندما حان وقت مغادرته، قال تنغو: «لقد حدثتني اليوم بالكثير. كلامك غير مباشر ويصعب فهمه غالباً، ولكن لعلك كنت صادقاً وصريحاً قدر استطاعتك».

نظر تنغو إلى والده، ولكن بقيت تعبيراتهما كما هي دون تغيير.

«لا يزال لدي بعض الأشياء التي أودّ أن أسألك بشأنها، ولكني أعرف أنها لن تسبِّب لك سوى الألم. كل ما يمكنني فعله هو أن

أخمن ما تبقى بناء على ما أخبرتني به. أنت لست أبي الحقيقي غالباً. هذا هو ظني. لا أعرف التفاصيل، ولكن عليّ أن أقتنع بذلك عموماً. إذا كنتُ مخطئاً، فأرجو أن تخبرني».

لم يَرد والده بشيء.

تابع تنغو: «إذا صحَّ ظني، فهذا يُسهل عليّ الأمر. ليس لأنني أكرهك، ولكن، كما قلت من قبل، لأنني لم أعد بحاجة إلى أن أكرهك. يبدو أنك قد ربيتني كابنٍ لك رغم غياب صلة الدم. يجب أن أكون ممتناً لك. للأسف، لم نكن أبداً كما ينبغي لأب وإبن، ولكن هذه مسألة أخرى».

لزم والده الصمت ولم ينطق، فيما كانت عيناه مثبتتين على المنظر الخارجي وكأنه جندي في نوبة حراسة، وقد صمَّم ألّا تفوته الإشارة الضوئية التالية التي ترسلها القبيلة الهمجية على التل البعيد. حاول تنغو أن ينظر عبر خط الرؤية لدى والده، ولكنه لم يجد شيئاً يشبه الإشارة الضوئية. لم يجد سوى شجر الصنوبر الذي تخضَّب بلون الغروب الوشيك.

«يؤسفني أن أقول ذلك، ولكن ليس لدي تقريباً ما أفعله لأجلك - سوى الرجاء بأن تتم عملية تشكُّل الفراغ بداخلك من دون ألم. أنا متأكد أنك عانيت كثيراً. لا بد أنك أحببتَ أمي بقدر استطاعتك. لدي هذا الشعور بالفعل. ولكنها غادرت إلى مكان ما. لا أدري هل الرجل الذي هربت معه هو أبي البيولوجي أوْ لا، وعلى ما يبدو فليس لديك نية لأن تخبرني. لكنها على أي حال تركتك. وتركتني أنا أيضاً، رضيعاً. ربما قررتَ أن تربيني لأنك حسبتَ أنها سوف تعود إليك إذا بقيتُ معك. لكنها لم تعد مطلقاً - إليّ أو إليك. لا بد أن هذا كان

صعباً عليك، مثل العيش في بلدة خاوية. ومع ذلك، فقد ربيتني في تلك البلدة الخاوية - كما لو أنك تملأ الفراغ».

لم يتغير شيء في تعبيرات وجه أبيه. لم يستطع تنغو الجزم بما إذا كان يفهمه - أو حتى يسمع ما يقوله.

«ربما كان ظني خاطئاً، وقد يكون ذلك هو الأفضل للجميع. لكلينا. ولكن التفكير في الأمر على هذا النحو يساعد كلّ الأشياء على أن تتآلف معاً بشكل جَيد داخلي، وهو أيضاً يكاد يبدد شكوكي».

ظهرت مجموعة من الغربان وهي تنعق في السماء. نظر تنغو في ساعته. حان وقت مغادرته. نهض واقفاً، اقترب من والده، ووضع يده على كتفه.

«وداعاً يا أبي. سآتي مرة أخرى قريباً».

وبينما كان تنغو ممسكاً بمقبض الباب، استدار مرة أخيرة وراعه أن يرى دمعة تطفر من عين أبيه. كانت تشعّ بلون فضي باهت تحت ضوء مصباح الفلورسنت المثبت في السقف. كي يُنزل هذه الدمعة، لا بد أنّ والده قد اعتصر كل ذرة قوة في ذلك القدر الضئيل من العاطفة الذي لا يزال لديه. سَرَت الدمعة ببطء على خد أبيه حتى سقطت في حجره. فتح تنغو الباب وغادر الغرفة. استقل سيارة أجرة إلى المحطة ثم صعد إلى متن القطار الذي جاء به إلى هنا.

جاء القطار السريع المتجه الى طوكيو قادماً من تاتياما أكثر ازدحاماً وصخباً عما كان عليه القطار الذي غادرها. كان معظم الركاب من الأسر العائدة من رحلة الشاطئ. عندما نظر تنغو إليهم، شعر وكأنه في مدرسة ابتدائية. إنه لم يجرب يوماً ولو مرة واحدة مثل هذه النزهات أو الرحلات العائلية. وخلال مهرجان بون، أو رأس

السنة الجديدة، كان والده يكتفي بالاسترخاء والنوم في المنزل، فيبدو وكأنه أشبه بآلة متسخة وقد انقطع عنها التيار الكهربائي.

عندما جلس في مقعده، ظن أنه ربما يستطيع قراءة ما بقي له من كتابه، حتى أدرك أنه قد تركه في غرفة والده. أطلق تنهيدة ولكنه أدرك عندئذٍ وبعد تفكير في الأمر أن ذلك قد يكون حسناً. فأي شيء قد يقرأه الآن ربما لن يفهمه. و«بلدة القطط» قصة تنتمي إلى غرفة أبيه أكثر مما تنتمي لمتعلقات تنغو.

تحرك المنظر الخارجي من النافذة بالترتيب العكسي: الشريط المظلم والمهجور من خط الساحل الذي تحيط به الجبال قد تحول في نهاية المطاف إلى منطقة صناعية ساحلية أكثر اتساعاً. لا تزال معظم المصانع تعمل رغم حلول الليل. كانت توجد غابة من المداخن ترتفع وسط الظلام، فترمي بالشرر وكأنها ثعابين تُخرج ألسنتها الطويلة. وكانت المصابيح الأمامية للشاحنات الكبيرة تغمر الطريق. أما المحيط الذي كان يوجد وراء ذلك فكان يشبه وحلاً كثيفاً أسود اللون.

كانت الساعة تقارب العاشرة عند وصوله إلى المنزل. وجد صندوق بريده فارغاً. عندما فتح باب شقته، وجد المكان أكثر فراغاً من المعتاد، إنه الفراغ نفسه الذي تركه وراءه هذا الصباح. القميص الذي ألقاه على الأرضية، ومعالج النصوص المطفأ، والكرسي الدوار والانبعاجة التي تركتها جلسته على المقعد، وفتات الممحاة المتناثرة على مكتبه. شرب كوبَي ماء، وخلع ملابسه، ثم مضى مباشرة إلى السرير. غلبه النوم في الحال - نام نوماً عميقاً كما لم يفعل في الآونة الأخيرة.

حينما استيقظ تنغو بعد الثامنة من صباح اليوم التالي، أحس أنه

قد أصبح شخصاً جديداً. شعر بتحسن، وبأن عضلات ذراعيه وساقيه لم يعد بها أثر لأي تيبس وبأنها جاهزة للتعامل مع أي مثير طبيعي. زال عنه شعوره بالإعياء البدني. تملّكه ذلك الشعور الذي يتذكره منذ سنوات الطفولة عندما كان يفتح كتاباً مدرسياً جديداً في بداية الفصل الدراسي، وهو يجهل مضمونه ولكنه يستشعر المعرفة الجديدة التي تنتظره. ذهب إلى الحمّام وحلق ذقنه. بعد أن جفف وجهه ووضع غسول ما بعد الحلاقة، تفحص نفسه أمام المرآة، كي يتأكد أنه أصبح شخصاً جديداً بالفعل.

بدت أحداث الأمس جميعها كما لو أنها جرت في الحلم، لا في الواقع. ورغم أن كل شيء كان يبدو مفعماً بحيوية واضحة، فقد لاحظ بعض اللمسات غير الواقعية في الأطراف. لقد استقل قطاراً، وزار «بلدة القطط»، ثم عاد. ومن حُسن طالعه، وعلى النقيض من بطل القصة، فقد تمكن من الصعود إلى القطار لرحلة العودة. وقد أحدثت تجربة البطل في تلك المدينة تغيراً عميقاً لدى تنغو.

بالطبع، لم يتغير أي شيء على الإطلاق بشأن الوضع القائم الذي وجد نفسه فيه، حيث أصبح مضطراً للسير فوق أرض محفوفة بالخطر والغموض. كانت الأمور قد تطورت على نحو غير متوقع تماماً، ولم يكن يدري ماذا سوف يحدث له لاحقاً. ومع ذلك، كان لدى تنغو شعور قوي بأنه سوف يتمكن بطريقة ما أن يجتاز هذا الخطر.

قال تنغو في نفسه، **لقد وصلتُ أخيراً إلى خط البداية**. ليس لأن أي حقائق حاسمة قد كُشفت، ولكن بناء على ما تحدث به والده والموقف الذي اتخذه، فقد بدأ يصل إلى بعض الفهم المبهم لأصوله. إن تلك «الصورة» التي كانت سبباً في عذابه وحيرته منذ زمن ليست

سوى هلوسة لا معنى لها. إلى أي مدى كانت تعكس الحقيقة، لم يكن بوسعه أن يحدد ذلك بأي قدر من الدقة، ولكنها كانت هي المعلومة الوحيدة التي تركتها له والدته، وفي كل الأحوال، فقد كانت هي أساس حياته. ومع اتضاح الكثير من الأشياء الآن، استشعر تنغو أنه قد وضع حملاً ثقيلاً عن كاهليه. أمَا وقد وضعه أخيراً، فقد أدرك مدى ثقل هذا الحمل.

توالت الأيام خلال أسبوعين أو أكثر في هدوء وسلام غريبين، وكأنها بحرٌ هادئ. كان يُدرِّس أربعة أيام في الأسبوع في المدرسة التأهيلية خلال العطلة الصيفية، فيما يخصص بقية وقته لكتابة روايته. لم يتصل به أحد. ولم يكن تنغو يعرف شيئاً عن اختفاء فوكا-إري أو كيف يسير الإقبال على 'الشرنقة الهوائية' أو ما إذا كان هذا الإقبال لا يزال كبيراً. ولم يكن يريد أن يعرف. ترك العالم يمضي كيفما يشاء. إذا كان لهذا العالم حاجة عنده، فحتماً سوف يخبره.

انتهى شهر أغسطس، وبدأ سبتمبر. وبينما كان يُعد قهوة الصباح، تمنى تنغو في نفسه لو امتدت هذه الفترة الهادئة إلى الأبد. لو قال ذلك بصوت عالٍ، فربما سمعه شيطان يسترق السمع. ولذلك فقد أبقى أمنيته في تواصل أيام الهدوء في دخيلته. ولكن الأمور لا تسير مطلقاً على النحو الذي تشتهيه، ولم يكن هذا الهدوء استثناء. بدا أن العالم لديه فهم أفضل للوجهة التي لا تريد للأشياء أن تسير فيها.

رن جرس الهاتف بعد العاشرة من صباح ذلك اليوم. تركه يرن سبع مرات، ثم استسلم، ومدّ يده، ورفع السماعة.

«هل يمكنني المجيء الآن»، جاءه صوت خفيض يسأل. بقدر ما

كان تنغو يعرف، فإن هناك شخصاً واحداً فقط في العالم يمكن أن يسأل أسئلة كهذه دون نبرة استفهام. وفي الخلفية، كان بوسع تنغو أن يسمع بعض الأصوات وصوت مِدخنات عادم السيارات.

سألها تنغو: «أين أنتِ الآن؟».

«عند الباب الخارجي للماروشو».

لم يكن يفصل شقته عن ذلك المتجر سوى أقل من مائتي ياردة. كانت تتصل من هاتف عمومي أمام المتجر. تلفَّت تنغو حوله في الشقة مدفوعاً بالغريزة: «ألا ترين أنها مخاطرة؟ ربما تكون شقتي مراقبة. ومن المفترض أن «مكانك غير معروف»».

سألته وهي تعيد كلماته: «ربما تكون شقتك مراقبة».

قال تنغو: «نعم. فكل الأمور الغريبة التي تجري من حولي هي غالباً ترتبط بـ'الشرنقة الهوائية'».

«لأن الناس الصغار غاضبون».

«ربما. هم غاضبون منك، وأظنهم غاضبين مني أيضاً، ولكن بدرجة أقل. لأني قمت بإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'».

قالت فوكا-إري: «لا يهم».

قال تنغو: «لا يهم». ها هو تنغو الآن يعيد كلماتها. إن العادة معدية. «لا يهم ماذا؟».

«شقتك تحت المراقبة. إذا كان ذلك».

لم تسعفه الكلمات للحظات، وقال أخيراً: «حسناً، ربما يهمني أنا».

قالت فوكا-إري: «يجب أن نكون معاً. ونوحّد قوانا».

قال تنغو: «مثل سوني وشير. أقوى ثنائي مِن ذكر وأنثى».

«أقوى ماذا؟».

«لا عليك. إنها نكتة بسيطة».

«أنا قادمة».

كان تنغو يوشك أن يقول شيئاً عندما سمع صافرة انقطاع الاتصال. الجميع كانوا يضعون السماعة في وجهه. وكأنهم يقطعون جسراً من حبال.

وصلت فوكا-إري بعد عشر دقائق وهي تحمل في يدها كيساً من البلاستيك من المتجر. كانت ترتدي قميصاً طويل الأكمام وبه خطوط زرقاء وبنطال جينز ضيق. كان القميص رجالياً، ولم يتم كيّه ولبسته مباشرة من حبل الغسيل. كانت تتدلى من أحد كتفيها حقيبة من قماش. وترتدي نظارة شمسية كبيرة الحجم كي تحجب وجهها، ولكن ذلك لم يكن تمويهاً ناجحاً، بل على العكس، لفت إليها الانتباه.

قالت فوكا-إري وهي تنقل محتويات الكيس إلى الثلاجة: «رأيت أنه ينبغي أن نخزِّن الكثير من المواد الغذائية». كان أغلب الطعام الذي اشترته جاهزاً، ولا يحتاج سوى التسخين في فرن ميكروويف. اشترت أيضاً بعض المقرمشات والجبن والتفاح والطماطم، وبعض الأغذية المعلبة.

سألت وهي تتلفت حولها في المطبخ: «أين الميكروويف؟».

قال تنغو: «ليس لدي ميكروويف».

عقدت فوكا-إري جبينها وهي تفكر، ولكنها لم تجد شيئاً تقوله. كان من الصعب عليها أن تتخيل عالماً لا يوجد فيه فرن ميكروويف.

قالت، وكأنها تتحدث عن حقيقة موضوعية: «أريدك أن تؤويني».

سألها تنغو: «حتى متى؟».

هزت فوكا-إري رأسها. هذا يعني أنها لا تعرف.

«ماذا جرى لمكان اختبائك؟».

«لا أريد أن أكون وحدي إذا حدث شيء ما».

«هل تعتقدين أن شيئاً ما سوف يحدث؟».

لم تجب فوكا-إري.

«لا أحب تكرار كلامي، ولكن هذا المكان ليس آمناً. يبدو أن هناك مَن يرصدونني. لا أدري مَن يكونون حتى الآن، ولكن . . ».

قالت فوكا-إري وهي تضيِّق عينيها بطريقة ذات مغزى وتشدّ شحمة أذنها: «لا يوجد مكان آمن». لم يفهم تنغو ما الذي تعنيه بتلك الحركتين. ربما لا شيء.

قال تنغو: «إذاً لا يهم أين توجدين؟».

أعادت فوكا-إري كلامها: «لا يوجد مكان آمن».

قال تنغو مذعناً: «ربما معك حق. عند نقطة معينة، تتساوى درجات الخطر. على أي حال، يجب عليّ الذهاب إلى العمل الآن».

«إلى المدرسة التأهيلية».

«نعم».

قالت فوكا-إري: «سوف أمكث هنا».

أعاد تنغو كلامها: «سوف تمكثين هنا. يجب عليك. . . لا تغادري الشقة فحسب، ولا تفتحي الباب لأي أحد. ولا تجيبي على الهاتف».

أومأت فوكا-إري دون كلام.

«إذاً، وعلى أي حال، ماذا سيحدث مع البروفيسور إيبسونو؟».

«لقد فتشوا ساكي جاكه أمس».

سألها تنغو مندهشاً: «هل تقصدين أن الشرطة فتشت مجمع ساكي جاكه بحثاً عنك؟».

«أنت لا تقرأ الصحف».

قال تنغو: «لا أقرأ الصحف. لم أرغب في ذلك في الآونة الأخيرة. ولذلك لا علم لي بما يجري. ولكن أظن أن سكان ساكي جاكه سوف يغضبون أشد الغضب».

أومأت فوكا-إري.

أطلق تنغو تنهيدة عميقة: «لا بد أنهم أشد غضباً من ذي قبل، مثل دبابير تمّ وخز عشها».

ضيقت فوكا-إري عينيها وصمتت برهة. ربما تخيلت سرباً من الدبابير الغاضبة وهي تنطلق من عشها.

قالت فوكا-إري بصوت خافت: «ربما».

«إذاً، هل عثروا على أي شيء يخص أبويك؟».

هزت فوكا-إري رأسها. ما زالوا لا يعرفون شيئاً عنهما.

قال تنغو: «على أي حال، التنظيم غاضب. وإذا تبينت الشرطة أن اختفاءك مفتعل، فسوف يغضبون منك أيضاً. ويغضبون مني لتستري عليك رغم علمي بالحقيقة».

قالت فوكا-إري: «وذلك تحديداً هو السبب الذي يوجب علينا أن نوحد قوانا».

«هل قلتِ «وذلك تحديداً»؟».

أومأت فوكا-إري. ثم سألت: «هل أخطأت في قولها؟».

هز تنغو رأسه: «مطلقاً. كلماتك بدت عذبة، هذا هو كل شيء».

قالت فوكا-إري: «إذا كان يضايقك، فيمكنني الذهاب إلى مكان آخر».

قال تنغو مذعناً: «لا مانع من بقائك هنا. فليس لديك قطعاً مكان آخر في ذهنك، أليس كذلك؟».

أجابت فوكا-إري بإيماءة مقتضبة.

أخرج تنغو بعض شاي الشعير المبرد من الثلاجة وشربه: «الدبابير الغاضبة ستكون فوق طاقتي، ولكني واثق أني أستطيع الاعتناء بك».

رمقت فوكا-إري تنغو بنظرة حادة للحظات. ثم قالت: «تبدو مختلفاً».

«ماذا تقصدين؟».

لوت فوكا-إري شفتيها بزاوية غريبة ثم أعادتهما إلى وضعهما الطبيعي: «لا أستطيع أن أشرح ذلك».

«لا حاجة لأن تشرحي». **إذا لم تفهم شيئاً من دون شرح، فلن تفهمه بشرح.**

وبينما كان يهم بمغادرة الشقة، قال تنغو: «عندما أتصل بك، سأجعل الهاتف يرن ثلاث مرات، وأضع السماعة، ثم أعاود الاتصال. وعندئذٍ تردين. اتفقنا؟».

قالت فوكا-إري: «اتفقنا. ترن ثلاث مرات، وتضع السماعة، وتعاود الاتصال، فأرد». بدت وكأنها تترجم بصوت مرتفع عبارات منقوشة على حجر أثري قديم.

قال تنغو: «هذا مهم، لا تنسي».

أومأت فوكا-إري مرتين.

انتهى تنغو من حصّتيه، وعاد إلى غرفة المعلمين، حيث كان يستعد للعودة إلى المنزل. جاءته موظفة الاستقبال لتخبره بأن رجلاً

يُدعى يوشيكاوا يريد مقابلته. تحدثت بنبرة اعتذارية، وكأنها رسول طيب القلب يحمل أنباء غير سارة. أظهر تنغو لها ابتسامة مشرقة وشكرها. لا لوم على الرسول.

كان يوشيكاوا في الكافتيريا بالقرب من البهو الأمامي، يحتسي قهوة بالحليب وهو في انتظار تنغو. لم يكن تنغو يتصور شراباً أقل ملاءمة من ذلك ليوشيكاوا، الذي بدا مظهره الغريب شديد الغرابة وسط الطلاب الصغار المفعمين بالحيوية. لكن بدا أن الجاذبية وكثافة الهواء وانكسار الضوء تختلف في الجزء الذي يجلس فيه من الغرفة عمّا هي في أنحاء المكان. وحتى من مسافة بعيدة، كان واضحاً أنه يشبه نبأً سيئاً. كانت الكافتيريا تزدحم في الاستراحات الفاصلة بين الحصص، ولكن لا أحد شاركه طاولته التي تسع ستة أشخاص. فقد دفعت الغرائز الطبيعية الطلاب إلى اجتناب يوشيكاوا، تماماً كما ينأى الظبي بنفسه بعيداً عن كلاب شرسة.

اشترى تنغو قهوة من شباك الكافتيريا ثم حملها إلى طاولة يوشيكاوا، وجلس قبالته. بدا أن يوشيكاوا قد انتهى لتوه من تناول فطيرة محشوة بالقشدة. كان الغلاف الورقي للفطيرة مكرمشاً وملقىً فوق الطاولة، فيما التصق الفتات بإحدى زوايا فمه. بدت الفطائر بالقشدة أيضاً غير ملائمة ليوشيكاوا بالمرة.

قال يوشيكاوا لتنغو، وهو يرفع نفسه قليلاً من كرسيه: «لم نتقابل منذ مدة، يا سيد كاوانا، أليس كذلك؟ آسف على مجيئي إليك مرة أخرى دون موعد».

تخلى تنغو عن الثرثرة المهذبة ودخل إلى الموضوع: «أنا متأكد أنك هنا من أجل الحصول على ردي. على العرض الذي قدمته لي ذلك اليوم، أليس كذلك؟».

قال يوشيكاوا: «حسناً، نعم، ذلك صحيح. باختصار».

«هل يمكنك، يا سيد يوشيكاوا، أن تتحدث اليوم بطريقة أكثر وضوحاً ومباشرة. ما الذي تريدونه مني - في مقابل ذلك الشيء المسمى «منحة»؟».

نظر يوشيكاوا حوله في الغرفة بحذر، فلم يجد أحداً بالقرب منهما، ومع الصخب الناجم عن أصوات الطلاب لم يكن من المحتمل أن يسمع حديثهما أحد.

قال يوشيكاوا وهو يميل فوق الطاولة ويُخفِّض صوته قليلاً: «حسناً، إذاً. دعني أمنحك أفضل صفقة لدينا، وأعرضها عليك بكل صدق. إنّ المال مجرد ذريعة. لسبب واحد، أن مبلغ المنحة ليس بالمبلغ الكبير. أما الشيء الأهم الذي يمكن لموكلي أن يقدمه لك فهو سلامتك الشخصية. وبعبارة أخرى، لن يصيبك أي أذى. نحن نضمن ذلك».

قال تنغو: «وفي مقابل ذلك . . . ؟».

«في مقابل ذلك، فإن كل ما يريدونه منك هو الصمت والنسيان. لقد شاركت في هذا الأمر، ولكنك لم تكن تعرف ما الذي تورِّط نفسك فيه. كنت مجرد جندي مشاة يتصرف بحسب الأوامر. إنهم لن يُحمِّلوك شخصياً المسؤولية. لذلك ما عليك إلا أن تنسى هذا الأمر. يمكننا أن نجعل ما كتبته يبدو وكأن شيئاً لم يكن. لن يتحدث أحد أبداً بأنك الكاتب الحقيقي لـ'الشرنقة الهوائية'. أنت لست مرتبطاً بها على أيّ نحو، ولن تكون أبداً. هذا هو ما يريدونه منك. وسيكون هذا في صالحك أيضاً، أنا واثق أنك تدرك ذلك».

«لن يصيبني أذى. بعبارة أخرى، فإن الأذى سوف يصيب الآخرين؟ أذلك هو ما تود قوله؟».

قال يوشيكاوا بصعوبة واضحة: «سيتم التعامل مع ذلك بحسب كل حالة على حدة أو كما يقولون في اللغة الإنجليزية "Case by case". لست أنا من يُقرر، لذلك لا يمكنني أن أقول على وجه التحديد، ولكن هناك خطوات يتعين اتخاذها، هذا حسبما أعتقد».

«وأذرعكم طويلة وقوية».

«بالضبط. طويلة جداً، وقوية جداً، كما أسلفت. إذاً، أي نوع من الجواب يمكننا أن نأمله منك، يا سيد كاوانا؟».

«دعني أقول لك أولاً إن قبولي المال من أصحابك غير وارد بالمرة».

دون أن يتكلم، أمسك يوشيكاوا بنظارته، وخلعها، ثم أخذ يمسح بحرص عدستيها بمنديل أخرجه من جيبه، قبل أن يعيدها مرة أخرى، وكأنه يقول إن ثمة صلة ما بين إبصاره وما سمعه تواً.

«هل يعني هذا أنك قد رفضت عرضنا؟».

«هذا صحيح».

حملق يوشيكاوا في تنغو من خلال نظارته كما لو كان ينظر في سحابة ذات شكل غريب: «ولماذا ذلك؟ في رأيي المتواضع، هذه الصفقة ليست سيئة على الإطلاق».

«في نهاية الأمر، فإن كل الأشخاص المرتبطين بالقصة في قارب واحد. ومن المستحيل أن أكون أنا الوحيد الذي يهرب».

قال يوشيكاوا: «أنا مندهش!»، كما لو كان مندهشاً حقاً. «لا يمكنني أن أفهم. ربما لا ينبغي أن أقول هذا، ولكن لا أحد من الآخرين يُبدي أي قلق بشأنك. هذه هي الحقيقة. إنهم يلقون إليك بفكة قليلة ويستخدمونك كما يحلو لهم. وفي مقابل ذلك تم استدراجك إلى الفوضى. إذا أردت نصيحتي، فأنت معك كلّ الحق

في أن تقول لهم جميعاً اذهبوا إلى الجحيم. ولو كنت مكانك، لَغضبت منهم. ولكنك مستعد لحمايتهم، ولسان حالك يقول: «من المستحيل أن أكون أنا الوحيد الذي يهرب»! لا أفهم ذلك. لماذا لا تقبل العرض؟».

«أحد الأسباب هي امرأة اسمها كيوكو ياسودا».

تناول يوشيكاوا قهوة مثلجة مع الحليب وجفل وهو يأخذ رشفة: «كيوكو ياسودا؟».

قال تنغو: «أنتم تعرفون شيئاً عن كيوكو ياسودا».

فغر يوشيكاوا فاه، كما لو أنه لا يدري عمّ يتحدث تنغو: «لا، بصراحة، لا أدري أي شيء عن امرأة بهذا الاسم. أقسم لك، حقاً. مَن هي؟».

نظر تنغو نحو يوشيكاوا مدة، دون أن يقول شيئاً، لكنه لم يستطع أن يستشف أي شيء من تعبيرات وجهه: «امرأة أعرفها».

«هل هي امرأة أقمتَ معها، مثلاً، . . . علاقة؟».

لم يُجِب تنغو ذلك: «ما أريد أن أعرفه هو هل فعلتم بها شيئاً؟».

قال يوشيكاوا: «فعلنا بها شيئاً؟ مستحيل! لم نفعل أي شيء. أنا لا أكذب. ما أقوله هو أنني لا أعرف عنها أي شيء. لا يمكنك أن تفعل أي شيء بشخص لم تسمع عنه قطّ».

«ولكنك قلت إنك استأجرت باحثاً قام بتقصي كل شيء عني حتى الآن. وأنه توصل حتى إلى حقيقة أنني مَن أعاد كتابة عمل إريكو فوكادا. وأنه يعرف الكثير عن حياتي الشخصية أيضاً. من المنطقي أنه يعرف بحكايتي مع كيوكو ياسودا».

«نعم، هذا صحيح، فقد استأجرنا باحثاً قديراً. وقد تحرى عنك

بقدر كبير من التفصيل. لذلك ربما يكون قد اكتشف علاقتك مع كيوكو ياسودا، كما تقول. ولكن حتى إذا افترضنا أنه قد اكتشفها، فإن المعلومات لم تصل إليّ».

قال تنغو: «إنني أرى كيوكو ياسودا منذ وقت بعيد. اعتدت رؤيتها مرة في الأسبوع. خفيةً. لأن لديها أسرة. ولكن فجأة وذات يوم، ودون أن تقول لي أي كلمة، اختفت».

استخدم يوشيكاوا المنديل الذي مسح به نظارته كي يجفف العرق الذي رشح من طرف أنفه: «وهكذا، فأنت يا سيد كاوانا، تعتقد أننا بطريقة أو بأخرى، لنا علاقة باختفاء هذه المرأة المتزوجة، هل هو كذلك؟».

«ربما أخبرتم زوجها أنها كانت تزورني».

ضم يوشيكاوا شفتيه كما لو أنه قد اندهش: «وأي سبب يمكن أن يدفعنا لعمل شيء من هذا القبيل؟».

ضم تنغو قبضتيه في حجره: «لا أزال أفكر في شيء قلته عبر الهاتف في آخر مرة تحدثنا».

«أي شيء ذلك يا تُرى؟».

«بمجرد تجاوزك سناً معينة، تصبح الحياة مجرد عملية فقدان متواصلة يفقد فيها الشخص شيئاً تلو آخر. تنزلق الأشياء التي تعتز بها من بين أصابع يديك كما يفقد المشط أسنانه. ويتلاشى الأشخاص الذين تحبهم واحداً تلو آخر. وأشياء من هذا القبيل. من المؤكد، أنك لا تزال تذكر».

«نعم أذكرها. قلت ذاك اليوم أشياء من هذا القبيل. ولكني في الحقيقة، يا سيد كاوانا، كنت أتحدث في العموميات. كنت أقدم

وجهة نظري المتواضعة لما يصاحب الشيخوخة من ألم ومصاعب. وبكل تأكيد لم أكن أشير تحديداً إلى هذه المدعوة ياسودا».

«ولكنه بدا في أذني أشبه بالتحذير».

هز يوشيكاوا رأسه عدة هزات قوية: «لا مطلقاً! لم أكن أقصد أي تحذير. كان مجرد رأي شخصي. صدقني، أقسم لك، لا أدري أي شيء عن السيدة ياسودا. هل اختفت؟».

تابع تنغو: «وقلت أيضاً ما يلي: إذا ظللت أرفض الاستماع إليكم، فربما يلحق الأذى بجميع الموجودين من حولي».

«نعم، قلت شيئاً من هذا القبيل».

«أليس ذلك تحذيراً أيضاً؟».

دس يوشيكاوا منديله في جيب سترته وأطلق تنهيدة: «صحيح، ربما بدا وكأنه تحذير، ولكني في هذه أيضاً، كنت أتحدث بشكل عمومي جداً. سوف أقول لك، يا سيد كاوانا، أنا لا أدري أي شيء عن هذه السيدة ياسودا، بل لم أسمع اسمها مطلقاً. أقسم بجميع آلهة السماء والأرض».

حملق تنغو في وجه يوشيكاوا مرة أخرى. لعل هذا الرجل لا يعرف حقاً أي شيء عن كيوكو ياسودا. ملامح الحيرة على وجهه تبدو وكأنها صادقة. ولكن حتى إذا كان لا يعرف شيئاً، فهذا لا يعني بالضرورة أنهم لم يتعرضوا لها بأي شيء. ربما لم يخبروه عن ذلك فحسب.

«هذا ليس من شأني، يا سيد كاوانا، ولكن إقامة علاقة غرامية مع امرأة متزوجة أمر فيه خطر. وأنت شاب عازب وموفور الصحة. يمكنك مصاحبة فتيات عازبات كيفما تشاء ولكن ابتعد عن هذه الأمور

الخطِرة». بعدما قال يوشيكاوا ذلك، قام بمهارة بمسح فتات الطعام العالق في زاوية فمه.

كان تنغو ينظر إلى يوشيكاوا في صمت.

قال يوشيكاوا: «بالطبع، العلاقات بين الذكور والإناث لا تخضع لمنطق أو عقل. حتى الزواج بزوجة واحدة له تناقضاته الخاصة. ومع ذلك، فأنا أحدثك بما فيه مصلحتك، إذا كانت قد تركتك، فالأفضل ربما هو أن تُبقي الحال على ما هو عليه. ما أود قوله هنا هو ما يلي: هناك أشياء في هذا العالم يفضل أن تظل مجهولة. قضية والدتك، على سبيل المثال. لن ينالك سوى الضرر إن عرفت الحقيقة بشأنها. وبمجرد معرفتك الحقيقة، سوف ينتهي بك المطاف لأن تتحمل قدراً من المسؤولية إزاءها».

قطب تنغو جبينه، وهو يحبس أنفاسه بضع ثوان: «أنت تعرف شيئاً عن والدتي؟».

حرّك يوشيكاوا لسانه فوق شفتيه: «نعم، إلى حدٍّ ما، أعرف. لقد تحرى باحثنا في هذه المنطقة بدقة بالغة. لذلك إذا أردت في أي وقت أن تعرف المزيد، فيمكنني أن أسلمك كل المواد التي تخص والدتك كما هي. وبحسب فهمي، فقد كبرتَ وأنت لا تدري أي شيء عنها على الإطلاق. ومع ذلك، ربما يحتوي الملف على بعض المعلومات التي لا تسرك كثيراً».

قال تنغو وهو يدفع كرسيه إلى الوراء وينهض واقفاً: «أرجوك أن تغادر الآن، يا سيد يوشيكاوا. لا أرغب في الكلام معك أكثر من ذلك. وأرجوك لا تُرني وجهك مرة أخرى. أيّاً كان «الأذى» الذي قد يصيبني، سيكون أفضل من اضطراري إلى التعامل معك. لا أريد

«منحتكم» ولا «ضماناتكم». شيء واحد فقط أريده، وهو ألّا أراك مرة أخرى أبداً».

لم يُظهر يوشيكاوا أي ردة فعل واضحة إزاء ذلك. ربما سمع ما هو أسوأ مرات ومرات، بل كان يُلحظ في أعماق عينيه أثرٌ لوميض ابتسامة.

قال يوشيكاوا: «لا بأس. يُسعدني أنني على الأقل سمعت جوابك. وهو لا قاطعة. لقد رفضتَ عرضنا. بجواب صريح وسهل الفهم. سوف أنقله إلى رؤسائي كما هو. أنا مجرد مندوب بسيط. والآن، ورغم أن جوابك بوضوح هو لا، فإن هذا لا يعني أن أذىً سوف يصيبك على الفور. ربما يقع. هذا هو كل ما أقوله. وربما لا يقع أبداً. وهذا هو ما أرجوه. ألّا يقع فعلاً، من كل قلبي. لأني أحببتك، يا سيد كاوانا. أنا متأكد أن آخر شيء تريده، هو أن يحبك شخص مثلي، ولكن هكذا هو الحال. هذا الرجل الأبله الذي يأتي بصفقات بلهاء، وصاحب المظهر البشع. لم أكن يوماً محاطاً بالحب والمحبين. لكن الحقيقة الواضحة هي أنني أحمل لك مشاعر طيبة، يا سيد كاوانا، وهي كما ترى ليست مُرحَّباً بها. وأرجو أن تواصل مسيرتك في الحياة بنجاح كبير».

بعد أن قال يوشيكاوا ذلك، راح يحدق في أصابع يديه. كانت قصيرة، وغليظة. أخذ يقلبها بضع مرات. ثم نهض واقفاً.

«حسناً، إذاً، سوف أستأذن. ولأنك ذكرت ذلك الآن، فربما تكون هذه هي آخر مرة تراني فيها. نعم، سوف أبذل قصارى جهدي كي أمتثل لرغباتك. أرجو أن تسير أمورك على ما يرام في المستقبل. وداعاً».

تناول يوشيكاوا الحقيبة الجلدية المهترئة التي كان قد وضعها

على الكرسي وتلاشى وسط زحام رواد الكافتيريا. وبينما كان يسير، كانت جُموع من الطلبة والطالبات يفترقون تلقائياً حتى يفسحوا له الطريق، وكأنهم أطفال قرويون في العصور الوسطى يحاولون أن يتلافوا تاجر رقيق مرعب.

اتصل تنغو بشقته من الهاتف العمومي الموجود في بهو المدرسة. كان ينوي أن يضع السماعة بعد ثلاث رنات، ولكن فوكا-إري رفعت السماعة مع الرنة الثانية.

قال تنغو متضجراً: «كنت سأدعه يرن ثلاث رنات ثم أتصل مرة أخرى. هذا ما اتفقنا عليه».

قالت فوكا-إري بلا اكتراث واضح: «نسيت».

«أنا متأكد أني طلبت منك ألا تنسي».

سألته فوكا-إري: «تريد أن نجرب مرة أخرى».

«لا، لا يهم، دعينا نتحدث. هل وقع أي شيء غير عادي منذ غادرت؟».

«لا مكالمات. ولم يأتِ أحد».

«حسناً. انتهيت من عملي. وسأعود الآن».

قالت فوكا-إري: «جاء غُراب كبير الحجم ونعق خارج النافذة».

«إنه يأتي كل مساء. لا داعي للقلق. وكأنها زيارة ودية. على أي حال، سأعود بحلول السابعة».

«من الأفضل أن تسرع».

سأل تنغو: «ولماذا؟».

«الناس الصغار يتحركون».

أعاد تنغو كلماتها: «الناس الصغار يتحركون. في شقتي؟».

«لا. في مكان آخر».

«مكان آخر».

«بعيد جداً».

«ومع ذلك يمكنكِ سماعهم».

«يمكنني سماعهم».

سألها تنغو: «هل يعني ذلك شيئاً؟».

«يعني أن شيئاً غير عادي سوف يحدث».

استغرق تنغو برهة كي يدرك أنها كانت تقصد «غير عادي»: «وما هو نوع ذلك الشيء غير العادي؟».

«لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك».

«الناس الصغار هم مَن يقفون وراء حدوث ذلك الشيء غير العادي؟».

هزت فوكا-إري رأسها. كان بوسعه أن يستشعر ذلك عبر الهاتف. كانت تعني أنها لا تعرف.

قالت: «من الأفضل أن تعود قبل بدء الرعد».

«الرعد؟».

«إذا توقف القطار، فسوف نفترق».

استدار تنغو ونظر من النافذة. كان مساء هادئاً في أواخر فصل الصيف ولا توجد غيوم في السماء: «لا يبدو أنه سيكون هناك رعد».

«لا يمكنك أن تأخذ بالظاهر».

قال تنغو: «سوف أسرع».

قالت فوكا-إري: «الأفضل أن تسرع». ثم أقفلت الخط.

غادر تنغو المدرسة، ونظر إلى سماء المساء الصافية مرة أخرى، ومشى يحثّ الخطى نحو محطة يويوجي، فيما كان صدى كلمات

يوشيكاوا لا يزال يتردد في رأسه مثل شريط كاسيت وقد ضُبط على وضعية الإعادة التلقائية.

ما أود قوله هنا هو ما يلي: هناك أشياء في هذا العالم يفضَّل أن تظل مجهولة. قضية والدتك، على سبيل المثال. لن ينالك سوى الضرر إن عرفت الحقيقة بشأنها. وبمجرد معرفتك الحقيقة، سوف ينتهي بك المطاف لأن تتحمل قدراً من المسؤولية إزاءها.

وكان صوت فوكا-إري آسراً على نحو غريب.

الناس الصغار يتحركون في مكان ما. هناك صلة تربطهم فيما يبدو بذلك الحدث الاستثنائي الذي هو في سبيله إلينا. تبدو السماء الآن جميلة وصافية، ولكنك لا تستطيع أن تحكم على المظهر. ربما يزمجر الرعد، ويهطل المطر، وتتوقف القطارات. عليك أن تسارع بالعودة إلى الشقة.

كانت قد قالت: «علينا أن نوحِّد قوانا».

هذه الأذرع الطويلة تمتد من مكان ما. **علينا أن نوحد قوانا. لأننا سنكون أقوى ثنائي مِن ذكر وأنثى في العالم.**

The Beat Goes on. و«تستمر الحياة».

الفصل الحادي عشر

أومامه

التوازن في حد ذاته هو الخير

مدَّت أومامه بساط اليوجا ذا اللون الأزرق الرغوي على أرضية غرفة النوم المفروشة بالبساط. ثم طلبت من الرجل أن يخلع قميصه. نزل من السرير وتجرد من قميصه. بدا أضخم حجماً دون قميصه. كان صدره عريضاً، وعضلاته بارزة، وليس لديه أي ترهلات. وأخذاً بالظاهر، فإن هذا الجسد يتمتع بصحة جيدة للغاية.

استجاب لتوجيهات أومامه، واستلقى على وجهه فوق بساط اليوجا. أمسكت أومامه برسغه لقياس النبض. وجدته قوياً ومنتظماً.

سألته أومامه: «هل تمارس أي نوع من التمارين الرياضية بانتظام؟».

قال: «لا تقريباً. التنفس فقط».

«التنفس فقط؟».

قال الرجل: «إنه يختلف قليلاً عن التنفس العادي».

«مثلما كنت تفعل منذ قليل في الظلام، على ما أظن. تأخذ أنفاساً عميقة ومتكررة مستعيناً بكل عضلات جسمك».

أومأ إيماءة خفيفة، ورأسه مطأطأ للأسفل.

لم تفهم أومامه ذلك تماماً. بالرغم من أن نمط تنفسه الكثيف يحتاج حتماً إلى قدر كبير من القوة البدنية، فهل يمكن للتنفس العادي فقط أن يحافظ على هذا الجسم المشدود والقوي؟

قالت أومامه بنبرة رتيبة: «ما أوشك على عمله الآن يسبب ألماً شديداً. ولا بد أن يؤلم حتى يحقق الفائدة المرجوة. لكن يمكنني أن أتحكم في درجة الألم. لذلك إذا آلمك، فلا تكتم ذلك - بل تكلم».

توقف الرجل للحظة قبل أن يقول: «إن كان يوجد ألمٌ لم أذقه قطّ، فأود أن أجربه». بدت كلماته لها مشوبة بشيء من السخرية.

«الألم ليس مُزحة لأي أحد».

قال: «ولكن الوسيلة المؤلمة تكون أكثر فعالية، أليس كذلك؟ أستطيع تحمل أي ألم ما دام له مغزى».

سمحت أومامه لنفسها ببعض تعبيرات الوجه العابرة وسط الظلام الشاحب. ثم قالت: «أفهم ذلك. دعنا نرى كيف ستسير الأمور».

كدأبها، بدأت أومامه بتمديد لوحي الكتفين. كان أول شيء لاحظته عند ملامسة جسده هو ليونته. كان جسمه على ما يرام، ويتمتع بحيوية، ويختلف اختلافاً جوهرياً في هيئته عن الأجسام المتعبة والمتيبسة لقاطني المدن الذين تتعامل معهم في قاعة التمرينات الرياضية. لكن في الوقت نفسه، كان لديها شعور قوي بأن شيئاً ما يعوق «تدفقه» الطبيعي، مثلما تعوق الأخشاب العائمة وغيرها من المخلفات تدفق الماء في مجرى النهر.

بينما مالت بثقلها على كوعها، ضغطت أومامه لأعلى على كتف الرجل ببطء في البداية، ولكن بقدر كبير من القوة بعد ذلك. كانت تدرك أنه يشعر بالألم - ألم شديد يصرخ منه أي إنسان عادي. لكنه مع ذلك احتمله في صمت. ظلت أنفاسه هادئة، ولم يَظهر على وجهه

أي تجهم. قالت في نفسها، **إنه يتحمل الألم بشكل جيد**. قررت أن تعرف مدى قدرته على التحمل. لم تدّخر جهداً في عملية الضغط التالية، حتى صدرت طقة خافتة عن مفصل لوح الكتف وكان بوسعها أن تجزم أن المسار قد تم تحويله. توقفت أنفاس الرجل للحظات ولكنها ما لبثت أن استأنفت فوراً وتيرتها الهادئة والمنتظمة.

أوضحت له: «لوح الكتف لديك كان مسدوداً، ولكن ذلك أزال الانسداد. والآن عاد التدفق إلى وضعه الطبيعي».

دست أصابعها تحت لوح الكتف حتى لامست المفصل الثاني. كان يفترض أن العضلات مرنة هنا، وأنها بمجرد زوال الانسداد سوف تعود سريعاً إلى وضعها الطبيعي.

تمتم الرجل: «أشعر بتحسن كبير».

«لا بد أنه آلمك كثيراً».

«ليس أكثر ممّا يمكنني تحمله».

«أنا نفسي لدي قدرة عالية نوعاً ما على تحمل الألم، ولكن إذا أخضعني أحد لهذا الشيء نفسه، فسوف أصرخ حتماً».

«في معظم الحالات، يخف الألم بألم آخر أو يزول. والإحساس، في نهاية المطاف، نسبي».

وضعت أومامه يدها على لوح كتفه الأيسر، وتحسَّست العضلات بأناملها، وقررت أنها غالباً في الوضع نفسه الذي كانته عضلات الكتف اليمنى. **دعنا نرى فحسب كيف يمكن أن يكون ذلك نسبياً**.

«سوف أشتغل على الجانب الأيسر الآن. يجب أن يؤلمك بالقدر ذاته الذي كان مع الجانب الأيمن».

«افعلي ما يجب عليك. لا تقلقي بشأني».

«هذا يعني، أنه يجب عليّ ألّا أتوقف على الإطلاق؟».

«لا حاجة لذلك».

متبعة الإجراءات نفسها، صححت أومامه المفاصل والعضلات المحيطة بلوح الكتف الأيسر. وحسبما أشار عليها، لم تتوقف. وعندما قررت أنها لن تتوقف مرة أخرى، أخذت أومامه أقصر الطرق الممكنة دون تردد. جاءت استجابة الرجل أكثر هدوءاً مما كانت مع الجانب الأيمن. احتمل الألم برباطة جأش تامة، ولم يصدر سوى صوت ازدراد قصير من حنجرته.

فكرت أومامه، **حسناً، دعنا نرى أي قدر من الألم يمكنه تحمله.**

بدأت العمل على عضلاته واحدة تلو أخرى بالترتيب، وراحت تُفكِّكها بحسب قائمة ذهنية لديها. كل ما كان عليها فعله هو اتباع الطريق المعتادة بشكل آلي، وكأنها حارس ليلي قوي وشجاع يقوم بجولات حول المبنى حاملاً معه مصباحاً يدوياً.

كانت جميع عضلاته تقريباً «مسدودة»، وكأنها منطقة تعرضت لكارثة مروعة، فانسدت مجاريها المائية، وانهارت سدودها. وأي إنسان عادي في مثل هذه الحالة لن يقوى على الأرجح على النهوض من مكانه أو حتى التنفس بشكل طبيعي. إن قوة هذا الرجل هي في جسمه المتين وإرادته الصلبة. ورغم حقارة سلوكه، لم يكن بوسع أومامه أن تنكر إعجابها المهني بقدرته على احتمال هذا الألم الشديد في صمت. كانت تعمل على العضلات واحدة تلو أخرى، فتجبرها على التحرك، وتثنيها وتمدّدها إلى أقصى مدى، وفي كل مرة كان المفصل يصدر طقة خافتة. كانت تعي تماماً أن ذلك يكاد يكون تعذيباً. صحيح أنها أجرت تمديد العضلات لعديد من الرياضيين ولرجال أشداء اعتادوا التعايش مع الألم الجسدي، ولكن حتى أشد

هؤلاء قوة لم يكن يستطيع عند نقطة بعينها أن يكتم صرخة أو شيئاً يشبه الصرخة.

بل إن بعضهم قد يبللون أنفسهم. ولكن هذا الرجل لم تصدر عنه حتى آهة مطلقاً. كان رائعاً جداً. رغم ذلك، كان بوسعها أن تخمن الألم الذي يشعر به من نز العرق على مؤخرة رقبته، بل إن أومامه نفسها كانت قد بدأت تشعر بخيط من العرق على جسدها. استغرقت ثلاثين دقيقة تقريباً في تفكيك عضلات الجزء الخلفي من جسمه. عندما انتهت من ذلك، توقفت للحظة كي تمسح العرق المتفصد من جبينها.

قالت أومامه في نفسها، يا للغرابة. جئت إلى هنا لقتل هذا الرجل. وفي حقيبتي توجد كسارة الثلج ذات السن المدبب. إذا وضعت سنها في النقطة الصحيحة من مؤخَّر رقبته ودفعت المقبض، فسوف ينتهي كل شيء. لن يعرف أبداً ما جرى له وكأن حياته قد انتهت في الحال وانتقل هو إلى عالم آخر. بهذه الطريقة، في الواقع، سوف يتحرر جسده من كل ألم. بدلاً من ذلك، أجدني أبذل كل جهدي لتخفيف الألم الذي يشعر به في العالم الحقيقي. الأرجح أنني أفعل ذلك لأن هذا هو العمل الذي اعتدت عليه. كلما كان لدي عمل، كان علي أن أبذل فيه كل ما أوتيت من قوة كي أنجزه. هذه هي أنا. إذا كلفت بمهمة علاج مشكلات العضلات، فسوف أبذل كل ما أوتيت من قوة في ذلك. إذا كان علي قتل شخص ما وكان لدي سبب وجيه لعمل ذلك، فسوف أفعل ذلك بكل ما أوتيت من قوة. لكن من الواضح، مع ذلك، أنني لا أستطيع القيام بهما في الوقت نفسه. الوظيفتان متعارضتان ويتطلبان أساليب

متضاربة. لا يمكنني القيام بهما إلا واحدة تلو أخرى. أحاول في اللحظة الراهنة أن أعيد عضلات هذا الرجل إلى وضعها الطبيعي قدر الإمكان. أوجه تفكيري إلى تلك المهمة، وأحشد كل ما أوتيت من قوة في سبيل ذلك. يمكنني أن أفكر في المهمة الأخرى بعد الانتهاء من هذه.

وفي الوقت نفسه، لم يكن بوسع أومامه أن تكبح فضولها. إن مرض الرجل الذي لا يمكن أن يكون مرضاً عادياً، والعضلات السليمة والجيدة التي أصابها انسدادٌ رهيب؛ والإرادة الصلبة والجسد المتين الذي مكّنه من احتمال الألم الشديد الذي أسماه «ثمن نيل النعمة السماوية»: كل تلك الأشياء أثارت فضولها. كانت تريد أن ترى ما يمكنها عمله مع هذا الرجل، وما نوع الاستجابة التي سوف تصدر من جسمه. كانت واقعة بين فضولين، الأول مهني والثاني شخصي. **وأيضاً، إذا قتلته الآن، سيكون علي مغادرة المكان فوراً. وإذا أنهيت عملي سريعاً، فربما يثير ذلك الشكوك لدى الرجلين في الغرفة المجاورة. قلت لهما إن عملي قد يستغرق ساعة على الأقل.**

«انتهيت من نصف العمل. الآن سأقوم بالنصف الثاني. هل يمكن إذا سمحت أن تنقلب على ظهرك؟».

تدحرج الرجل ببطء وكأنه حيوان مائي كبير الحجم وقد أُلقي على الشاطئ.

قال الرجل بعد أن أطلق نفساً طويلاً: «الألم بدأ يقل بالتأكيد. لم يبلغ أي من العلاجات التي جربتها حتى الآن هذا الحد».

«لكني أتعامل مع الأعراض فقط، ولا أحل أصل المشكلة. إلى أن تعرف السبب، ربما يظل الشيء نفسه يتكرر».

«أعرف ذلك. فكرت في اللجوء للمورفين، ولكني لا أفضل

اللجوء للعقاقير ما وسعني ذلك. فهي على المدى الطويل تدمر وظائف الدماغ».

قالت أومامه: «سوف أكمل بقية العلاج الآن. أستطيع أن أخمن أنك راضٍ عن عدم توقفي».

«لا شك في ذلك».

أفرغت أومامه ذهنها وعاودت العمل على عضلات الرجل بتركيز تام. كان تركيب كل عضلة في جسم الإنسان منقوشاً في ذاكرتها المهنية مثل وظيفة العضلة، والعظام المرتبطة بها، وخصائصها الفريدة، وحساسيتها. كانت تتفحص كل عضلة ومفصل على التوالي، ثم تهزها وتشتغل عليها بفاعلية، على النحو الذي اعتاده المحققون المهووسون في اختبارهم كل نقطة ألم في أجساد ضحايا تعذيبهم.

بعد ثلاثين دقيقة، أصبحا يتصببان عرقاً، ويلهثان كعاشقين انتهيا لتوهما من نوبة جنس محموم مارساه على نحو مدهش. لاذ الرجل بالصمت وقتاً، فيما لم تعرف أومامه ماذا تقول.

وأخيراً، تحدث الرجل: «لا أريد أن أبالغ، ولكني أشعر وكأن كل جزء من جسدي قد تمّ استبداله».

قالت أومامه: «ربما تشعر الليلة بما يشبه ردة فعل مضادة. فقد تتعرض لشد عضلي حاد أثناء الليل وتصرخ من الألم، ولكن لا داعي للقلق، سوف تعود العضلة في صباح غد إلى وضعها الطبيعي».

قالت أومامه في نفسها، **هذا إن قُدِّر لك البقاء حتى الصباح.**

وبينما كان الرجل جالساً القرفصاء على بساط اليوجا، أخذ عدة أنفاس عميقة، وكأنه يختبر حالة جسده. ثم قال: «يبدو أنك تملكين موهبة خاصة حقاً».

راحت أومامه تجفف العرق عن وجهها وهي تقول: «إن العمل الذي أقوم به مفيد للغاية. درست تركيب العضلات ووظائفها في الكلية ثم وسَّعت مداركي عبر الممارسة العملية. لقد أنشأت نظامي الخاص بإدخال تعديلات طفيفة على طريقتي، لا أقوم إلا بما هو واضح ومعقول. «الحقيقة» هنا في معظمها قابلة للملاحظة والإثبات. وهي تنطوي أيضاً على قدر كبير من الألم، بطبيعة الحال».

فتح الرجل عينيه ونظر إلى أومامه كما لو أنه قد أُفتتن بها: «إذاً هذا هو ما تؤمنين به».

سألته أومامه: «ماذا تعني؟».

قال: «أن الحقيقة شيء يمكن ملاحظته وإثباته».

ضمت أومامه شفتيها قليلاً: «لا أقول إنّ ذلك يصحّ مع جميع الحقائق، ولكن هذا هو ما يحدث في مجال اختصاصي. بالطبع، لو كان ذلك يصح في جميع المجالات، لكان من الأسهل كثيراً أن نفهم الأشياء عموماً».

قال الرجل: «على الإطلاق».

«لماذا ذلك؟».

«معظم الناس لا يبحثون عن حقائق يمكن إثباتها. وكما قلت، الحقيقة غالباً ما يصحبها ألم شديد، ولا أحد تقريباً يبحث عن حقائق مؤلمة. ما يحتاجه الناس هو قصص جميلة ومواسية تُشعرهم كما لو أن حياتهم ذات معنى. ومن هنا ينشأ الدين».

أدار الرجل عنقه عدة مرات قبل أن يتابع كلامه.

«إذا كان هناك اعتقاد معين، سمهِ الاعتقاد (أ)، يجعل حياة هذا الرجل أو هذه المرأة تبدو ذات معنى عميق، فعندئذٍ يصبح الاعتقاد (أ)، هو الحقيقة لديهم. وإذا كان الاعتقاد (ب) يجعل حياتهم تبدو

عاجزة وسقيمة، فعندئذٍ يصبح الاعتقاد (ب)، هو الباطل. الفرق واضح للغاية. إذا أصر أحدهم أن الاعتقاد (ب) هو الحقيقة، فالأرجح أن الناس سوف تبغضه وتتجاهله، أو، في بعض الحالات، تعتدي عليه. ولا يهمهم في شيء أن الاعتقاد (ب) قد يكون منطقياً أو يمكن إثباته. معظم الناس يتمكنون بالكاد من صون عقولهم بإنكار ورفض صور عجزهم وسقمهم».

«ولكن أجساد الناس، جميع الأجساد، مع فروق طفيفة فقط، هي أشياء عاجزة وسقيمة. هذا أمر بديهي، ألا ترى ذلك؟».

قال الرجل: «أرى ذلك. كل الأجساد، مع فروق طفيفة فقط، عاجزة وسقيمة ومصيرها هو أن تتحلل وتتلاشى قريباً. هذه حقيقة لا لبس فيها. ولكن ماذا، إذاً، عن روح الشخص؟».

«أبذل كل وسعي كي أتجنب التفكير في الروح».

«ولماذا ذلك؟».

«لأنه لا توجد حاجة بعينها تدعو للتفكير فيها».

«ولماذا لا توجد حاجة بعينها تدعو للتفكير في الروح؟ بغض النظر عما إذا كانت هناك أي قيمة عملية للتفكير في الروح، فإن تفكير المرء في روحه هو إحدى الواجبات التي لا غنى عنها لجميع البشر، أليس كذلك؟».

قالت أومامه: «أنا أحب».

قالت في نفسها، **ويلي، لا، ماذا أفعل؟ أتحدث عن الحب مع هذا الرجل الذي أوشك أن أقتله!**

مثلما يرسم النسيم تموجات على سطح بركة ماء هادئة، سرت ابتسامة باهتة في وجه الرجل، لتوحي بمشاعر طبيعية، بل وحتى ودودة.

سألها: «هل تعتقدين أن الحب هو كل ما يحتاجه المرء؟».

«نعم».

«والآن، هل حبك هذا، موجه نحو فرد بعينه؟».

قالت أومامه: «نعم. إنه موجه نحو رجل محدد».

تمتم: «جسد عاجز وسقيم وحب مطلق خالٍ من الظلال . . ».

ثم أضاف بعد صمت قصير: «لا يبدو أنك بحاجة إلى الدين».

«ربما لستُ بحاجة إلى أي شيء».

«لأن موقفك في حدّ ذاته هو جوهر الدين الحقيقي، إذا جاز القول».

«قلت قبل ذلك إن الدين لا يقدم حقيقة بقدر ما يقدم فَرضيات جميلة. فأين الدين الذي تتزعمه من ذلك؟».

«حتى أكون صريحاً معك، فأنا لا أعتبر أن ما أقوم هو عمل ديني. ما أقوم به هو الاستماع إلى الأصوات ونقلها إلى الناس. أنا الشخص الوحيد الذي يستطيع سماع الأصوات. وكوني أستطيع سماعها هو حقيقة لا لبس فيها، ولكني لا أستطيع أن أثبت أن فحواها من الرسائل هو الحقيقة. قصارى ما يمكنني عمله هو أن أجسد الآثار المصاحبة للنعمة السماوية».

وضعت أومامه منشفتها وهي تعضّ على شفتها برفق. أرادت أن تسأل عن أنواع النعم التي يتحدث عنها، لكنها منعت نفسها. يمكن الاسترسال في ذلك إلى الأبد. وهي لا تزال لديها مهمة أساسية عليها أن تُتمها.

قالت أومامه: «هل يمكنك أن تنبطح مرة أخرى؟ سأعمل على إرخاء عضلات عنقك».

مدّ الرجل هيكله الضخم مرة أخرى على بساط اليوجا وجعل مؤخَّر رقبته الغليظة في مواجهة أومامه.

قال مستخدماً العبارة الإنجليزية: «الديك **Magic touch** «لمسة سحرية»، على أي حال».

«لمسة سحرية؟».

«أصابع تنبعث منها قوة غير عادية. ذكاء حاد في تحديد مكان تلك النقاط الخاصة في الجسم. قدرة خاصة لا يتمتع بها سوى قليلين للغاية. هذا ليس شيئاً يمكنك اكتسابه عبر الدراسة والممارسة. لدي شيء، شيء من نوع مختلف جداً، جاءني بالطريقة نفسها. ولكن كما هو الحال مع جميع أشكال النعم السماوية، يجب على الناس أن يدفعوا ثمن النعم التي يُمنحوها».

قالت أومامه: «لم أفكر في ذلك على هذا النحو قطّ. كل ما هنالك هو أني طورت أساليبي بالدراسة وبالكثير من الممارسة. لا أحد منحني ذلك».

«لن أدخل في نقاش معك. لكن تذكري فقط: الآلهة تمنح وتمنع. حتى إذا كنت لا تدركين أنك قد مُنحت ما تملكين، فإن الآلهة تذكر ما منحتك إياه. إنها لا تنسى أي شيء. وعليك أن تستعيني بالقدرات التي منحتك إياها الآلهة بأقصى درجات العناية».

نظرت أومامه في أصابعها العشرة. ثم وضعتهم على مؤخر عنق الرجل، ووجهت كل تركيزها على أنامل أصابعها. الآلهة تمنح وتمنع.

قالت بنبرة جامدة وهي تتحدث إلى ظهر الرجل: «سوف أنتهي سريعاً. هذه هي اللمسة الأخيرة».

بدا لها أنها تسمع صوت رعد يأتي من بعيد. رفعت وجهها ونظرت من النافذة. لم تجد سوى السماء المظلمة. جاءها الصوت مرة أخرى، يُدوي في جوف الغرفة الهادئة.

قال الرجل بصوت رتيب: «سوف تمطر في أي وقت الآن».

بينما كانت يدها على مؤخَّر العنق الغليظ للرجل، كانت أومامه تبحث عن البقعة الخاصة. كان العثور عليها يتطلب درجات غير عادية من التركيز. أغمضت عينيها، وحبست أنفاسها، وأصغت لتدفق دمه هناك. شدت أنامل أصابعها لاستقراء معلومات تفصيلية عن مرونة جلده وحرارة جسمه. كانت توجد بقعة وحيدة وخاصة، وهي في منتهى الصغر. يسهل العثور عليها لدى بعض الناس، ولكن ذلك يكون أصعب بكثير لدى آخرين. كان واضحاً أن هذا الرجل الذي يدعونه «الزعيم» من النوع الأخير. كان الأمر أشبه بمحاولة العثور على عملة معدنية في غرفة حالكة الظلام عن طريق اللمس، مع الحرص على عدم إصدار أي صوت. أخيراً وَجدَتها رغم ذلك. وضعت طرف إصبعها عليها ثم نقشت ملمسها وموضعها الدقيق في ذهنها كما لو أنها تضع علامة على خريطة، وهذه مقدرة خاصة كانت تحظى بها.

قالت أومامه للرجل وهو منبطح في مكانه: «من فضلك ابقَ على هذا الوضع الدقيق». تناولت الحقيبة الرياضية الموضوعة بجانبها وأخرجت منها الحاوية المعدنية التي توجد بها كسارة الثلج الصغيرة.

قالت أومامه بهدوء: «هناك نقطة في مؤخَّر رقبتك حيث لا يزال التدفق مسدوداً. لا يمكنني أن أزيل الانسداد بقوة أصابعي فقط. إذا استطعت أن أزيل الانسداد الموجود في هذا المكان، فيجب أن يحرِّرك ذلك من قدر كبير من الألم. أريد أن أضع إبرة وخز بسيطة هناك. لا تقلق، لقد فعلت ذلك مرات ومرات. هل تمانع؟».

أطلق الرجل نفساً عميقاً: «الأمر كله متروك لك. سأقبل منك أي شيء يزيل الألم الذي أشعر به».

أخرجت كسارة الثلج من الحاوية ونزعت الغطاء الفليني من طرفها. كان طرفها لا يزال يحتفظ بحدته القاتلة المعتادة. أمسكت

كسارة الثلج بيدها اليسرى واستخدمت سبابة يدها اليمنى كي تحدد موقع النقطة التي وجدتها من قبل. هذه هي النقطة، من دون أدنى شك. وضعت الطرف على البقعة وأخذت نفساً عميقاً. الآن ما عليها إلا أن تهوي بيدها اليمنى لأسفل على المقبض مثل مطرقة وتغرز الطرف المستدق للغاية في البقعة. وعندئذٍ سوف ينتهي كل شيء.

ولكن شيئاً ما استوقفها. لسبب ما، وجدت نفسها عاجزة عن إنزال قبضة يدها المعلقة في الهواء. قالت أومامه في نفسها، **مع إنزالها، سوف ينتهي كل شيء. بضربة واحدة، يمكنني أن أرسل هذا الرجل إلى «الجانب الآخر». ثم أترك الغرفة وأنا أبدو هادئة الأعصاب، وأُغير وجهي واسمي، وأتخذ شخصية جديدة. أستطيع عمل ذلك. دون خوف، ودون تأنيب ضمير. هذا الرجل قد اقترف مراراً أعمالاً بغيضة يستحق عليها الموت، لا شك في ذلك**. ولكن، لسبب ما، لم تستطع أن تحمل نفسها على إنزال يدها. يبدو أن ما حال دون ذلك هو شك غير متماسك ولكنه مستمر. كانت غرائزها تحدثها محذرة، **كل شيء يحدث بسهولة أكثر مما ينبغي**.

لا علاقة للمنطق بذلك. أدركتْ ببساطة: يوجد خللٌ ما. يوجد شيء غير عادي. كانت جميع قواها وقدراتها تتصارع داخلها، واشتبكت عناصرها المتباينة في صراع عنيف. اعترت وجهها انقباضات شديدة وسط الظلام.

نادى الرجل: «ماذا جرى؟ أنا في الانتظار. في انتظار أن تتمي عملك الآن وبشكل نهائي».

عندما سمعت أومامه ذلك، أدركت أخيراً ما الذي كان يُمسك يدها. **هذا الرجل يعرف. يعرف ما أُوشك أن أفعل**.

قال الرجل بهدوء: «لا حاجة للتردد. كل شيء على ما يرام. ما تريدينه هو أيضاً ما أريده».

ظل هزيم الرعد يدوي، ولكن دون أن يُرى أثر للبرق، مجرد هدير مثل هدير مدفع آتٍ من بعيد. كان ميدان المعركة لا يزال بعيداً. تابع الرجل كلامه:

«إذا كان هناك علاج مثالي، فهو هذا. لقد قمت بعملية تمديد دقيقة للعضلات. لا أشعر سوى بخالص التقدير لمهاراتك المميزة. ولكن كما أوضحتِ أنت نفسك، فإن هذا لا يعدو، في نهاية المطاف، أن يكون علاجاً للأعراض. لقد تفاقم ألمي ولم يعد بالإمكان إزالته إلا باستئصال حياتي من جذورها، والنزول إلى القبو وفصل المُحول الرئيس. وأنت توشكين على ذلك».

حافظت أومامه على وضعها، حيث اليد اليسرى تمسك بالإبرة موضوعة على البقعة الخاصة في مؤخَّر رقبة الرجل، فيما اليد اليمنى معلقة عالياً. لا يمكنها أن تتقدم أو تتراجع.

«إذا كنت تريدين أن تضعي نهاية لما توشكين على عمله، فهناك طرق عديدة تستطيعين من خلالها عمل ذلك. المسألة بسيطة. حاولي إنزال يدك اليمنى لأسفل».

وفقاً لتوجيهاته، حاولت أومامه أن تُنزل يدها اليمنى. ولكنها لم تتحرك. تجمدت في الهواء، وكأنها يدٌ لتمثال حجري.

«لدي القدرة على عمل ذلك - ليس معنى ذلك أن هذا شيء كنت أرجوه من قبل. حسناً، يمكنك الآن أن تحركي يدك اليمنى. حياتي تحت تصرفك التام الآن».

أصبحت أومامه تدرك أن بوسعها الآن أن تحرك يدها اليمنى بحرية. ضمت قبضتها وفتحتها. وجدتها طبيعية تماماً. لا بد أنه

استخدم شيئاً مثل التنويم المغناطيسي. أيّاً كان، فإن مفعوله بالغ القوة.

«لقد منحوني هذه القدرات الخاصة، ولكنهم في المقابل فرضوا عليّ مطالب معينة. أصبحت رغباتهم هي رغباتي - رغبات عنيدة لا يمكنني أن أتحداها».

سألته أومامه: «هؤلاء؟ هل تعني الناس الصغار؟».

«إذاً تعرفينهم. حسناً. هذا سوف يوفر عليّ وقت الشرح».

«كل ما أعرفه هو الاسم فقط. لا أعرف مَن أو ماذا يكون الناس الصغار».

«ربما لا أحد يعرف على وجه اليقين مَن هم الناس الصغار. أقصى ما يستطيع الناس معرفته هو أن هؤلاء الناس الصغار موجودون. هل قرأتِ كتاب **الغصن الذهبي** لفريزر؟».

«لا، لم أفعل».

«إنه كتاب مثير للاهتمام ويمكن أن نتعلم منه الكثير. في فترات معينة من التاريخ في عدة مناطق من العالم - في العصور القديمة بالطبع، كان الملك غالباً ما يُقتل في نهاية عهده، وعادة بعد فترة محدَّدة تتراوح ما بين 10 إلى 12 سنة. عندما تنتهي الولاية، يجتمع الناس ويذبحونه. كان ذلك يُعتبر مسألة ضرورية للمجتمع، والملوك أنفسهم قبلوها عن طيب خاطر. كان ينبغي للقتل أن يتم بطريقة قاسية ودموية، وكان ينظر إليه باعتباره شرفاً عظيماً أسبغ على الشخص الذي يتولى منصب الملك. الآن، لماذا كان يجب أن يُقتل الملك؟ لأن الملك في تلك الأيام كان هو الشخص الذي يستمع إلى الأصوات، باعتباره ممثلاً للناس. ويأخذ على عاتقه مهمة أن يصبح هو الدائرة التي تربط «نحن» بـ«هم». وكان ذبح الشخص الذي استمع إلى

الأصوات مهمة لا غنى عنها للمجتمع من أجل الحفاظ على التوازن بين عقول هؤلاء الذين عاشوا على الأرض والقدرات التي يُظهرها الناس الصغار. في العالم القديم، كان «الحُكم» مرادفاً «للاستماع إلى أصوات الآلهة». تم التخلي عن هذا النظام في مرحلة ما، بطبيعة الحال. ولم يعد الملوك يقتلون، وأصبحت الملكية علمانية ووراثية. وبهذه الطريقة، لم يعد الناس يسمعون الأصوات».

دون وعي كانت أومامه تفتح يدها اليمنى المرتفعة وتقبضها، فيما هي تستمع إلى ما يقوله الرجل.

«كانت تُسمى بأسماء كثيرة مختلفة، ولكن في معظم الحالات لم تكن تُسمى بأي اسم على الإطلاق. كانوا موجودين فحسب. وعبارة «الناس الصغار» هي مجرد وسيلة. ابنتي هي من أسمتهم كذلك عندما كانت صغيرة جداً وجلبتهم معها».

«وعندئذٍ أصبحتَ ملكاً».

أخذ الرجل نفساً قوياً من خلال أنفه وحبسه في رئتيه مدة قبل أن يخرجه ببطء: «لست ملكاً. أصبحت الشخص الذي يستمع إلى الأصوات».

«والآن هناك محاولات لذبحك».

«لا، لا يلزم أن يكون ذبحاً. نحن في عام 1984، وفي وسط مدينة كبيرة. ليست هناك حاجة لقتل وحشي ودموي. كل ما عليك فعله هو أن تسلبيني حياتي. وذلك يمكن أن يتم بشكل أنيق وبسيط».

هزت أومامه رأسها وأرخت عضلات جسمها. كان سن الإبرة لا يزال ضاغطاً على تلك البقعة من مؤخر رقبته، ولكنها وجدت أنه من المحال أن تستجمع الإرادة اللازمة لقتل هذا الرجل.

قالت أومامه: «لقد اغتصبتَ العديد من الفتيات الصغيرات، فتيات في العاشرة من أعمارهن، وربما كان بعضهن أصغر».

قال الرجل: «هذا صحيح. يجب عليّ الاعتراف بأن ما فعلته في بعض جوانبه، يمكن النظر إليه على هذا النحو في ضوء المفاهيم السائدة. في نظر القانون الأرضي، أنا مجرم. أقمت علاقات جسدية مع فتيات لم يبلغن، حتى وإن كان ذلك شيء لم أسعَ إليه بنفسي».

كل ما كان بوسع أومامه أن تفعله هو أن تأخذ شهيقاً وتخرج زفيراً قوياً. لم تكن تدري كيف تتصرف لتهدئة هذه التيارات الانفعالية الحادة التي تسري داخل جسدها. انقبض وجهها انقباضات شديدة، فيما بدت يداها اليمنى واليسرى تتوقان إلى أشياء مختلفة تماماً.

قال الرجل: «أود منك أن تسلبيني حياتي. ليس معقولاً أن أواصل العيش في هذا العالم. يجب أن يتم استئصالي للحفاظ على التوازن في العالم».

«ماذا سيحدث بعد أن أقتلك؟».

«سوف يفقد الناس الصغار ذلك الشخص الذي يستمع إلى أصواتهم. ليس لدي خليفة حتى الآن».

قالت أومامه وهي تبصق فعلياً الكلمات من بين شفتيها المتوترتين: «كيف يمكن أن أصدق هذا الكلام؟ ربما تكون مجرد شخص منحرف جنسياً وتحاول تبرير أعمالك الدنيئة بأعذار ملائمة. لم يكن هناك أبداً أي «ناس صغار»، ولا أصوات آلهة، ولا نعمة سماوية. ربما تكون مجرد دجّال آخر يدعي أنه نبي أو زعيم ديني».

قال الرجل دون أن يرفع رأسه: «انظري إلى الساعة هناك؟ فوق الأدراج الموجودة إلى اليمين».

نظرت أومامه إلى الناحية اليمنى. كانت هناك خزانة مستديرة يبلغ ارتفاعها حتى الخصر، وفوقها توجد ساعة موضوعة في إطار من الرخام، لا شك أنها ثقيلة.

«ثبتي عينيك عليها. لا تحولي نظرك عنها».

بحسب تعليماته، أبقت أومامه رقبتها في ذلك الاتجاه وثبتت عينيها على الساعة. تحت أصابعها، كان بوسعها أن تشعر بأن كل عضلة في جسم الرجل تتحول إلى حَجر وتمتلئ قوة هائلة على نحو لا يصدق. وكما لو كان ذلك استجابة لتلك القوة، ارتفعت الساعة الموجودة في الإطار الرخامي ببطء من فوق سطح الخزانة. شاهدتها وقد بدأت تعتريها ارتعاشة، كما لو أنها مترددة، قبل أن تستقر عند ارتفاع مقداره ثلاث بوصات في الهواء، وبقيت هكذا على مدى عشر ثوانٍ كاملة. وعندئذٍ فقدت عضلات الرجل قوتها، ثم عادت الساعة لتسقط على الخزانة محدثة صوت ارتطام خافت، كما لو أنها قد تذكرت لتوها الجاذبية الأرضية.

استغرق الرجل وقتاً طويلاً كي يخرج نفساً عميقاً بدا مرهَقاً.

قال عندما أخرج كل الأنفاس الموجودة في جسمه: «حتى شيء ضئيل مثل ذلك يتطلب قدراً هائلاً من الطاقة. هذا يكفي لتقصير حياتي. ولكن آمل أن تدركي الآن: أنني على الأقل لست دجالاً».

لم تجبه أومامه. استغرق الرجل وقتاً كي يسترد قوته عبر سلسلة من الأنفاس العميقة. ظلت الساعة تعرض الوقت في هدوء كما لو أن شيئاً لم يحدث. لكن موضعها أعلى الخزانة كان قد صار مائلاً قليلاً. حدَّقت أومامه بشدة في الساعة فيما كان عقرب الثواني قد أكمل دورة.

قالت أومامه بنبرة جامدة: «لديك قدرات خاصة».

«كما رأيتِ الآن».

قالت: «هناك مشهد يظهر فيه الشيطان والمسيح في رواية **الأخوة كارامازوف**، على ما أذكر. يمر المسيح بشدة وضيق كبيرين وهو في

البرية عندما يتحداه الشيطان أن يصنع معجزة يحوّل بها حجراً إلى خبز. ولكن المسيح يتجاهله. فالمعجزات هي إغواء من الشيطان».

«نعم، أعرف ذلك. أنا أيضاً قرأت **الأخوة كارامازوف**. وما تقولينه صحيح: هذا النوع من الاستعراض لا يقدم حلاً. ولكن كان عليّ أن أقنعك في غضون الوقت المحدود والمتاح لدينا، ولذلك قررت ذلك وأديت هذا العمل».

ظلت أومامه صامتة.

قال الرجل: «في هذا العالم، لا يوجد خير مطلق، ولا يوجد شر مطلق. الخير والشر ليسا كيانين ثابتين ومستقرين ولكنهما يتناوبان مكانيهما باستمرار. فالخير قد يتحول إلى شرّ في الثانية التالية. والعكس بالعكس. كانت هذه هي حال العالم التي صورها دوستويفسكي في الأخوة كارامازوف. الشيء الأهم هو حفظ التوازن بين الخير والشر اللذين هما في حركة دائمة. إذا ملتِ أكثر ممّا ينبغي في أي من الاتجاهين، فإنه يصبح من الصعب عليك الحفاظ على الأخلاق الفعلية. وفي الواقع، فإن التوازن في حدّ ذاته هو الخير. وهذا هو ما أعنيه عندما أقول إنني يجب أن أموت حفظاً للتوازن».

أوضحت أومامه: «لا أشعر بأي دافع لقتلك في هذه اللحظة. وكما تعلم غالباً، فهذا هو ما جئت لأجله. لا يمكنني أن أسمح بوجود شخص مثلك. كنت عازمة على اجتثاثك من هذا العالم. لكن لم أعد أجد هذا العزم. يمكنني القول إنك تتعذب عذاباً أليماً. وإنك تستحق أن تموت موتاً بطيئاً، وأن تُمزق إرباً إرباً، وتذوق ألماً رهيباً. لا أجد نفسي تطاوعني في أن أمنحك موتاً سهلاً».

فيما لا يزال مستلقياً على بطنه، أجاب الرجل بإيماءة صغيرة: «إذا كان لك أن تقتليني، فإن أتباعي سوف يتعقبونك حتماً. إنهم

متعصبون للغاية، وهم نافذون ولا ييأسون. حينما أموت، سوف تفقد الديانة قوتها المركزية. ولكن أي نظام ما إنْ يتشكل، حتى يستقل ويصبح خارج سيطرة أي أحد».

كانت أومامه تستمع إليه يتكلم وهو مستلق على بطنه.

«ما فعلتُه بصديقتك كان شيئاً سيئاً للغاية».

«صديقتي؟».

«صديقتك صاحبة الأصفاد. ماذا كان اسمها . . . ؟».

غشي أومامه صمت مفاجئ. تبدد الصراع الداخلي. خيَّم عليها الآن صمت ثقيل.

قالت أومامه: «أيومي ناكانو».

«فتاة بائسة».

سألته أومامه بهدوء: «أنت فعلت هذا بها؟ أنت مَن قتل أيومي؟».

«لا على الإطلاق. لم أقتلها».

«ولكن لسبب ما أنت تعلمينه، قتلها أحدهم».

قال الرجل: «أحد باحثينا هو مَن اكتشف ذلك. لا نعرف مَن قتلها. كل ما نعرفه هو أن صديقتك، الشرطية، قد ماتت خنقاً داخل فندق».

أصبحت يد أومامه اليمنى مشدودة بإحكام مرة أخرى: «ولكنك قلت: «ما فعلتُه بصديقتك كان سيئاً للغاية».

«أعني أنني لم أتمكن من منع ذلك. أيّاً كان مَن قتلها، فإن الحقيقة تظل هي: أنهم دائماً يتتبعون النقطة الأضعف لديك - بالطريقة التي تطارد بها الذئاب الشاة الأضعف في القطيع».

«هل تقول إن أيومي كانت نقطة ضعف لدي؟».

لم يُجبها الرجل.

أغمضت أومامه عينيها: «ولكن لماذا كان عليهم قتلها؟ كانت إنسانة طيبة! لم تؤذ أحداً قطّ. لماذا؟ لأنني مشاركة في هذا؟ إذا كان الأمر كذلك، ألم يكن يكفي أن يدمروني أنا؟».

قال الرجل: «لا يمكنهم أن يدمروكِ».

سألت أومامه: «لماذا لا يمكنهم؟ لماذا لا يمكنهم أن يدمروني؟».

«لأنك أصبحت منذ فترة طويلة كائناً خاصاً».

سألت أومامه: «كائناً خاصاً؟ خاصاً من أي ناحية؟».

«سوف تكتشفين ذلك في النهاية».

«في النهاية؟».

«عندما يحين الوقت».

قطَّبت أومامه وجهها مرة أخرى: «لا أفهم ما تقول».

«سوف تفهمين في لحظة ما».

هزت أومامه رأسها: «على أي حال، لا يمكنهم الاعتداء عليّ في الوقت الحالي. ولذلك استهدفوا نقطة ضعف بالقرب مني. على سبيل التحذير. لمنعي من سلبك حياتك».

ظلّ الرجل صامتاً. كان صمته هو صمت الموافقة.

قالت أومامه: «يا له من أمر فظيع». ثم هزت رأسها: «أي فائدة عادت عليهم من قتلها؟».

«لا، إنهم ليسوا قتلة. لم يدمروا أي أحد قطّ بأيديهم. ما قتل صديقتك، بالتأكيد، كان شيئاً تحمله في داخلها. المأساة نفسها كانت سوف تقع عاجلاً أو آجلاً. حياتها كانت محفوفة بالمخاطر. كل ما فعلوه هو توفير المثير. وكأنهم قاموا بتغيير إعدادات مُوقِّت».

إعدادات مُوقِّت؟

«لم تكن فرناً كهربائياً! كانت كائناً بشرياً حياً! إذاً ماذا لو أن حياتها كانت محفوفة بالمخاطر؟ كانت صديقة عزيزة لي. أنتم مَن أخذتموها مني وكأنها لم تكن. بلا مغزى. وبلا رحمة».

قال الرجل: «غضبك له ما يبرره تماماً. وعليك أن توجهيه نحوي».

هزت أومامه رأسها: «حتى إذا أخذتَ حياتك هنا، فهذا لن يُعيد أيومي».

«لا، ولكنه سوف يمثل قدراً من الانتقام من الناس الصغار. يمكنك أن تأخذي بثأرك، إذا جاز القول. إنهم لا يريدون لي أن أموت الآن. إذا مِت الآن، فسوف أُخلِّف فراغاً، فراغاً مؤقتاً على الأقل، حتى يوجد مَن يخلفني. سوف تكون هذه ضربة موجهة ضدهم. وفي الوقت نفسه، سيكون فيها فائدة لك».

قالت أومامه: «قال أحد ما ذات مرة، لا شيء كالثأر في ارتفاع كلفته وقلَّة جدواه».

«إنه ونستون تشرشل. لكن حسبما أتذكر، فإنه قالها وهو يقدم تبريراً للعجز في ميزانية الإمبراطورية البريطانية. إنها مقولة لا تنطوي على أي قيمة أخلاقية».

«لا يهم الأخلاق. سوف تموت وأنت تتعذب فيما ينهش فيك شيء غريب سواء أأنزلتُ يدي أو لم أُنزلها. لا يوجد لدي أي سبب يدفعني للتعاطف معك. حتى إذا كان العالم سوف يخسر كل الأخلاق ويتمزق إرباً إرباً، فلن يكون ذلك خطئي».

أخذ الرجل نفساً عميقاً آخر: «حسناً، أفهم ما تقولين. ماذا عن ذلك، إذاً؟ لنعقد صفقة. إذا كنتِ سوف تأخذين حياتي، فسوف أبقي على حياة تنغو كاوانا. لا أزال أتمتع بقدر كبير من السلطة».

قالت أومامه: «تنغو». انطفأت القوة في جسدها: «وتعرف هذا أيضاً».

«أعرف عنك كل شيء. أو ربما يجب أن أقول كل شيء تقريباً».

«لكن لا يمكنك أن تعرف أنّ ذكرى تنغو لم تغادر قلبي لحظة».

قال الرجل: «أرجوك، يا آنسة أومامه». ثم أطلق تنهيدة قصيرة: «لا شيء في هذا العالم إلّا ويخلو قلب المرء منه حيناً. ومن قبيل الصدفة، هل يجب علي القول؟ فإن تنغو كاوانا قد أصبح شخصاً ضئيل الأهمية لدينا في الوقت الحالي».

لم تعرف أومامه ماذا تقول.

قال الرجل: «ولكن مرة أخرى إذاً، لا علاقة للصدفة بذلك. إن عدم تقاطع مصيركما لم يكن مجرد صدفة. كلاكما وطأ بقدميه هذا العالم، لأنه كان مقدراً لكما أن تدخلاه. والآن بعد أن دخلتماه، شئتما ذلك أم أبيتماه، سوف يُسند لكل منكما الدور الصحيح».

«وطأ بقدميه هذا العالم؟».

«نعم، في هذه السنة 1Q84».

قالت أومامه وقد اعترت وجهها انقباضات شديدة: "1Q84"؟ **أنا من اشتققتُ هذه الكلمة!**

قال الرجل وكأنه مطَّلع على ما تحدث به نفسها: «صحيح، أنتِ اشتققت هذه الكلمة. وأنا هنا أستعيرها منك فقط».

تلفظت أومامه بكلمة 1Q84 بفمها.

أعاد الزعيم كلامه بهدوء: «لا شيء في هذا العالم إلّا ويخلو قلب المرء منه حيناً».

الفصل الثاني عشر

تنغو
أكثر من أن أحصيهم على أصابعي

تمكن تنغو من العودة إلى شقته قبل بدء هطول المطر. أسرع الخطى في طريقه من المحطة إلى شقته. وكانت سماء المساء تخلو من الغيوم، ولم يكن بها أي علامة توحي أن هطول المطر وشيك، ولا أي إشارة تَشي بأنها سوف تُرعد. ولا أحد ممَّن حوله من الناس كان يحمل مظلة. كانت أمسية لطيفة من أمسيات أواخر الصيف التي تستدعي بعض الجعة أثناء مشاهدة مباراة بيسبول. ولكنه كان قد دخل أخيراً حالة ذهنية جديدة، وكان ذلك يعني أن كل ما قالته فوكا-إري ربما كان صواباً. قال تنغو في نفسه، **الأجدر بي أن أُصدقها مِن ألا أصدقها**، مستنداً في ذلك إلى التجربة أكثر من استناده إلى المنطق.

ألقى نظرة سريعة في صندوق بريده فوجد مظروفاً من شركة لا يحمل عنواناً للإعادة. فضَّه من فوره. وجد بداخله رسالة تقول إن مبلغاً قدره 1,627,534 يناً قد تم تحويله إلكترونياً إلى حسابه المصرفي. كان مذكوراً أن مرسل المبلغ هو مكتب (إي آر آي)، وهو على الأغلب الشركة الوهمية التي أسسها كوماتسو. أو ربما كان البروفيسور إبيسونو هو مَن أرسل المبلغ. كان كوماتسو قد أبلغ تنغو بأنه سوف يحصل على

جزء من حقوق المؤلف عن ’الشرنقة الهوائية‘ كمكافأة شَرَفية، وربما هذا المبلغ هو ذلك «الجزء». لا شك أن المبلغ قد أُدرج باعتباره «أتعاب مساعدة» أو «أتعاب بحث». بعد مراجعة الرقم مرة أخرى، أعاد تنغو الرسالة إلى المظروف ووضعه في جيبه.

كان مبلغ 1,6 مليون ين يعد مبلغاً كبيراً بالنسبة إلى تنغو (وفي واقع الأمر، لم يكن قد حصل مطلقاً على مثل هذا المبلغ الضخم في حياته)، لكنه لم يشعر بالسعادة ولا بالدهشة. لم يكن المال يمثل مشكلة كبيرة لديه في هذه المرحلة الزمنية. كان لديه دخل منتظم، يسمح له بتدبير متطلبات معيشته دون عناء غير ضروري، وفي الوقت الراهن، على الأقل، لم يكن يساوره أي قلق حيال مستقبله. وبالرغم من ذلك، كان الجميع يريدون إعطاءه مبالغ مالية كبيرة. يا له من عالم غريب.

لكن وحيثما يتعلق الأمر بإعادة كتابة ’الشرنقة الهوائية‘، كان تنغو يداخله شك بأن مبلغ 1,6 مليون ين لم يكن بالأجر الكافي الذي يعادل كل تلك المتاعب التي جرَّتها عليه. ومن ناحية أخرى، إذا سأله أحد مباشرة، «حسناً، إذاً، كم يكون المبلغ العادل؟»، فسوف يجد صعوبة كبيرة في تحديد المبلغ العادل. فهو أولاً، لا يعرف هل هناك ما يُسمى بالثمن العادل للمتاعب أو لا. لا بد أن هناك حتماً العديد من شتى أنواع المتاعب في العالم التي لا يمكن تحديد ثمنها أو التي لا يستطيع أحد أن يدفع ثمنها. كانت مبيعات ’الشرنقة الهوائية‘ لا تزال جيدة، على ما يبدو، ما يعني أن دفعات أخرى ربما تُحوَّل إلى حسابه، ولكن كلما زادت الإيداعات، زادت المشكلات التي قد تنشأ عنها. كل زيادة في الأجر لم تكن تؤدي إلّا إلى زيادة في تورط تنغو في ’الشرنقة الهوائية‘ كحقيقة راسخة.

فكر تنغو أن يكون أول ما يفعله صباح غد هو إعادة إرسال المال

إلى كوماتسو. فهذا سوف يعينه على أن يتفادى نوعاً ما المسؤولية. وربما يتيح له أيضاً بعض الراحة النفسية. وعلى أي حال سوف يعزز ذلك حقيقة مفادها أنه قد رفض الأجر. لكن ذلك لن يرفع عنه المسؤولية الأخلاقية أو يُسوغ ما قام به من أعمال. قصارى ما سيوفره له ذلك هو «ظروف مخففة»، رغم أنه قد ينتهي به إلى العكس تماماً بأن يثير حول نفسه شبهات أكثر، وكأنه قد ردّ المال لشعوره بالذنب إزاء ما فعل.

ومع استمرار معاناته بسبب التفكير في المال، بدأ يشعر بالصداع، ولذلك قرر التوقف. يمكنه أن يعيد التفكير في ذلك لاحقاً، حينما يتوفر لديه وقت. والمال ليس كائناً حياً. ولن يهرب إلى أي مكان إذا تركه وجده. ربما.

قال تنغو في نفسه وهو يصعد مجموعات الدرج الثلاث وصولاً إلى شقته، **المشكلة التي يجب أن أواجهها الآن هي كيف أبدأ فصلاً جديداً في حياتي**. بعد أن ذهب لرؤية والده في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة بوسو، أصبح مقتنعاً عموماً بأن الرجل ليس أباه الحقيقي. ورأى أنه قد نجح أيضاً في الوصول إلى نقطة تحوُّل في حياته. ربما تكون هذه هي الفرصة المثالية. ربما يكون الوقت الحالي هو الوقت المناسب لتخلصه من جميع مشكلاته وبدء حياة جديدة: وظيفة جديدة، ومكان سكن جديد، وعلاقات جديدة. ورغم أنه لم يكن واثقاً تماماً من ذلك، فقد كانت الشكوك لا تزال تداخله بشأن قدرته على أن يعيش حياة أكثر تماسكاً من تلك التي عاشها حتى الآن.

لكن وقبل أن يفعل ذلك، كان عليه أن يأخذ عدة أشياء بعين الاعتبار. فليس بوسعه أن يتجاهل فوكا-إري وكوماتسو والبروفيسور

إبيسونو ويحتجب في مكان ما. صحيح أنه ليس عليه أي التزامات حيالهم، ولا مسؤوليات أخلاقية. وكما قال يوشيكاوا، حيثما يتعلق الأمر بالمسألة الحالية، فإن تنغو هو الشخص الذي يتعرض لخداعهم. ورغم أنه لا يزال بوسعه أن يزعم أنه قد استدرج إلى هذا الوضع وأنه كان يجهل المؤامرة الكامنة، فإن الحقيقة هي أنه لا يزال متورطاً. لا يمكنه أن يعلن ببساطة أن علاقته بالمسألة قد انتفت وأن الآخرين يمكنهم أن يفعلوا ما يحلو لهم. وأينما كان يريد أن يذهب من الآن فصاعداً، فإن عليه أن يجد نهاية ما للمسألة ويبرئ ساحته الشخصية. عدا ذلك، فإن حياته الجديدة ربما ستكون ملوثة من البداية.

ذكَّرت كلمة «ملوثة» تنغو بيوشيكاوا. **يوشيكاوا، هممم**؟ قال تنغو في نفسه وأخرج تنهيدة. يوشيكاوا يضع يده على بعض المعلومات التي تخص والدة تنغو، وهي معلومات قال إن بوسعه أن يُطلع تنغو عليها.

إذا أردت في أي وقت أن تعرف المزيد عن ذلك، فيمكنني أن أسلِّمك كل المواد التي تخص والدتك كما هي. ومع ذلك، ربما يحتوي الملف على بعض المعلومات التي لا تسرك كثيراً.

لم يكلف تنغو نفسه حتى عناء الرد على هذا الكلام. لم يكن تنغو يتمنى أن يسمع أخباراً عن والدته من فم يوشيكاوا. فأي معلومات سوف تتلطخ فور خروجها من تلك الفوهة. لا، لم يكن تنغو يرغب في سماع مثل هذه المعلومات من فم أي أحد. إذا كان له أن يحصل على أخبار بشأن والدته، فإنها يجب ألا تأتي على هيئة جذاذات ولكني أريدها «كشفاً» شاملاً. كان يجب أن تكون، إن صح التعبير، مشهداً كونياً مفعماً بالحياة، حتى يمكن رؤية رقعته الشاسعة الكاملة في جزء من الثانية.

لم يكن تنغو يعرف، بالطبع، هل سيحظى ذات يوم بمثل هذا الكشف المثير في المستقبل. ربما لن يأتي هذا اليوم أبداً. ولكنه كان يحتاج شيئاً هائلاً للغاية، وعلى هذا النطاق الكبير، حتى يمكنه أن ينافس، بل ويتجاوز الصور اللافتة «لحلم اليقظة» الذي ظلّ سبباً لحيرته وارتباكه ومعاناته على مدى السنوات العديدة الماضية. كان يحتاج شيئاً يخلصه تماماً من هذه الصورة. وأي معلومات مجزأة لن تفيده في شيء على الإطلاق.

كانت هذه هي الأفكار التي دارت في ذهن تنغو وهو يصعد مجموعات الدرج الثلاث.

وقف تنغو أمام باب شقته، وأخرج مفتاحه من جيبه، وأدخله في القفل ثم أداره. وقبل أن يُفتح الباب، نقر على الباب ثلاث مرات، ثم توقف، وعاد ونقر مرتين أخريين. وأخيراً، فتح الباب ببطء.

كانت فوكا-إري تجلس إلى المائدة، وتشرب عصير طماطم في كوب طويل. وكانت في الثياب نفسها التي كانت تلبسها لدى وصولها - قميص رجالي مقلم وبنطال من الجينز الضيق. ومع ذلك كان الانطباع الذي أوجدته لدى تنغو مغايراً تماماً لذلك الذي تركته لديه في الصباح. استغرق تنغو بعض الوقت حتى أدرك السبب: لقد عكصت شعرها، فكشفت عن أذنيها والجزء الخلفي من عنقها. بدت أذناها الصغيرتان الورديتان كما لو أنهما قد دُهنتا بمسحوق ما وصُنعتا منذ فترة قصيرة لأسباب جمالية بحتة، وليس لتلك الغاية العملية وهي سماع الأصوات. أو على الأقل هكذا بدتا لتنغو. أما الرقبة النحيفة حسنة الشكل في منطقة ما هو أسفل الأذنين فقد كان بها ألق متوهج، مثل خضراوات ترعرعت تحت أشعة شمس كثيفة، وكانت نظيفة

وتناسب تماماً ندى الصباح والدعسوقيات. كانت هذه هي المرة الأولى التي يراها وقد رفعت شعرها لأعلى، في مشهدٍ بالغ الحميمية والجمال.

أغلق تنغو الباب وظهره إليه، ولكنه بقي واقفاً هناك في المدخل. أصابته أذناها المكشوفتان ورقبتها بارتباك لا يقلّ عمّا لو كان قد رأى امرأة أخرى عارية تماماً. ثم وكأنه مستكشف قد اكتشف الينبوع السري لمنبع النيل، راح تنغو يحدق في فوكا-إري بعينين مُضيَّقتين ولسان معقود فيما يده لا تزال ممسكة بمقبض الباب.

قالت لتنغو وهو يقف هناك مبهوتاً: «تحممتُ». جاءت نبرتها جادة، كما لو أنها قد تذكرت لتوها حدثاً كبيراً. «استخدمتُ الشامبو وسائل الاستحمام».

أومأ تنغو. ثم، زَفر، وأخيراً نزع يده عن مقبض الباب وأقفله. الشامبو وسائل الاستحمام؟ مشى إلى الأمام، مبتعداً عن الباب.

سأل تنغو: «هل رن الهاتف بعد اتصالي بك؟».

قالت فوكا-إري: «لا على الإطلاق». وهزت رأسها هزة خفيفة.

مضى تنغو إلى النافذة، وأزاح الستائر قليلاً، ثم نظر إلى الخارج. لم يكن المشهد الذي أطل عليه من الطابق الثالث به أي شيء غير عادي - لا أحد يثير الشك يرصده، ولا سيارات مشبوهة تقف أمام المنزل، وإنما الرقعة المعتادة ذاتها التي تبعث على الضجر في هذا الحي السكني الذي يبعث على الضجر. أشجار قبيحة تصطف على جانبي الشارع تغطيها طبقة من الغبار الرمادي. وحاجز حماية المشاة مليء بالانثناءات. ودراجات مهملة وصدئة ملقاة على جانبي الطريق. ويظهر على إحدى الحوائط شعار وضعته الشرطة يقول: «القيادة أثناء السُكر: هي أقصر طريق إلى الموت». (هل يضم رجال

الشرطة بين صفوفهم مختصين في صياغة الشعارات؟) عجوز رث الهيئة يمشي ومعه كلب تُنبئ ملامحه عن بلادته. وامرأة تعلوها سيماء البلادة تقود سيارة صغيرة قبيحة. وأسلاك مقززة تمتد من عمود قبيح إلى آخر. كان المشهد خارج النافذة يوحي أن العالم قد استقر في منطقة تقع في منتصف الطريق بين كونه «تعساً» و«مغتماً»، ويتألف من مجموعة لا نهائية من عوالم مصغرة متنوعة الأشكال.

من ناحية أخرى، توجد أيضاً في العالم مناظر بالغة الجمال مثل أذني فوكا-إري ورقبتها. في أي منها يجب أن يضع ثقته الأعظم؟ لم يكن سهلاً عليه أن يقرر. وكأنه كلب كبير وحائر، دمدم تنغو بصوت هادئ من حنجرته، ثم أسدل الستائر، وعاد إلى عالمه الخاص الصغير.

سأل تنغو: «هل البروفيسور إيبسونوا يعرف أنك هنا؟».

هزت فوكا-إري رأسها. لم يكن البروفيسور يعرف.

«ألا تنوين إبلاغه؟».

هزت فوكا-إري رأسها. «لا أستطيع الاتصال به».

«لأن الاتصال به سيكون خطراً؟».

«ربما يكون الهاتف مراقباً. وربما لن يصله البريد».

«هل أنا الوحيد الذي يعرف أنك هنا؟».

أومأت فوكا-إري.

«هل أحضرت معك غيارات ملابس وأشياء من هذا القبيل؟».

قالت فوكا-إري وهي تنظر نظرة سريعة إلى حقيبة كتفها المصنوعة من قماش: «قليلاً». من المؤكد أن «قليلاً» هي أقصى ما يمكنها حمله.

قالت الفتاة: «لا مانع لدي».

قال تنغو: «إذا كنت لا تمانعين، فأنا بالطبع لا أمانع».

دخل تنغو إلى المطبخ، وقام بتشغيل غلاية الماء، ثم وضع بعض أوراق الشاي في إبريق.

سألت فوكا-إري: «هل صديقتك السيدة تأتي إلى هنا؟».

أجابها تنغو إجابة قصيرة: «لم تعُد تأتي».

أخذت فوكا-إري تحدق في تنغو في صمت.

«في الوقت الحالي».

سألت فوكا-إري: «هل هو خطئي».

هز تنغو رأسه: «لا أدري خطأ من هذا. لكني لا أظنه خطأك. ربما يكون خطئي. وربما يكون خطأها».

«ولكن على أي حال، فإنها لن تأتي إلى هنا بعد الآن».

«صحيح، إنها لن تأتي إلى هنا بعد الآن. ربما. ولذلك يمكنك البقاء هنا».

قضت فوكا-إري بضع لحظات تفكر في ذلك. «هل كانت متزوجة؟».

«نعم، ولديها طفلان».

«ليسا طفليك».

«لا، بالطبع لا. أنجبتهما قبل أن تعرفني».

«هل كنت تحبها».

قال تنغو: «ربما». ثم أضاف وهو يحدِّث نفسه، بشروط معينة.

«هل كانت تحبك».

«ربما. إلى حدّ ما».

«هل كنتما تتضاجعان».

استغرق تنغو لحظة حتى يستوعب كلمة «تتضاجعان». كان من الصعب عليه أن يتخيل هذه الكلمة تخرج من فم فوكا-إري.

«بالطبع. لم تكن تأتي إلى هنا كل أسبوع للعب بنك الحظ».

سألت: «بنك الحظ».

قال تنغو: «لا عليك».

«ولكنها لن تأتي إلى هنا بعد الآن».

قال: «هذا ما قيل لي، على الأقل. أنها لن تأتي إلى هنا بعد الآن».

سألت فوكا-إري: «هي من أخبرتك بذلك».

«لا، لم أسمع ذلك منها مباشرة. زوجها هو من أخبرني. بأنها قد ضاعت إلى غير رجعة ولن يمكنها المجيء إلى هنا بعد الآن».

«ضاعت إلى غير رجعة».

«أنا أيضاً لا أدري بالضبط ماذا يعنيه ذلك. لم يكن بوسعي أن أجعله يشرح لي ذلك. كانت لدي أسئلة كثيرة ولكن لا توجد أجوبة كثيرة. مثل خلل الميزان التجاري. هل ترغبين في بعض الشاي؟».

أومأت فوكا-إري.

صبَّ تنغو الماء المغلي في إبريق الشاي، وأقفل الغطاء، ثم انتظر.

قالت فوكا-إري: «لا بأس».

«ماذا؟ الأجوبة القليلة؟ أو أنها ضاعت إلى غير رجعة؟».

لم تجب فوكا-إري.

أذعن تنغو وصب الشاي في كوبين. «سكر؟».

قالت فوكا-إري: «ملعقة صغيرة غير ممتلئة».

«ليمون أم حليب؟».

هزت فوكا-إري رأسها. وضع تنغو ملعقة من السكر في الكوب، وقلَّبها ببطء، ثم وضعه أمام الفتاة. لم يُضف شيئاً لشايه، ثم تناول كوبه وجلس قبالتها إلى المائدة.

سألت فوكا-إري: «هل كنت تحب مضاجعتها».

أعاد تنغو صياغة سؤالها كسؤال عادي: «هل كنت أحب مضاجعة صديقتي؟».

أومأت فوكا-إري.

قال تنغو: «أظن ذلك. مضاجعة شخص تحبه من الجنس الآخر. معظم الناس يجدون متعة في ذلك».

قال في نفسه: كانت تجيد ذلك للغاية. تماماً كما أن في كل قرية يوجد فلاح واحد على الأقل يجيد الري، فإنها كانت تجيد ممارسة الجنس. كانت تحب أن تجربه بأوضاع مختلفة.

سألت فوكا-إري: «هل يحزنك أنها توقفت عن القدوم إليك».

قال تنغو: «ربما»، ثم راح يشرب شايه.

«لأنك لا تستطيع ممارسة الجنس».

«هذا جزء من الأسباب، بالطبع».

راحت فوكا-إري تحدق مباشرة في تنغو مرة أخرى. كان يبدو أنها قد استغرقت في بعض الأفكار عن ممارسة الجنس. أما ما كانت تفكر فيه بالفعل، فلم يكن لأحد أن يجزم به.

سألها تنغو: «جائعة؟».

أومأت فوكا-إري: «لم أتناول شيئاً يذكر منذ الصباح».

قال تنغو: «سوف أعد عشاء». لم يكن هو الآخر قد تناول طعاماً يُذكر منذ الصباح، وكان يشعر بالجوع. وفوق ذلك، لم يكن بوسعه أن يفكر في أي شيء يفعله في هذا الوقت عدا إعداد العشاء.

غسل تنغو الأرز، ووضعه في الوعاء، ثم أدار المفتاح. وإلى أن ينضج الأرز، راح يصنع حساء ميسو مع الأعشاب البحرية والبصل الأخضر، وقام بشواء سمك ماكريل مجفف في الشمس، وأخرج بعض التوفو من الثلاجة ثم أضاف إليه نكهة الزنجبيل وقطَّع قطعة من الفجل، وأعاد تسخين ما تبقى من خضراوات مسلوقة. ولتقديمها مع الأرز، جاء ببعض شرائح اللفت المُخلَّل وقليل من الخوخ المخلل. حينما كان تنغو صاحب البنيان الضخم يتحرك داخله، كان المطبخ الصغير يبدو صغيراً جداً. لكن ذلك لم يكن ليزعجه. فقد اعتاد منذ زمن أن يدبر أموره بما توفر لديه فيه.

قال تنغو: «عذراً، ولكن هذا الطعام البسيط هو كلّ ما يمكنني إعداده».

كانت فوكا-إري تمعن النظر في مهارة تنغو في أعمال الطهو. وبقدر واضح من الانبهار، تفحصت نتائج عمله التي صُفت على المائدة بشكل أنيق، وقالت: «أنت تعرف كيف تُحسِن الطهو».

قال: «أنا أعيش وحدي منذ زمن طويل. أعد وجبات طعامي وحدي في أسرع وقت ممكن، وأتناول طعامي في أسرع وقت ممكن. أصبحت عادة لدي».

«هل تأكل وحدك دائماً».

«غالباً. من غير المعتاد أن أتناول مثل هذه الوجبة مع أحد. اعتدت تناول الغداء هنا مرة واحدة في الأسبوع مع المرأة التي تحدثنا عنها. ولكن، حينما أمعن التفكير في ذلك، أجدني لم أتناول العشاء مع أحد منذ مدة طويلة».

«هل أعصابك متوترة».

هز تنغو رأسه: «لا، ليس بشدة. إنه مجرد عشاء. لكنه يبدو غريباً بعض الشيء».

«اعتدت تناول الطعام مع أشخاص كثيرين. كنا نعيش جميعاً معاً حينما كنت صغيرة. وأصبحت أتناول الطعام مع أشخاص مختلفين وكثيرين بعد انتقالي للعيش مع البروفيسور. دائماً لديه زوار».

لم يكن قد سمع فوكا-إري من قبل تنطق بجمل كثيرة تباعاً.

سأل تنغو: «ولكنك كنت تتناولين الطعام وحدك طوال فترة اختبائك؟».

أومأت فوكا-إري.

سأل تنغو: «أين كنت مختبئة؟».

«بعيداً. البروفيسور هو مَن رتب ذلك».

«أي طعام كنت تأكلين وأنت وحدك؟».

«مواد جاهزة. طعام معلب. لم أتناول وجبة كهذه منذ مدة».

أمضت فوكا-إري وقتاً طويلاً في نزع لحم سمك الماكريل من العظام بعودي الأكل. كانت تضع قطع السمك في فمها ثم تُمضي وقتاً في مضغها، كما لو كانت تتناول بعض الأغذية الجديدة النادرة. وأخذت رشفة من حساء ميسو، ثم اختبرت المذاق، وأصدرت ما يشبه التقييم، ووضعت عوديها على الطاولة، ثم تابعت تفكيرها.

قبل الساعة التاسعة بقليل، ظن تنغو أنه ربما سمع هزيم رعد آتٍ من بعيد. أزاح الستائر قليلاً وألقى نظرة إلى الخارج. كانت السماء الآن مكفهرة، وتنتشر فيها غيوم ذات أشكال تنذر بالسوء.

قال تنغو بعد أن أسدل الستارة: «كنت محقة. الطقس يبدو سيئاً للغاية».

قالت فوكا-إري بملامح حزينة: «لأن الناس الصغار يتحركون».

«أفكلما تحرك الناس الصغار، اضطربت أحوال الطقس؟».

«حسب الأحوال. الطقس يتحدد بكيفية نظرتك إليه».

«كيفية نظرتي إليه؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «لا أفهم ذلك فعلاً».

لم يفهم تنغو ذلك أيضاً. كان الطقس، بالنسبة إليه، يبدو حالة موضوعية ومستقلة. لكنه ربما لم يستطع أن يجد طريقة لمتابعة ذلك السؤال. وقرر بدلاً من ذلك أن يسأل سؤالاً آخر.

«هل تظنين أن الناس الصغار غاضبون من شيء ما؟».

قالت الفتاة: «شيء ما يوشك أن يقع».

«شيء من أي نوع؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «سوف نعرف قريباً».

غسلا معاً الأطباق وجففاها ووضعاها في مكانها، ثم بعد ذلك جلسا إلى المائدة قبالة أحدهما الآخر يشربان الشاي. كان يود لو شرب جعة، ولكنه رأى أن الأجدر أن يمتنع عن الشراب اليوم. استشعر خطراً ما في الهواء، ورأى أن عليه أن يكون في أعلى درجات وعيه إنْ حدث حادث.

قالت فوكا-إري وهي تضغط بيديها على وجنتيها وكأنها ذلك الرجل الصارخ على الجسر في لوحة «الصرخة» لمونك: «ربما يكون من الأفضل أن تنام باكراً». ليس معنى هذا أنها كانت تصرخ، ولكن كان النوم يغالبها فحسب.

قال تنغو: «حسناً، يمكنك استخدام سريري. سوف أنام على الأريكة مثلما نمتُ من قبل. لا تقلقي، أستطيع النوم في أي مكان».

كان هذا صحيحاً. يمكن لتنغو أن ينام من فوره في أي مكان. وهذه غالباً موهبة.

لم تصدر عن فوكا-إري سوى إيماءة. ظلت وقتاً تحملق في تنغو، دون أن تقول شيئاً. ثم لمست بشكل عابر أذنيها، كما لو أنها تفعل ذلك كي تتأكد أنهما لا يزالان في موضعهما: «هل يمكنك أن تعيرني بيجامتك. لم أحضر بيجامة نوم معي».

أخرج تنغو بيجامته الإضافية من درج المنضدة الموجودة في غرفة النوم وقدمها إلى فوكا-إري. كانت هذه هي نفسها البيجامة التي قدمها لها آخر مرة كانت هنا - بيجامة قطنية زرقاء اللوْن، وقد تم غسلها وطيها منذئذٍ. قرَّبها تنغو من أنفه كي يتحرى إن كانت تنبعث منها رائحة ما، فلم يجد شيئاً. أخذتها فوكا-إري، ومضت إلى الحمام كي تبدل ثيابها، ثم عادت إلى مائدة الطعام. أصبح شعرها مسدلاً الآن. شمرت ساقي البيجامة وذراعيها كما فعلت من قبل.

قال تنغو وهو ينظر إلى ساعة الحائط: «لم تبلغ التاسعة بعد. هل تأوين دائماً إلى الفراش في مثل هذا الوقت المبكر؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «ليس اليوم كأي يوم».

«لأن الناس الصغار يتحركون بالخارج؟».

«لا أدري. لكني متعبة الآن فحسب».

أقرَّ تنغو: «تبدو عليك الرغبة في النوم».

سألت فوكا-إري: «هل يمكنك أن تقرأ لي كتاباً أو تحكي لي قصة في السرير».

قال تنغو: «بالتأكيد. ليس لدي أي شيء آخر أفعله».

كانت ليلة سادها طقسٌ حارٌّ ورطب، ولكن ما إن أوت فوكا-إري إلى الفراش، حتى تدثرت بالغطاء حتى ذقنها، كما لو أنها تريد

أن تصنع حاجزاً منيعاً بين عالمها والعالم الخارجي. وفي السرير، وعلى نحو ما، بدت وكأنها طفلة صغيرة لا تتجاوز اثني عشر عاماً. أصبح هزيم الرعد الهادر الذي يأتي من خارج النافذة أعلى بكثير من ذي قبل، كما لو أن البرق قد بدأ يضرب في مكان قريب جداً. وفي كل مرة تُسمع فيها دمدمة الرعد، كان زجاج النافذة يرتج. والغريب هو أنه لم تكن تُرى ومضات برق مصاحبة له، وإنما فقط رعد يدوي عبر صفحة السماء حالكة الظلام. ولم تكن توجد أي علامة تنبئ بهطول المطر. شيء ما قد اختل توازنه حتماً.

قالت فوكا-إري: ««إنهم يراقبوننا».

سأل تنغو: «تقصدين الناس الصغار؟».

لم تجبه فوكا-إري.

قال تنغو: «يعلمون أننا هنا».

قالت فوكا-إري: «بالطبع يعلمون».

«وما الذي يحاولون أن يفعلوه معنا؟».

قالت: «لا يمكنهم أن يفعلوا أي شيء معنا».

«شيء جيد».

«الآن، هم هكذا».

أعاد تنغو كلامها بنبرة تنبئ عن ضعف: «لا يمكنهم أن يمسونا الآن. ولكن لا أحد يمكنه أن يتنبأ حتى متى سيظل ذلك».

قالت فوكا-إري عن اقتناع: «لا أحد يعرف».

سأل تنغو: «لكن حتى وإن كانوا لا يستطيعون أن يضرونا بأي شيء، فإنهم يستطيعون، بدلاً من ذلك، أن يضروا هؤلاء الذين يحيطون بنا؟».

«ربما ذلك».

«لعلهم يستطيعون أن يلحقوا بهم أذى كبيراً؟».

ضيقت فوكا-إري عينيها مدة وهي تنظر إليه بجدية بالغة، مثل بحار يحاول التقاط أغنية شبح إحدى السفن. ثم قالت: «في بعض الحالات».

«ربما استخدم الناس الصغار قدراتهم ضد صديقتي. كي يحذروني».

سحبت فوكا-إري إحدى يديها من تحت الغطاء وحكّت أذنها الطازجة. ثم أعادت يدها مرة أخرى إلى تحت الغطاء: «قدرات الناس الصغار محدودة».

عضّ تنغو شفته للحظة. ثم قال: «أي الأشياء بالضبط يمكنهم عملها، مثلاً؟».

بدأت فوكا-إري تدلي برأيها في هذه المسألة ولكنها بعد تفكير، توقفت. عاد رأيها، الذي لم تفصح عنه، مرة أخرى إلى المكان الذي خرج منه - مكان سحيق ومظلم ومجهول.

«قلت إن الناس الصغار لديهم حكمة وقدرة».

أومأت فوكا-إري.

«ولكن لقدراتهم حدود».

أومأت فوكا-إري.

«وذلك لأنهم أهل الغابة. حينما يغادرون الغابة، لا يمكنهم أن يطلقوا قدراتهم بسهولة. وفي هذا العالم، توجد أشياء مثل القيم التي تجعل مقاومة حكمتهم وقدراتهم ممكنة. أليس كذلك؟».

لم تجب فوكا-إري عن سؤاله. ربما كان السؤال طويلاً أكثر مما ينبغي.

«هل التقيت الناس الصغار من قبل؟».

حدقت فوكا-إري فيه بنظرة مفعمة بالغموض، كما لو أنها لم تستطع فهم سؤاله.

أعاد تنغو صياغة سؤاله: «هل رأيت الناس الصغار في الواقع؟».

قالت فوكا-إري: «نعم».

«كم عدد الناس الصغار الذين رأيتهم؟».

«لا أعرف. أكثر من أن أحصيهم على أصابعي».

«لكنهم ليسوا واحداً فقط».

«عددهم يزداد حيناً، وينقص حيناً آخر، ولكن لا يوجد أحدهم وحده قطّ».

«بالطريقة التي صوّرتهم بها في 'الشرنقة الهوائية'».

أومأت فوكا-إري.

استغل تنغو هذه الفرصة كي يسأل فوكا-إري سؤالاً كان يريد أن يسأله منذ مدة: «قولي لي، ما هو مقدار الواقع في 'الشرنقة الهوائية'؟ ما هو مقدار ما حدث بالفعل منها؟».

سألت فوكا-إري دون نبرة استفهام: «ماذا تعني بالواقع».

بالطبع، لم يكن لدى تنغو جواب عن ذلك.

سُمع دويٌّ شديد للرعد في السماء. ارتج له زجاج النافذة. ولكنه كان لا يزال غير مصحوب ببرق، ولا يُسمع معه صوت مطر. تذكر تنغو فيلم غواصات قديم. كان اللغم البحري ينفجر واحداً تلو آخر، فتهتز السفينة، ولكن الجميع كانوا محتَجَزين داخل الصندوق الحديدي المظلم وغير قادرين على رؤية الخارج. بالنسبة لهم، لم يكن هناك سوى صوت واحد لا يتوقف وهو صوت اهتزاز الغواصة.

سألت فوكا-إري: «هل تقرأ لي كتاباً أو تحكي لي قصة».

قال تنغو: «بالتأكيد، ولكن لا يحضرني الآن كتاب جيد يمكنني قراءته بصوت عالٍ. ليس لدي الكتاب هنا، ولكني أستطيع ان أحكي لك قصة اسمها «بلدة القطط»، إن شئت».

«بلدة القطط».

«قصة بلدة تحكمها القطط».

«أريد أن أسمعها».

«مع ذلك، قد تكون مخيفة نوعاً ما باعتبارها قصة تُروى قبل وقت النوم».

«لا بأس. أستطيع النوم، مهما كانت القصة التي ترويها».

أحضر تنغو كرسياً بجوار السرير، وجلس، ثم ثنى يديه في حجره، وبدأ يحكي «بلدة القطط»، فيما كان قصف الرعد بمثابة الموسيقى التصويرية. كان قد قرأ القصة مرتين على متن القطار، ومرة أخرى، بصوت عالٍ، إلى والده في المصحة، لذلك كان يعرف الحكاية جيداً. لم تكن قصة معقدة أو دقيقة الوصف، كما لم تكن مكتوبة بأسلوب منمق، ولذلك لم يكن يعتريه سوى قليل من التردد وهو يغير في أحداثها كما يحلو له، فيحذف الأجزاء الأكثر إثارة للضجر أو يضيف مشاهد تخطر له وهو يروي القصة لفوكا-إري.

لم تكن القصة الأصلية طويلة، ولكن استغرق حكيها وقتاً أطول ممّا تصور لأن فوكا-إري لم تكن تتردد في طرح أي سؤال يعنّ لها. فكان تنغو يقطع روايته للقصة في كل مرة كي يقدم لها أجوبة دقيقة، ويوضح لها تفاصيل حول البلدة أو تصرفات القطط أو شخصية بطل الرواية. وعندما يواجه أشياء لم يتم وصفها في القصة (وهو الحال عادة)، كان تنغو يختلق ذلك، مثلما فعل مع 'الشرنقة الهوائية'. بدا أن فوكا-إري قد اندمجت تماماً في «بلدة القطط». لم يعد يبدو عليها

التعب. كانت تغمض عينيها أحياناً، وتتخيل مشاهد بلدة القطط. ثم تفتح عينيها وتحث تنغو على متابعة القصة.

عندما انتهى من رواية القصة، فتحت فوكا-إري عينيها على اتساعهما وحملقت في تنغو على النحو الذي تُوسع به قطة حدقتيها كي تحدق في شيء يغمره الظلام.

سألت فوكا-إري تنغو كما لو أنها تضغط عليه كي يكشف حقيقة ما: «هل ذهبتَ إلى بلدة للقطط».

«أنا؟!».

«ذهبت إلى بلدة للقطط. ثم عدت على متن قطار».

«هل تظنين ذلك؟».

بينما كان الغطاء مشدوداً حتى ذقنها، أومأت فوكا-إري له إيماءة خفيفة وسريعة.

قال تنغو: «أنت محقة تماماً. ذهبت إلى بلدة للقطط وعدت على متن قطار».

سألته: «هل قمت بعملية تَطهُّر بعد ذلك».

«تَطهُّر؟ لا، لا أعتقد ذلك، لم أفعل بعد».

«عليك أن تفعل».

«أي نوع من التَطهُّر؟».

بدلاً من جواب سؤاله، قالت فوكا-إري: «إذا كنت تذهب إلى بلدة للقطط ثم لا تفعل أي شيء بعد ذلك، فقد تقع لك أحداث سيئة».

بدا أن ضربة رعد هائلة قد شطرت السماء نصفين. كان الصوت يزداد شراسة. ما جعل فوكا-إري تجفل وهي في السرير.

قالت فوكا-إري: «تعال إلى هنا وأمسك بي. يجب أن نذهب معاً إلى بلدة للقطط».

«لماذا؟».

«الناس الصغار قد يعثرون على المدخل».

«لأنني لم أتطهر؟».

قالت الفتاة: «لأن كلينا واحد».

الفصل الثالث عشر

أومامه

من دون حبك

قالت أومامه: «1Q84. هل تتحدث عن حقيقة أنني أعيش الآن في السنة المسماة 1Q84، وليس في سنة 1984 **الحقيقية؟**».

قال الرجل الذي يسمى بالزعيم وهو منبطح: «من الصعب للغاية أن نعرف ماهية العالم الحقيقي. ماهيته هي افتراض ميتافيزيقي. ولكن هذا هو العالم الحقيقي، ولا شك في ذلك. فالألم الذي يشعر به المرء في هذا العالم ألم حقيقي. والموت الذي يحدث في هذا العالم موت حقيقي. والدماء التي تُسفَك في هذا العالم دماء حقيقية. هذا العالم ليس محاكاة، وليس عالماً وهمياً، وليس عالماً ميتافيزيقياً. هذا ما أضمنه لكِ. ولكن هذه ليست 1984 التي تعرفينها».

«هل تشبه عالماً موازياً؟».

اختلج كتفا الرجل من الضحك. «أنت تكثرين من قراءة روايات الخيال العلمي. لا، هذا ليس عالماً موازياً. ليس لديك 1984 هناك وتتفرع عنها 1Q84 هنا حيث يجري العالمان عبر مسارين متوازيين. لم يعد عام 1984 له أي وجود في أي مكان. بالنسبة لك وبالنسبة لي، الزمن الوحيد الموجود حتى الآن هو هذه السنة 1Q84».

«لقد دخلنا في تدفقها الزمني بشكل نهائي».

«بالضبط. لقد دخلنا هذا المكان الذي نوجد فيه الآن. أو أن تدفق الزمن قد أدخلنا فيه بشكل نهائي. وبحسب فهمي، فإن الباب لا يُفتح إلا في اتجاه واحد. ولا سبيل إلى الرجوع».

«أظن أن ذلك حدث عندما نزلت عبر درج الطوارئ في الطريق السريع».

«الطريق السريع؟».

قالت أومامه: «بالقرب من سانجينجايا».

قال الرجل: «لا يهم المكان. بالنسبة لك، كانت سانجينجايا. ولكن المكان المحدد ليس هو المهم. المهم هنا، في النهاية، هو الزمن. إن المسار، إذا جاز القول، قد تبدَّل هناك، وتحول العالم إلى 1Q84».

تخيلت أومامه مجموعة من الناس الصغار يعملون معاً لنقل جهاز تحويل المسارات. في منتصف الليل. وفي ضوء القمر الشاحب.

«في هذه السنة 1Q84، يوجد في السماء قمران، أليس كذلك؟».

«صحيح: قمران. وهذه علامة على أن المسار قد تبدل. وهذه هي الطريقة التي تستطيعين من خلالها أن تميزي بين العالمين. ليس معنى ذلك أن جميع الناس هنا يمكنهم أن يروا قمرين. في الواقع، معظم الناس لا يدركون ذلك. وبعبارة أخرى، فإن عدد الناس الذين يعرفون أن هذه هي سنة 1Q84 هو عدد محدود للغاية».

«معظم الناس في هذا العالم لا يدرون أن تدفق الزمن قد تبدل؟».

«صحيح. بالنسبة إلى معظم الناس، فإن هذا لا يعدو أن يكون هو نفسه العالم القديم المعتاد والبسيط الذي كانوا يعرفونه دائماً. هذا هو ما أعنيه عندما أقول: «هذا هو العالم الحقيقي»».

قالت أومامه: «إذاً لقد تمّ تبديل المسار. لولا أنه تبدل، لما كان لنا أن نلتقي هنا هكذا. هل هذا هو ما تقوله؟».

«هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يعرفه أحد. إنها مسألة احتمال. ولكن ربما هذا هو الصحيح».

«هل ما تقوله حقيقة موضوعية، أو مجرد فرضية؟».

«سؤال وجيه. ولكن التمييز بين الاثنين مستحيل تقريباً. هل تذكرين ماذا تقول الأغنية القديمة، «من دون حبك، يضبح العالم عرضاً صاخباً وزائفاً؟»» قال وهو يدندن باللحن. «هل تعرفينها؟».

«تقصد أغنية It's Only a Paper Moon «إنه مجرد قمر ورقي»».

«نعم هي. إن سنتيّ 1984 و1Q84 هما في الأساس شيء واحد فيما يخص الطريقة التي يسيران بها. إذا كنت لا تؤمنين بالعالم، وإذا لم يوجد به حب، فإن كل شيء يصبح إذاً زائفاً. وبغض النظر عن أي عالم نتحدث، وبغض النظر عن نوعية العالم الذي نتحدث عنه، فإن الخط الفاصل بين الحقيقة والفرضية هو خط لا تراه العين فعلاً. لا يمكن رؤيته إلا بالعين الداخلية، البصيرة».

«مَن بدَّل المسارات؟».

«مَن بدَّل المسارات؟ هذا سؤال آخر صعب. ليس لمنطق العلة والمعلول هنا سوى سلطان محدود».

قالت أومامه: «على أي حال، فإن إرادة ما قد نقلتني إلى عالم 1Q84. إرادة أخرى غير إرادتي».

«هذا صحيح. لقد حُملت إلى هذا العالم عندما تمّ تحويل مسار القطار الذي كنت على متنه».

«هل توجد أي علاقة للناس الصغار بذلك؟».

«في هذا العالم يوجد ما يسمى بالناس الصغار. أو على الأقل، هكذا يُدعون في هذا العالم. ولكنهم ليس لديهم دائماً شكل أو اسم».

عضت أومامه على شفتها وهي تفكر. ثم قالت: «ما تقوله يبدو متناقضاً عندي. لنفترض أن هؤلاء «الناس الصغار» هم مَن حولوا المسار وحملوني إلى عالم 1Q84. لماذا يفعلون ذلك طالما أنهم لا يريدون مني أن أفعل بك ما أوشك على فعله؟ كان الأجدى لهم أن يتخلصوا مني».

قال الرجل بصوت رتيب للغاية: «ليس من السهل شرح ذلك. ولكنك سريعة البديهة. ربما تستطيعين فهم ما أحاول قوله لك رغم غموضه. كما قلت من قبل، الشيء الأهم في هذا العالم الذي نعيش فيه هو الحفاظ على التوازن بين الخير والشر. إن ما يسمى بالناس الصغار -أو بعض تجليات الإرادة- لديهم بالتأكيد سلطة هائلة. لكنهم كلما استخدموا قوتهم، انبثقت عنها تلقائياً قوة أخرى لمقاومتهم. وبهذه الطريقة، يحافظ العالم على توازن دقيق. هذا المبدأ الأساسي موجود في أي عالم. والشيء نفسه على وجه التحديد يمكن أن يقال في عالم 1Q84 الذي يحتوينا الآن. عندما بدأ الناس الصغار يُظهرون قوتهم الهائلة، نشأت تلقائياً قوة أخرى تعارض الناس الصغار. ولا بد أن هذه القوة الدافعة المعارضة قد اجتذبتك إلى عام 1Q84».

ممدداً مثل حوتٍ جانح على بساط اليوجا الأزرق، أطلق الرجل الضخم نفساً عميقاً.

«ولمتابعة التشبيه بالقطار: فإنهم يستطيعون أن يبدلوا المسارات، ولذلك دخل القطار مساره الحالي، مسار 1Q84. لكن الشيء الوحيد الذي لا يستطيعونه، هو أن يميزوا بين راكب وآخر على متن القطار -

كي يختاروا من بينهم. ما يعني أنه قد يكون هناك ركاب غير مرغوبين لديهم على متن القطار».

«ركاب غير مدعوين».

«بالضبط».

مرة أخرى سُمع دوي الرعد. كان الدوي أشد بكثير من ذي قبل. ولكن لا يصحبه برق. صوتٌ فقط. قالت أومامه في نفسها، **شيء غريب. الرعد قريب جداً، ولكن البرق لا يومض. والمطر لا يسقط.**

«هل أوضحت نفسي بما يكفي حتى الآن؟».

قالت بعد أن أبعدت الإبرة بالفعل عن البقعة التي حددتها في رقبته: «إنني أصغي إليك». أصبحت تشير بها الآن في حذر نحو الفراغ. كان عليها أن توجه كل انتباهها لما يقول.

«حيثما يوجد ضوء، فلا بد أن يوجد ظل، وحيثما يوجد ظل، فلا بد أن يوجد ضوء. فلا ظل بلا ضوء ولا ضوء بلا ظل. هذا ما قاله كارل يونج عن «الظل» في أحد كتبه: «إنه يمعن في الشر بقدر ما نمعن نحن في الإيجابية... وكلما حاولنا جهدنا أن نكون خيرين ورائعين ومثاليين، أوجد الظل إرادة واضحة تجعله قاتماً وشريراً ومدمراً... والحقيقة هي أنه إذا حاول المرء أن يكون مثالياً بما هو فوق طاقته، فإن الظل يتردى إلى الجحيم ويصبح هو الشيطان. ذلك أن الإثم من وجهة نظر الطبيعة ووجهة نظر الحقيقة يستوي فيه أن يتسامى المرء فوق ذاته أو ينحط دونها».

«نحن لا نعرف هل ما يُسمى الناس الصغار أخيار أم أشرار. وهذا، بمعنى من المعاني، هو شيء يتجاوز قدراتنا على الفهم والتعريف. إننا نعيش معهم منذ زمن سحيق جداً، بل حتى قبل أن

يوجد الخير والشر، عندما كانت عقول الناس لا تزال غارقة في ظلام الجهل. ولكن المهم هو أنهم، سواء كانوا أخياراً أو أشراراً، ضوءاً أو ظلاً، حالما يبدؤون ممارسة سلطتهم، تنشأ عن ذلك قوة معادِلة. وفي حالتي، عندما أصبحت «وكيلاً» لما يسمى الناس الصغار، أصبحت ابنتي أشبه بـ«وكيل» لتلك القوى المناوئة للناس الصغار. وبهذه الطريقة، تم الحفاظ على التوازن».

«ابنتك؟».

«نعم، هي أول مَن جاءت بما يُسمى بالناس الصغار. كانت عندئذٍ في العاشرة من عمرها. وهي الآن في السابعة عشرة. في لحظة ما، انبعث الناس الصغار من الظلام، ثم وصلوا إلى هنا من خلالها، وجعلوني وكيلهم. وهكذا أصبحت ابنتي «بصيراً» وأصبحتُ أنا «سميعاً». كنا على ما يبدو مُيسَّرين بطبيعتنا لهذين الدورين. على أي حال، هُم من عثروا علينا. ولسنا نحن من عثرنا عليهم».

هزَّت أومامه رأسها: «وهكذا اغتصبتَ ابنتك».

قال: «اقترنتُ بها. هذا التعبير هو الأقرب إلى الحقيقة. والتي اقترنت بها، إذا شئنا الدقة، هي ابنتي كصورة. إن عبارة «اقترنت بها» فيها غموض. والغاية الأساسية لكلينا هي أن نصبح واحداً: «بصيراً» و«سميعاً»».

هزت أومامه رأسها: «لا يمكنني فهم ما تقول. هل مارست الجنس مع ابنتك أو لم تفعل؟».

«جواب هذا السؤال، في النهاية، هو نعم ولا معاً».

«هل هذا ينطبق على الصغيرة تسوباسا أيضاً؟».

«نعم، من حيث المبدأ».

«لكن رحم تسوباسا تم إتلافه، ليس كصورة وإنما في الحقيقة».

هز الرجل رأسه: «ما رأيتِه كان التجلي الخارجي للصورة، وليس للمادة الحقيقية».

لم تستطع أومامه متابعة التدفق السريع للمحادثة. توقفت حتى يمكنها أن تضبط أنفاسها. ثم سألت: «هل تقول إن الصورة أخذت شكلاً بشرياً وفرَّت بعيداً على قدميها؟».

«هذا ما حدث ببساطة».

«إذاً هل تسوباسا التي رأيتها ليست مادة حقيقية؟».

«ولهذا السبب تم استرجاعها».

«استرجاعها».

«تم استرجاعها وهي الآن تَشفى. وتتلقى العلاج الذي تحتاجه».

قالت أومامه: «لا أصدقك».

قال الرجل دون انفعال: «وأنا لا ألومك».

ظلت أومامه مدة لا تدري ماذا تقول. ثم سألت سؤالاً آخر: «ومع تَعدِّيك على ابنتك، كصورة وبشكل غامض، أصبحت وكيلاً للناس الصغار. ولكن في الوقت ذاته، تمت معادلة ذلك بابنتك وعبر هجرها لك وجعلها، إذا جاز القول، خصماً للناس الصغار. هل هذا ما تريد إثباته؟».

«هذا سليم. وكي تفعل ذلك، كان عليها أن تترك دوهتا خاصتها وراءها. هذه الكلمة لا تعني لكِ شيئاً، أليس كذلك؟».

سألته أومامه: «ما هي دوهتا؟».

«شيء يشبه الظل الحي. وهنا تدخل شخصية أخرى - صديق قديم لي. رجل أثق به. وضعتُ ابنتي في عهدته. ثم، وهذا ليس منذ زمن، دخل شخص آخر، تعرفينه جيداً واسمه تنغو كاوانا. محض صدفة جمعت تنغو وابنتي معاً كفريق واحد».

بدا أنّ تدفق الزمن قد توقف فجأة. لم تجد أومامه ما تقوله. تيبس جسمها من رأسها إلى أخمص قدميها، وراحت تنتظر تدفق الزمن مرة أخرى.

واصل الرجل كلامه: «تصادف أن كليهما لديهما من الصفات ما يدعم الآخر. فما يفتقر إليه تنغو، تمتلكه إريكو، وما تفتقر إليه إريكو، يمتلكه تنغو. تضامنا معاً لإنجاز عمل واحد. وتبين أن ثمار تعاونهما كانت عظيمة الأثر. أقصد في سياق تأسيس قوة معارضة للناس الصغار».

«هل كوَّنا فريقاً؟».

«ليس معنى ذلك أن علاقة عاطفية أو جسدية أصبحت تربطهما. لذلك، لا يوجد ما يدعوك للقلق، إن كان ذلك هو ما خطر لكِ. إريكو لن تقيم أبداً علاقة عاطفية مع أي أحد. لقد تجاوزت هذه الأمور».

«ما هي ثمار تعاونهما، بالضبط؟».

«كي أوضح ذلك، يجب أن أستحضر تشبيهاً ثانياً. كلاهما، إذا جاز التعبير، اختلق أجساماً مضادة لفيروس. وإذا اعتبرنا أعمال الناس الصغار فيروساً، فإن تنغو وإريكو قد أوجدا ونشرا الأجسام المضادة لمكافحته. هذا، بطبيعة الحال، تشبيه أحادي. لأن تنغو وإريكو، على النقيض من ذلك، حاملَين للفيروس من وجهة نظر الناس الصغار. كل الأشياء رُتبت وكأنها مرايا وُضعت بعضها في مواجهة بعض».

«هل هذا ما تسمونه الوظيفة التعويضية؟».

«بالضبط. وبتعاونهما معاً، فإن الشخص الذي تحبينه وابنتي قد نجحا في إيجاد هذه الوظيفة. وهذا يعني أنك أنت وتنغو، تسيران في هذا العالم بعضكما على وقع خطى بعض».

«ولكن ذلك ليس مجرد مصادفة، بحسب قولك. أنت تقول إن هناك إرادة ما قد قادتني إلى هذا العالم. أليس كذلك؟».

«هذا هو ما حدث بالضبط. جئت إلى عالم 1Q84 وأنت محمَّلة بغاية ما، وتقودك إرادة ما. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون العلاقة التي نشأت بينك وبين تنغو هنا، مهما كان الشكل الذي قد تأخذه - وليدة صدفة».

«أي نوع من الإرادة، وأي نوع من الغاية؟».

قال الرجل: «لا يمكنني أن أفسر ذلك، يؤسفني أن أقول هذا».

«لماذا لا تستطيع تفسير ذلك؟».

«ليس لأن المعنى يتعذر تفسيره. ولكن هناك بعض المعاني التي تُفقد للأبد فور تفسيرها بالكلام».

«حسناً، إذاً، دعني أطرح سؤالاً آخر. لماذا يجب أن أكون أنا هذا الشخص؟».

«ألم تفهمي السبب بعد، فعلاً؟»

هزّت أومامه رأسها عدة مرات بقوة: «لا، لم أفهم السبب. على الإطلاق».

«الأمر بسيط للغاية، في الواقع. لأنك وتنغو انجذبتما بشدة بعضكما إلى بعض».

لاذت أومامه بصمت طويل. أحست بأثر عرق يخرج من مسام وجهها. شعرت كما لو أن وجهها كله أصبح مغطى بغشاء رقيق لا يُرى بالعين المجردة.

قالت: «انجذبنا بعضنا إلى بعض».

«نعم، انجذبتما بعضكما إلى بعض. وبشدة».

انبجس داخلها ومن حيث لا تدري انفعالٌ أشبه ما يكون بالغضب، ورافقه شعور مبهم بالغثيان. «لا أستطيع أن أصدق. لا يُحتمل أن يتذكرني».

«لا، تنغو يعرف جيداً أنك موجودة في هذا العالم، وهو يريدك. حتى يومنا هذا، لم يحب أي امرأة أخرى سواك».

انعقد لسان أومامه للحظات ولم تدرِ ماذا تقول، وأثناء ذلك استمرت دمدمة الرعد العنيفة على فترات قصيرة، وبدا أن المطر قد بدأ يهطل أخيراً. بدأت قطرات مطر كبيرة تضرب نافذة غرفة الفندق، ولكن الصوت كان بالكاد يصل إلى مسامع أومامه.

قال الرجل: «صدقي أو لا تصدقي، فهذا شأنك. ولكن يحسن بك أن تصدقي لأن هذه هي الحقيقة الواضحة».

«هل تقصد أنه لا يزال يتذكرني رغم مرور عشرين سنة على لقائنا آخر مرة؟ ورغم أننا لم نتحدث قطّ في الواقع؟».

«في الصف الدراسي الفارغ، قبضتِ بقوة على يده. حينما كنت في العاشرة من عمرك. كان عليك أن تستجمعي كل ذرة من شجاعتك لعمل ذلك».

انقبض وجه أومامه وظهرت عليه ملامح الضيق. «كيف لكَ أن تعرف هذا الشيء؟».

لم يُجِبها الرجل: «تنغو لم ينسَ ذلك يوماً. وظلّ يفكر فيك طوال هذه المدة. سوف تحسنين صنعاً إذا صدّقت ذلك. أنا أعرف أشياء كثيرة. مثلاً، أعرف أنك حتى الآن، تفكرين في تنغو عندما تستمنين. وتتخيلينه. أنا محق في ذلك، أليس كذلك؟».

سمحت أومامه لفمها أن ينفتح قليلاً، لكنها وجدت نفسها لا

تقدر على قول أي كلمة. فما كان منها إلا أنها راحت تأخذ نفساً خفيفاً تلو آخر.

تابع الرجل كلامه: «هذا ليس شيئاً تخجلين منه، بل وظيفة إنسانية طبيعية. تنغو يفعل الشيء نفسه. إنه يفكر فيك في تلك الأوقات، حتى الآن».

«ولكن كيف لك أن . . . ؟».

«كيف لي أن أعرف مثل هذه الأشياء؟ من خلال إرهاف السمع. هذا هو عملي - الاستماع إلى الأصوات».

كانت تريد أن تضحك بصوت عالٍ، وفي الوقت ذاته، تريد أن تبكي. لكنها لم تستطع أن تفعل أيّاً من ذلك. لم يسعها إلا أن تقف مذهولة، في مكان ما بين الاثنين، حيث لا يميل مركز جاذبيتها في أي من الاتجاهين، وهي عاجزة عن الكلام.

قال الرجل: «لا داعي لأن تخافي».

«أخاف؟».

«أنت خائفة، مثلما كان أهل الفاتيكان يخافون قبول نظرية كوبرنيكوس. لم يكونوا حتى يؤمنون بصدق نظرية بطليموس. ولكن كانوا يخافون الوضع الجديد الذي سوف يسود إذا ما قبلوا نظرية كوبرنيكوس. كانوا يخشون أن يضطروا لإعادة ترتيب عقولهم لقبولها. وإذا شئت الدقة، فإن الكنيسة الكاثوليكية لم تقبل صراحة بعد نظرية كوبرنيكوس. وأنت مثلهم. تخشين أن تضطري لخلع الدرع الذي دافعت به عن نفسك طويلاً».

غطت أومامه وجهها بيديها وأطلقت عدة تنهيدات متشنجة. ليس هذا هو ما كانت تريد عمله، ولكنها لم تستطع إيقاف نفسها. كانت تفضل أن تبدو ضاحكة، ولكن ذلك كان محالاً.

قال الرجل بهدوء: «أنت وتنغو، إذا جاز التعبير، حُملتما إلى هذا العالم على متن قطار واحد. وبتعاونه مع ابنتي، فإن تنغو قد سلك طريقاً مناهضاً للناس الصغار، ولأسباب أخرى، أنت تحاولين التخلص مني. بعبارة أخرى، كل منكما، بطريقته الخاصة، يؤدي عملاً خطيراً في مكان خطير جداً».

«إذاً أنتَ تقول إن إرادةً ما أرادَت لنا القيام بهذه الأشياء؟».

«ربما».

«ولكن لأي غاية؟» لم يكد السؤال يخرج من بين شفتيها، حتى أدركت أومامه ألا جدوى منه. لا أمل في أنها سوف تتلقى جواباً أبداً.

قال الرجل دون أن يجيب عن سؤالها: «إن الحل الأمثل لكما هو أن تلتقيا في مكان ما، وتغادران هذا العالم معاً. ولكن ذلك لن يكون سهلاً».

أعادت أومامه كلماته دون وعي: «لن يكون سهلاً».

«ليس سهلاً، ويؤسفني القول، إن هذا هو ألطف تعبير عن ذلك. في واقع الأمر، إنه يكاد يكون مستحيلاً. فالخصم الذي تواجهانه، أيّاً كان ما تسمونه، هو قوة شرسة».

قالت أومامه وقد خرج صوتها جافاً: «وإذاً..». نظفت حنجرتها. كانت قد تجاوزت اضطرابها الآن. حدَّثت نفسها، **ليس هذا وقتاً للبكاء**. «وإذاً يأتي عرضك، أليس كذلك؟ أنا أقدم لكَ موتاً لا ألم فيه، وفي مقابل ذلك تعطيني أنت خياراً مختلفاً».

قال الرجل وهو لا يزال مستلقياً على وجهه: «كم أنت سريعة الفهم. هذا صحيح. عرضي هو خيار مرتبط بك وبتنغو. قد لا يكون الخيار الأمثل. ولكنه على الأقل يفسح لك مجالاً للاختيار».

قال الرجل: «الناس الصغار يخشون فقداني. وهم لا يزالون بحاجة إليّ. أنا مفيد لهم باعتباري وسيطهم البشري. والعثور على بديل لن يكون سهلاً عليهم. وهم حتى هذه اللحظة، لم يجهِّزوا خليفة لي. كان عليّ تلبية الكثير من الشروط الصعبة حتى أصبح وسيطهم، وتصادف أني ألبي هذه الشروط جميعها، ما جعلني اكتشافاً نادراً. إنهم يخشون فقداني. إذا حصل ذلك، فسوف يؤدي إلى فراغ مؤقت. وهذا هو السبب الذي يجعلهم يحاولون منعك من قتلي. إنهم يريدون إبقائي على قيد الحياة فترة أطول قليلاً. الرعد الذي تسمعينه بالخارج هو علامة غضبهم. ولكن لا يمكنهم إيذاءك مباشرة. كل ما يمكنهم عمله هو تحذيرك من غضبهم. وللسبب نفسه، فقد دفعوا صديقتك لحتفها عبر أساليب ربما تكون ملتوية. وإذا سارت الأمور على هذا المنوال فسوف يلحقون الأذى غالباً بتنغو».

«يلحقون الأذى بتنغو؟».

«تنغو كتب قصة عن الناس الصغار وأعمالهم. إريكو هي مَن وضعت أساس القصة، وتنغو هو مَن حوَّلها إلى عمل ناجح. كان ذلك هو جهدهما المتضافر، وقد كان بمثابة الجسم المضاد الذي يواجه قوة الناس الصغار. وقد نُشرت القصة في صورة كتاب، وأصبحت من أفضل الكتب مبيعاً، ونتيجة ذلك، فقد وجد الناس الصغار أن العديد من الطرق الممكنة، ولو بشكل مؤقت، قد سُدت في وجوههم، وقد قُيدت قدراتهم على القيام بكثير من الأفعال. ربما سمعتِ بالكتاب: إنه 'الشرنقة الهوائية'».

أومأت أومامه: «طالعتُ مقالات حول الكتاب في بعض الصحف. وكذلك إعلانات الناشر. لكني لم أقرأ الكتاب».

«تنغو هو مَن كتب 'الشرنقة الهوائية' فعلاً. وهو الآن يكتب قصة

جديدة خاصة به. في 'الشرنقة الهوائية'، أي في عالمها الذي يضم قمرين - اكتشف قصته الخاصة. إريكو، التي أصبحت بصيراً بارعاً، هي مَن ألهمته بالقصة كجسم مضاد داخله. يبدو أن تنغو يمتلك قدرة فائقة على تأدية دوره كسميع. وقد تكون هذه القدرة هي ما جاءت بك إلى هنا، وبعبارة أخرى، هي ما وضعتك على متن ذلك القطار».

انقبض وجه أومامه بشدة في العتمة. كان عليها أن تبذل جهداً كبيراً حتى تتابع ما يقوله الرجل: «هل تود أن تقول إنني قد نُقلت إلى هذا العالم الآخر لـ 1Q84 من خلال قدرة تنغو على رواية الحكايات، أو، كما قلت، من خلال قوته كسميع؟».

قال الرجل: «هذا هو ما يمكنني أن أخمنه على الأقل».

حدقت أومامه في يديها. كانت أصابعها مبللة بالدموع.

«إذا سارت الأمور كما هي الآن، فسوف يتمّ تصفية تنغو على الأغلب. وحالياً هو التهديد رقم واحد على ما يسمى الناس الصغار. وعلى أي حال، فهذا هو العالم الحقيقي، حيث تسفك دماء حقيقية ويقع موت حقيقي. الموت، بالطبع، يستمر إلى الأبد».

عضت أومامه على شفتها.

قال الرجل: «أودّ منك أن تفكري في الأمر بهذه الطريقة. إذا كنت ستقتليني هنا وتستأصلين وجودي من هذا العالم، فلن يبقى لدى الناس الصغار أي سبب لإيذاء تنغو. إذا انتهى وجودي كقناة، فإن تنغو وابنتي يمكنهما أن يعطّلا هذه القناة دون أن يتعرَّضا لأي تهديد. سوف ينسى الناس الصغار أمرهما ويبحثان عن قناة أخرى في مكان آخر - قناة من أصل آخر. سوف تصبح هذه هي أولويتهم الأولى. هل تفهمين ما أقصد؟».

قالت أومامه: «نظرياً، على الأقل».

«ومن ناحية أخرى، إذا قُتلت، فإن أتباع التنظيم الذي أسسته لن يتركوكِ وشأنك. صحيح، قد يستغرق عثورهم عليك بعض الوقت لأنك حتماً ستغيرين اسمك، وتغيرين مكان سكنك، وربما حتى تغيرين وجهك. لكنهم سوف يتعقبونك ويُنزلون بك أشدّ العقاب. هذه هي خصائص النظام الذي أنشأناه: متماسك وعنيف ولا يتراجع. وهذا هو خيارك الوحيد».

استغرقت أومامه بعض الوقت كي ترتب أفكارها بشأن ما قاله لها. انتظر الرجل حتى يتخلل منطق كلامه عقلها. ثم تابع كلامه: «وعلى العكس، إذا لم تقتليني هنا والآن، فما الذي سيحدث؟ سوف تنسحبين بسهولة من هذا المكان وتعيشين حياتك. وعندئذٍ سوف يستخدم الناس الصغار جميع قواهم للقضاء على تنغو من أجل حمايتي، باعتباري وسيطهم. إن المعطف الواقي الذي يرتديه لم يبلغ بعد القوة الكافية حتى الآن. سوف يكتشفون نقطة ضعفه ويفعلون كل ما في وسعهم لتدميره لأنهم لا يستطيعون التسامح مع أي انتشار آخر للأجسام المضادة. وفي الوقت نفسه، لن تصبحي تهديداً، ولن يعود لديهم أي سبب لعقابك. هذا هو خيارك الآخر».

قالت أومامه وهي تلخص ما قاله لها الرجل: «في هذه الحالة، يموت تنغو وأعيش أنا، هنا في عالم 1Q84».

قال: «ربما».

وأضافت: «لكن لا جدوى من العيش في عالم لم يعد تنغو موجوداً فيه. سوف تنتهي إلى الأبد أي إمكانية للقائنا».

قال: «ربما يكون ذلك هو الحال من وجهة نظرك».

عضت أومامه بشدة على شفتها، وهي تتخيل مثل هذا الوضع.

وأوضحت: «لكن كل ما لدي هو كلامك، لماذا يجب عليّ أن أصدق ما تقول؟ هل يوجد أساس أو سند لذلك؟».

هز الرجل رأسه: «معكِ حق. لا يوجد أي أساس أو سند. ما أقوله لك فقط. ولكنك رأيتِ قدراتي الخاصة قبل قليل. لا توجد أربطة لتلك الساعة، وهي ثقيلة جداً. اذهبي وانظري إليها بنفسك. هل تصدقين ما أقوله أو لا تصدقين؟ اختاري هذا الطريق أو ذاك. ليس لدينا وقت كثير».

نظرت أومامه إلى الساعة الموضوعة فوق الأدراج. عقاربها تشير إلى ما قبل التاسعة بقليل. بدا أن الساعة قد زحزحت من مكانها، وتميل إلى زاوية غريبة، بعد أن تم رفعها في الهواء ومالت مرة أخرى للخلف.

قال الرجل، «في هذه المرحلة من عام 1Q84، يبدو أنه لا سبيل لإنقاذكما معاً في وقت واحد. أمامكما احتمالان يجب أن تختارا من بينهما. أولهما، قد تموتين ويعيش تنغو. وثانيهما، قد يموت هو وتعيشين أنت. كما قلت من قبل، ليس هذا اختياراً مُرضياً».

«لكن ألا توجد أي احتمالات أخرى للاختيار من بينها».

هز الرجل رأسه: «في هذه اللحظة الراهنة، ليس لك إلا الاختيار من بين هذين».

ملأت أومامه رئتيها بالهواء وأخذت تطلق الزفير ببطء.

قال الرجل: «إن وضعك بالغ السوء. لو بقيتِ في عام 1984، لما كان لك أن تواجهي هذا الاختيار. ولكن في الوقت نفسه، لو بقيتِ في عام 1984، لما علمت غالباً أبداً أن تنغو ظلّ طوال هذه الفترة يتوق إلى لقائك. ولأنك نُقلت تحديداً إلى 1Q84، فقد

استطعت أن تعرفي هذه الحقيقة - حقيقة أن قلبيكما، بمعنى من المعاني، متضافران».

أغمضت أومامه عينيها. وقالت في نفسها، **لن أبكي. لم يحن وقت البكاء بعد.**

«أحقاً تنغو يشتاق إليّ؟ أتقسم على هذا دون خداع؟».

«حتى يومنا هذا، لم يحب تنغو أحداً من صميم قلبه سواك. هذه حقيقة. لا تحتمل أدنى درجة من الشك».

قالت: «لكنه لم يبحث عني مطلقاً».

«حسناً، وأنتِ لم تبحثي عنه مطلقاً. أليس صحيحاً؟».

أغمضت أومامه عينيها، وفي جزء من الثانية، استعرضت السنوات الطويلة وكأنها واقفة على حافة جرف شديد الانحدار، وترنو إلى مضيق أحد المحيطات البعيدة أسفل منها. كان بوسعها أن تشمّ رائحة البحر. وبوسعها أن تسمع تنهيدات الرياح العميقة.

وقالت: «كان ينبغي أن تتوفر لدى كل منا الشجاعة كي يبحث عن الآخر منذ مدة، على ما أظن. لو حدث ذلك، لأمكن أن يلتئم شملنا في العالم الأصلي».

قال الرجل: «نظرياً، ربما. لكنكما لم تكونا لتفكرا في شيء من هذا القبيل في عالم 1984. العلة والمعلول ترتبطان بهذه الطريقة بشكل ملتوي. حتى إذا جمعتِ العالم كله، فلن يتم فك هذا الالتواء أبداً».

فاضت الدموع من عيني أومامه. وبكت كل شيء فقدته. وبكت كل شيء توشك أن تفقده. وأخيراً، كم المدة التي تواصل خلالها بكاؤها؟ بلغت نقطة لم يعُد بوسعها أن تبكي فيها. جفّت دموعها، كما لو أن انفعالاتها قد ارتطمت بجدار غير مرئي.

قالت أومامه: «حسناً، إذاً. لا يوجد دليل ثابت. لم يثبت أي شيء. لا يمكنني أن أفهم كل التفاصيل. ولكن مع ذلك، يبدو أن عليّ أن أقبل عرضك. ونزولاً على رغبتك، سوف أزيلك من هذا العالم. سوف أمنحك موتاً فورياً ودون ألم حتى أُبقي على حياة تنغو».

«هذا يعني أنك توافقين على صفقتي، إذاً؟».

«نعم. أوافق».

قال الرجل: «قد تموتين نتيجة ذلك، هل تعرفين. سوف تطارَدين وتعاقَبين. وقد يكون العقاب رهيباً. إنهم متعصبون».

«لا يهمني».

«لأن لديك حبيب».

أومأت أومامه.

قال الرجل، «من دون حبك، يصبح العالم عرضاً صاخباً وزائفاً. مثلما تقول الأغنية».

«هل أنت واثق أن تنغو سوف يبقى حياً إذا قتلتك؟».

لزم الرجل الصمت مدة، ثم قال: «سوف يبقى حياً. يمكنك أن تثقي بكلامي. ويمكنني حتماً أن أقدم لك ذلك في مقابل حياتي».

قالت أومامه: «وحياتي أنا أيضاً».

قال الرجل: «بعض الأشياء لا تتم إلّا في مقابل حياة».

ضمَّت أومامه قبضتيها: «لكني، وحتى أكون صريحة، كنت أفضِّل أن أبقى على قيد الحياة ويلتئم شملي مع تنغو».

خيَّم صمت قصير على الغرفة. وحتى هزيم الرعد توقف. عمّ الصمت كلِ شيء.

قال الرجل بصوت هادئ: «ليته كان بوسعي عمل ذلك. لسوء الحظ، رغم ذلك، فإن هذا ليس متاحاً. لم يكن متاحاً في عام 1984 ولا هو متاح في 1Q84، بمعنى مختلف في كل حالة».

«لن يتقاطع مسارانا أبداً، أنا وتنغو، في عام 1984؟ هل هذا ما تودّ قوله؟»

«بالضبط. لن يجمعكما أي اتصال، ولكنكما على الأرجح سوف تظلان تفكران بعضكما في بعض حتى تصبحان عجوزين طاعنين في السن».

قالت: «ولكن في 1Q84 يمكنني أن أعرف على الأقل أنني سأموت من أجله».

أخذ الرجل نفساً عميقاً، ثم لم يقُل شيئاً.

قالت أومامه: «يوجد شيء واحد أريدك أن تخبرني به».

قال الرجل وهو مستلقٍ على وجهه: «إذا كان باستطاعتي».

«هل سيكتشف تنغو بطريقة أو بأخرى أنني مِت من أجله؟ أو لعله لن يعرف شيئاً أبداً عن ذلك؟».

فكر الرجل في السؤال مدة طويلة: «هذه ربما تعود إليك».

سألت أومامه بعبوس خفيف: «تعود إليّ؟ ماذا تقصد بذلك؟».

هز الرجل رأسه بهدوء: «قدركِ أن تمري بصعاب وتتعرضي لمحن كبيرة. وعندما تفعلين ذلك، يجب أن تكوني قادرة على رؤية الأشياء كما يُفترض أن تكون. هذا هو كلّ ما يمكنني قوله. لا أحد يعرف على وجه اليقين ماذا يعني الموت حتى يموت بالفعل».

تناولت أومامه منشفة وراحت تجفف بعناية الدموع التي ظلت عالقة بوجهها. ثم تفحصت كسارة الثلج وهي في يدها مرة أخرى كي

تتأكد أنّ طرفها المدبب لم ينكسر. وبإصبع السبابة اليمنى، بحثت مرة أخرى عن النقطة المميتة في مؤخر رقبة الرجل كما فعلت من قبل. استطاعت أن تعثر عليها على الفور، كانت قد نُقشت بوضوح في ذهنها. ضغطت على النقطة برقة بطرف إصبعها، كي تقيس مقاومتها، وتأكدت مرة أخرى أن حدسها لم يخطئ. أخذت عدة أنفاس بطيئة وعميقة، هدّأت من دقات قلبها وأعصابها المشدودة. يجب أن يكون رأسها صافياً تماماً. أزاحت كل أفكارها التي تدور حول تنغو في هذه اللحظة. الكراهية والغضب والارتباك والشفقة: كل ذلك عزلته عنها في مكان منفصل. الخطأ غير مقبول. كان عليها أن تركِّز انتباهها على الموت نفسه، كما لو كانت تركز شعاعاً ضوئياً ضيقاً.

قالت أومامه بهدوء: «لنُكمل مهمتنا. لا بد لي أن أزيلك من هذا العالم».

«وحينئذٍ يمكنني أن أخلف ورائي كلّ الألم الذي تعرضت له».

«أُترك وراءك كل الألم والناس الصغار والعالم المتحول وتلك الفرضيات . . . والحب».

قال الرجل كما لو أنه يحدِّث نفسه: «والحب. أنت محقة. كان لدي أناس أحبهم. ليُكمل كل واحد منا مهمته. كم أنتِ بارعة. أستطيع أن أجزم بذلك».

قالت أومامه: «وأنت، أيضاً». اكتسب صوتها شفافية غريبة تليق بمن يمنح الموت. «أنتَ، أيضاً، بكل تأكيد، شخص بارع للغاية، وخارق. أنا واثقة أنه لا بد أن هناك عالم لم يكن عليّ أن أقتلك فيه».

قال الرجل: «هذا العالم لم يعُد له وجود». كانت هذه آخر كلمات تلفظ بها.

هذا العالم لم يعد له وجود.

وجَّهت أومامه السن حادة إلى تلك النقطة الدقيقة في مؤخر رقبته. استجمعت كلّ تركيزها، وضبطت زاوية كسارة الثلج. رفعت قبضتها اليمنى في الهواء. وحبست أنفاسها، وانتظرت إشارة. قالت في نفسها، **لا حاجة لمزيد من التفكير. ليكمل كل واحد منا مهمته. هذا هو كل شيء. لا حاجة للتفكير، لا حاجة للتفسير. انتظري الإشارة فحسب.** كانت قبضتها صلبة وكأنها صخرة، وقد تجرَّدت من كل شعور.

خارج النافذة، كان الرعد الذي لا برق معه يدمدم بقوة متزايدة. قطرات المطر تضرب الزجاج. أصبح كلاهما في كهف قديم - كهف معتم ورطب وذي سقف وطيء. وأحاطت بمدخله وحوش وأرواح شريرة. للحظة عابرة، انصهر الضوء والظل من حولها في شيء واحد. وهبَّت دفقة ريح مجهولة عبر القناة البعيدة. كانت تلك هي الإشارة. أنزلت أومامه قبضتها بحركة واحدة قصيرة ودقيقة.

انتهى كل شيء في صمت. أطلقت الوحوش والأرواح نفساً عميقاً، وكسرت حصارها، وعادت إلى أدغال غابة فقدت قلبها.

الفصل الرابع عشر

تنغو
تضع الحزمة بين يديه

قالت فوكا-إري: «تعال إليّ وضمّني. يجب أن نذهب معاً إلى بلدة القطط مرة أخرى».

سألها تنغو: «أضمك؟».

سألته فوكا-إري دون نبرة استفهام: «لا تريد أن تضمني».

«لا، ليس هكذا. كل ما هنالك... أني لم أكن أفهم تماماً ما تقولين».

قالت له بنبرة رتيبة: «سيكون في ذلك تَطهيراً لك. تعال إلى هنا وضمني. البس بيجامة أنت أيضاً وأطفئ الأضواء».

انصياعاً لطلبها، أطفأ تنغو أنوار السقف في غرفة النوم. خلع ملابسه، وأخرج بيجامة له وارتداها. تساءل وهو يرتدي البيجامة، متى كانت آخر مرة غُسلت هذه؟ ولأنه لا يستطيع أن يتذكر ذلك، فلا بد أنها كانت منذ مدة. لحسن الحظ، لم تكن بها رائحة عرق. لم يكن تنغو يتعرق كثيراً مطلقاً، ولم يكن لديه رائحة جسم نفاذة. **ومع ذلك**، قال في نفسه، **يجب أن أغسل بيجامتي كثيراً. الحياة شديدة التقلب:**

ولا أحد يدري مطلقاً ماذا سيحدث غداً. وإحدى الطرق للتعامل مع ذلك هي أن تُبقي بيجامتك نظيفة.

صعد تنغو إلى السرير وبحذر شديد لفّ ذراعيه حول فوكا-إري، التي وضعت رأسها على ذراعه اليمنى. كانت ترقد في سكون، وكأنها كائن يوشك أن يدخل في طور السُبات. كان جسدها دافئاً وغضاً للغاية وبدا أعزل تماماً. ولكنها لم تكن متعرقة.

زادت قوة الرعد، والآن بدأ المطر ينهمر. وأخذت قطرات المطر، وكأنما اعتراها غضب عارم، تضرب بعنف زجاج النافذة. بدا الهواء رطباً ولزجاً، وبدا العالم وكأنما يشقّ طريقه نحو نهايته المظلمة. ربما هكذا كان يبدو الطوفان العظيم زمن نوح. إذا كان كذلك، فلا بد أنه كان أمراً مُكئباً بشدة أن توجد وسط عاصفة رعدية هوجاء سفينةٌ صغيرة وقد اكتظت بالأسود ووحيد القرن والثعابين، إلى آخره، وحُمل فيها من كلّ زوجين اثنين، وقد اعتادت جميعها طرائق عيش مغايرة، ومهارات الاتصال لديها محدودة، ولكل منها رائحة كريهة.

جعلت كلمة «زوجين» تنغو يفكر في «سوني وشير»، ولكن «سوني وشير» ليسا على الأرجح الزوجين الأكثر ملاءمة لأن يمثلا البشرية على سفينة نوح. ومع ذلك، فقد لا يكونان غير ملائمين تماماً، أيضاً.

لا بد أن هناك زوجين آخرين يمكنهما أن يمثِّلا عينة بشرية أكثر ملاءمة.

خامر تنغو شعور غريب لدى احتضانه فوكا-إري في الفراش هكذا، وهي ترتدي بيجامته، بل أحسّ كما لو كان يحتضن قطعة من نفسه، وكما لو كان يضم شخصاً يشاطره جسده ويماثله في رائحة جسمه ويتصل عقله بعقله.

تخيل تنغو أنهما قد أُختيرا كزوجين على متن سفينة نوح بدلاً من «سوني وشير». ولكنهما لا يمكن حتى أن يوصفا بأنهما العينة المثلى للبشرية. **إن مجرد احتضان كِلينا للآخر بهذه الطريقة في الفراش هو أبعد ما يكون عن الملاءمة، أيّاً كانت نظرتك لذلك**. حال التفكير بين تنغو وبين الشعور بالاسترخاء. قرر بدلاً من ذلك أن يتخيل «سوني وشير» وقد أصبحا صديقين مقرَّبين لزوجين من الثعابين على متن السفينة. كان تخيله تافهاً تماماً، ولكنه على الأقل أمكنه أن يخفِّف التوتر الذي يعتري جسده.

لم تكن فوكا-إري تقول أي شيء وهي بين ذراعي تنغو. ولم تكن تحرِّك فمها أو تفتحه. ولم يكن تنغو هو الآخر يقول أي شيء. ورغم احتضانه فوكا-إري في الفراش، فإنه لم يشعر تقريباً بأي أثر لما قد يُسمى رغبة جنسية. فالرغبة الجنسية لدى تنغو هي في جوهرها وسيلة للاتصال. ولذلك، كان البحث عن رغبة جنسية في مكان لا توجد فيه إمكانية للاتصال يبدو أمراً لا يليق. وأدرك أيضاً أن رغبته الجنسية لم تكن هي ما تصبو إليها فوكا-إري. فهي تصبو إلى شيء آخر لديه، ولكن أي شيء هذا، فذلك ما لا يستطيع معرفته.

وإذا نحينا الغاية من ذلك جانباً، فإن مجرد ضمه فتاة جميلة في السابعة عشرة من عمرها بين ذراعيه لم يكن عملاً بغيضاً على نفسه بالمرة. كانت أذنها تلامس خده من حين لآخر. وتلامس أنفاسُها الدافئة رقبته برفق. أما ثدياها فكانا كبيرين وصلبين على نحو لا يُتوقع لدى فتاة في نحافتها. كان يشعر بهما يضغطان على منطقة ما فوق المعدة. أما بشرتها فكانت تنبعث منها رائحة مدهشة. كانت رائحة الحياة المميَّزة التي لا تنبعث إلا من جسد لا يزال في طور التكوين، مثل رائحة زهور مبللة بالندى في منتصف الصيف. كان غالباً ما يشم

هذه الرائحة وهو طالب في المدرسة الابتدائية في طريقه إلى تمارين الصباح الباكر التي تُبث عبر الإذاعة.

وقال في نفسه، **آمل ألا يحدث لي انتصاب**. إذا حدث له انتصاب، فسوف تشعر بذلك على الفور، بسبب الوضعية التي يتخذانها. إذا حدث ذلك، فسوف يعرِّضه لشيء من الحرج. بأي كلمات، وبأي سياق يمكن أن يشرح لفتاة في السابعة عشرة أن الانتصاب قد يحدث هكذا في بعض الأحيان، حتى عندما لا تحركه مباشرة أي رغبة جنسية؟ لحسن الحظ، مع ذلك، فإن الانتصاب لم يحدث حتى الآن، كما لم يجد أي علامة تنبئ به. وقال في نفسه، **يجب أن أتوقف عن التفكير في الروائح. يجب أن أصرف تفكيري إلى أشياء بعيدة كلّ البُعد عن الجنس**.

راح يفكر مرة أخرى في العلاقة بين سوني وشير من ناحية وبين الثعبانين الاثنين. هل سيجدون أي شيء يتحدثون عنه؟ وإذا وجدوا، فأي شيء ذلك يا تُرى؟ وأخيراً، عندما عجز عن تخيل السفينة أثناء العاصفة، حاول أن يضرب أعداداً ثلاثية الأرقام. كان غالباً ما يفعل ذلك أثناء ممارسته الجنس مع صديقته التي تكبره سناً. كان ذلك يمكِّنه من تأخير لحظة القذف (لا سيما وأنها كانت شديدة الصرامة فيما يخص لحظة القذف). لم يكن تنغو يعرف إن كان هذا سوف يمنع الانتصاب أيضاً، ولكنه كان أفضل من ألّا يفعل أي شيء. فقد كان عليه أن يفعل شيئاً.

قالت فوكا-إري كما لو كانت اطلعت على ما يدور بخاطره: «لا أمانع إذا انتصب».

«لا تمانعين؟».

«لا عيب في ذلك».

قال تنغو مردداً كلماتها: «لا عيب في ذلك»، وقد بدا وكأنه طفل في مدرسة ابتدائية في حصة التربية الجنسية. «**والآن، يا أولاد، لا شيء يُعيب أو يسيء في أن يحدث لديكم انتصاب. ولكن بالطبع عليكم أن تختاروا الأوقات والظروف الملائمة**».

سألها تنغو كي يغير موضوع الكلام: «إذاً، وعلى أي حال، هل بدأ التطهير؟».

لم تجبه فوكا-إري. كان يبدو أن أُذنها الصغيرة والجميلة لا تزال تحاول أن تتسمع شيئاً من دمدمة الرعد. كان بوسع تنغو أن يجزم بذلك، ولذلك قرر ألا يقول أكثر من ذلك. وتوقف أيضاً عن محاولة ضرب أعداد ثلاثية الأرقام. قال في نفسه، **إذا لم تكن فوكا-إري تمانع، فأي فرق إذا حدث لي انتصاب؟** وعلى أي حال، فإن قضيبه لم يظهر أي علامات على الحركة. حتى الآن، كان يرقد في الوحل في هدوء تام.

كانت صديقته التي تكبره سناً قد قالت له ذات يوم: «يُعجبني عضوك. يعجبني شكله ولونه وحجمه».

قال تنغو: «لست مهووساً به إلى هذا الحدّ».

سألته: «ولماذا لا؟»، ثم وضعت راحة يدها تحت قضيبه المرتخي كما لو كانت تتحسس بها حيواناً أليفاً أثناء نومه، كي تتبين وزنه.

قال تنغو: «لا أدري. ربما لأنني لم أختره بنفسي».

قالت: «أنت غريب. وطريقتك في التفكير غريبة».

لقد حدث ذلك في قديم الزمان. قبل طوفان نوح، ربما.

كانت أنفاس فوكا-إري الدافئة تخرج دون صوت وتمسّ عنق

تنغو مساً خفيفاً بإيقاع منتظم. كان تنغو يستطيع أن يرى أذنها في الضوء الأخضر الخافت المنبعث من الساعة الكهربائية أو عبر وميض البرق الذي يظهر من حين لآخر، والذي بدأ أخيراً. بدت الأذن مثل كهف سري منخفض. وقال تنغو في نفسه، **لو كانت هذه الفتاة عشيقتي، ما كنت لأسأم أبداً من تقبيلها في هذا الموضع. وأثناء مضاجعتها كنت سوف أُقبِّل تلك الأذن، وأقوم بعضِّها عضاً خفيفاً، وأُمرِّر لساني عليها، وأنفث أنفاسي فيها، وأستنشق عبيرها، لكن هذا لا يعني أنني أريد عمل ذلك الآن.** لم يكن ذلك سوى خيالٍ عابر يقوم على محض فرضية حول ما كان سيفعله لو كانت عشيقته. وأخلاقياً، لم يكن ذلك بشيء يُخجل منه - غالباً.

ولكن سواء أكان ذلك ينطوي على جانب أخلاقي أو لا، فإنه ما كان ينبغي أن يفكر فيه. بدأ قضيب تنغو يستيقظ من رُقاده الهادئ في الوحل، كما لو كان قد نُخز بإصبع في ظهره. تثاءب ورفع رأسه ببطء، وبدأت صلابته تزداد شيئاً فشيئاً، وكأنه قارب امتلأت أشرعته برياح شمالية غربية قوية تأتيه من الخلف، حتى حقق انتصاباً كاملاً وصريحاً. ونتيجة ذلك، لم يكن لقضيبه المتصلب إلّا أن يصطدم بفخذ فوكا-إري. أطلق تنغو تنهيدة ذهنية حارة. لم يكن قد مارس الجنس منذ أكثر من شهر بعد اختفاء صديقته. لعل ذلك هو السبب. كان ينبغي له أن يستمر في ضرب الأعداد ثلاثية الأرقام.

قالت فوكا-إري: «لا تُزعج نفسك. الانتصاب شيء طبيعي».

قال تنغو: «أشكرك. ولكن ربما كان الناس الصغار يراقبون».

«يراقبون فحسب. أما عدا ذلك فلا يمكنهم عمل شيء».

قال تنغو بصوت مرتبك: «حسناً. ولكنني أشعر بالضيق حينما أجدني مراقَباً».

مرة أخرى شقت صاعقةُ برقٍ السماء إلى شطرين، وكأنها ستارة قديمة تتمزق، وأحدث الرعد هزة عنيفة في زجاج النافذة وكأنه يحاول فعلاً أن يهشمه. قد لا يمضي وقتٌ طويل حتى يتكسر الزجاج، أو هكذا بدا. كان للنافذة إطار من الألومنيوم القوي، ولكنه قد لا يصمد إذا استمرت هذه الهزات الشرسة. ظلت قطرات المطر الكبيرة والقوية تضرب الزجاج وكأنها طلقات نارية تصيب غزالاً.

قال تنغو: «يبدو أن الصواعق تكاد لا تتحرك. وعواصف البرق لا تستمر عادة كل هذا الوقت».

نظرت فوكا-إري في السقف. «سوف تظل هكذا مدة».

«كم هذه المدة؟».

لم تجبه فوكا-إري. ظلّ تنغو يحتضن فوكا-إري فيما يساوره بعض القلق، وبقي سؤاله دون جواب وانتصابه عديم الفائدة.

قالت فوكا-إري: «سوف نذهب إلى بلدة القطط مرة أخرى. لذلك يجب أن ننام».

قال تنغو بقلق: «هل تظنين أننا نستطيع النوم وسط هذا الرعد المتواصل؟ والساعة لم تتجاوز التاسعة إلا بقليل».

أجرى تنغو صيغاً رياضية في رأسه. كانت مسألة تتعلق بصيغ رياضية طويلة ومعقدة، ولكنه كان يعلم الجواب بالفعل. كانت المهمة هي أن يتبين مدى السرعة وقصر طريقته التي يمكن أن توصله إلى الجواب. بدأ من فوره في تشغيل ذهنه حتى أنهك خلايا دماغه. ولكن ذلك لم يخفف شيئاً من انتصابه الذي بدا أنه لا يزداد إلا صلابة.

قالت فوكا-إري: «نستطيع أن ننام».

وكانت محقة. فرغم المطر المنهمر بشدة، ورغم الرعد الذي

يرتج له المبنى، ورغم أعصابه الثائرة وانتصابه العنيد، دخل تنغو في النوم دون أن يشعر. لم يكن يصدق أن هذا الشيء ممكن، ولكن. . .

وقبل أن يروح في النوم بلحظات، قال تنغو في نفسه، **يا لها من فوضى عارمة. يجب أن أعثر على أقصر طريق إلى الحل. الوقت ينفد، ولا يوجد سوى فراغ صغير في ورقة الامتحان التي وزعوها.**

تيك، توك، تيك، توك، هكذا كانت الساعة تحصي الوقت في خضوع.

ألفى نفسه عارياً عندما استيقظ، وكذلك وجد فوكا-إري. عارية تماماً وكلياً. كان ثدياها يأخذان شكل نصفي كرة متماثلين. أما حلمتاها فلم يكونا كبيرتين أكثر ممّا ينبغي، وكانتا طريتين، ولا تزالان تتلمسان بهدوء طريقهما نحو النضج الموعود. ومع ذلك، كان ثدياها نفسيهما كبيرين ومكتملي النضج. وبدا أنهما لا يتأثران تقريباً بقوة الجاذبية، فقد اتجهت حلمتاها بشكل جمالي إلى أعلى، وكأنهما غصنين جديدين لكرمة عنب ينشدان ضوء الشمس. أما الشيء التالي الذي تنبه له تنغو فهو أن فوكا-إري لم ينبت لديها شعر عانة. وحيثما كان ينبغي أن ينمو شعر العانة لم يجد سوى جلد عارٍ أبيض اللون وناعم الملمس، يؤكد بياضه حقيقة كونها عزلاء تماماً. باعدت ما بين فخذيها، فكان بوسعه أن يرى مهبلها. وجده مثل الأذن التي كان يحدِّق فيها، بدا وكأنه لم يُخلق إلا منذ لحظات. ولعله قد خُلق فعلاً قبل لحظات. وقال تنغو في نفسه، **أُذن طازجة ومهبل طازج ويبدوان متشابهين إلى حد كبير.** كان يبدو أنهما يتجهان إلى الخارج، يحاولان إرهاف السمع إلى شيء ما، شيء مثل جرس بعيد.

انتبه تنغو، **كنت نائماً**. كان قد نام وقضيبه لا يزال منتصباً.

وحتى الآن كان الانتصاب قوياً. هل ظلّ الانتصاب كما هو طوال نومه؟ أو لعله انتصاب جديد جرى، بعد ارتخاء الانتصاب الأول (مثل الولاية الثانية لرئيس الوزراء فلان الفلاني)؟ **كم كانت مدة نومي؟ ولكن أي فرق؟ لا يزال منتصباً حتى الآن، ولا توجد علامة على خموده. لا سوني ولا شير ولا ضرب الأعداد ثلاثية الأرقام ولا الصيغ الرياضية المعقدة أفلحت في إخماده.**

قالت فوكا-إري: «لا مانع لدي». كانت قد باعدت ما بين فخذيها وراحت تضغط بمهبلها الطازج على بطنه. لم يلمس أي أثر للحرج لديها. «الانتصاب ليس عملاً سيئاً».

قال: «لا أستطيع أن أحرك جسمي». وكان هذا صحيحاً. كان يحاول أن يرفع نفسه، لكنه لم يستطع أن يحرك إصبعاً. كان يشعر بجسمه ويشعر بوزن جسم فوكا-إري فوق جسمه، ويشعر بقوة انتصابه، ولكن جسمه كان ثقيلاً ومتيبساً وكأنه مشدود إلى شيء.

قالت فوكا-إري: «لستَ بحاجة إلى أن تحركه».

قال تنغو: «بل أنا بحاجة إلى أن أحركه. إنه جسدي».

لم ترد فوكا-إري بشيء على ذلك.

لم يستطع تنغو حتى أن يتأكد ممّا إذا كان ما يقوله يتردد في الهواء كأصوات مسموعة. لم يكن لديه إحساس واضح بأن عضلات فمه تتحرك وتتلفظ بالكلمات التي يحاول النطق بها. كانت الأشياء التي يريد أن يقولها تصل إلى فوكا-إري تقريباً، على ما يبدو، ولكن محادثتهما كانت موضع شك مثل اتصال هاتفي خارجي رديء الجودة. كانت تستطيع، على الأقل، أن تتواصل معه دون أن تسمع ما لم تكن بحاجة إلى سماعه. ولكن ذلك لم يكن ممكناً لدى تنغو.

قالت فوكا-إري وهي تحرك جسدها كي يصبح أسفل جسده: «لا

تقلق». كان المغزى من تحركها واضحاً. كانت عيناها قد اكتسبت ألقاً معيناً، لم يكن قد رأى مثيله من قبل.

بدا أنه من غير المعقول أن يولج قضيبه مكتمل النمو في مهبلها الصغير الطازج. كان كبيراً جداً وصلباً جداً. ولا بد أن الألم سيكون رهيباً. لكنه ودون أن يشعر، وجده كله داخلها. لم يجد أي مقاومة. ظلت تعبيرات وجهها دون أي تغيير وهي تولجه داخلها. اضطربت أنفاسها قليلاً، وتغير الإيقاع الذي يرتفع به ثدياها وينخفضان تغيراً طفيفاً لخمس أو ست ثوان، ولكن هذا هو كل ما جرى. أما كل شيء عدا ذلك فقد بدا وكأنه عمل طبيعي وعادي في الحياة اليومية.

بعد أن أدخلت تنغو في أعماقها، بقيت فوكا-إري ساكنة تماماً، وهو ما فعله تنغو عندما أحسّ بنفسه في أعماقها. ظلّ هو عاجزاً عن تحريك جسده، فيما توقفت هي عن الحركة وهي مغمضة عينيها وتعتليه مثل مانعة صواعق. كان بوسعه أن يرى فمها مفتوحاً قليلاً فيما تصدر عن شفتيها حركات دقيقة ومرتعشة، وكأنما تتحسسان الفراغ كي تتلفظا بكلمات معينة. وعدا ذلك، لم تصدر عنها أي حركة أخرى على الإطلاق. كان يبدو أنها تحافظ على هذه الوضعية في انتظار حدوث شيء ما.

اجتاح تنغو شعورٌ غامر بالعجز. ورغم أن شيئاً ما كان يوشك أن يقع، فإنه لم يكن لديه أدنى فكرة عمّا قد يكونه ذلك الشيء، ولم يكن يدري كيف يسيطر عليه بإرادته. فقدَ شعوره بجسده. وفقد القدرة على الحركة. ولكن قضيبه ظلّ لديه شعور أو، بدلاً من الشعور، ما قد يكون صورة. وأيّاً كان ذلك، كانت تخبره أنه أولِج داخل فوكا-إري وأنه قد حقق انتصاباً كاملاً. أمَا كان ينبغي أن يرتدي واقياً ذكرياً؟ بدأ القلق يساوره. قد يقع في مشكلة كبيرة إذا حملت منه. كانت صديقته

التي تكبره سناً صارمة للغاية بشأن منع الحمل، وقد دربت تنغو أن يكون في مثل صرامتها.

حاول بكل ما في وسعه أن يصرف تفكيره إلى أمور أخرى، فلم يستطع التفكير في أي شيء على الإطلاق. تلبَّسته حالة من الفوضى. وداخل تلك الفوضى، بدا وكأن تدفق الزمن قد توقف. ولكن الزمن لم يتوقف قطّ. هذا محال نظرياً. لعله فقد تجانسه فحسب. وبرؤية بعيدة المدى، فإن الزمن يمضي إلى الأمام بإيقاع ثابت. وهذا لا يَرقى إليه شك. ولكنك حالما تفكر في أي جزء بعينه من الزمن، فقد يفقد تجانسه. وفي هذه الأوقات العابرة من الخمول، قد تفقد أشياء مثل النظام والاحتمال كل قيمة لها.

قالت فوكا-إري: «تنغو». لم تكن قد نادته باسمه الأول من قبل. قالته مرة أخرى: «تنغو»، كما لو أنها تتدرب على نطق كلمة أجنبية. تساءل تنغو في نفسه، **لماذا تناديني باسمي هكذا فجأة؟** مالت فوكا-إري عندئذٍ إلى الأمام ببطء، حتى دنا وجهها من وجهه. فرجت شفتيها اللتين كانتا مفتوحتين قليلاً، وأدخلت لسانها الطري العبق في فمه، حيث بدأت بحثاً لا يهدأ عن كلمات لم تتشكل، وعن شفرة سرية نُقشت هناك. استجاب لسان تنغو لا إرادياً لهذه الحركة، وسرعان ما أصبح اللسانان مثل ثعبانين صغيرين وسط حديقة خضراء، وقد استيقظا لتوهما من سُباتهما ويتشابكان من الجوع، وتقود كل منهما رائحة الآخر.

مدَّت فوكا-إري يدها اليمنى وقبضت على يد تنغو اليسرى. قبضت عليها بشدة، كما لو أنها تغلف يده بيدها. انغرزت أظافر أصابعها الصغيرة في راحة يده. وكي تنهي قبلتهما الحارة، اعتدلت وهي تقول: «أغمض عينيك».

فعل تنغو كما طُلب منه. ألفى داخل عينيه المغمضتين فضاء عميقاً وقاتماً - ويبدو وكأنه يمتد حتى مركز الأرض.

ثم انبلج في هذا الفضاء ضوء يُذكِّره بضوء الغسق، ذلك النوع الجميل من الغسق الذي يستثير مشاعر الحنين إلى الماضي ويأتي في نهاية يوم طويل للغاية. كان بوسعه أن يرى مقطعاً عرضياً يشبه جزيئات دقيقة لا حصر لها، ربما يكون غباراً أو حبوب لقاح، أو شيئاً مغايراً تماماً. وفي النهاية بدأت الأعماق تنكمش، وبدأ الضوء يزداد سطوعاً، ودخلت الأشياء المحيطة مجال الرؤية.

كان الشيء التالي الذي عرفه هو أنه كان في العاشرة من عمره وداخل أحد فصول المدرسة الابتدائية. كان هذا وقت حقيقي ومكان حقيقي. وكان الضوء حقيقياً، وكذلك نفسه ذات العشر سنوات. كان يتنفس فعلاً هواء الفصل الدراسي، ويشم رائحة أثاثه الخشبي المطلي وغبار الطباشير العالق في الممسحة. لم يكن في الفصل سواه والفتاة. لا أثر لأطفال آخرين. سارعت باغتنام الفرصة وفعلت ذلك بجرأة. أو ربما كانت في انتظار حدوث ذلك. على أي حال، مدت يدها اليمنى وهي واقفة هناك وأمسكت بيد تنغو اليسرى، فيما كانت عيناها تحدق مباشرة في عينيه.

شعر بجفاف فمه. حدث كل ذلك فجأة، لم يكن يدري ماذا ينبغي له أن يفعل أو يقول. اكتفى بالوقوف هناك، تاركاً يده في قبضة الفتاة تعتصرها. وفي النهاية، شعر بخفقان خافت وإن كان عميقاً في عمق خاصرته. لم يكن ذلك بالشيء الذي اختبره من قبل، خفقان يشبه هدير بحرٍ يُسمَع من بعيد. وفي الوقت نفسه تناهت إلى سمعه أصوات حقيقية - صياح أطفال يُدوي عبر النافذة المفتوحة، وكرة قدم تُركل ومضرب يضرب كرة سوفتبول، وشكاوى عالية النبرة لفتاة في

أحد صفوف الأطفال الأصغر سناً، ونغمات أسطوانة موسيقية غير مؤكدة أثناء التدريب على أغنية The Last Rose of Summer «آخر وردة في الصيف» ضمن أنشطة ما بعد المدرسة.

أراد أن يرد قبضة الفتاة بقوة مساوية، ولكنه لم يجد في يده قوة. وأحد أسباب ذلك هو القوة البالغة التي كانت عليها قبضة الفتاة. ولكن تنغو أدرك أيضاً أنه لا يقدر على تحريك جسمه. لماذا يجب أن يحدث ذلك؟ كان لا يستطيع أن يحرك ساكناً، كما لو كان مشلولاً تماماً.

قال تنغو في نفسه، يبدو أن تدفق الزمن قد توقف. أخذ يتنفس بهدوء، ويستمع إلى أنفاس شهيقه وزفيره. كان البحر يواصل هديره. وفجأة أدرك أن كل الأصوات الحقيقية قد توقفت. وتحول الخفقان في خاصرته إلى مكان آخر، شيء أكثر محدودية، ثم سرعان ما شعر بخدار من نوع معين. وتحول الخدار بدوره إلى مادة دقيقة مثل غبار امتزج بدمه الأحمر الساخن، الذي يجري في عروقه وصولاً إلى جميع أجزاء جسمه، مدفوعاً بقوة قلبه الكادح. تكوَّن في صدره شيء كثيف وضئيل يشبه سحابة، ما غيَّر إيقاع أنفاسه وقوَّى دقات قلبه.

قال تنغو في نفسه، **أنا متأكد أني سوف أفهم يوماً معنى هذا الحدث ومغزاه. ما يجب عليّ الآن، من أجل تحقيق ذلك، هو أن أسجل هذه اللحظة في ذهني كأوضح وأدق ما يكون.** أصبح تنغو الآن مرة أخرى صبياً لا يتجاوز العاشرة من عمره وتصادف أن يكون بارعاً في الرياضيات. وجد نفسه إزاء باب جديد، ولكنه لم يكن يعرف ماذا ينتظره وراء الباب. شعر بأنه خائر القوى، ومضطرب، ولم يداخله أي شعور بالخوف. أدرك كل ذلك. أما الفتاة فلم تكن تأمل أن يفهمها في تلك اللحظة. كل ما كانت تريده هو أن تتأكد أنها

أوصلت مشاعرها إلى تنغو، معبأة في علبة صغيرة قوية، وقد غُلِّفت بورق نظيف، ورُبطت بشريط رفيع. وكانت تضع الحزمة بين يديه.

كانت الفتاة تقول له دون أن تنطق، **ليس عليك أن تفتح الحزمة الآن. افتحها عندما يحين الوقت. كل ما عليك فعله هو أن تأخذها الآن.**

قال تنغو في نفسه، **إنها تعرف بالفعل كل شيء**. كانت هذه أشياء لم يعرفها هو نفسه حتى الآن. كانت هي الرائدة في هذا المجال الجديد. توجد قواعد جديدة هنا، وأهداف جديدة ومحركات جديدة. لم يكن تنغو يعرف شيئاً. ولكنها تعرف.

وأخيراً حررت يده اليسرى من قبضة يدها اليمنى، ودون أن تقول أي شيء أو تنظر وراءها، انطلقت مسرعة خارج الصف الدراسي الكبير . وقف تنغو هناك وحده. كان دوي أصوات الأطفال يأتيه عبر النافذة المفتوحة.

في الثانية التالية، انتبه تنغو إلى أنه يقذف. استمر التشنج العنيف عدة ثوان. أطلق في دفقة واحدة كمية كبيرة من سائله المنوي. تساءل عقل تنغو المشوش، **إلى أين يذهب سائلي المنوي؟** لم يكن القذف على هذا النحو بعد المدرسة وداخل أحد الصفوف الدراسية عملاً لائقاً. يمكن أن يقع في ورطة إذا رآه أحد. ولكنه لم يكن صفاً دراسياً. أدرك الآن أنه كان داخل فوكا-إري، ويقذف نحو رحمها. لم يكن يرغب في ذلك. ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه. كان كلّ ما يحدث، يحدث خارج نطاق إرادته.

قالت فوكا-إري بعد ذلك بوقت قصير بصوتها الرتيب المعهود: «لا تقلق. لن أحمل. فأنا لم أحِض بعد».

فتح تنغو عينيه ونظر في فوكا-إري. كانت لا تزال تعلوه، وهي تنظر إلى أسفل. وكان ثدياها الفاتنان يتدليان أمامه، ويتحركان مع كل نفس هادئ ومنتظم.

كان تنغو يريد أن يسألها عمّا إذا كان ذلك ما يعنيه «الذهاب الى بلدة القطط». أي نوع من الأماكن كانت بلدة القطط؟ حاول أن يصيغ السؤال في كلمات فعلية، ولكن عضلات فمه لم تتحرك.

قالت فوكا-إري كما لو أنها تقرأ ما يدور بعقله: «كان هذا ضرورياً». وكعادتها، كان جواباً مقتضباً ولا جواب على الإطلاق.

أغمض تنغو عينيه مرة أخرى. لقد ذهب إلى هناك، وقذف، ثم عاد إلى هنا مرة أخرى. كان قذفاً حقيقياً يخرج سائلاً منوياً حقيقياً. إذا كانت فوكا-إري قد قالت إنه ضروري، فقد كان حتماً ضرورياً. كان جسد تنغو لا يزال مشلولاً وفاقداً للشعور. وغلَّف جسدَه الخمولُ الذي يعقب القذف وكأنه غشاء رقيق.

بقيت فوكا-إري على وضعها مدة، حتى تعتصر آخر قطرة من مائه، وكأنها حشرة تمتص رحيق زهرة. لم تدع فيه قطرة واحدة. وعندئذٍ تركت قضيب تنغو، دون أن تنبس بكلمة، ثم غادرت الفراش ومضت إلى الحمَّام. أدرك تنغو الآن أن الرعد قد توقف. كان المطر العنيف أيضاً قد توقف فجأة. وتلاشت السحب الرعدية، التي بقيت فوقهم بعناد، الآن وتلاشى كل أثر لها. كان السكون ليس حقيقياً تقريباً. لم يعُد يتناهى إلى سمعه سوى الصوت الخافت لاستحمام فوكا-إري في الحمّام. حدق تنغو في السقف، في انتظار عودة الشعور إلى جسده. حتى بعد القذف، كان قضيبه لا يزال منتصباً، وإن كانت صلابته على الأقل قد خفّت إلى حدٍّ ما.

كان بعض عقله لا يزال في الصف الدراسي. وبقي أثر لمسة

أصابع الفتاة حياً على يده اليسرى. لم يكن يستطيع أن يرفع يده كي ينظر في هذا الأثر، ولكن راحة يده هذه ظلّت تحمل علامات حمراء من أثر أظافر أصابعها. احتفظت دقات قلبه بآثار هذه الشهوة. تلاشت السحابة الكثيفة من صدره، ولكن مكانها الوهمي قرب قلبه كان لا يزال يصرخ من ألمها اللذيذ.

قال تنغو في نفسه،

أومامه. يجب أن أرى أومامه. يجب أن أعثر عليها. لماذا استغرقت كل هذا الوقت الطويل حتى أدرك شيئاً بالغ الوضوح؟ إنها هي مَن سلَّمتني هذه الحزمة الثمينة. لماذا وضعتها جانباً وتركتها دون فتحها كل هذا الوقت؟ همَّ أن يهز رأسه، ولكن ذلك كان شيئاً لا يستطيعه. لم يكن جسده قد تعافى بعد من الشلل.

عادت فوكا-إري إلى غرفة النوم بعد وقت قصير. لفَّت نفسها بمنشفة الحمّام، وجلست على حافة السرير بعض الوقت.

قالت: «إن الناس الصغار لا يتحركون الآن»، كانت تشبه عضواً في فريق كشافة هادئ الأعصاب ومتمكن وقد راح يتحدث عن الأوضاع في الجبهة. ثم استخدمت إصبعها كي ترسم دائرة صغيرة في الهواء - دائرة مثالية وجميلة تشبه تلك التي قد يرسمها رسام من عصر النهضة الإيطالية على جدار كنيسة: لا بداية لها ولا نهاية. تتدلى الدائرة في الهواء بعض الوقت. «تمَّت المهمة».

بعد أن قالت ذلك، نهضت الفتاة وفكت منشفة الحمام. أصبحت عارية تماماً، وبقيت هكذا بعض الوقت، كما لو أنها تسمح لجسدها المبلل بأن يجف بشكل طبيعي في الهواء الساكن. كان مشهداً جميلاً: الثديان الناعمان، والجزء السفلي من البطن الخالي من شعر العانة.

انحنت والتقطت بيجامة كانت قد سقطت أرضاً، ثم ارتدتها مباشرة دون أي ملابس داخلية، زررت الجزء العلوي وربطت الحزام السفلي. شاهد تنغو كل ذلك في الغرفة المعتمة، وكأنه يتفحص حشرة تمر بطَور من التحوّل. كانت بيجامة تنغو فضفاضة عليها للغاية، ولكن بدا أنها تشعر بارتياح فيها. انسلت فوكا-إري إلى السرير، ووجدت مكانها الضيق، وأراحت رأسها على كتف تنغو. كان يشعر بشكل أذنها الضئيلة على كتفه العاري وأنفاسها الحارة على قاعدة عنقه. وأثناء ذلك، بدأ الشلل يتلاشى لديه، مثلما ينحسر المدّ عندما يحين الموعد.

كان الهواء لا يزال رطباً ولكنه لم يعد بتلك اللزوجة غير المستحبة. وكانت الحشرات في الخارج قد بدأت في النقيق. وكان الانتصاب لدى تنغو قد خمد الآن وبدأ قضيبه يغوص في الوحل الساكن مرة أخرى. كان يبدو أن الأمور تأخذ مجراها، وتكمل الدورة إلى نهايتها. واكتملت الدائرة التي رُسمت في الهواء. وغادرت الحيوانات السفينة وانتشرت في أرجاء الأرض التي كانت تتوق إليها، وعاد كل زوج منها إلى المكان الذي كان يسكنه.

قالت: «يجدر بك أن تنام نوماً عميقاً».

قال تنغو في نفسه، **أنام نوماً عميقاً. أنام ثم أستيقظ. تُرى أي عالم سيكون موجوداً غداً؟**

قالت فوكا-إري وهي تقرأ أفكاره: «هذا سؤال لا أحد يعرف جوابه».

الفصل الخامس عشر

أومامه

حان الآن موعد الأشباح

تناولت أومامه غطاءً إضافياً من خزانة الملابس ومدَّته فوق جثمان الرجل الضخم. ثم وضعت إصبعاً على مؤخر رقبته مرة أخرى، وتأكدت أن نبضه قد توقف تماماً. هذا الرجل الذي يسمونه «الزعيم» قد رحل فعلاً إلى عالم آخر. من أي نوع هو ذلك العالم، هذا ما لا يمكنها الجزم به، ولكنه قطعاً ليس عالم 1Q84. في هذا العالم، أصبح الآن ما يمكن تسميته بـ«الراحل». لقد اجتاز الرجل العتبة الفاصلة بين الحياة والموت، وقد فعل ذلك دون أدنى صوت، ولم تصدر عنه سوى رجفة عابرة، كما لو كان قد شعر بقشعريرة. ولم تسِل منه قطرة دم واحدة. والآن تحرر من كل ألوان المعاناة، وهو يرقد صامتاً وميتاً، ووجهه للأرض على بساط يوجا أزرق اللون. كدأبها دائماً، جاء عملُها سريعاً ودقيقاً.

وضعت الغطاء الفليني على الإبرة وأعادت كسارة الثلج إلى الحاوية المعدنية. ثم وضعت الحاوية في الحقيبة الرياضية. أخرجت المسدس من جرابه الفليني ووضعته تحت حزام بنطالها، بعد أن حررت الأمان وأرسلت رصاصة إلى حجرة الإطلاق. كانت ملامسة

المعدن الصلب لعمودها الفقري يبعث على الطمأنينة لديها. مشت نحو النافذة، وأسدلت الستارة السميكة فأظلمت الغرفة مرة أخرى.

حملت الحقيبة الرياضية ومضت نحو الباب. وبينما كانت يدها على مقبض الباب، استدارت كي تلقي نظرة أخيرة على الرجل الضخم المُسجى في الغرفة المظلمة. لم يكن يبدو إلا أن نوماً عميقاً قد غشيه، مثلما كان عندما رأته أول مرة. كانت أومامه هي الشخص الوحيد في العالم الذي يعلم أنه لم يعد على قيد الحياة. لا، ربما كان الناس الصغار يعرفون، ولذلك أوقفوا الرعد. عرفوا أنه لا جدوى من الاستمرار في إرسال هذه التحذيرات. فقد بلغت حياة وسيطهم المختار منتهاها.

فتحت أومامه الباب ودخلت إلى الغرفة المضيئة، وهي تحاول أن تُجنب عينيها الوهج. أغلقت الباب دون أن تُحدث صوتاً. كان حليق الرأس جالساً على الأريكة، يحتسي قهوة. وعلى المنضدة وُضع وعاء للقهوة وصينية كبيرة لخدمة الغرف وعليها مجموعة شطائر أُكل نصفها. وبالقرب يوجد فنجانا قهوة لم يستخدمهما أحد. أما ذيل الحصان فكان يجلس على كرسي روكوكو بجانب الباب، معتدل الظهر، كما كان من قبل. كان يبدو كما لو أن الرجلين قد أمضيا الوقت كله في الوضعية نفسها، دون أن يتحدثا في شيء. كانت تلك هي الأجواء المتحفظة التي سادت الغرفة.

عندما دخلت أومامه، وضع حليق الرأس فنجان القهوة على طبقه ونهض واقفاً بهدوء.

قالت أومامه: «لقد انتهيت. إنه نائم الآن. استغرق الأمر مني وقتاً. أعتقد أن ذلك كان شاقاً على عضلاته. يجب أن تتركاه ينال قسطاً من النوم».

«هل هو نائم؟».

قالت أومامه: «في نوم عميق جداً».

نظر حليق الرأس مباشرة في وجه أومامه. حدَّق بشدة في عينيها. وببطء نقل تحديقته لأسفل حتى وصل إلى أصابع قدميها ومن أسفل إلى أعلى مرة أخرى، كما لو أنه يتحرى أي تقصير محتمل.

«هل هذا طبيعي؟».

«أناس كثيرون يستجيبون بهذه الطريقة، ويدخلون في نوم عميق بعد أن يتحرروا من الإجهاد العضلي الشديد. هذا ليس أمراً غير مألوف».

مشى حليق الرأس صوب باب غرفة النوم، وأدار مقبض الباب بهدوء، وفتحه بما يكفي لأن يطل برأسه إلى الداخل. أسندت أومامه يدها اليمنى إلى خصر سروالها الرياضي حتى يتسنى لها أن تستلّ المسدس في أسرع وقت ممكن إذا جرى شيء. بقي الرجل نحو عشر ثوانٍ يستطلع الوضع في غرفة النوم، وأخيراً أخرج وجهه وأغلق الباب.

سأل أومامه: «إلى متى تعتقدين أنه سوف ينام؟ لا يمكننا أن نتركه راقداً على الأرض هكذا إلى الأبد».

قالت: «ينبغي أن يستيقظ في غضون ساعتين أو نحو ذلك. سيكون من الأفضل أن تتركه في هذا الوضع حتى ذلك الحين».

نظر حليق الرأس في ساعته، ثم أومأ إلى أومامه إيماءة خفيفة.

قال: «أفهم ذلك. سنتركه على هذا الحال بعض الوقت. هل ترغبين في الاستحمام؟».

«لا حاجة لي بالاستحمام، ولكن اسمح لي أن أُبدل ملابسي مرة أخرى».

«بالطبع. من فضلك استخدمي حمّام السيدات».

كانت أومامه تفضل ألّا تبدل ملابسها وأن تخرج من هناك على وجه السرعة، ولكن كان عليها ألا تثير شكوكهما. كانت قد بدلت ملابسها عندما وصلت، ولذلك عليها أن تبدل ملابسها وهي مغادرة. ذهبت إلى الحمّام وخلعت سترتها الرياضية وملابسها الداخلية المضمخة بالعرق، ثم جففت جسدها بمنشفة حمام، وارتدت ملابس داخلية نظيفة وبنطالها القطني وقميصها. دسّت المسدس تحت حزامها حتى لا يكون مرئياً. جربت حركات مختلفة بجسدها كي تتأكد أنها لن تبدو غير طبيعية. غسلت وجهها بالماء والصابون ومشطت شعرها. وأثناء وقوفها إزاء مرآة كبيرة وضعت أعلى الحوض، قلبت قسمات وجهها على كل عبوس يمكن أن تتخيله حتى تُرخي أي عضلة في وجهها قد أصابها التوتر بالتيبس. ظلت هكذا مدة حتى أعادت ملامح وجهها إلى وضعها الطبيعي. وبعد هذا التقطيب الطويل لجبينها، استغرق الأمر منها بضع لحظات حتى تتذكر كيف كان يبدو وجهها الطبيعي، ولكنها بعد عدة محاولات تمكنت من الاستقرار على ابتسامة مقبولة. حدقت في المرآة، وتفحصت كل تقاسيم وجهها. وقالت في نفسها، **لا بأس. هذا هو وجهي الطبيعي. يمكنني حتى أن أبتسم إذا تعين عليّ ذلك. يداي لا تهتزان أيضاً. نظرتي ثابتة. أنا أومامه الهادئة كعادتها.**

لكن حليق الرأس، مع ذلك، كان قد حدَّق فيها بشدة عندما خرجت من غرفة النوم أول مرة. لعله لاحظ أثر الدموع على وجهها. لا بد أن أثراً بقي منها بعد كل هذا البكاء. أثارت هذه الأفكار القلق لدى أومامه. لا بد أنه وجده أمراً غريباً أن يكون عليها أن تذرف الدمع وهي تمدد عضلات عميل لديها. ربما قاده ذلك لأن يشك في

أن شيئاً غريباً قد وقع. وربما فتح باب غرفة النوم، ودخل كي يطمئن على الزعيم، فاكتشف أن قلبه قد توقف. . .

مدت أومامه يدها حول خصرها كي تتحقق من قبضة المسدس. قالت في نفسها، **يجب أن أحافظ على هدوئي. لا يمكنني أن أكون خائفة. سوف يظهر الخوف على وجهي ويثير الشكوك.**

مُوطدة نفسها على الأسوأ، خرجت أومامه من الحمام تتوخى الحذر وهي تحمل الحقيبة الرياضية في يدها اليسرى، فيما يدها اليمنى متأهبة للوصول إلى المسدس، ولكنها لم تجد أي علامة تدل على شيء غير عادي في الغرفة. كان حليق الرأس واقفاً وسط الغرفة، وذراعاه مضمومتان، وعيناه مضيقتان بسبب التفكير. أما ذيل الحصان فكان لا يزال جالساً في المقعد الموجود بجوار الباب، يراقب الغرفة في هدوء. كانت لديه عينان هادئتان مثل الرامي الخلفي في الطائرات القاذفة، والذي اعتاد الجلوس وحيداً، وهو ينظر إلى السماء الزرقاء، وعيناه تأخذان لون السماء.

قال حليق الرأس: «لا بد أنكِ مرهقة. ما رأيك في فنجان قهوة؟ لدينا سندويشات أيضاً».

«شكراً، ولكني مضطرة لأن أرفض. لا أستطيع تناول أي طعام بعد العمل مباشرة، شهيتي تبدأ في العودة بعد ساعة أو نحو ذلك».

أومأ حليق الرأس. ثم أخرج مظروفاً سميكاً من جيب سترته الداخلي. بعد أن هزه في يده، سلمه إلى أومامه.

قال الرجل: «أعتقد أنك سوف تجدين هنا الأتعاب المتفق عليها وزيادة. كما قلت سابقاً، إننا نحثك بقوة على إبقاء هذا الأمر طي الكتمان».

قالت أومامه مازحة: «رشوة؟».

قال الرجل دون أن يكلف نفسه ابتسامة مصطنعة: «مقابل الجهد الإضافي الذي بذلتيه».

قالت أومامه: «لدي سياسة صارمة بشأن الخصوصية، مهما كانت الأتعاب. هذا جزء من عملي. لن تتسرب كلمة من هذا مهما كانت الظروف». وضعت المظروف المغلق في حقيبتها الرياضية. «هل تحتاج إلى إيصال؟».

هز حليق الرأس رأسه: «لا داعي لذلك. هذا بيننا وبينك. لستِ بحاجةٍ إلى أن تضعي هذا المبلغ في بند الإيرادات».

أومأت أومامه في صمت.

قال حليق الرأس، كما لو كان يبحث عن معلومات: «لا بد أن عمل اليوم استدعى منك قدراً كبيراً من الجهد».

قالت: «أكثر من المعتاد».

«لأنه ليس شخصاً عادياً».

«وهكذا يبدو».

قال: «إنه شخص لا يمكن الاستغناء عنه مطلقاً. لقد تعرض لآلام جسدية رهيبة مدة طويلة. وتحمَّل عنا كل معاناتنا وآلامنا. كل ما نرجوه هو أن ينال قدراً ولو صغيراً من الراحة».

قالت أومامه وهي تختار كلماتها بعناية: «لا يمكنني الجزم هنا لأني لا أعرف السبب الرئيس للألم، ولكني أعتقد أن حدّة ألمه قد خفَّت نوعاً ما».

أومأ حليق الرأس: «حسبما أرى، يبدو أنك مرهقة للغاية».

قالت أومامه: «ربما أكون كذلك».

بينما كانت أومامه تتحدث إلى حليق الرأس، بقي ذيل الحصان

قابعاً بجوار الباب يراقب الغرفة في صمت. كان وجهه ثابتاً؛ ولا تتحرك فيه سوى عيناه. ولم تتغير تعبيرات وجهه قطّ. لم تكن تدري حتى إن كان يسمع حديثهما. في صمت وعزلة ويقظة، كان يترقب أي أثر لطائرات العدو المقاتلة بين الغيوم. في البداية لن تبدو الطائرات أكبر من بذور شجرة خشخاش.

بعد شيء من التردد، سألت أومامه حليق الرأس: «ربما هذا ليس من شأني، ولكنكما تشربان القهوة وتتناولان شطائر اللحم، أليس في ذلك مخالفة لتعاليم دينكم؟».

استدار حليق الرأس كي ينظر إلى القهوة وصينية الشطائر الموضوعة على الطاولة. ثم افترت شفتاه عن ابتسامة شاحبة للغاية.

«ديننا ليس به مثل هذه التعاليم الصارمة. الكحول والتبغ محظوران عموماً، وتوجد بعض التحريمات فيما يخص الأمور الجنسية، ولكننا أحرار نسبياً حينما يتعلق الأمر بالغذاء. في معظم الأوقات لا نأكل سوى أبسط الأطعمة، ولكن لا يوجد تحريم واضح للقهوة وشطائر اللحم».

اكتفت أومامه بإيماءة من رأسها، دون أن تدلي برأيها في ذلك.

«إن الدين يجمع الكثير من الناس معاً، ولذلك من الضروري أن توجد درجة ما من النظام، بالطبع، ولكن إذا ركزتِ أكثر ممّا ينبغي على الشكليات، فقد تضيع منك الغاية الأصلية. فأشياء مثل التعاليم والعقائد ليست، في نهاية المطاف، سوى أدوات. والمهم ليس الإطار نفسه ولكن ما هو داخل الإطار».

«وزعيمكم يقدم المحتوى اللازم لملء هذا الإطار».

«بالضبط. يمكنه أن يسمع الأصوات التي لا يمكننا سماعها. وهو شخص غير عادي». نظر حليق الرأس في عيني أومامه مرة

أخرى، ثم قال: «أشكرك على كل جهودك اليوم. ولحسن الحظ يبدو أن المطر قد توقف».

قالت أومامه: «الرعد كان مدوياً».

قال حليق الرأس: «نعم، جداً». وإنْ بدا أنه لا يهتم بالرعد أو المطر.

انحنت له أومامه انحناءة خفيفة، ثم اتجهت نحو الباب، وفي يدها الحقيبة الرياضية.

ناداها حليق الرأس من ورائها: «انتظري لحظة». كان في صوته بعض الحدة.

توقفت أومامه في وسط الغرفة، واستدارت. أصدر قلبها صوتاً حاداً وجافاً. وتحركت يدها اليمنى دون اكتراث نحو فخذها.

قال الرجل: «بساط اليوجا. سوف تنسين بساط اليوجا الخاص بك. إنه لا يزال فوق أرضية غرفة النوم».

ابتسمت أومامه: «إنه يرقد عليه، وهو في نوم عميق. لا يمكننا إزاحته وسحبه. سوف أعطيها لك إذا أحببت. إنه ليس غالي الثمن، واستخداماته كثيرة. إذا لم تكن بحاجة إليه، فتخلص منه».

فكر حليق الرأس في ذلك لحظة ثم أومأ أخيراً: «أشكرك مرة أخرى. أنا متأكد أنك متعبة للغاية».

عندما اقتربت أومامه من الباب، وقف ذيل الحصان وفتحه لها. ثم انحنى لها قليلاً. قالت أومامه في نفسها، هذا الرجل لم ينبس بكلمة. ردت له الانحناءة وبدأت تتجاوزه.

في تلك اللحظة، رغم ذلك، نفذ إلى جلدها دافعٌ عنيف، مثل تيار كهربائي قوي. امتدت يد ذيل الحصان وكأنها تريد أن تمسك بذراعها اليمنى. كان ينبغي أن تكون حركة سريعة ودقيقة - كمن يقبض

على ذبابة في الهواء. انتاب أومامه شعور حقيقي بأن ذلك سوف يحدث لها الآن. شدت كل عضلة في جسمها. اقشعر جلدها، وانتابها توتر شديد. علِقت أنفاسها في حنجرتها، وزحفت حشرات جليدية لأعلى وأسفل عمودها الفقري. تدفق في عقلها ضوء أبيض ساخن ومتوهج: **إذا أمسك هذا الرجل بذراعي اليمنى، فلن أستطيع الوصول إلى المسدس. وإذا حدث ذلك، فلن يكون لي أمل في الفوز. إنه يشعر بما حدث. يشعر بأني قد فعلت شيئاً. يدرك بحدسه أن شيئاً ما حدث في هذه الغرفة. إنه لا يعرف ماذا حدث، ولكن شيئاً ما كان ينبغي أن يحدث. غرائزه تقول له: «عليك أن توقف هذه المرأة»، تأمره أن يطرحني أرضاً، ويلقي عليّ بكل ثقله، ويخلع كتفيّ. ولكنه ليس لديه سوى حدس، ولا دليل على ذلك. إذا تبين أن شعوره كان في غيره محله، فسوف يوقع نفسه في ورطة كبيرة. كان في صراع رهيب، وقد توقف الآن. حليق الرأس هو الشخص الذي يتخذ القرارات ويعطي الأوامر. أما ذيل الحصان فليس مخولاً ذلك. حاول جاهداً أن يقمع الرغبة الكامنة في يده اليمنى وسمح للتوتر أن يخرج من كتفه.** كان لدى أومامه إحساس قوي بالمراحل التي مرّ بها عقل ذيل الحصان خلال تلك الثانية أو الثانيتين.

خرجت أومامه إلى الردهة المفروشة بالبساط وتوجهت نحو المصعد دون النظر إلى الوراء، وراحت تمشي بهدوء عبر الردهة المستقيمة تماماً. كان ذيل الحصان، على ما يبدو، يطلّ برأسه إلى خارج الباب ويتابع بعينيه مشيتها. ظلت تشعر بأن نظرته الحادة الأشبه بالسكين تخترق ظهرها. كانت تشعر بوخز في كل عضلة من عضلات جسمها، لكنها رفضت أن تنظر إلى الوراء. يجب عليها ألا تنظر خلفها. لم تشعر بزوال التوتر عنها إلا عندما انعطفت بها الردهة.

ولكن ليس بوسعها بعد أن تشعر بالاسترخاء. لا أحد يعرف ما الذي يمكن أن يحدث لاحقاً. ضغطت على زر «النزول» في المصعد ومدّت يدها وأمسكت بقبضة المسدس حتى وصل المصعد (وهو ما استغرق دهراً)، وهي على استعداد لسحب المسدس إذا غيّر ذيل الحصان رأيه وجاء يتعقبها. سوف يكون عليها أن تطلق عليه النار دون تردد قبل أن يسيطر عليها بيديه القويتين. أو تطلق النار على نفسها دون تردد. لم تستطع أن تقرر أيهما ستفعل. ربما لن يكون بوسعها أن تقرر.

ولكن أحداً لم يتعقبها. كان السكون يخيم على ردهة الفندق. انفتح باب المصعد محدثاً صفيراً، ودخلت أومامه إليه. ضغطت على زر البهو وانتظرت الباب حتى يُغلق. راحت تحدق في شاشة أرقام الطوابق فيما كانت تعضّ على شفتها. غادرت المصعد، ومشت عبر البهو الواسع، ثم استقلت سيارة أجرة تنتظر الركاب عند الباب الخارجي. كان المطر قد توقف تماماً، ولكن مياه المطر كانت تقطر من هيكل السيارة، كما لو أنها قد شقت طريقها هنا تحت الماء. طلبت أومامه من السائق أن يقلها إلى المخرج الغربي من محطة شنجوكو. بينما كانت السيارة تبتعد عن الفندق، كانت تُخرج كل ذرة هواء كانت تحبسها داخلها. وعندئذٍ أغمضت عينيها وأفرغت ذهنها. كانت لا تريد أن تفكر في أي شيء لفترة من الوقت.

انتابتها نوبة غثيان شديدة. شعرت كما لو أن محتويات معدتها كلها ترتفع نحو حلقها، ولكنها تمكنت من إجبارها على النزول إلى أسفل. ضغطت الزر كي تفتح النافذة بعض الشيء، وترسل بعض هواء الليل الرطب إلى رئتيها. وبعدئذٍ اضطجعت للوراء وأخذت عدة أنفاس عميقة. أخرج فمها رائحة كريهة، وكأن شيئاً في جوفها بدأ يتعفن.

خطر لها فجأة أن تبحث في جيوب بنطالها، فوجدت قطعتي علكة. كانت يداها ترتعشان قليلاً وهي تنزع غلافهما الورقي. وضعت القطعتين في فمها وراحت تمضغهما ببطء. كانتا بنكهة النعناع. ساعدتها الرائحة المألوفة المحببة إليها على تهدئة أعصابها. وبدأت رائحة فمها الكريهة تتلاشى مع تحريك فكها. قالت أومامه في نفسها، **لا يبدو وكأنه يوجد شيء عفن بجوفي. كل ما هنالك، أن الخوف يتسبب لي في أشياء غريبة. وعلى أي حال، فقد انتهى كل شيء الآن. ليس عليّ أن أقتل أحداً بعد الآن. وما فعلته هو الصواب. كان يستحق أن يُقتل بما اقترفه. كانت قضية واضحة للعقاب العادل. وبمحض الصدفة، كان الرجل نفسه لديه رغبة قوية في أن يُقتل. منحته الموت الهادئ الذي كان يرجوه. لم أقترف أي ذنب. كل ما هنالك هو أنني خالفت القانون.**

ورغم محاولاتها الكثيرة، لم تستطع أومامه أن تقنع نفسها بصوابية ذلك. قبل لحظات فقط، قتلت بيديها إنساناً غير عادي بالمرة. كانت تحتفظ بذاكرة حية لشعورها عندما انغرزت الإبرة دون صوت في مؤخَّر رقبة الرجل. كان هذا الشعور غير العادي لا يزال عالقاً في يديها، وظل يزعجها بدرجة غير هينة. فتحت كفيها وراحت تحدق فيهما. أصبحا يختلفان تماماً عما كانا عليه من قبل. لكنها لم تستطع أن تكتشف ما الذي تغير فيهما وكيف.

إذا كان لها أن تصدق ما قاله، فقد قتلت لتوها نبياً ومؤتمناً على نقل صوت إله. ولكن صاحب هذا الصوت ليس إلهاً. ربما هم الناس الصغار. إن النبي هو في الوقت نفسه ملك، وقَدَر الملك أن يُقتل. وبعبارة أخرى، فهي قاتلة بَعثت بها الأقدار. وباجتثاثها العنيف لإنسان كان نبياً وملكاً في آنٍ معاً، فإنها قد حافظت على التوازن بين

الخير والشر في العالم، ولذلك فلابد أن تموت. ولكنها عندما اقترفت هذا الفعل، أبرمت صفقة. بقتلها الرجل، وفي واقع الأمر تضحيتها بنفسها، فإنها سوف تنقذ حياة تنغو. هذا هو فحوى الصفقة. **إذا كان لها أن تصدق ما قاله.**

لم يكن لدى أومامه خيار سوى أن تصدق جوهر ما قاله. لم يكن متعصباً، والناس لا يكذبون وهم يحتضرون. والأهم من ذلك، كانت لكلماته قدرة حقيقية على الإقناع. كانت لها وزن مرساة ضخمة. وجميع السفن تحمل مراسي تلائم حجمها ووزنها. ورغم ما قد تكون عليه أفعاله من حقارة، فإن الرجل كان يذكر حقاً بسفينة كبيرة. وهي حقيقة لم يكن لدى أومامه من خيار سوى الاعتراف بها.

واحتياطاً من جانبها حتى لا يراها السائق، استلَّت أومامه المسدس من حزامها، وأعادت المزلاج إلى وضع الأمان، ثم وضعت المسدس في جرابه، متخففة من 500 جرام من الوزن الصلب والقاتل.

قال السائق: «ما هذا الرعد كله؟ والمطر كان رهيباً».

قالت أومامه: «الرعد؟» بدا لها أنه حدث منذ زمن طويل، رغم أنه كان قبل ثلاثين دقيقة فقط. نعم، وعندما تمعن التفكير، فقد كان هناك بعض الرعد. «نعم، فعلاً، كان الرعد رهيباً».

«توقعات الطقس لم تذكر شيئاً من ذلك على الإطلاق. كان من المتوقع أن يكون الطقس جميلاً طوال اليوم».

حاولت أن تجعل عقلها يعمل. **يجب أن أقول شيئاً. ولكن لا يحضرني أي شيء جيد لأقوله. يبدو أن ذهني قد تشوش.** قالت: «توقعات الطقس لا تصدق مطلقاً».

رمق السائق أومامه في مرآة الرؤية الخلفية. ربما وجد ما يبعث

على الضحك في الطريقة التي تتحدث بها. قال السائق: «سمعت أن المياه قد فاضت في الشوارع حتى نزلت إلى محطة مترو أنفاق أكاساكا-متسوكا وغمرت مسارات القطارات. وذلك لأن الأمطار سقطت كلها في منطقة صغيرة واحدة. وقد أوقفوا خط «جينزا لاين» وخط مارونوتشي لاين. سمعت ذلك في نشرات الأخبار في الإذاعة».

أدى هطول الأمطار الغزيرة إلى تعطيل قطارات الأنفاق. هل سيكون لذلك أي تأثير على أعمالي؟ يجب أن أجعل ذهني يعمل بوتيرة أسرع. عليّ أن أذهب إلى محطة شنجوكو لاستلام حقيبة سفري وحقيبة الكتف من الخزانة. ثم أهاتف تامارو لتلقي التعليمات. إذا كنت سأستخدم خط مارونوتشي لاين من شنجوكو، فقد تكون الأوضاع هناك في فوضى. لديّ ساعتان فقطْ حتى أُتم هروبي. بمجرد انتهاء الساعتين، سوف يتساءلان لماذا لم يستيقظ الزعيم. سوف يدخلان على الأرجح إلى غرفة النوم ويكتشفان أنه قد لفظ آخر أنفاسه. وسوف يتصرفان على الفور.

سألت أومامه: «هل تعتقد أن خط مارونوتشي لا يزال معطلاً؟».

«لا أدري حقاً. هل تريدين الاستماع إلى الأخبار؟».

«نعم من فضلك».

وفقاً لكلام الزعيم، فإن الناس الصغار هم مَن تسببوا في هطول المطر. ركزوا المطر الغزير فوق منطقة صغيرة في منطقة أكاساكا ممّا تسبب في تعطيل قطارات الأنفاق. هزت أومامه رأسها. ربما فعلوا ذلك عن قصد. الأشياء لا تسير دائماً وفقاً للخطة الموضوعة.

ضبط السائق تردّد المذياع على محطة «إن إتش كيه». كانت المحطة تبث برنامجاً موسيقياً يقدم أغاني شعبية يغنيها مطربون يابانيون حققوا شعبية في أواخر الستينيات. ولأن أومامه قد استمعت إلى هذه

الموسيقى عبر المذياع وهي فتاة صغيرة، فقد تذكرتها على نحو غامض، ولكن دون حنين على الإطلاق، بل على النقيض، لقد أثارت لديها ذكريات غير سارة، أشياء لم تكن تود التفكير فيها. احتملتها فترة من الوقت، ولكن لم ترِد أي أخبار عن وضع قطارات الأنفاق.

قالت أومامه: «عذراً، هذا يكفي. هل يمكنك إذا سمحت إيقاف المذياع؟ سوف أذهب إلى محطة شنجوكو وأرى ماذا يجري».

أوقف السائق المذياع، وقال: «سوف يكون المكان مزدحماً هناك».

وفقاً لما قاله السائق، كانت محطة شنجوكو شديدة الازدحام. ولأن خط مارونوتشي المعطل كان يتصل بشبكة خطوط سكك الحديد الوطنية هنا، فقد توقف تدفق الركاب، وكان الناس يتخبطون في كل الاتجاهات. كانت ساعة الذروة المسائية قد انتهت، ومع ذلك، كان شق طريقها عبر الزحام عملاً صعباً عليها.

وأخيراً وصلت إلى الخزانة التي تعمل بالعملة المعدنية وأخرجت حقيبة الكتف وحقيبة السفر السوداء. كانت حقيبة السفر تحتوي على النقود التي حصلت عليها من صندوق الإيداع في البنك. أخرجت متعلقاتها التي كانت في حقيبتها الرياضية ووزعتها بين حقيبة الكتف وحقيبة السفر: المظروف الذي يحتوي على النقود التي تسلمتها من حليق الرأس، والجراب المصنوع من المطاط الذي يحتوي على المسدس، والحاوية المعدنية التي توجد بها كسارة الثلج. وضعت الحقيبة الرياضية التي تظهر عليها ماركة «نايكي» والتي لم تعد ذات جدوى في خزانة قريبة، ثم أدخلت مائة ين، وأدارت المفتاح. لم تكن تنوي استعادتها. لا تحتوي أي شيء يمكن تعقبها من خلاله.

مشت أومامه وفي يدها حقيبة سفر وراحت تنظر حولها بحثاً عن هاتف عمومي في المحطة. كان يوجد زحام أمام كل هاتف. واصطف الناس في طوابير طويلة في انتظار أدوارهم في الاتصال بمنازلهم كي يقولوا إنهم سوف يتأخرون لأن القطار قد تعطل. تجهمت أومامه قليلاً. **لا أظن أن الناس الصغار سوف يسمحون لي بالهروب بهذه السهولة. الزعيم قال إنهم لا يستطيعون أن يمسوني مباشرة بسوء، ولكن باستطاعتهم أن يعيقوا تحركاتي بطرق ملتوية، مستخدمين أساليب أخرى.**

يئست أومامه من انتظار دورها لإجراء مكالمة هاتفية. غادرت المحطة، ومشت مسافة قصيرة، ثم دخلت إلى أول مقهى صادفها، حيث طلبت قهوة مثلجة. كان هاتف العملة ذي اللون الوردي هنا مشغولاً أيضاً، ولكن على الأقل لا يوجد طابور انتظار. وقفت خلف امرأة متوسطة العمر في انتظار أن تنهي محادثتها الطويلة للغاية. أظهرت المرأة نظرات انزعاج من أومامه ولكنها أرغمت نفسها على إنهاء مكالمتها بعد أن تحدَّثت خمس دقائق أخرى.

أدخلت أومامه كل العملات المعدنية التي بحوزتها في الهاتف وطلبت الرقم الذي تحفظه. بعد ثلاث رنات، جاءتها رسالة آلية مسجلة: «عذراً، لا يمكنني الرد على الهاتف الآن. من فضلك اترك رسالة بعد الصافرة».

بعد سماعها الصافرة، قالت أومامه: «مرحباً، تامارو، من فضلك ارفع السماعة إذا كنت موجوداً».

رفع شخص ما السماعة، وقال تامارو: «أنا هنا».

قالت أومامه: «حسناً!».

بدا أن تامارو قد أحسّ بنبرة توتر غير عادية في صوتها وسألها:
«هل أنت بخير؟».
«حتى الآن».
«كيف سارت المهمة؟».
قالت أومامه: «إنه في نوم عميق. أعمق نوم ممكن».
قال تامارو: «أفهم ذلك». بدا أنه شعر بارتياح حقيقي، وابتهج صوته. لم يكن ذلك معتاداً منه. «سوف أنقل هذا الخبر. سوف يسرها سماعه».
«لم تكن مهمة سهلة».
«أنا متأكد أنها لم تكن كذلك. ولكنك أديتِها».
قالت أومامه: «بطريقة أو بأخرى. هل هذا الهاتف آمن؟».
«أنا أستخدم دائرة خاصة. لا تقلقي».
«حصلت على حقائبي من خزنة محطة شنجوكو. والآن ماذا علي أن أفعل؟».
«كم من الوقت لديك؟».
قالت: «ساعة ونصف». قدمت له تفسيراً موجزاً. بعد ساعة ونصف، سوف يدخل الحارسان الشخصيان إلى غرفة النوم ويكتشفان أن الزعيم لا يتنفس.
قال تامارو: «ساعة ونصف وقت كافٍ».
«هل تعتقد أنهم سوف يستدعون الشرطة على الفور؟».
«لا أدري. بالأمس فقط، توجهت الشرطة إلى مقر الجماعة وبدأت تحقيقاً. لا يزالون في مرحلة الاستجواب ولم يبدوا التحقيق نفسه، ولكنهم ربما يجدون أنفسهم في ورطة حقيقية إذا حدث أن زعيم التنظيم قد مات فجأة».

«هل تعتقد أنهم قد يتعاملون مع المسألة بأنفسهم دون الإعلان عن أي شيء؟».

«سيكون هذا أمراً هيناً عليهم. سوف نعرف ماذا حدث عندما نرى صحف الغد - وهل سيُبلغون عن الوفاة أو لا. أنا لست مقامراً، ولكن إذا كان لي أن أدخل رهاناً، فسوف أراهن بنقودي على أنهم لن يُبلغوا».

«لن يفترضوا أن ما حدث هو وفاة طبيعية فحسب؟».

قال: «لن يستطيعوا الجزم بمجرد النظر. ولن يعرفوا ما إذا كانت الوفاة طبيعية أو وراءها عملية قتل دون تشريح دقيق. على أي حال، فإن أول شيء سوف يخطر لهم هو التحدث إليك. فأنت كنت آخر من رآه وهو على قيد الحياة. وبمجرد أن يعلموا أنك تركت شقتك واختبأت، سوف يتأكد لهم أن الوفاة لم تكن طبيعية».

«وعندئذٍ سوف يبدأون البحث عني - بكل الوسائل المتاحة لديهم».

قال تامارو: «هذا أمر مؤكد».

«هل تعتقد أن باستطاعتنا إبقاء مكان اختبائي آمناً؟».

قال: «لقد رتبنا كل شيء في الخطة - وراعينا أدق التفاصيل. إذا طبقنا الخطة بعناية ومثابرة، فلن يعثر عليك أحد. أسوأ شيء هو أن نُصاب بالذعر».

قالت أومامه: «أنا أبذل قصارى جهدي».

«واصلي ذلك. تصرفي بسرعة واجعلي الوقت في صالحك. أنتِ دقيقة ومثابرة. استمري في ما تفعلين».

قالت أومامه: «كانت هناك أمطار غزيرة في منطقة أكاساكا، ولذلك توقفت قطارات الأنفاق».

قال تامارو: «أعرف ذلك. لا تقلقي، لم نضع في خطتنا أن تستخدمي قطار الأنفاق. سوف تستقلين سيارة أجرة وتذهبين إلى مكان آمن في المدينة».

«في المدينة؟ ألم يكن من المفترض أن أذهب إلى مكان بعيد؟».

قال تامارو ببطء وكأنه يوضح لها الأشياء: «نعم، بالطبع سوف تذهبين إلى مكان بعيد. ولكن علينا أن نجهِّزك لذلك - تغيير اسمك ووجهك. هذه مهمة صعبة للغاية: لا بد أنك متوترة للغاية. لا فائدة ترجى من الركض بجنون في مثل هذا الوقت. اختبئي في المنزل الآمن بعض الوقت. سوف تكونين على ما يرام. وسوف نوفر لك كل ما تحتاجين».

«أين هو هذا المنزل الآمن؟».

«في حي كوينجي. ربما يستغرق الوصول إليه عشرين دقيقة من مكانك الذي توجدين فيه الآن».

فكرت أومامه وهي تنقر بأظافرها فوق أسنانها، كوينجي. كانت تعرف أنه يقع في مكان ما غرب منطقة وسط المدينة، لكنها لم تطأها بقدميها من قبل.

أخبرها تامارو بالعنوان واسم الشقة. وكعادتها، لم تدون شيئاً وإنما نقشت البيانات في ذهنها.

«في الناحية الجنوبية من محطة كوينجي. بالقرب من الطريق الدائري السابع. الشقة رقم 303. اضغطي الأرقام 2831 لفتح الباب الخارجي».

توقف تامارو ريثما أعادت أومامه الأرقام «303» و«2831» لنفسها.

«المفتاح مثبت أسفل ممسحة الأرجل. الشقة بها كل ما سوف

تحتاجين إليه في الوقت الحالي، لذلك ليس عليك أن تغادريها لفترة من الوقت. سوف يأتيك اتصال مني. سوف أجعل الهاتف يرن ثلاث مرات، وأضع السماعة، ثم أتصل مرة أخرى بعد عشرين ثانية. نريد أن نتجنب قيامك أنت بالاتصال».

قالت أومامه: «أفهم ذلك».

سأل تامارو: «هل كان رجاله صارمين؟».

«كان يوجد اثنان منهم، وكلاهما يبدوان صارمين للغاية. مررت بلحظات من الخوف. لكنهما ليسا محترفين. لا يمكنهما أن ينافساك في شيء».

«أمثالي ليسوا كثيرين».

«وجود الكثير من تامارو ربما يتسبب في مشكلة».

قال تامارو: «ربما».

حملت أومامه حقيبتيها، ومضت إلى موقف سيارات الأجرة الخاصة بالمحطة، فوجدت طابوراً طويلاً آخر. لم تكن حركة قطارات الأنفاق، على ما يبدو، قد عادت بعد إلى وضعها الطبيعي. ولم يكن لديها خيار سوى الانتظار في الطابور.

بينما اصطفت أومامه مع العديد من الركاب الآخرين الذين بدت عليهم علامات الانزعاج وانتظرت دورها في صبر، راحت تردد في ذهنها عنوان المنزل الآمن واسم المبنى ورقم الشقة والرمز الخاص بفتح الباب الخارجي ورقم الهاتف الخاص بتامارو. كانت مثل زاهد يجلس على صخرة فوق قمة جبل، يتلو تعويذته الأثيرة. كانت أومامه تثق ثقة كبيرة دائماً في قوة ذاكرتها، وكان بوسعها أن تحفظ هذه البيانات بسهولة. ولكن هذه الأرقام قد أضحت الآن طوق النجاة لها،

وإذا ما نسيت أحدها في مثل هذا الموقف، فقد تجازف بحياتها. كان عليها أن تتأكد أنها قد نُقشت في ذهنها.

عندما حصلت أومامه أخيراً على سيارة أجرة، كانت ساعة كاملة قد انقضت على وجود جثة الزعيم في غرفة الفندق. وكانت حتى الآن، قد استغرقت ضعف الوقت الذي خططت له، وهو تأخير لا شك أن الناس الصغار هم الذين يقفون وراءه. **لا، قد يكون ذلك مجرد صدفة. ربما أنا من يسمح لشبح «الناس الصغار» غير الموجودين أن يخيفني.**

أخبرت أومامه السائق بوجهتها قبل أن تعتدل في مقعدها وتغمض عينيها. **الآن، ربما ينظر كلا الرجلين في ساعتيهما وهما ينتظران استيقاظ معلمهما الروحي**. راحت أومامه تتخيلهما. حليق الرأس يشرب القهوة ويفكر في كل شيء. فالتفكير هو وظيفته، بل التفكير واتخاذ القرار. ربما ساورته الشكوك: فنوم الزعيم كان هادئاً أكثر مما ينبغي. ولكن الزعيم كان دائماً ما يغط في نوم عميق، ولا يصدر عنه صوت أثناء نومه - لا شخير أو مشكلات تنفس. ومع ذلك، كان له حضور دائم. لقد قالت المرأة إن الزعيم سوف يبقى في نوم عميق ساعتين على الأقل، ومن المهم أن يُترك حتى يرتاح في هدوء حتى تتعافى عضلاته. لم تمضِ سوى ساعة واحدة، ولكن ثمة شيء يؤرِّقه. ربما يجب عليه أن يطمئن على حالة الزعيم. ماذا يجب أن يفعل؟

أما ذيل الحصان فهو الشخص الخطِر، مع ذلك. لا تزال أومامه تحتفظ بصورة حية لتلك الإشارة العابرة التي توحي بالعنف والتي بدرت منه عند مغادرتها غرفة الفندق. ظل صامتاً، ولكن غرائزه كانت متوقدة. لا بد أنه يمتلك مهارات قتالية مميَّزة - ربما أكثر تميزاً مما

كانت تتصور حتى تلك اللحظة. وقطعاً كانت درجة إجادتها للفنون القتالية لا تجعلها نداً له. وفي أي اشتباك، لن يمنحها على الأرجح فرصة للوصول إلى مسدسها. ولحسن الحظ، رغم ذلك، فإنه لم يكن محترفاً. فقد كان يسمح لتفكيره العقلاني أن يعيقه قبل أن يضع حدسه موضع التطبيق. كان معتاداً على تلقي الأوامر - على العكس من تامارو الذي سوف يقهر خصمه ويشلّ حركته قبل أن يفكر. فالأفعال لها الأولوية - ثقْ بالغرائز ودَع الأحكام العقلانية تأتي لاحقاً. التردد ولو لجزء من الثانية يمكن أن يكون فيه النهاية.

عندما استحضرت أومامه هذه اللحظة عند الباب، شعرت بما تحت إبطيها وقد تعرق. هزَّت رأسها. **كم كنت محظوظة. فعلى الأقل أفلتُّ من الإمساك بي في الحال. يجب أن أكون أكثر حذراً من الآن فصاعداً. تامارو كان محقاً: الشيء الأهم هو أن تكوني حذرة ومثابرة. فالخطر يأتي في لحظة التراخي.**

كان السائق رجلاً في منتصف العمر ويتحدث بطريقة مهذبة. أخرج خارطة، وأوقف السيارة، وأطفأ العداد، وحدَّد الموقع الدقيق للبناء. شكرته أومامه وخرجت من السيارة. كان المبنى أنيقاً وحديثاً ويتألف من ستة طوابق ويقع وسط منطقة سكنية. لم تجد أحداً عند المدخل. ضغطت أومامه الأرقام 2831 فانفتح الباب الخارجي، ودخلت، ثم استقلت مصعداً نظيفاً ولكنه ضيق إلى الطابق الثالث. كان أول ما فعلته لدى خروجها من المصعد هو العثور على مكان درج الطوارئ. وبعدئذٍ نزعت المفتاح الملصق بأسفل ممسحة الشقة رقم 303 وفتحت به الباب. كانت أنوار المدخل تضيء تلقائياً لدى فتح الباب. انبعثت من المكان رائحة شقة جديدة. بدا الأثاث وجميع

الأجهزة المنزلية جديدة تماماً لم يستخدمها أحدٌ من قبل، كما لو كانت قد أُخرجت لتوها من الصناديق وأزيل عنها التغليف البلاستيكي - وكانت قطع الأثاث متلائمة وكأن مصمماً قد اختارها لتجهيز شقة نموذجية: تصميم بسيط وعملي وخالٍ من رائحة الحياة اليومية.

إلى اليسار من المدخل كانت توجد غرفة المعيشة والطعام. وفي نهاية ممرّ كان يوجد حمام وبعد ذلك توجد غرفتان. إحداها كانت تضم سريراً كبيراً جرى ترتيبه بالفعل. وكانت الستائر مسدلة. ما إن فتحت النافذة المطلة على الشارع، حتى أتاها ضجيج السيارات على الطريق الدائري السابع مثل هدير بحر بعيد. عندما أغلقتها ثانية، لم تسمع شيئاً تقريباً. كانت لغرفة المعيشة شرفة صغيرة تطلّ على حديقة صغيرة عبر الشارع. أما الحديقة فكانت تضم مراجيح وزلاقات ومرحاضاً عاماً. ويوجد مصباح بخار زئبقي يغمر ضوؤه الساطع كل شيء في المكان. ونشرت شجرة زيلكوفا كبيرة أغصانها على المنطقة. كانت الشقة في الطابق الثالث، ولكن لم يكن بالقرب مبانٍ أخرى عالية يمكن أن تخشى المراقبة منها.

خطرت ببال أومامه شقة جيوجاوكا التي تركتها. كانت توجد في مبنى قديم، ليس به هذه النظافة الشديدة، وبين وحين وآخر تظهر فيه الصراصير، وكانت جدرانه رقيقة - وتحديداً ليست المكان الذي يتعلق به الشخص. ومع ذلك، فهي تفتقدها الآن. لكنها في هذه الشقة الجديدة والنظيفة، تشعر بأنها شخص مجهول الهوية، وأنها جُرِّدت من ذاكرتها وشخصيتها.

فتحت أومامه الثلاجة فوجدت في بابها أربعة علب مثلجة من جعة «هاينكن». فتحت واحدة وأخذت منها رشفة. قامت بتشغيل التلفزيون ذي الإحدى وعشرين بوصة، وجلست لمشاهدة الأخبار.

شاهدت تقريراً عن العاصفة الرعدية. أما الموضوع الرئيس فدار حول الفيضان الذي أغرق محطة أكاساكا-متسوكا وتوقُف خطي مارونوتشي وجينزا. كانت المياه التي فاضت في الشوارع قد تدفقت نحو درج المحطة كالشلال. ووضع عاملو المحطة الذين ارتدوا عباءات المطر أكداساً من أكياس الرمل عند المداخل، ولكن كان واضحاً أن أوان ذلك قد فات. كانت خطوط قطارات الأنفاق لا تزال متوقفة، ولم تصدر بعد أي تقديرات بشأن موعد عودتها إلى وضعها الطبيعي. وكان المراسل يوجه الميكروفون إلى الركاب الذين تقطعت بهم السبل واحداً تلو آخر. اشتكى أحدهم: «نشرة الطقس الصباحية قالت إن اليوم سيكون كله صحواً!».

شاهدت النشرة الإخبارية حتى نهايتها. بطبيعة الحال، لم يظهر أي تقرير حتى الآن بشأن وفاة زعيم ساكي جاكه. لعلّ حليق الرأس وذيل الحصان لا يزالان في الغرفة المجاورة ينتظران انقضاء الساعتين كاملتين. وعندئذٍ سوف يعلمان الحقيقة. أخرجت الجراب من حقيبة سفرها وسحبت المسدس، ثم وضعته على مائدة الطعام. بدا المسدس الآلي ألماني الصنع وهو على المائدة الجديدة، بسيطاً وكتوماً للغاية - وشديد السواد، ولكنه أصبح على الأقل بمثابة بؤرة للغرفة المجهولة. تمتمت أومامه وكأنها تضع عنواناً للوحة، **مشهد ومسدس. على أي حال، يجب أن أجعله في متناولي في كل وقت وحين، سواء كنت سأستخدمه لإطلاق النار على شخص آخر أو على نفسي.**

كانت الثلاجة الكبيرة قد كُدِّس فيها طعام يكفيها أسبوعين أو أكثر: فواكه وخضراوات، والعديد من الأطعمة المصنعة الجاهزة للأكل. أما المُجمِّد فكان يحتوي على لحوم وأسماك وخبز. كان يوجد فيه أيضاً بعض الآيس كريم. وفي الأدراج وجدت مجموعة

مختارة من الأطعمة الجيدة في أكياس مفرَّغة ومعلبات، وكذلك التوابل. وجدت أيضاً أرزاً ومعكرونة. وكمية وفيرة من المياه المعدنية. وزجاجتين من النبيذ الأحمر ومثلهما من النبيذ الأبيض. لم تكن تدري مَن الذي جمَّع كل هذا الطعام معاً، ولكنه شخص أدى مهمته بإتقان متناهٍ. فلا يخطر على بالها الآن شيءٌ إلا ووجدته.

ولشعورها ببعض الجوع، أخرجت بعض الجبن الفرنسي، واقتطعت منه شريحة، وتناولتها مع مقرمشات. وعندما انتهت من نصف شريحة الجبن، غسلت عوداً من الكرفس، ودهنته بالمايونيز، ثم مضغته كله.

بعد ذلك تفحصت محتويات الأدراج في غرفة النوم. كان أعلاها يحتوي بيجامة نوم ورداء حمام خفيف، جديدين ولا يزالان في غلافيهما البلاستيكي. وغيارات أخرى جديدة تم اختيارها بعناية. أما الدرج التالي فكان به ثلاث مجموعات تضم قمصان تي-شيرت وجوارب وملابس داخلية. كانت جميعها تتسم بالبساطة، وألوانها بيضاء حتى يبدو أنها اختيرت كي تتواءم مع تصميم الأثاث، وجميعها لا تزال موضوعة في أغلفتها البلاستيكية. ربما كانت هذه الأشياء هي ذاتها التي كانت تقدَّم للنساء اللائي يُقِمن في دار الإيواء، وقد صنعت من خامات جيدة وإن كانت في معظمها ورِّدت مِن قبل مؤسسة ما..

كان يوجد في الحمام شامبو، وبلسم ودهان للبشرة وكولونيا، وكل ما تحتاجه. كانت نادراً ما تستخدم مساحيق الزينة، ولذلك لم تكن تحتاج سوى إلى القليل من مستحضرات التجميل. وجدت أيضاً فرشاة أسنان، وفرشاة لتخليل الأسنان، وأنبوباً لمعجون الأسنان، وفرشاة شعر، وماسحات قطنية للأذن، وماكينة حلاقة، ومقصاً صغيراً، ومنتجات صحية. كان المكان يحتوي على كمية وفيرة من

ورق الحمام والمناديل. وفي الخزانة وجدت مناشف الاستحمام ومناشف الوجه مطوية ومرصوصة بعناية. كان كل شيء متوفراً.

نظرت في خزانة غرفة النوم، وهي تتساءل ما إذا كان هناك احتمال لأن تجد ثياباً وأحذية تناسب مقاسها - وحبذا لو كانت من تصميم أرماني وفيراجامو. ولكن لا، وجدتها خزانة فارغة. كان هناك حداً للمدى الذي يمكنهم الذهاب إليه. كانوا يعرفون الفرق بين الدقة والمبالغة. كانت مثل مكتبة جاي جاتسبي: الكتب حقيقية، ولكن أطراف الصفحات ملتصقة. وفوق ذلك، فهي لن تحتاج ملابس خروج طالما بقيت هنا. لم يوفروا لها ما لن تحتاجه. مع ذلك، وجدت شماعات كثيرة. استخدمتها في تعليق الملابس التي حملتها في حقيبة سفرها، وراحت تُخرجها قطعة قطعة وتتأكد أنها لم تتجعد، ثم تعلقها في الخزانة. كانت تدرك أنه سيكون من الأنسب لها، كونها هاربة، أن تترك ملابسها في حقيبتها بدلاً من أن تعلقها، ولكنها لم تكن تبغض شيئاً في العالم قدر بغضها لارتداء ثياب مجعدة.

قالت أومامه في نفسها، **أظنني لن أستطيع أبداً أن أصبح مجرمة محترفة ورابطة الجأش، طالما بقيت الثياب المجعدة تشغلني في مثل هذه الظروف!** وفجأة استحضرت محادثة دارت بينها وبين أيومي.

«الأفضل هو أن تحفظي أموالك في مرتبتك حتى إذا دهمك خطر، تستطيعين حملها والفرار عبر النافذة». قالت أيومي، وهي تطقطق أصابعها: «نِعم الرأي! كما في فيلم The Getaway «الفرار»، لستيف مكوين. حزمة من الأوراق النقدية وبندقية. أحب تلك النوعية من الأفلام».

قالت أومامه وهي تخاطب الحائط، **لا أجد متعة كبيرة في حياة على هذه الشاكلة.**

دخلت أومامه إلى الحمَّام، وخلعت ملابسها، وتحممت. أزال الماء الساخن ما بقي من عرق كريه كان لا يزال عالقاً بجسمها. وبعدئذٍ مشت إلى المطبخ، وجلست إلى المائدة، وأخذت رشفة أخرى من علبة الجعة فيما كانت تجفف شعرها.

قالت أومامه في نفسها، **خلال هذا اليوم وحده، اتخذت أمور عديدة خطوات حاسمة إلى الأمام. وبنقرة واحدة، تحولت التروس وأصبحت تدور للأمام. والتروس التي تدور للأمام لا يمكنها أبداً أن تدور للخلف. هذه هي إحدى القواعد الحاكمة للعالم.**

أمسكت أومامه المسدس، ووجهته للخلف، ثم وضعت فوهته في فمها. شعرت ببرودة مرعبة في معدنه الصلب وأحست بصلابته على أسنانها. اشتمت رائحة خفيفة للشحم. **هذه هي أفضل طريقة لتفجير الأدمغة. أسحب المطرقة، ثم أضغط على الزناد. ينتهي كل شيء، في لمح البصر. دون حاجة إلى التفكير. ودون حاجة إلى الهرب من مكان لآخر.**

لم يكن لدى أومامه خوف زائد من الموت. **أموت أنا، ويعيش تنغو. ويُكمل حياته في عالم 1Q84، هذا العالم الذي يضم قمرين. ولكني لست فيه. ليس مقدَّراً لي أن أقابله في هذا العالم. أو في أي عالم آخر. على الأقل، هذا هو ما يقوله الزعيم.**

ألقت أومامه نظرة أخرى متمهلة على الغرفة. وقالت في نفسها، **إنها تشبه شقة نموذجية. نظيفة ومنسقة، وفيها كل ما يحتاجه إنسان. ولكن لا أُلفة فيها ولا فردية. ورق معجَّن. لن يكون مبهجاً بشدة أن أموت في مثل هذا المكان. ولكن حتى لو قمت بتغيير الخلفية إلى شيء أكثر جاذبية، فهل توجد حقاً طريقة مبهجة للموت في هذا العالم؟ وعند التفكير في ذلك، أليس هذا العالم الذي نعيش فيه هو**

نفسه يشبه غرفة نموذجية عملاقة؟ نأتي، ونجلس، ونتناول كوباً من الشاي، ثم نلقي نظرة من النافذة على المنظر الخارجي، وعندما يحين الوقت نقول شكراً لكم ونغادر. وكل الأثاث غير حقيقي. حتى القمر الذي يتدلى عبر النافذة ربما يكون مصنوعاً من ورق.

ولكنني أحب تنغو. تمتمت أومامه ثم قالت بصوت عالٍ: «أنا أحب تنغو». **هذا ليس عرضاً صاخباً وزائفاً. إن سنة 1Q84 هي العالم الحقيقي، حيث تنزف الجراح دماء حقيقية، وحيث يكون الألم ألماً حقيقياً، والخوف خوفاً حقيقياً. والقمر البازغ في السماء ليس قمراً من ورق. إنه، أو إنهما، قمران حقيقيان. وفي هذا العالم، قبلتُ عن طيب خاطر الموت من أجل تنغو. ولن أسمح لأحد أن يُسمي ذلك زيفاً.**

نظرت أومامه إلى ساعة الحائط المستديرة. كانت تتسم بالبساطة، ومن تصميم براون. تتماشى مع مسدس هيكلر أند كوخ. كانت الساعة هي الشيء الوحيد المعلق على حوائط هذه الشقة. وكانت عقاربها تشير إلى ما بعد العاشرة. حان الوقت تقريباً كي يعثر الرجلان على جثة الزعيم.

في غرفة نوم بجناح أنيق في فندق أوكورا، لَفظ رجل أنفاسه الأخيرة. رجل ضخم. رجل لم يكن شخصاً عادياً. لقد انتقل إلى عالم آخر. ولا أحد يستطيع أن يُعيده.

حان الآن موعد الأشباح.

الفصل السادس عشر

تنغو
يشبه سفينة أشباح قديمة

تُرى أي عالم سيكون موجوداً غداً؟
قالت فوكا-إري: «هذا سؤال لا أحد يعرف جوابه».

لكن العالم الذي استيقظ عليه تنغو لم يتغير كثيراً عن ذاك العالم الذي كان يراه حينما أخلد إلى النوم في ليلته السابقة. كانت الساعة الموجودة بجوار السرير تشير إلى ما بعد السادسة بقليل. في الخارج، كان الجو صحواً وضوء النهار يملأ المكان. وعبر الستائر يدخل خيط من الضوء. كان الصيف، على ما يبدو، يلملم أثوابه مؤذِناً بالرحيل. وبدت زقزقة الطيور حادة وواضحة. أما العاصفة الرعدية العنيفة التي كانت أمس فبدت وكأنها طيف أو إذا لم تكن كذلك، فكأنها شيء جرى في أرض مجهولة في الماضي السحيق.

كان أول ما تبادر إلى ذهن تنغو حينما استيقظ هو أن فوكا-إري ربما اختفت خلال الليل. ولكن لا، ها هي إلى جواره، تغط في نوم عميق، وكأنها حيوان صغير دخل طَور السُبات. بدا وجهها جميلاً في نومها، فيما صنعت بضع خصلات من شعرها الأسود شكلاً معقداً

على وجنتها البيضاء، توارت معه أذناها. كانت أنفاسها تخرج هادئة فيما راح تنغو يحدق في السقف ويستمع إليها. بدت أنفاسها وكأنها منفاخ صغير.

كان يحتفظ في ذاكرته بصورة حسية حية عن قذفه الليلة الماضية. لقد أنزل بالفعل سائله المنوي - الكثير منه داخل هذه الفتاة الصغيرة. أصابته هذه الصورة بالدوار. لكن الآن ومع طلوع الصباح، بدت هذه الصورة غير حقيقية مثلما كان الحال مع العاصفة الرعدية الهوجاء، وكأنها شيء تراءى له في حلم. لقد جرَّب الاحتلام عدة مرات خلال سنوات المراهقة. فكان يرى حلماً جنسياً حقيقياً، ويقذف، ثم يستيقظ. كانت الأحداث جميعها تجري في نطاق الحلم، ولكن إنزال السائل المنوي كان حقيقياً. وكان ما يشعر به الآن يشبه ذلك كثيراً.

لكن هذه المرة لم تكن احتلاماً. فقد أنزل داخل فوكا-إري دون شك. لقد أولجت قضيبه داخلها عمداً واحتلبت كل قطرة من سائله المنوي. وقد استسلم لها تماماً. كان قد أصيب بشلل تام أثناء ذلك، ولم يكن يستطيع أن يحرك ساكناً. كان يُنزل وهو في ذاك الصف الدراسي في المدرسة الابتدائية، لكن ليس في فوكا-إري، التي أخبرته لاحقاً بأن احتمال حملها منه معدوم لكونها لم تحِض بعد. لم يستوعب تماماً أن هذا الشيء قد حدث بالفعل. ولكنه قد حدث. كحدث حقيقي في العالم الحقيقي. على الأرجح.

انسل من الفراش، وارتدى ملابسه، ومشى إلى المطبخ، وغلى الماء كي يُعد قهوة. وأثناء إعداده القهوة، حاول أن يرتب محتويات ذهنه، وكأنه يرتب محتويات دُرج في مكتبه. ومع ذلك، لم يستطع أن يبدِّد التشوش الذي اعترى فهمه للأشياء. كان الشيء الوحيد الذي نجح فيه هو أنه أعاد ترتيب الأشياء داخل الدرج، بأن جعل مسّاكات

الورق في موضع الممحاة، والمبراة حيث كانت مسّاكات الورق، والممحاة حيث كانت المبراة، مستبدلاً تشوشاً بتشوش آخر.

بعد احتسائه فنجاناً ساخناً من القهوة، مضى إلى الحمام وحلق ذقنه وهو يستمع إلى برنامج موسيقى الباروك على إذاعة أف أم. كانت تبث مقطوعات تليمان لآلات منفردة مختلفة. كان ذلك هو دَيدنه: إعداد القهوة وشربها في المطبخ، ثم الحلاقة أثناء الاستماع إلى برنامج «موسيقى الباروك من أجلك» عبر أثير الإذاعة. كانت المختارات الموسيقية هي الشيء الوحيد الذي يتغير كل يوم. وكان يوم أمس مخصصاً في الغالب لموسيقى لوحة المفاتيح لجون فيليب رامو.

وكان المعلِّق يتحدث قائلاً:

> نال تليمان كثيراً من الثناء في جميع أنحاء أوروبا في مطلع القرن الثامن عشر، ولكنه عاد وأصبح موضع ازدراء في القرن التاسع عشر لغزارة إنتاجه. لكن ذلك لم يكن لخطأ يُعاب على تليمان. ولكن الأغراض التي تؤلف من أجلها الموسيقى تغيرت تغيراً كبيراً يضاهي ذلك التغير الذي طرأ على بنية المجتمع الأوروبي، ما أدى إلى هذا الانقلاب في سمعته الفنية.

تساءل: **أذلك هو العالم الجديد؟**

ألقى نظرة أخرى علي ما يحيط به من أشياء. لم يجد هناك حتى الآن أي علامة على التغيير. حتى الآن، لم يكن يوجد أي أثر لهؤلاء الأشخاص الذين يزدرون غيرهم. على أي حال، فإن ما عليه عمله هو أن يحلق. سواء أكان العالم قد تغير أو لا، فإن أحداً لن يحلق له. كان عليه أن يفعل ذلك بنفسه.

عندما انتهى من الحلاقة، حمَّص بعض الخبز ودهنه بالزبد وأكله، ثم شرب فنجاناً آخر من القهوة. دخل إلى غرفة النوم كي يطمئن على فوكا-إري، فوجدها لا تزال في نومها العميق، أو هكذا كانت تبدو: لم تتحرك على الإطلاق. لا يزال شعرها يصنع الشكل نفسه على وجنتها. وتخرج أنفاسها هادئة مثلما كانت من قبل.

في اللحظة الراهنة، لم يكن لديه أي شيء ينوي عمله. ليست لديه محاضرات في المدرسة التأهيلية. ولن يأتي لزيارته أحدٌ، كما لا ينوي زيارة أي أحد. يمكنه أن يُمضي اليوم كيفما يشاء. جلس تنغو إلى مائدة المطبخ وتابع كتابة روايته، وأخذ يملأ المربعات الصغيرة على ورقة المخطوطة بقلم حبر. وكدأبه، انصب تركيزه على العمل الذي يؤديه. ومع تغييره للقنوات في ذهنه تلاشى كل شيء آخر من مجال رؤيته.

استيقظت فوكا-إري قُبيل التاسعة. كانت قد خلعت بيجامته ولبست قميص «تي شيرت» جيف بيك، الذي كان تنغو يرتديه عندما زار والده في تشيكورا. برزت حلمتاها بوضوح عبر القميص، ما أثار لدى تنغو مجدداً شعوره بالقذف الذي انتابه الليلة الماضية، مثلما يستدعي تاريخٌ معين وقائع تاريخية مرتبطة به.

كانت إذاعة أف أم تعزف مقطوعة على آلة الأورجان لمارسيل دوبري. توقف تنغو عن الكتابة وأعد لها فطوراً. شربت فوكا-إري شاي إيرل جراي وتناولت مربى الفراولة بالخبز المحمص. أمضت وقتاً طويلاً وعناية كبيرة في بسط المربى على الخبز المحمّص مثلما كان رامبرانت يفعل وهو يرسم الثنايا في قطعة قماش.

قال تنغو: «أود أن أسأل كم نسخة باع كتابك».

سألت فوكا-إري: «هل تعني 'الشرنقة الهوائية'؟».

«آه، نعم».

قالت فوكا-إري وقد قطّبت جبينها قليلاً: «لا أدري. نسخ كثيرة».

قال تنغو في نفسه، ليس للأرقام أهمية لديها. أعادت كلمة «كثيرة» إلى ذهنه نبات البرسيم الذي ينمو في مسطح يتسع على امتداد البصر. كان البرسيم يوحي بفكرة «الكثرة» التي لا يستطيع أحد أن يحصيها.

قال تنغو: «أشخاص كثيرون يقرؤون 'الشرنقة الهوائية'».

لم تعلق فوكا-إري بشيء، وراحت تتفحص مدى إتقانها بسط المربى على الخبز.

قال تنغو، وهو ينظر إلى فوكا-إري عبر المائدة: «يجب أن أرى السيد كوماتسو. في أقرب وقت ممكن». وكدأبها، لم تظهر على وجهها أي تعابير. «لقد قابلتِ السيد كوماتسو، أليس كذلك؟».

«في المؤتمر الصحفي».

«هل تحدثتِ إليه؟».

هزت فوكا-إري رأسها هزة خفيفة، ما يعني أنهما لم يتكلما تقريباً على الإطلاق.

يستطيع تنغو أن يتمثل المشهد بوضوح. كان كوماتسو يتكلم كثيراً وبوتيرة سريعة، فيقول كل ما يفكر فيه، أو لا يفكر فيه، فيما هي لا تكاد تفتح فمها أو تستمع إلى ما كان يقوله. لم يكن كوماتسو يعبأ بذلك. إذا حدث في أي وقت وطلب أحدهم من تنغو مثالاً حياً على شخصين متنافرين تمام التنافر، فسوف يذكر فوكا-إري وكوماتسو.

قال تنغو: «لم أر السيد كوماتسو منذ مدة طويلة. ولم أتلقَّ منه

اتصالاً أيضاً. لا بد أنه مشغول بشدة هذه الأيام. لقد جرف السيل كوماتسو منذ أن أصبحت ’الشرنقة الهوائية‘ من الأفضل مبيعاً. إنها مسألة وقت، مع ذلك، حتى نلتقي ونتحدث بشكل جاد. أصبح لدينا جميع أنواع المشكلات التي علينا مناقشتها. ستكون فرصة جيدة إذا أجرينا هذه المناقشات الآن، لكونك هنا. ما رأيك؟ هل تريدين مقابلته معي؟».

«ثلاثتنا؟».

«آه نعم. ستكون هذه هي أسرع طريقة لتسوية الأمور».

فكرت فوكا-إري في ذلك برهة. أو لعلها كانت تتخيل شيئاً. ثم قالت: «لا مانع لدي. إذا كنا نستطيع».

ردَّد تنغو عبارتها في ذهنه، إذا كنا نستطيع. كان بها نبرة تنبُّئية.

سألها تنغو ببعض التردد: «هل تعتقدين أننا قد لا نستطيع؟».

لم تجب فوكا-إري سؤاله.

«إذا افترضنا أننا نستطيع، وأننا سوف نقابله. فهل توافقين على ذلك؟»

«نقابله ونفعل ماذا؟».

«نقابله ونفعل ماذا؟ حسناً، أولاً سوف أرد له بعض المال. مبلغ مالي كبير نوعاً ما حُول إلى حسابي البنكي مؤخراً كأجر لإعادة كتابة ’الشرنقة الهوائية‘، ولكني أفضِّل ألّا أقبله. ليس لأني أشعر بأي ندم على إنجازي هذا العمل. فقد كانت مصدر إلهام كبير لكتاباتي وأخذتني إلى وجهة جيدة. وقد خرج الشكل النهائي جيداً، إذا جاز لي أن أقول ذلك بنفسي. والكتاب حظي باستقبال حسن من النقاد ويحقق أيضاً رواجاً كبيراً. لا أعتقد أنني أخطأت عندما قبلت المهمة. لكني لم أتوقع مطلقاً أن يحقق هذا الرواج السريع. صحيح أنني

وافقت على عمل ذلك، ويجب علي قطعاً أن أتحمل المسؤولية. ولكني لا أريد أن أتقاضى أجراً».

هزَّت فوكا-إري كتفيها قليلاً.

قال تنغو: «معك حق. ربما لن يغير ذلك شيئاً. ولكن أود أن أوضح موقفي».

«لمن؟».

قال تنغو وقد خفَّض صوته قليلاً: «حسناً، لنفسي بالأساس».

رفعت فوكا-إري غطاء برطمان المربى وحدقت فيه كما لو أنها وجدته يثير الدهشة.

قال تنغو: «لكن ربما فات الأوان بالفعل».

لم تجد فوكا-إري رداً على ذلك.

عندما حاول تنغو الاتصال بمكتب كوماتسو بعد الساعة الواحدة (لم يأت كوماتسو مطلقاً إلى مقر عمله في الصباح)، قالت المرأة التي ردت على الهاتف إن كوماتسو لم يحضر إلى العمل طوال الأيام القليلة الماضية. كان ذلك هو مبلغ علمها. أو، إذا كانت تعلم ما هو أكثر، فقد كان واضحاً أنها لا تنوي إطلاع تنغو على ذلك. طلب منها إيصاله بمحرر آخر يعرفه. كان تنغو يكتب مقالات قصيرة باسم مستعار في المجلة الشهرية ويحررها هذا الرجل، الذي يكبر تنغو بسنتين أو ثلاث، وكان يعامله بلطف عموماً، ما يُعزى جزئياً إلى كونهما قد تخرجا في جامعة واحدة.

قال له المحرر: «كوماتسو غائب منذ أكثر من أسبوع حتى الآن. وفي اليوم الثالث من غيابه اتصل ليقول إنه سوف ينقطع عن العمل مدة

لأنه ليس على ما يرام، ولم نره منذ ذلك الحين. وقد جُن جنون الزملاء في قسم الإصدارات. فهو المسؤول عن 'الشرنقة الهوائية' وحتى الآن هو مَن تولى كل شيء فيها بنفسه. كان يفترض أن يلزم نفسه بشؤون المجلة فقط، لكنه تجاهل ذلك ولم يسمح لأي أحد سواه بأن يقرب هذا المشروع، حتى عندما صدرت القصة في شكل كتاب. ولذلك إذا تغيب الآن، فلن يعرف أحد ما الذي عليه أن يفعله. إذا كان مريضاً حقاً، فما باليد حيلة، ولكن رغم ذلك..».

«ماذا جرى له؟».

«لا أدري. كل ما قاله هو أنه ليس على ما يرام. ثم وضع السماعة. لم نسمع منه كلمة واحدة منذ ذلك. كنا نريد أن نسأله عن بعض الأمور وحاولنا الاتصال به، ولكن لم نجد سوى جهاز الرد على المكالمات. لا أحد يعرف ما الذي يجب عمله».

«أليس لديه أسرة؟».

«لا، إنه يعيش وحيداً. كانت لديه زوجة وطفل، ولكني متأكد أنه قد طُلِّق منذ مدة طويلة. وهو لا يخبر أحداً بأي شيء، لذلك لا أدري فعلاً، ولكن هذا ما سمعت».

«على أي حال، من الغريب أن يتغيب أسبوعاً، ولا يتصل سوى مرة».

«أنت تعرف كوماتسو. عندما يتعلق الأمر بالذوق السليم، فليس له منه نصيب».

بينما كان يمسك بالسمّاعة، خطرت لتنغو هذه الملاحظة: «هذا صحيح، لا يمكنك أن تعرف أبداً ما سوف يفعل بعد ذلك. إنه شخص غير اجتماعي ويمكن أن يكون أنانياً، ولكن على حدّ علمي فهو ليس مستهتراً بعمله. لا يعنيني مرضه، ولكنه لن يترك كل شيء

هكذا ثم لا يتصل بالشركة بينما تحقق 'الشرنقة الهوائية' كل هذا الرواج. إنه ليس بهذا السوء».

قال المحرر: «معك كل الحق. ربما يجب أن يذهب أحدنا إلى منزله ويتحرى الأمر. لقد جرت كل هذه المشكلات مع ساكي جاكه بعد اختفاء فوكا-إري، وما زلنا لا نعرف مكانها. ربما جرى شيء ما. لا أستطيع أن أصدق أنه يتمارض حتى يتغيب عن العمل ويختبئ مع فوكا-إري، أليس كذلك؟».

لم يعلق تنغو بشيء. لم يكن يستطيع أن يخبر الرجل بأن فوكا-إري موجودة أمامه الآن، وتنظف أذنيها بماسحة قطن.

«وليست هذه هي المشكلة الوحيدة. فكلّ ما يخصّ هذا الكتاب. لا أدري، ولكن يوجد خَطب ما وراءه. إننا سعداء لأنه يحقق رواجاً كبيراً، ولكنه به شيء ليس سليماً تماماً. ولست أنا الوحيد الذي يشعر بذلك: كثيرون في الشركة لديهم الشعور نفسه. آه، بالمناسبة، يا تنغو، هل كان لديك شيء تود أن تتحدث إلى كوماتسو بشأنه؟».

«لا، لا شيء محدد. لم أتحدث إليه منذ مدة، ولذلك كنت أود أن أسأل فقط ماذا يفعل».

«ربما نال منه ضغط العمل أخيراً. على أي حال، 'الشرنقة الهوائية' هي أول كتاب لهذه الشركة يصل إلى قائمة الأفضل مبيعاً منذ تأسيسها. وأنا أتطلع للحصول على مكافأة هذه السنة. هل قرأت الكتاب؟».

«بالطبع، قرأت المخطوطة عندما قدِّمت للمنافسة على الجائزة».

«آه. هذا صحيح. لقد كنت مُحكِّماً في الجائزة».

«أرى أنها كانت مكتوبة بشكل جيد ومشوقة جداً، أيضاً».

«أوه، إنها مشوقة فعلاً، وتستحق القراءة».

أحسّ تنغو بنبرة تهديد في عبارته. «ولكن هل يضايقك شيء فيها؟».

«حسناً، إنه مجرد رأي لمحرر. أنت محق في أنها مكتوبة بشكل جيد. مكتوبة بشكل جيد يفوق قليلاً ما يمكن لفتاة في السابعة عشرة أن تكتبه في أول أعمالها. والآن ها هي قد اختفت. ولا نستطيع الاتصال بمحررها. إن هذا الكتاب يشبه سفينة أشباح قديمة ليس على متنها أحد، والتي تظلّ تبحر طوال الوقت، وأشرعتها مرفوعة، وهي تمضي في مسارها البحري الأفضل مبيعاً».

غمغم تنغو بنخرة غير مفهومة.

«إنها مريبة. وغامضة. جيدة جداً إلى درجة لا تصدق. هذا بيني وبينك، ولكن الناس هنا يتهامسون أن كوماتسو نفسه ربما نقَّح المخطوطة - بدرجة تفوق ما يسمح به المنطق السليم. لا يمكنني أن أصدق ذلك، ولكن إذا صحَّ، فنحن ربما نمسك بقنبلة موقوتة».

«ربما هي مصادفات الحظ السعيد».

قال المحرر: «وحتى إن حصل ذلك، فليس للحظ السعيد أن يستمر طويلاً».

شكره تنغو وانتهت المكالمة.

بعد أن وضع السماعة، قال تنغو لفوكا-إري: «السيد كوماتسو لم يذهب إلى العمل طوال الأسبوع الماضي. لا يستطيعون الوصول إليه».

لم تقل فوكا-إري شيئاً.

قال تنغو: «يبدو أن الأشخاص المحيطين بي يختفون واحداً تلو الآخر».

ظلت فوكا-إري على صمتها ولم تقل شيئاً.

تذكر تنغو فجأة حقيقة مفادها أن الإنسان يفقد يومياً خمسين مليون خلية جلدية. الخلايا تنقشط، وتتحول إلى غبار غير مرئي، ثم تتلاشى في الهواء. ربما، **لسنا سوى خلايا جلدية في هذا العالم. إذا كان الأمر كذلك، فليس هناك ما يستدعي الدهشة عندما يختفي شخصٌ ما فجأة في أحد الأيام.**

قال تنغو: «ربما أنا التالي».

قالت فوكا-إري بعد أن هزت رأسها هزة ضئيلة وصغيرة: «لستَ أنت».

«لماذا لستُ أنا؟».

«لأنني قمت بعملية تطهير».

راح تنغو يفكر في ذلك عدة ثوانٍ دون أن يصل إلى شيء. أدرك من البداية أنه مهما فكر فإن تفكيره لن يُجدي نفعاً. ومع ذلك، لا يمكنه أن يقلع عن التفكير بشكل كليّ.

قال تنغو: «على أي حال، نحن لا نستطيع رؤية السيد كوماتسو الآن. ولا يمكنني أن أردّ له المال».

قالت فوكا-إري: «المال ليس هو المشكلة».

سألها تنغو: «إذاً ما هي المشكلة؟».

بطبيعة الحال، لم يتلقَّ منها جواباً.

قرر تنغو المضي قدماً في قراره الذي اتخذه الليلة السابقة بالبحث عن أومامه. إذا أمضى اليوم كله في جهد مكثَّف، فعلى الأقل يجب أن يخرج ولو بشيء يشبه الحلّ. ولكن تبين له أن الأمر لن يكون بهذه السهولة في واقع الأمر. ترك فوكا-إري في شقته (بعد أن حذرها مراراً

من فتح الباب لأحد) وذهب إلى مقر شركة الهاتف، التي لديها مجموعة كاملة من أدلة الهاتف لكل منطقة في البلاد، وتتيحها لاستخدام الجمهور. تصفَّح أدلة ثلاثة وعشرين حياً في مدينة طوكيو، بحثاً عن اسم «أومامه». وحتى إذا لم يجد أومامه نفسها، فربما يجد قريباً لها يعيش هناك، وعندئذٍ يمكنه أن يسأله عن أخبارها.

لكنه لم يجد أحداً يحمل اسم أومامه. وسّع نطاق بحثه ليشمل طوكيو الكبرى كلها ومع ذلك لم يجد أحداً. وسع بحثه أكثر ليشمل منطقة كانتو كلها - التي تضم أقاليم تشيبا، وكاناجاوا، وسايتاما. وعند هذه النقطة، نفد ما لديه من وقت وطاقة. بعد يوم كامل من التحديق في حروف الطباعة الصغيرة لأدلة الهاتف، بدأت عيناه تؤلمانه.

خطرت بذهنه عدة احتمالات.

1 أنها تعيش في إحدى ضواحي مدينة أوتاشيناي في هوكايدو.
2 أنها تزوجت وغيَّرت اسمها إلى «إيتو».
3 أنها لم تدرج رقم هاتفها في الدليل حمايةً لخصوصيتها.
4 أنها ماتت في الربيع قبل عامين متأثرة بفيروس الأنفلونزا الفتاك.

لا بد أنه يوجد عدد كبير من الاحتمالات الأخرى التي تضاف إلى الاحتمالات السابقة. لم يكن معقولاً أن يعتمد على أدلة الهاتف فحسب. وليس بوسعه أن يقرأ كل دليل هاتف في البلاد. ربما لن يصل أخيراً إلى هوكايدو إلا في الشهر التالي. كان عليه أن يجد وسيلة أخرى.

اشترى تنغو بطاقة هاتف ودخل إحدى كبائن شركة الهاتف. اتصل بمدرستهما الابتدائية القديمة في إتشيكاوا وسأل موظفة مكتب البنات التي ردت على الهاتف وطلب منها أن تبحث عن عنوان أومامه المحفوظ في سجلات المدرسة، قائلاً إنه يريد الوصول إليها في مسألة تخص جمعية الخريجين. بدت المرأة لطيفة ومتأنية وأخذت تستعرض جداول الخريجين. كانت أومامه قد نُقلت إلى مدرسة أخرى في الصف الخامس ولم تكن خريجة. ولذلك لم يظهر اسمها في القائمة، ولم تعرف الموظفة عنوانها الحالي. لكن مع ذلك، سيكون من الممكن العثور على عنوانها الذي انتقلت إليه في ذلك الوقت. سألته إن كان يريد معرفته؟

أجاب تنغو بأنه يريد ذلك.

دوَّن العنوان ورقم الهاتف، «سي/ أو كوجي تزاكي» في حي أداتشي في طوكيو. كانت أومامه على ما يبدو قد تركت منزل والديها في ذلك الوقت. لا بد أن شيئاً ما قد جرى. ولأن فهم ما جرى كان محالاً على الأرجح، فقد حاول تنغو الاتصال برقم الهاتف. كما توقع، لم يعد الرقم موجوداً بالخدمة. كان قد مضى على ذلك عشرون سنة، على أي حال. اتصل بإدارة المعلومات وأعطاهم العنوان واسم كوجي تزاكي، ولكن تبين له أن ذلك الرقم لم يعد مسجلاً بهذا الاسم.

حاول تنغو بعد ذلك العثور على رقم الهاتف الخاص بمقر جمعية الشهود، ولكن اسمها لم يكن قد أدرج ضمن أي دليل هاتف من الأدلة التي طالعها - لا شيء تحت عنوان «قبل مجيء الطوفان» ولا شيء تحت عنوان «جمعية الشهود» أو أي شيء آخر من هذا القبيل. جرَّب الدليل المبوَّب تحت عنوان «منظمات دينية» ولكنه لم يجد شيئاً.

في نهاية هذا الجهد، خلص تنغو إلى أنهم ربما لا يريدون من أحد الاتصال بهم.

عندما أمعن التفكير في ذلك، بدا ذلك له أمراً غريباً نوعاً ما. كانوا دائمي الظهور. وكانوا يدقون الجرس أو يطرقون الباب، لا يعنيهم إذا كنت مشغولاً، أو تخبز كعكاً، أو تقوم بلحام وصلة، أو تغسل شعرك، أو تدرب فأراً على أداء الحيل، أو تفكر في دوال تربيعية، وبابتسامة عريضة، يدعونك لدراسة الكتاب المقدس معهم. لم يكن لديهم مشكلة في القدوم لرؤيتك، ولكنك لا تملك حرية الذهاب لرؤيتهم (ما لم تكن مؤمناً، ربما). لا يمكنك أن تسألهم سؤالاً بسيطاً واحداً. وهو أمر لم يكن مريحاً.

ولكن حتى إذا تمكن من العثور على رقم هاتف الجمعية واتصل بهم، فمن الصعب أن تتخيل أن مثل هذا التنظيم الحذر سوف يكشف طوعاً عن معلوماتٍ تخص فرداً مؤمناً. لا شك أن لديهم أسبابهم التي تجعلهم في غاية الحذر. أناس كثيرون كانوا يكرهونهم بسبب أفكارهم المتطرفة والغريبة، وبسبب الطبيعة الانغلاقية التي يتسم بها دينهم. لقد تسببوا في العديد من المشكلات الاجتماعية، ما جعل معاملة الآخرين لهم ترقى في كثير من الأحيان إلى الاضطهاد. لقد أصبحت طبيعة ثانية لهم على الأرجح أن يحموا مجتمعهم من عالم خارجي لا يرحب بوجودهم.

على أي حال، أوقف تنغو بحثه عن أومامه، على الأقل في الوقت الراهن. لم يستطع أن يفكر على الفور في طرق البحث الأخرى الممكنة. كان اسم أومامه اسماً غريباً لا يمكنك أن تنساه أبداً بمجرد سماعه مرة واحدة. ولكن عندما حاول أن يتتبع خطى إنسان واحد يحمل هذا الاسم، وجد نفسه يصطدم سريعاً بحائط

صلب. ربما يكون الأسرع له أن يتوجه مباشرة بسؤاله لأعضاء جمعية الشهود. رأى أنه إذا توجه إلى مقر الجمعية بالسؤال فسوف يتشككون غالباً في دوافعه ويرفضون إخباره بأي شيء، ولكن إذا كان له أن يسأل بعض الأفراد، فربما يكونون من اللطف بدرجة تكفي لأن يخبروه. ولكن تنغو لم يكن يعرف عضواً واحداً من جمعية الشهود. ومع التفكير بإمعان، تبين له أن أحداً من الجمعية لم يطرق بابه خلال عشر سنوات أو أكثر حتى الآن. لماذا لا يأتون عندما أريدهم، ولماذا لا يأتون إلا عندما لا أريدهم؟

إحدى الطرق التي خطرت له هي أن يضع إعلاناً مبوباً في الصحف. «أومامه، أرجو الاتصال بي فوراً. كاوانا». تبدو جملة بلهاء. لم يكن تنغو يعتقد أن أومامه سوف تكلف نفسها عناء الاتصال به حتى إذا رأت مثل هذا الإعلان. وربما يجعلها تنأى عنه في نهاية الأمر. لم يكن «كاوانا» اسماً شائعاً، أيضاً، ولكن تنغو لم يكن يعتقد أن أومامه لا تزال تذكره. كاوانا - من هذا؟ إنها لن تتصل به فحسب. وفوق ذلك، من الذي لا يزال يقرأ الإعلانات المبوبة، على أي حال؟

أما الطريقة الأخرى فربما هي الاستعانة بمخبر خاص. لا بد أنهم يعرفون كيف يبحثون عن شخص. لديهم أساليبهم وعلاقاتهم. المفاتيح التي لدى تنغو بالفعل ربما تكون كافية كي يعثروا عليها على الفور. وربما لن يكلفه ذلك كثيراً. فكر تنغو، ولكن ذلك ربما يجب أن يكون بمثابة الملاذ الأخير. سوف يبذل مزيداً من الجهد ويرى ما الذي يمكن أن يكتشفه بنفسه.

عندما بدأ ضوء النهار يتلاشى، عاد إلى المنزل فوجد فوكا-إري

تجلس على الأرض، وتستمع إلى أسطوانات قديمة لموسيقى الجاز، تركتها صديقته. وجد أغلفة الأسطوانات مبعثرة على الأرض، ديوك إلينجتون، وبيني جودمان، وبيلي هوليداي. كانت تضع عندئذٍ على القرص الدوار لويس أرمسترونج وهو يغني «Chantez les Bas»، وهي إحدى أغنياته الخالدة. ذكَّرته بصديقته. كانا كثيراً ما يستمعان إلى هذه الأغنية كفاصل بين نوبات الجنس. قرب النهاية، كان عازف الترومبون، ترامي يونج، يندفع وينسى أن ينهي عزفه المنفرد عند النقطة المتفق عليها، ويعزف ثمانية فواصل إضافية. كانت صديقته توضح له: «هنا، هذا هو الجزء». وحينما تنتهي الأغنية، كانت مهمة تنغو هي أن يغادر الفراش عارياً، ويذهب إلى الغرفة المجاورة، ويقلب الأسطوانة كي يشغل الجانب الثاني. شعر بوخزة حنين إلى الماضي عندما تذكر تلك الأيام. ورغم أنه لم يعتقد يوماً أن العلاقة سوف تدوم إلى الأبد، فإنه لم يتوقع أن تنتهي فجأة هكذا.

شعر تنغو بالاستغراب عندما رأى فوكا-إري تستمع باهتمام لاسطوانات كيوكو ياسودا هي مَن خلفتها وراءها. كانت تبدو وهي تقطب جبينها بتركيز كامل، كأنها تحاول أن تسمع شيئاً يتجاوز هذه الموسيقى القديمة، وتبذل جهداً مضاعفاً كي ترى ظلال شيء ما في نغماتها.

«هل تحبين هذه الأسطوانة؟».

قالت فوكا-إري: «استمعتُ إليها كثيراً. هل لديك مانع».

«لا، بالتأكيد. ولكن ألا تشعرين بالملل وأنت هنا وحدك؟».

هزت فوكا-إري رأسها هزة خفيفة: «لدي أشياء للتفكير فيها».

كان تنغو يريد أن يسأل فوكا-إري عمّا وقع بينهما أثناء العاصفة الرعدية. **لماذا فعلت ذلك؟** لم يستطع أن يصدق أن فوكا-إري يمكن

أن تشتهيه جنسياً. لا بد أن ذلك، كان عملاً أخذ شكلاً لا صلة له بممارسة الجنس. إذا كان الأمر كذلك، فما هو المعنى الممكن؟

حتى إن سألها عن ذلك صراحة، فإنه يشك في أنها يمكن أن تقدم له جواباً مباشراً. ولم يكن تنغو يستطيع أن يحمل نفسه تماماً على طرح موضوع من هذا القبيل مباشرة في مثل هذه الأمسية الهادئة والجميلة من شهر سبتمبر. كان ذلك عملاً تم من وراء حجاب في ساعة مظلمة ومكان مظلم ووسط عاصفة رعدية مستعرة. وإذا أُخرج ذلك العمل في الظروف العادية، فربما تتغير طبيعة معناه.

ولذلك طرح تنغو السؤال من زاوية مختلفة، زاوية تقتضي جواباً بسيطاً بنعم أو لا. «ألم تبلغي المحيض بعد؟».

«لا» جاء جواب فوكا-إري مقتضباً.

«لم تحيضي قطّ ولا حتى مرة واحدة؟».

«لا، ولا حتى مرة واحدة».

«ربما لا شأن لي بذلك، ولكنك في السابعة عشرة. ربما ليس طبيعياً ألا تحيضين حتى الآن».

هزت فوكا-إري كتفيها بلا مبالاة.

«هل قصدتِ طبيباً لاستشارته؟».

هزت فوكا-إري رأسها. «لن يفيد».

«لماذا لن يفيد؟».

لم تجب فوكا-إري. ولم يظهر عليها ما يوحي بأنها حتى سمعت السؤال. لعلّ في أذنيها صماماً خاصاً يحدد ملاءمة السؤال أو عدم ملاءمته، ويفتح ويغلق حسب الحاجة، مثل خياشيم حورية البحر.

سأل تنغو: «هل الناس الصغار ضالعون في ذلك أيضاً؟».

مرة أخرى لم تجبه.

أطلق تنغو تنهيدة. لم يعد يستطيع أن يفكر في أي سؤال آخر يمكن أن يقربه من فهم ما جرى الليلة السابقة. انتهى المسار الضيق وغير الأكيد عند تلك النقطة، ولم يجد في انتظاره سوى غابة كثيفة. نظر في قدميه، واستطلع محيطه، ونظر إلى السماء. هذه هي دائماً المشكلة التي تظهر عند الحديث مع فوكا-إري. كل الطرق معها كانت حتماً تنقطع. ربما يستطيع الجلياك مواصلة السير بانتظام حتى بعد انقطاع الطريق، ولكن ذلك كان مستحيلاً لدى تنغو.

بدلاً من أن يطرق موضوعاً جديداً. قال: «إنني أبحث عن شخص بعينه. امرأة».

لم يكن هناك فائدة من الحديث حول ذلك مع فوكا-إري. كان تنغو يدرك ذلك تماماً. ولكنه كان يريد أن يتحدث مع أحد عن ذلك. كان يريد أن يسمع نفسه وهو يخبر أحداً ما، أي أحد، بما يدور في ذهنه عن أومامه. إذا لم يفعل، فسوف يشعر أن أومامه سوف تزداد بُعداً عنه.

«لم أرها منذ عشرين سنة. كنت في العاشرة عندما رأيتها آخر مرة. هي وأنا في العمر نفسه. كنا في صف دراسي واحد في مدرسة ابتدائية. وقد جرَّبت طرقاً مختلفة للعثور عليها دون فائدة».

انتهت الأسطوانة. رفعتها فوكا-إري من القرص الدوار، وضيَّقت عينيها، وتشممت رائحة الفينيل عدة مرات. ثم، أمسكتها بعناية من حوافها حتى لا تترك بصمات إصبعها عليها، ووضعتها داخل غلافها الورقي ثم وضعت الغلاف في حاوية الأسطوانة بلطف وحنان، وكأنها تنقل قطة نائمة إلى سريرها.

سألته فوكا-إري دون نبرة استفهام: «هل تريد أن ترى هذا الشخص».

«نعم، فهي ذات أهمية كبيرة لدي».

سألت فوكا-إري: «هل كنت تبحث عنها منذ عشرين سنة».

قال تنغو: «لا، لم أفعل». وبينما كان يبحث عن الكلمات الملائمة لمتابعة كلامه، ضم تنغو يديه على المائدة. «حتى أكون صريحاً معك، لم أبدأ البحث عنها إلا اليوم».

قالت: «اليوم».

سأل تنغو نيابة عن فوكا-إري: «إذا كانت بهذه الأهمية الكبيرة لديك، فلماذا لم تبحث عنها سوى اليوم؟» وأجاب: «سؤال وجيه».

نظرت فوكا-إري إليه في صمت.

قام تنغو بترتيب أفكاره على نحو ما. ثم قال: «ربما كنت أسلك الآن طريقاً جانبياً طويلاً. هذه الفتاة المسماة أومامه كانت، كيف أقول ذلك؟ في مركز الوعي لدي كل هذا الوقت دون انقطاع. كانت بمثابة مرساة لوجودي. ورغم هذه الحقيقة، هل هي حقيقة؟ أظن أنني لم أدرك أهميتها تماماً لأنها كانت دائماً شديدة القرب من المركز».

حدقت فوكا-إري في تنغو. كان من المستحيل أن تحدد من خلال نظرتها هل هذه الفتاة فهمت أي شيء ممّا قيل. ولكن ذلك لم يكن يهمه. كان تنغو يتحدث إلى نفسه تقريباً.

«ولكني أخيراً أدركت: إنها ليست صورة ولا رمزاً ولا مجازاً. إنها موجودة بالفعل: لديها جسد دافئ وروح تتحرك. لم يكن ينبغي أن يغيب عني هذا الدفء وتلك الحركة. استغرقت عشرين سنة كي أفهم شيئاً في غاية الوضوح. دائماً ما أستغرق مدة في التفكير، ولكن في هذه الحالة طال تفكيري أكثر مما ينبغي. ربما فات الأوان فعلاً. ولكني بطريقة أو أخرى، أريد العثور عليها».

واضعة ركبتيها على الأرض، اعتدلت فوكا-إري، فيما برزت

حلمتاها من خلال قميص الـ«تي شيرت» الذي يحمل صورة جيف بيك.

قالت فوكا-إري ببطء، وكأنها تتأمل كل مقطع: «آه-أ-و-ما-مه».

«نعم. بازلاء خضراء. إنه اسم غير مألوف».

قالت فوكا-إري دون نبرة استفهام: «تريد لقاءها».

«نعم، بالطبع أريد لقاءها».

عضت فوكا-إري على شفتها السفلى فيما استغرقت لحظة للتفكير في شيء ما. ثم رفعت رأسها وكأنها قد عثرت على فكرة جديدة وقالت: «ربما تكون قريبة جداً».

الفصل السابع عشر

أومامه

يُخرج الفأر

تضمنت أخبار نشرة السابعة صباحاً في التلفزيون تقريراً مطولاً حول غرق محطة قطار أنفاق أكاساكا-متسوكي، فيما خلت من أي إشارة لموت زعيم ساكي جاكه في أحد أجنحة فندق أوكورا. ومع انتهاء نشرة أخبار «إن إتش كيه»، تحولت أومامه لقنوات أخرى شاهدت الأخبار عبرها، ولكن أيّاً منها لم تعلن نبأ الموت الرحيم الذي تجرعه هذا الرجل ذو البنيان الضخم.

فكرت أومامه وقد قطّبت جبينها، **لقد أخفوا جثته**. كان تامارو قد توقع هذا الاحتمال، ولكن تعذّر عليها أن تصدق أنهم سوف يفعلونها في الواقع. تمكنوا بطريقة ما من نقل جثمان الزعيم إلى خارج فندق أوكورا، ووضعوه في سيارة، ثم حملوه بعيداً. كان رجلاً ضخم البنيان، ولا بد أن الجثمان كان ثقيلاً للغاية. وكان الفندق ممتلئاً بالضيوف والموظفين. وكاميرات المراقبة في كل مكان. كيف نجحوا في حمل الجثمان إلى موقف سيارات الفندق الموجود تحت الأرض دون أن يلحظهم أحد؟

لا بد أنهم نقلوا الجثمان ليلاً إلى مقرهم في ياماناشي وبعد ذلك

عقدوا نقاشاً حول ما يتعين عليهم فعله. وعلى الأقل لم يكن عليهم أن يبلغوا الشرطة رسمياً بخبر وفاته. عندما تخبئ شيئاً، فعليك أن تبقيه مخبأً.

بطبيعة الحال، لم تكن أومامه تدري شيئاً عن الكيفية التي سوف يملؤون بها الفراغ الناجم عن وفاة الزعيم. ولكنهم سوف يستنفدون جميع الوسائل المتاحة كي يحافظوا على التنظيم. وكما كان الرجل نفسه قد قال، النظام سوف يبقى مع وجود الزعيم أو مع انعدام وجوده. من يمكنه أن يرث منصب الزعيم؟ لا علاقة لأومامه بهذه المشكلة. كانت مهمتها تصفية الزعيم، وليس سحق الديانة.

فكرت في الحارسين الشخصيين ببذلتيهما السوداوين. الرأس الحليق وذيل الحصان. عندما عادا إلى المقر، هل سيتم اعتبارهما مسؤولين عن السماح بتصفية الزعيم أمام أعينهما؟ تخيلت أومامه مهمتهما التالية: «اعثرا على تلك المرأة، مهما كانت الظروف. لا تعودا إلى هنا حتى تجداها». ربما.

تناولت تفاحة على الفطور ولكن دون شهية للطعام تقريباً. لا يزال الإحساس بالإبرة وهي تُغرَز في مؤخر رقبة الرجل عالقاً في يدها. وبينما كانت تقشر التفاحة بسكين صغير في يدها اليمنى، شعرت بارتجافة خفيفة تعتري جسدها - لم تكن قد جربتها من قبل. عندما كانت تقتل شخصاً في الماضي، كانت ذكرى القتل تتلاشى تقريباً بعد ليلة تنامها. ورغم أنها لم تشعر قط بأي شعور جيد إزاء سلبها حياة شخص ما، فإن هؤلاء كانوا جميعاً رجالاً لا يستحقون العيش في هذه الحياة. كانوا يثيرون الاشمئزاز أكثر ممّا يستحقون الشفقة الإنسانية. ولكن هذه المرة كانت مغايرة. وبنظرة موضوعية، ربما كان ما يصنعه هذا الرجل فيه إهانة للإنسانية. ولكنه هو نفسه،

ومن جوانب كثيرة، يُعد إنساناً استثنائياً، وكان يبدو أن هذه الاستثنائية، على الأقل في جزء منها، تتجاوز معايير الخير والشر. وكان إنهاء حياته أيضاً عملاً استثنائياً. فقد ترك أثراً من نوع غريب في يديها - أثراً استثنائياً.

أما ما خلَّفه وراءه فكان «وعداً». كانت هذه هي الخلاصة التي اهتدت إليها أومامه بأفكارها. وقد ترك ثِقل هذا الوعد في يديها علامة. فهمت ذلك. وقد لا تزول العلامة من يديها أبداً.

رنَّ الهاتف بعد التاسعة بقليل. كان تامارو في الطرف الآخر. رنَّ ثلاث مرات، ثم توقف، ثم رن مرة أخرى بعد عشرين ثانية.

قال تامارو: «لم يتصلوا بالشرطة على أي حال. الخبر ليس موجوداً في نشرات الأخبار التلفزيونية أو في الصحف».

«لكنه مات، أنا واثقة».

«نعم، بالطبع، أعرف ذلك. لا شك أنه مات. جرت بعض التحركات هناك. لقد خرجوا بالفعل من الفندق. واتصلوا بالعديد من الأشخاص من فرعهم الموجود في المدينة في منتصف الليل، على الأرجح للمساعدة في التعامل مع الجثمان. إنهم يجيدون مثل هذه الأعمال. في الواحدة صباحاً تقريباً، غادرت سيارة مرسيدس من فئة «إس كلاس» وشاحنة «تويوتا هايس» موقف السيارات الخاص بالفندق. كان زجاج النوافذ فيهما معتماً وكانتا تحملان لوحتي أرقام خاصة بمحافظة ياماناشي. ربما عادت السيارتان إلى مقر ساكي جاكه قبل شروق الشمس. الشرطة أجرت تحقيقاً في المجمع أول أمس، ولكنه لم يكن تحقيقاً واسع النطاق، وغادر جميع الضباط بعدئذٍ:

توجد في ساكي جاكه محرقة كبيرة. إذا رميت فيها جثماناً، فلن تترك منه عظمة واحدة، ولن يتبقى منه سوى دخان نظيف».

«إنهم مرعبون».

قال: «إنهم مجموعة مرعبة، فعلاً. حتى لو مات زعيمهم، فسوف يظلّ التنظيم يتحرك مدة، مثل ثعبان يزحف حتى بعد قطع رأسه. وسواء أكان الرأس مقطوعاً أو موجوداً، فإنه يعرف بالضبط إلى أين يتجه. لا أحد يستطيع أن يعرف ما سيحدث في المستقبل. قد يموت. أو يُخرج رأساً جديداً».

«لم يكن شخصاً عادياً».

لم يعلق تامارو برأي حول ذلك.

قالت أومامه: «مختلف تماماً عن الآخرين».

استغرق تامارو برهة كي يقيس صدى كلماتها. ثم قال: «نعم، يمكنني أن أتصور أنه كان مختلفاً عن الآخرين. ولكن يجدر بنا أن نبدأ التفكير في ما سيحدث من الآن فصاعداً، وأن نكون عمليين أكثر قليلاً. وإلا فلن يكون بوسعك البقاء على قيد الحياة».

رأت أومامه أنه ينبغي لها أن تقول شيئاً، ولكن لم تسعفها الكلمات. كانت ارتعاشة جسدها لا تزال كما هي.

قال تامارو: «السيدة تريد التحدث إليك. هل يمكنك التحدث إليها؟».

قالت أومامه: «بالطبع».

أخذت الأرملة الهاتف. كان بوسع أومامه أن تشعر بارتياح في صوتها.

«أنا ممتنة لك جداً، أكثر ممّا يمكن لأيّ كلمات أن تعبّر. لقد أديت هذه المهمة بإتقان».

قالت أومامه: «أشكرك كثيراً. لكني لا أعتقد أني سوف أستطيع ذلك مرة أخرى».

«لا، أدرك ذلك. قد أثقلنا عليك. أنا مسرورة لأنك بخير. لن نطلب منك ذلك بعد الآن. كانت هذه هي آخر مرة. لقد جهزنا لك مكاناً كي تستقرين فيه. لن يكون عليك الانشغال بأي شيء. فقط الاختفاء بعض الوقت في منزل آمن. وأثناء ذلك، سوف نقوم بترتيبات تضمن لك الانتقال إلى حياة جديدة».

شكرتها أومامه.

«هل لديك كل ما تحتاجين هناك؟ إن لم يكن، أخبريني. سوف أجعل تامارو يُعنى بذلك على الفور».

«لا، أشكرك. على حدّ علمي، كل ما أحتاجه موجود هنا».

نظفت الأرملة حنجرتها بشكل خفيف: «والآن، أريدك أن تتذكري ما سأقوله لك. ما فعلناه هو عين الصواب. لقد عاقبنا الرجل على جرائمه ومنعناه من ارتكاب جرائم أخرى. لن يكون له ضحايا أخريات. لقد وضعنا نهاية لذلك. لا تدعي أمره يزعجك».

«إنه قال الشيء نفسه».

«أحقاً؟».

«زعيم ساكي جاكه. الرجل الذي اعتنيتُ به الليلة الماضية».

بقيت الأرملة صامتة خمس ثوانٍ كاملة. ثم قالت: «كان يعلم؟»

«نعم، كان يعلم أنني هناك كي أعتني به، ومع ذلك سمح لي بالدخول. كان، على العكس، يتمنى الموت. جسده كان قد تعرض بالفعل لعلل خطيرة ويمضي نحو نهاية بطيئة ولكنها محتومة. كل ما فعلته هو أنني سرّعت ذلك قليلاً وقدمت الراحة لجسد يتعذب بالألم الشديد».

بدا أن الأرملة صُدمت بشدة لسماع ذلك. مرة أخرى لم تسعفها الكلمات، وهو أمر لا تألفه.

قالت الأرملة وهي تبحث عن الكلمات المناسبة: «هل تقصدين أنه هو نفسه كان يرجو عقاباً على أفعاله؟».

«كان يريد أن ينهي حياته المؤلمة في أقرب وقت ممكن».

«وقرر أن يسمح لك بقتله».

«بالضبط».

لم تقل أومامه شيئاً عن الصفقة التي أبرمتها مع الزعيم. كي يُسمح لتنغو بالعيش في هذا العالم، سوف يكون عليها هي أن تموت: لم يكن هذا الاتفاق معروفاً إلّا لأومامه وللرجل. لم يكن لأحد سواهما أن يعرف.

قالت أومامه: «الأعمال التي ارتكبها أعمال منحرفة ويستحق عليها الموت، ولكنه ليس إنساناً عادياً. أو على الأقل كان لديه شيء خاص».

قالت الأرملة: «شيء خاص؟».

قالت أومامه: «من الصعب أن أشرح ذلك. ولكنها قدرة أو موهبة خاصة وعبء ثقيل في الوقت ذاته. وأعتقد أنها كانت تنخر فيه من الداخل وهو حي».

«هل يمكن أن يكون ذلك الشيء الخاص هو ما دفعه نحو هذا السلوك الانحرافي؟».

«ربما».

«على أي حال، لقد وضعت نهاية لذلك».

قالت أومامه بنبرة جامدة: «هذا صحيح».

بينما تمسك السماعة بيدها اليسرى، مدت أومامه يدها اليمنى،

التي كان الإحساس بالموت لا يزال عالقاً بها، وحدقت في كفها. ما الذي يعنيه بقوله «دخل في قران غامض» مع هؤلاء الفتيات؟ لم تستطع أومامه أن تفهم ذلك أو تشرحه للأرملة.

«مثلما أفعل دائماً، جعلت الموت يبدو وفاةً طبيعية، ولكنهم على الأرجح لن يفعلوا فينا هذا الصنيع ويروا المسألة على هذا النحو. بالنظر إلى الملابسات، فأنا واثقة أنهم سوف ينتهون إلى أنّ لي صلة بذلك. وكما تعلمين، فإنهم لم يبلغوا الشرطة بوفاته حتى الان».

قالت الأرملة: «أياً كانت الخطوات التي يتخذونها، فسوف نفعل كل ما في وسعنا لحمايتك. لديهم تنظيمهم، ولكننا لدينا اتصالات قوية ومال وفير. وفوق ذلك، فأنت حذرة وذكية. لن ندعهم يعثرون عليك».

سألت أومامه: «ألم تعثري على تسوباسا بعد؟».

«ما زلنا لا نعرف مكانها. أعتقد أنها في مجمع ساكي جاكه. ليس لديها مكان آخر. ونحن لم نجد بعد طريقة لاستعادتها، ولكني أظن أن موت الزعيم قد أصاب الجماعة بالارتباك. ربما يمكننا أن نفعل شيئاً ونستغل هذا الارتباك لإنقاذها. لا بد أن نحمي هذه الطفلة».

وفقاً للزعيم، فإن وجود هذه الطفلة في دار الإيواء لم يكن وجوداً حقيقياً. كانت مجرد شكل من أشكال الإدراك ولذلك تمّ «استرجاعها». ولكن أومامه لم تكن تستطيع أن تقول ذلك للأرملة الآن. ولم تكن أومامه نفسها تعرف ما يعنيه بذلك. لكنها، تتذكر ارتفاع الساعة الموضوعة فوق الرخام. لقد رأت ذلك بأم عينيها.

سألت أومامه: «كم يوماً سأظل مختبئة في هذا المنزل؟».

«ما بين أربعة أيام إلى أسبوع. بعد ذلك سيكون لك اسم جديد

ووظيفة جديدة، وتنتقلين إلى مكان بعيد. وبمجرد أن تستقري، سيكون علينا أن نقطع كل الاتصالات معك من أجل سلامتك. لن يكون في وسعي أن أراك لفترة من الوقت. وبالنظر إلى سني المتقدمة، فربما لن أراك مرة أخرى. ربما كان من الأفضل ألّا أورطك في هذا العمل المزعج مطلقاً. لقد فكرت في هذا مرات ومرات. وحينئذٍ لم أكن لأخسرك بهذه الطريقة. ولكن. . . ».

تحشرج صوت الأرملة في حنجرتها. انتظرتها أومامه في هدوء كي تواصل كلامها.

«لكني لست نادمة. كل شيء كان مقدَّراً تقريباً. كنت مضطرة لإشراكك. لم يكن لدي خيار آخر. كانت هناك قوة هائلة تدفعني لذلك. ولكني أشعر بالأسى لأجلك بعدما وصل الأمر إلى هذا الحد».

«ومن ناحية أخرى، هناك شيء مشترك يجمعنا، شيء مهم، ولا يمكن أن يجمعنا بأحد آخر، وهو شيء لم يكن لنا أن نصل إليه بأيّ طريقة أخرى».

قالت الأرملة: «نعم، أنت محقة».

«أنا أيضاً كنت بحاجة إلى أن أشاركك هذا الشيء».

«أشكرك على هذا الكلام. إنه يمنحني بعض الراحة».

كانت أومامه تشعر هي الأخرى بالألم كلما فكرت أنها لن تتمكن مرة أخرى من رؤية الأرملة، التي كانت إحدى الأواصر القليلة التي تربطها بالعالم الخارجي.

قالت أومامه: «اعتني بنفسك».

قالت الأرملة: «وأنت أيضاً. واسعدي في حياتك».

قالت أومامه: «إذا أمكن ذلك». كانت السعادة إحدى أكثر الأشياء بُعداً عنها.

عاد تامارو على الهاتف.

سألها: «لم تستخدميه حتى الآن، أليس كذلك؟».

«لا، ليس بعد».

«حاولي جهدك ألّا تستخدميه».

«سوف أضع ذلك في الاعتبار».

بعد صمت للحظة، عاد تامارو: «أتذكر أني أخبرتك في ذلك اليوم بأني نشأت في دار أيتام في جبال هوكايدو».

«وتم إيداعك هناك بعد إجلائك من سخالين عندما فُصلت عن أبويك».

«كان يوجد في دار الأيتام هذه صبي يصغرني بسنتين. كان مختلط العرق: نصفه ياباني، ونصفه أسود. أظن أن والده كان جندياً في القاعدة الأميركية في ميساوا. لا أعرف شيئاً عن والدته، ولكن ربما كانت عاهرة أو مضيفة في حانة. لقد تخلت عنه سريعاً بعد أن وضعته، وتم إيداعه في دار الأيتام. كان جسمه أكبر من جسمي بكثير، ولكنه لم يكن بالغ الذكاء. واعتاد الأطفال الآخرون أن يُعيروه، بالطبع، بسبب اختلاف لونه. لعلك تعرفين كيف يجري هذا».

«أظن ذلك».

«أنا أيضاً لم أكن يابانياً، ولذلك رأيت أنّ من واجبي أن أحميه بطريقة أو بأخرى. كانت ظروفنا متشابهة - لاجئ كوري وطفل مختلط غير شرعي يتحدر من رجل أسود وعاهرة. لا يمكنك الانحدار أكثر من ذلك. ولكن ذلك عاد عليّ بالنفع وجعلني أشدّ صلابة. ومع ذلك

لم يحدث ذلك معه. لم يكن بوسعه أن يكون صلباً. لو أنه تُرك وحده، لمات بالتأكيد. لو كنتِ في هذه الدار، لكان عليك أن تكوني صاحبة بديهة سريعة أو أن تكوني مقاتلة صلبة إذا أردتِ البقاء على قيد الحياة».

انتظرته أومامه كي يتابع كلامه.

«كان سيئاً في كل شيء. لم يكن يؤدي أي شيء بشكل سليم. لم يكن يستطيع أن يزرر قميصه أو يمسح مؤخرته. رغم ذلك، كان في النحت شخصاً آخر. كان بارعاً. أعطه بعض أدوات النحت وكتلة من الخشب، وعلى الفور سوف يقدم لك منحوتة رائعة بالفعل. لا يعتمد على رسومات أو أي شيء: تلوح الصورة في رأسه فيصنع منها شكلاً دقيقاً ثلاثي الأبعاد، ومليئاً بالتفاصيل وواقعي. كان عبقرياً. وأعماله مدهشة».

قالت أومامه: «شخص موهوب».

«نعم، بالتأكيد. أدركت ذلك لاحقاً، ما يُسمى بمتلازمة الموهوب. الأشخاص ذوو القدرات الاستثنائية. ولكن لم يكن أحد يعرف ذلك وقتئذٍ. كان الناس يفترضون أنه متخلف عقلياً أو شيئاً من هذا القبيل - طفل بطيء الذهن ولكنه يمتلك يدين بارعتين جعلتاه يتقن فن النحت. ولسبب ما، رغم ذلك، فإنّ الشيء الوحيد الذي قام بنحته هو الفئران. يمكنه أن ينحتها بشكل جميل. يجعلها تبدو وكأنها حية أنَّى نظرتِ إليها. ولكنه لم ينحت أي شيء آخر سوى الفئران. الجميع يحثونه على أن ينحت حيواناً آخر، مثل حصان أو دُب، بل إنهم اصطحبوه إلى حديقة الحيوان من أجل تلك الغاية، ولكنه لم يُظهر أدنى اهتمام بالكائنات الأخرى. ولذلك يئسوا وتركوه يسلك طريقه، لا يصنع سوى الفئران. كان يصنع فئراناً بكل شكل وحجم وهيئة.

كان أمراً غريباً في رأيي. أعني أنه لم تكن توجد أي فئران في دار الأيتام. كان الجو بارداً جداً فيها، ولم يكن يوجد طعام نتناوله. كان مكاناً بائساً جداً حتى للفئران. لم يستطع أحد أن يدرك السبب الذي جعله يصرف اهتمامه كله نحو الفئران... حسناً، على أي حال، انتشر موضوع الفئران التي يصنعها. ونشرت صحيفة محلية تقريراً عن ذلك، وبدأ الناس يطلبون شراءها. رئيس دار الأيتام، وهو كاهن كاثوليكي، جعل متجر حرف يدوية يعرض الفئران المنحوتة ويبيعها للسياح. لا بد أنها حققت بعض المال المعقول، ولكن بالطبع لا شيء منه كان يعود إلى الصبي على الإطلاق. لا أدري ماذا كانوا يفعلون بالمال، ولكني أعتقد أن كبار المسؤولين في دار الأيتام كانوا يستغلونه لما فيه فائدتهم. كل ما كان يحصل عليه الصبي هو المزيد من أدوات النحت والخشب كي يظل يصنع فئراناً في الورشة. صحيح، أنهم كانوا يجنبونه العمل الشاق في الحقول. فكل ما عليه عمله هو نحت الفئران وحده فيما كان بقيتنا في الخارج. كان محظوظاً إلى ذلك الحدّ».

«وماذا جرى له في النهاية؟».

«لا أدري حقاً. هربتُ من دار الأيتام وأنا في الرابعة عشرة وعشت بمفردي بعد ذلك. توجهت مباشرة إلى العبَّارة، وعبرت الحدود إلى الجزيرة الرئيسة، ولم تطأ قدماي هوكايدو منذ ذلك الحين. في آخر مرة رأيته، كان منكباً على طاولة العمل، ويصب كل تركيزه على منحوتته. لا يمكنك التواصل معه في تلك الأوقات، ولذلك لم يودع أحدُنا الآخر. إذا كان لا يزال على قيد الحياة، فأتصور أنه لا يزال ينحت الفئران في مكان ما. فهذا هو العمل الذي يمكنه أن يؤديه».

ظلت أومامه صامتة في انتظار بقية القصة.

«لا أزال أفكر فيه كثيراً حتى الآن. كانت الحياة في دار الأيتام رهيبة. لم يكن طعامهم يسد رمقنا، وكنا دائماً جوعى. كان الشتاء بارداً دائماً، والعمل شاقاً، وكان الأطفال الأكبر سناً يتنمرون بنا بشكل مروع. ولكن يبدو أنه لم يجد الحياة هناك مؤلمة بالمرة. كان يبدو سعيداً طالما يستطيع مزاولة النحت. وأحياناً كان يكاد يُجن عندما ينتزع أحدٌ منه أدوات النحت، ولكنه في ما عدا ذلك طفل هادئ الطباع فعلاً. لم يكن يسبب متاعب لأي أحد وإنما يكتفي بنحت فئرانه في صمت. كان يلتقط كتلة خشب ويحدِّق فيها طويلاً حتى يمكنه أن يرى أي فأر وأي هيئة تكمن داخلها. كان يستغرق وقتاً طويلاً قبل أن يرى الشكل، ولكن حالما يحدث ذلك، يصبح كل ما عليه هو أن يُخرج الفأر من الكتلة الخشبية مستخدماً سكاكينه. وكان كثيراً ما يقول: «سوف أُخرج الفأر». وكانت الفئران التي يُخرجها تبدو وكأنها سوف تتحرك في أي لحظة. ظل يُحرر هذه الفئران الخيالية التي كانت حبيسة في الكتل الخشبية».

«وكنت أنت حامي الصبي».

«نعم، ولكن ليس لأنني أردت ذلك. كل ما هنالك أنني وجدت نفسي في هذه الوظيفة. وعندما تُسند إلى المرء وظيفة، يجب أن يلبي متطلباتها، مهما كانت الظروف. كانت تلك هي القاعدة. فمثلاً، كنت إذا أخذ صبيٌّ آخر أدوات نحته لإغاظته، أذهب إليه وأضربه. وحتى عندما يكون الطفل الآخر أكبر سناً أو جسماً أو يكون هناك أكثر من طفل، كان لا بد لي أن أضربهم. بالطبع، كانوا هم من يضربونني أحياناً. في مرات كثيرة. ولكن لم يكن يهمني الفوز أو الخسارة في هذه المشاجرات: المهم أن أردّ له دائماً أدواته مرة أخرى. كان ذلك هو المهم. هل تفهمين ما أقصد؟».

قالت أومامه: «أعتقد ذلك. ولكن كان عليك أن تتخلى عنه في النهاية».

«حسناً، كان علي أن أواصل حياتي. لم يكن لي أن أبقى معه وأحميه إلى الأبد. لم يكن لدي هذا الترف، بالطبع».

فتحت أومامه يدها اليمنى وحدقت فيها مرة أخرى.

«كنت أراك تمسك بفأر صغير منحوت من حين لآخر. هل هو مَن صَنع ذلك؟».

«نعم، أعطاني فأراً صغيراً. أخذته معي عندما هربت. وأحتفظ به».

«لعلك تعرف يا تامارو، أنك لست من هؤلاء الذين يتحدثون عن أنفسهم عادةً. لماذا الآن؟».

قال تامارو: «كنت أريد أن أقول لك شيئاً واحداً وهو أنني أفكر فيه كثيراً. ليس معنى ذلك أني أريد رؤيته مرة أخرى أو ما شابه. فهذا شيء لا أريده فعلاً. لن نجد سوى شيء واحد نتحدث فيه. وأنا لا أزال أحتفظ بهذه الصورة الحية له وهو في قمة تركيزه و«يُخرج الفئران» من كتل خشبية، وقد ظلت هذه الصورة تمثل مشهداً ذهنياً مهماً لديّ، وعلامة بارزة. إنه يعلمني شيئاً أو يحاول ذلك. إن الناس يحتاجون أشياء من هذا القبيل حتى يواصلوا الحياة - مشاهد ذهنية ذات مغزى، حتى لو كانوا لا يستطيعون تفسيرها بالكلمات. وأحد الأسباب وراء مواصلتنا العيش في هذه الحياة هو الوصول إلى تفسيرات لهذه الأشياء. هذا هو رأيي».

«هل تود القول إنها كالأساس الذي تقوم عليه حياتنا؟».

«ربما كذلك».

«لدي مثل هذه المشاهد الذهنية أيضاً».

«يجدر بكِ أن تتعاملي معها بعناية».

«سأفعل».

«لدي شيء أخير أودّ أن أقوله، وهو أنني سأفعل كل ما بوسعي لحمايتك. إذا كان هناك شخص ما علي أن أضربه، فسوف أذهب إليه وأضربه. وسواء فزت أم خسرت، فلن أتخلى عنك».

«أشكرك».

تبعت ذلك بضع ثوانٍ من الصمت.

«لا تغادري هذه الشقة لفترة. اعتبري أن هناك غابة لا يفصلك عنها سوى عتبة بابك. اتفقنا؟».

قالت أومامه: «فهمت ذلك».

انقطع الاتصال. عندما وضعت السماعة، أدركت أومامه مدى الشدة التي كانت تقبض بها على السماعة.

قالت أومامه في نفسها، إن **تامارو كان يريد أن يبلغني أني الآن جزء لا يتجزأ من أسرتهم، وأن الروابط عندما تتخلق، فإنها لا تنقطع أبداً. وأن هناك دم صناعي يربطنا، إذا جاز القول.** كانت أومامه تشعر بالامتنان لتامارو لأنه أوصل تلك الرسالة. لا بد أنه أدرك شدة الألم الذي تكابده أومامه في هذا الوقت. كان ذلك تحديداً لأنه يعتبرها فرداً من أفراد الأسرة وبدأ فعلاً يطلعها على بعض أسراره.

لم تستطع أومامه أن تستوعب فكرة أن هذه العلاقة الوثيقة لا يمكن أن تتخلق إلا من خلال العنف. **لم يكن ممكناً أن تجمعنا هذه المشاعر العميقة لولا ظروفي الخاصة: لقد خالفت القانون، وقتلت أشخاصاً عديدين، والآن يوجد مَن يتعقبني، ربما كي يقتلني. فهل كان ممكناً أن نقيم هذه العلاقة لولا القتل؟ وهل كان ممكناً أن**

ننشئ أواصر الثقة هذه لولا أننا خارجين على القانون؟ أشك في ذلك.

شاهدت نشرات الأخبار في التلفزيون، وهي تحتسي الشاي. لم تَرِد تقارير أخرى عن غرق محطة قطار أنفاق أكاساكا- متسوكي. بمجرد أن انحسرت المياه في اليوم التالي وتم تشغيل القطارات مرة أخرى بشكل طبيعي، أصبح ذلك خبراً قديماً. كان خبر وفاة زعيم ساكي جاكه لا يزال طيّ الكتمان. لم يعرف به سوى حفنة من الناس. تخيلت أومامه المحرقة ذات الحرارة العالية وهي تلتهم جثة الرجل الضخم. قال تامارو إنها لن تبقي منها عظمة واحدة. بغض النظر عما إذا كان ذلك ينطوي على رحمة أو ألم، فإن كل شيء سوف يصبح دخاناً ثم يمتزج بسماء بداية فصل الخريف. تخيلت أومامه الدخان والسماء.

تابعت تقريراً عن اختفاء الفتاة ذات السبعة عشر ربيعاً وصاحبة كتاب 'الشرنقة الهوائية' الذي أصبح من الأفضل مبيعاً. إريكو فوكادا، أو «فوكا-إري»، كما كانت معروفة، فُقدت منذ أكثر من شهرين. تلقت الشرطة طلب بحث من ولي أمرها وهي تجري تحقيقاً شاملاً، ولكن لم يتم الكشف عن شيء حتى الآن. عرض التقرير صورة لمجموعة من نسخ 'الشرنقة الهوائية' في متجر لبيع الكتب، وملصقاً يحمل صورة المؤلفة الجميلة وقد عُلِّق على حائط المتجر. أُجريت مقابلة مع موظفة شابة في المتجر: «لا يزال الكتاب يحقق مبيعات هائلة. اشتريت نسخة لنفسي وقرأتها. إنها جيدة فعلاً - ومفعمة بالخيال! آمل أن يكتشفوا مكان فوكا-إري قريباً».

لم يُشِر التقرير إلى وجود علاقة بين إريكو فوكادا وساكي جاكه. اعتادت وسائل الإعلام أن تتوخى الحذر الشديد حينما يتعلق الأمر بتنظيمات دينية.

على أي حال، لا تزال إريكو فوكادا مفقودة. اغتصبها والدها وهي في العاشرة من عمرها. دخلا معاً في «قران غامض» إذا كان لأومامه أن تقبل بهذا التعبير. وعبر هذه الفعلة، أرشدا الناس الصغار إليه. كيف عبّر عن ذلك مرة أخرى؟ كما يلي: كانا معاً بصيراً وسميعاً. إريكو فوكادا أصبحت هي الطرف الذي يبصر، ووالدها هو الطرف الذي يسمع. ثم بدأ الرجل يسمع أصواتاً خاصة. وأصبح وسيطاً للناس الصغار ومؤسساً لديانة أُسميت ساكي جاكه. تخلت هي عن الدين بعد ذلك. وبعدما أصبحت قوة مناوئة للناس الصغار، تعاونت مع تنغو وكتبت رواية 'الشرنقة الهوائية'، التي باتت من أفضل الكتب مبيعاً. والآن، ولسبب أو لآخر، فقد اختفت، وجاري البحث عنها من قبل الشرطة.

وأثناء ذلك، في الليلة الماضية، ومستعينة بكسارة ثلج صنعتُها خصيصاً، قتلتُ والد إريكو، الزعيم الديني لساكي جاكه. لكن أشخاصاً من أتباعه نقلوا جثمانه من الفندق و«تخلصوا» منه سراً. لم تستطع أومامه أن تتصور كيف ستكون ردة فعل إريكو فوكادا على خبر موت والدها. كان موتاً هو مَن طلبه بنفسه، موتاً دون ألم و«موتاً رحيماً»، ولكن الحقيقة هي أنني استخدمت هاتين اليدين كي أنهي بهما حياة إنسان. ربما تكون حياة المرء شيئاً فردياً بحسب الطبيعة، ولكنها ليست منعزلة. فهذه الحياة ترتبط بها حياة آخرين، ولا شك أنني يجب أن أتحمل بعض المسؤولية إزاء هؤلاء أيضاً.

إن تنغو أيضاً متورط بشدة في هذه الأحداث. وكذلك آل فوكادا، الأب والإبنة، وهما من يربطانا معاً: بصيراً وسميعاً. تُرى أين يوجد تنغو الآن، وماذا يفعل؟ هل له علاقة باختفاء إريكو

فوكادا؟ ألا يزال الاثنان يعملان معاً؟ نشرة أخبار التلفزيون، بطبيعة الحال، لا تذكر شيئاً عن مصير تنغو. حتى الآن، يبدو أن أحداً لا يعرف أنه هو الكاتب الفعلي للشرنقة الهوائية. ولكني أعرف.

يبدو أننا، أنا وهو، نقرِّب المسافة بيننا شيئاً فشيئاً. بعض الظروف حملتنا إلى هذا العالم، وهي الآن تقرِّب بيننا كما لو أن دوامة كبيرة تجتذبنا. ربما تكون دوامة مميتة. ولكن الزعيم أشار إلى أن أحدنا لن يجد الآخر خارج هذا المكان المميت، مثلما ينشئ العنف أنماطاً نقية من العلاقات.

أخذت أومامه نفساً عميقاً. ثم مدت يدها نحو المسدس الموضوع على الطاولة، وطمأنت نفسها بصلابته. تخيلت فوهته وقد دُسَّت في فمها وإصبعها مشدود على الزناد.

وفجأة ظهر غراب كبير الحجم على شرفة شقتها، حيث حطّ على السور الحديدي، ثم أخذ ينعق عدة مرات بصوت يصم الآذان. لاحظت أومامه الغراب كما لاحظها هو أيضاً عبر الزجاج. كان الغراب يحرك عينه الكبيرة والبراقة الموجودة في جانب رأسه، حتى يراقب تحركات أومامه في الغرفة. بدا أنه يفهم معنى وجود المسدس في يدها. الغربان طيور ذكية. تعرف أن هذه الكتلة المصنوعة من الصلب ذات أهمية كبيرة. بطريقة أو بأخرى، كانوا يعرفون ذلك.

بسط الغراب جناحيه وطار فجأة مثلما حط فجأة، بعدما رأى على ما يبدو ما يفترض أن يراه. بمجرد أن اختفى، نهضت أومامه وأطفأت التلفزيون، وتنهدت، آملة ألا يكون الغراب جاسوساً للناس الصغار.

أدت أومامه تمارين الشد المعتادة على بساط غرفة المعيشة.

شدَّت عضلاتها إلى حدها الأقصى مدة ساعة، وأمضت الوقت بالألم الملائم. كانت تستدعي كل عضلة في جسمها، واحدة تلو أخرى، وتخضعها لاستجواب مكثَّف ومفصَّل. كان اسم كل عضلة ووظيفتها ونوعيتها منقوشة بدقة في ذهنها، دون أن تفوتها واحدة. تعرَّقت عرقاً غزيراً، وهي تستعمل رئتيها وقلبها على أكمل وجه، وتبدل قنوات وعيها. استمعت إلى تدفق الدم في عروقها، وتلقت الرسائل الصامتة التي كان يصدرها قلبها. كانت عضلات وجهها تلتوي في كل اتجاه عندما بدأت تتلقى الرسائل.

بعد ذلك أزالت العرق عن جسمها في الحمَّام. وقفت على الميزان كي تتأكد أن وزنها لم يطرأ عليه تغيير كبير. وحتى تتأكد أن حجم ثدييها وشكل شعر عانتها لم يتغيرا، عبست عبوساً شديداً. كانت هذه هي طقوسها الصباحية.

عندما انتهت من الحمَّام، ارتدت ملابس رياضية كاملة كي تضمن سهولة الحركة. ولتمضية الوقت، قررت أن تتفحص محتويات الشقة مرة أخرى، وبدأت بالمطبخ: الأطعمة وأدوات الأكل وأواني الطهو. سجلت كل قطعة في ذاكرتها ووضعت خطة لأي الأطعمة سوف تعدها وتتناولها ووفق أي ترتيب. قدَّرت أنها حتى وإن لم تطأ قدماها خارج الشقة، فإن بوسعها أن تعيش هنا عشرة أيام على الأقل من دون أن تجوع، ويمكنها أن تجعله يكفي أسبوعين إذا حرصت على الترشيد في تقسيم الأطعمة. لقد كدسوا قدراً كبيراً من الطعام في المكان.

ثم تفحصت المواد غير الغذائية من ورق الحمام والمناديل ومسحوق الغسيل والقفازات المطاطية. لا شيء فاتهم. عملية التسوق تمت بعناية كبيرة. لا بد أن امرأة ما قد شاركت في هذه التحضيرات - وعلى الأرجح ربة منزل ذات خبرة، وذلك قياساً بالعناية الكبيرة

التي تمت بها المهمة. يوجد شخص قد قدَّر بدقة ما هي احتياجات امرأة في الثلاثين تعيش بمفردها وما هو مقدار ما تحتاجه منها كي تعيش هنا مدة قصيرة. هذا ليس شيئاً يمكن لرجل أن يؤديه، رغم أنه ربما يكون رجلاً مثليّ الجنس يتمتع بقدرة ملاحظة عالية.

كانت خزانة غرفة النوم المصنوعة من الكتان ممتلئة بالملايات والبطانيات والوسائد الإضافية، وتفوح منها جميعاً رائحة الكتان الجديد، وجميعها ناصعة البياض. وتم تجنب المزركشات تماماً، فلا حاجة للأذواق أو الفردية.

كانت غرفة المعيشة تضم جهاز تلفزيون وفيديو وجهاز ستيريو صغير يوجد به مسجل ومشغل شرائط كاسيت. وعلى الحائط المقابل للنافذة، كان يوجد خزانة خشبية يصل ارتفاعها إلى مستوى الخصر. انحنت وفتحتها فوجدت فيها نحو عشرين كتاباً مرصوصة. يبدو أن شخصاً ما قد بذل قصارى جهده كي يضمن أن الملل لن يتسرب إلى أومامه أثناء اختبائها هنا. كانت جميع الكتب جديدة وذات أغلفة مقوّاة ولا تحمل أي علامات على أنها فُتحت من قبل. كان أكثرها كتباً حديثة، وربما اختيرت من بين القوائم الحالية لأفضل الكتب مبيعاً في أحد متاجر الكتب الكبيرة. لقد طبّق الشخص بعض معايير الاختيار -إذا لم تكن مجرد مسألة ذوق- عندما اختار نصفها من قصص الخيال ونصفها الآخر من كتب الواقع. وكان كتاب 'الشرنقة الهوائية' من بينها.

بإيماءة خفيفة، تناولته أومامه وجلست على الأريكة الموجودة في غرفة المعيشة تحت ضوء الشمس الدافئة. لم يكن كتاباً كبيراً. كان صغير الحجم، ولكنه كُتب بأحرف طباعة كبيرة. نظرت إلى غلاف الكتاب واسم المؤلفة، «فوكا-إري» المطبوع عليه، أمسكت الكتاب

في يدها كي تُقدر وزنه، وقرأت كلمة الناشر على الشريط الملون الذي يحيط بالكتاب. وعندئذٍ تشمّمت الكتاب حتى تشم هذه الرائحة المميزة التي تنبعث من الكتب الجديدة. ورغم أن اسم تنغو لم يكن موجوداً في أي مكان، فإن حضوره كان واضحاً. لقد مرّ النص المطبوع داخل الكتاب عبر جسد تنغو. هدّأت من روعها وفتحت الكتاب على صفحته الأولى.

كان فنجان الشاي والمسدس موضوعين معاً في متناولها.

الفصل الثامن عشر

تنغو
ذلك التابع الصامت والوحيد

«ربما تكون قريبة جداً»، هكذا قالت فوكا-إري بعد بضع لحظات أمضتها في تفكير عميق وعضٌّ على شفتها.

بسط تنغو يديه ثم ضمهما مرة أخرى على المائدة، وراح ينظر في عيني فوكا-إري: «قريبة جداً؟ تقصدين هنا، في كوينجي؟».

«على مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام».

كيف عرفتِ ذلك؟ كان هذا هو السؤال الذي أراد تنغو أن يسأله، ولكنه كان يعلم مسبقاً أنه على الأقل لن يحصل على جواب لسؤاله. إنها بحاجة إلى أسئلة عملية يكون جوابها بمجرد نعم أو لا.

سألها تنغو: «هل تريدين القول إنه يمكنني أن أقابل أومامه إذا بحثتُ عنها في هذه المنطقة؟».

هزت فوكا-إري رأسها: «لا يمكنك أن تقابلها بمجرد تجولك في المنطقة».

«على مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام، ومع ذلك لا يمكنني العثور عليها بمجرد تجولي في المنطقة. هل ذلك ما تودين قوله؟».

«لأنها مختبئة».

«مختبئة؟».

«مثل قِط جريح».

تخيل تنغو صورة أومامه وهي متكورة تحت شرفة تفوح منها رائحة عفنة وسألها: «لماذا؟ هل هي مختبئة من شخص ما؟».

لم تجب هذا السؤال بطبيعة الحال.

«ولكن كونها مختبئة يعني أنها في وضع حرج، أليس كذلك؟».

«في وضع-حرج-أليس-كذلك» قالت فوكا-إري، مرددة ما قاله تنغو، وقد علت وجهها نظرة تشبه نظرة طفل رأى دواءً مراً. ربما لم يرقها صوت الكلمات.

قال تنغو: «يوجد شخص يطاردها، مثلاً».

هزَّت فوكا-إري رأسها قليلاً، بما يعني أنها لم تفهم. «لكنها لن تبقى هنا إلى الأبد».

«الوقت المتاح لنا محدود».

«نعم، محدود».

«ولكنها قابعة الآن في مكان ما مثل قِط جريح، ولن تخرج كي تتمشى».

قالت الفتاة الشابة الجميلة باقتناع: «لا، لن تفعل ذلك».

«بعبارة أخرى، يجب عليّ أن أبحث عنها في مكان خاص».

أومأت فوكا-إري.

سأل تنغو: «ما هو نوع ذلك المكان الخاص يا ترى؟».

لا شك أنه لم يتلقَّ جواباً منها.

قالت فوكا-إري بعد صمت قصير: «هل تتذكر بعض الأشياء عنها. ربما يفيدك أحدها».

قال تنغو: «ربما يفيد. هل تعنين أنني إذا كنت أتذكر شيئاً عنها، فربما أعثر على إشارة تقودني إلى حيث تختفي؟».

دون أن تجيب، هزت كتفيها قليلاً دون اكتراث. ربما تضمنت هذه الإيماءة فرقاً دقيقاً يوحي بالإيجاب.

قال تنغو: «أشكرك».

أومأت له فوكا-إري إيماءة بسيطة، مثل قطة قانعة.

بينما كان تنغو يُعد الطعام في المطبخ، كانت فوكا-إري تنتقي باهتمام شديد الأسطوانات من فوق الرف المخصص لها. ليس لأنه كان بحوزته أسطوانات كثيرة، ولكن لأن عملية الاختيار كانت تستغرق منها وقتاً. وبعد تفكير، وقع اختيارها على ألبوم قديم لفرقة رولينج ستونز، ووضعته على القرص الدوار ثم أنزلت ذراع النغمات. كانت أسطوانة استعارها من شخص ما في المدرسة الثانوية، ولسبب ما، لم يردها إليه. لم يكن تنغو قد سمعها منذ سنوات.

وبينما كان يستمع إلى تسجيلات مثل Mother's Little Helper و Lady Jane، كان يطهو أرزاً ولحماً وفطراً وحساء ميسو مع جبن التوفو وعشب واكامي. سلق القرنبيط وأضاف إليه بعضاً من صلصة الكاري. أعد سلاطة فول أخضر وبصل. لم يكن الطهو لديه مجرد عمل روتيني. فقد اعتاد دائماً أن يستخدمه كوقت للتفكير في مشكلات الحياة اليومية أو مسائل الرياضيات أو في كتاباته أو في افتراضاته الميتافيزيقية. ويمكنه وهو واقف في المطبخ يحرك يديه التفكير بطريقة أكثر تنظيماً مما لو كان جالساً لا يفعل شيئاً. لكنه اليوم ومهما فكر، لن يعرف نوع «المكان الخاص» الذي تحدثت عنه فوكا-إري. إن

محاولة فرض النظام على شيء لم يوجد فيه أي نظام قطّ هي مضيعة للجهد. فعدد الأماكن التي يمكنه الوصول إليها محدود.

جلس كل منهما قبالة الآخر وهما يتناولان العشاء. كانا لا يتحدثان بشيء تقريباً. وكزوجين تملكهما الضجر، كان كلٌّ منهما ينقل الطعام إلى فمه في صمت، فيما ينصرف ذهنه -أو لا ينشغل- إلى أفكار متباينة. كان صعباً للغاية أن تميز بين الاثنين. عندما انتهيا من الطعام، احتسى تنغو قهوة فيما تناولت فوكا-إري حلوى وجدتها في الثلاجة. مهما كان ما تأكله، فإن تعبيرات وجهها لا تتغير. ويبدو أن مضغ الطعام هو الشيء الوحيد الذي يشغل تفكيرها.

جلس تنغو إلى مكتبه، وبناء على اقتراح فوكا-إري، حاول جاهداً أن يتذكر شيئاً ما عن أومامه.

هل تتذكر بعض الأشياء عنها. ربما يفيدك أحدها.

لكن تنغو لم يستطع التركيز. تم تشغيل أسطوانة أخرى لفرقة رولينج ستونز. إنها أغنية Little Red Rooster، وكان أداؤها يعود إلى تلك الفترة التي كان فيها مايك جاجر مهووساً بموسيقى البلوز بشكلها الذي تطور في شيكاجو. لم تكن سيئة، ولكنها ليست الأغنية التي تناسب أشخاصاً مستغرقين في تفكير عميق أو في غمرة التنقيب بجدية وسط ركام من الذكريات القديمة. لم تكن فرقة رولينج ستونز بالفرقة التي تناسب هذه الحالة. إنه بحاجة إلى مكان هادئ يكون فيه وحده.

قال تنغو: «سأخرج بعض الوقت».

بينما كانت تتفحص غلاف ألبوم رولينج ستونز وهي ممسكة به في يدها، أومأت فوكا-إري، وكأنها تقول، «لا بأس».

قال تنغو: «إذا أتى أي أحد إلى هنا، فلا تفتحي له الباب».

سار تنغو صوب المحطة وهو يرتدي تي شيرت أزرق داكن بأكمام طويلة، وبنطالاً قطنياً تلاشت ثنياته منذ فترة طويلة، وحذاءً رياضياً. وقبيل وصوله إلى المحطة، دخل إلى حانة تسمى «بارلي هيد» حيث طلب جعة. كانت الحانة تقدم مشروبات ووجبات خفيفة. كانت مساحتها ضيقة ويمكن لعشرين شخصاً أن يملؤوها عن آخرها. ارتادها تنغو مرات ومرات من قبل. وقد اعتاد روادها من الشباب أن يجعلوها مكاناً صاخباً للغاية في آخر الليل، ولكن عدد روادها يقل نسبياً من الساعة السابعة إلى الثامنة، حيث تكون الأمزجة لطيفة وهادئة. كانت مكاناً مثالياً لمن يجلس وحيداً في زاوية ويقرأ كتاباً فيما يحتسي الجعة. وكانت الكراسي مريحة أيضاً. لم يكن يدري من أين جاء اسم الحانة أو ماذا يعني. كان بوسعه أن يسأل أحد العاملين، ولكنه لم يكن يجيد المحادثات القصيرة مع الغرباء، ولم يكن يهمه حقاً أن يعرف أصل الاسم. كانت مجرد حانة لطيفة تصادف أن اسمها هو «بارلي هيد».

لحسن الحظ، لم يكن هناك عزف موسيقى. جلس تنغو إلى طاولة قريبة من نافذة، وراح يشرب جعة معتقة من كارلسبرج ويمضغ بعض المكسرات الموضوعة في وعاء صغير، فيما انصرف تفكيره إلى أومامه. وعندما يتخيل أومامه، فهذا يعني أن تنغو نفسه عاد صبياً في العاشرة من عمره مرة أخرى. ويعني أيضاً أنه قد مرَّ بنقطة تحول كبرى في حياته مرة أخرى. بعد أن قبضت أومامه على يده حينما كانا في العاشرة، رفض أن يصحب والده في أي جولات أخرى لتحصيل اشتراكات تلفزيون «إن إتش كيه». بعد فترة وجيزة من ذلك أحسّ بانتصاب واضح وشهد أول عملية قذف. كان ذلك نقطة مفصلية في حياته. بطبيعة الحال، كان التحول سيقع، عاجلاً أو آجلاً، سواء

قبضت أومامه على يده أو لم تقبض، ولكن أومامه شجَّعته وعززت التغيير وكأنها قد منحته دفعة خفيفة.

حدق طويلاً في راحة يده اليسرى المفتوحة. **هذه الفتاة ذات العشر سنوات قبضت على هذه اليد وأحدثت تغييراً هائلاً بداخلي، ولكني لا أجد تفسيراً معقولاً لما جرى. ومع ذلك، فهِم كلانا الآخر وتقبل كلانا الآخر بطريقة طبيعية للغاية وفي كل تفصيلة مضت تقريباً - بطريقة تشبه المعجزة. هذه الأشياء لا تحدث كثيراً في هذه الحياة. ولدى بعض الناس، ربما لا تحدث أبداً.** رغم ذلك، لم يستطع تنغو حينئذٍ أن يفهم تماماً المعنى النهائي لهذه الواقعة. وليس حينئذٍ فحسب. فهو لم يستطع أن يفهم معناها حقاً حتى اللحظة الراهنة تقريباً. وقد احتفظ على نحو غامض بصورة الفتاة في قلبه على مرّ السنين.

إنها في الثلاثين الآن، وربما تغير مظهرها الخارجي كثيراً عما يتذكره عنها وهي في العاشرة. لا بد أنها أصبحت أطول قامة، وبرز صدرها، ولا بد أنها غيَّرت تصفيفة شعرها. إذا كانت قد تركت جمعية الشهود، فهي على الأرجح تضع مساحيق التجميل. وربما ترتدي ملابس أنيقة وغالية الثمن. وجد تنغو صعوبة في أن يتخيل أومامه تمشي في الشارع وهي ترتدي بذلة نسائية من تصميم كالفين كلاين وحذاء عالي الكعبين. ولكن مثل هذا الشيء، بالطبع، يمكن تصوره. فالناس يكبرون، وعندما يكبرون يتغيرون. **ربما تكون داخل هذه الحانة الآن وفي هذه اللحظة ولا أستطيع التعرف عليها.**

بعد أن أخذ رشفة أخرى من كوب الجعة، ألقى تنغو نظرة أخرى على ما يحيط به من أشياء. إنها في مكان قريب. على مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام. هكذا قالت فوكا-إري. وقد سلَّم تنغو

بكلمة فوكا-إري. إن كانت قالتها، فيجب أن تكون صحيحة.

كان الزبائن الآخرون في المكان هما شاب وشابة، وعلى الأرجح طالب وطالبة، يجلسان إلى طاولة الشراب، وقد استغرقا في حديث مفعم بالعاطفة والحميمية، ويتلامس أثناء ذلك جبينهما بالفعل. عندما وقع بصر تنغو عليهما، اعتراه شعورٌ غامر بالوحدة، شعور من ذلك النوع الذي لم يجربه منذ أمد طويل. وقال في نفسه، **أنا وحيد في هذا العالم. لا شيء يربطني بأي أحد.**

أغمض تنغو عينيه وصرف تركيزه مرة أخرى إلى ذلك الصف الدراسي في المدرسة الابتدائية. كان قد أغمض عينيه وزار هذا المكان الليلة الماضية أيضاً -بحسٍّ شديد الواقعية- عندما اقترن جسده مع جسد فوكا-إري أثناء العاصفة الرعدية العنيفة. ولذلك، عادت الصورة التي استحضرها الآن أكثر جلاءً، كما لو أن أمطار الليلة الماضية قد نظفتها من أي غبار.

كانت مشاعر القلق والترقب والخوف تتناثر في أقصى زوايا الصف الدراسي الفسيح، وتتوارى بين محتويات الغرفة الكثيرة وكأنها حيوانات صغيرة فزعة. استطاع تنغو أن يستحضر المشهد بأدق تفاصيله - السبورة وعليها الصيغ الرياضية التي مُحي بعضها، وقطع الطباشير المكسورة، والستائر الرديئة التي أتلفتها الشمس، والزهور الموضوعة في المزهرية على طاولة المعلم (وإن كان لا يستطيع أن يجزم بنوعها)، ولوحات الأطفال المعلقة على الحائط، وخريطة العالم الموضوعة خلف الطاولة، ورائحة شمع الأرضية، ورفرفة الستائر، وصياح الأطفال المنبعث من النافذة. كانت عيناه تتعقبان كل علامة أو خطة أو لغز يوجد ضمن أي تفاصيل.

خلال تلك الثواني التي قبضت أومامه فيها على يده، رأى تنغو

العديد من الأشياء ونقش بدقة كل صورة رآها على شبكيتي عينيه، وكأنه كاميرا تلتقط صوراً فوتوغرافية. تضمنت هذه الصور أحد المشاهد الطبيعية الرئيسة التي ساعدته في تجاوز سنوات المراهقة الحافلة بالألم. كان المشهد يتضمن دائماً إحساساً قوياً بأصابع الفتاة. لم تعجز يدها اليمنى مطلقاً عن تحفيز تنغو خلال سنوات بلوغه وما تخللها من معاناة. **لا داعي للقلق، أنا معك**، هكذا كانت تعلن له يدها.

أنت لست وحدك.

إنها مختبئة، هكذا قالت له فوكا-إري. مثل قطة جريحة. مع إمعان التفكير في ذلك، تبين له أنها مصادفة غريبة أن تكون فوكا-إري نفسها مختبئة هنا. وهي لن تطأ بقدميها خارج شقة تنغو. في هذه المنطقة من طوكيو، توجد امرأتان متواريتان عن الأنظار وهما هاربتان من شيء ما. والمرأتان كلتاهما يجمعهما رباط عميق مع تنغو. هل يمكن أن يكون لذلك مغزى؟ أو أنها محض مصادفة؟

لم تأته أجوبة، بالطبع، وإنما مجرد حفنة من الأسئلة الطائشة. أسئلة كثيرة للغاية تقابلها أجوبة قليلة للغاية. هكذا كان الحال دائماً.

عندما انتهى من الجعة، جاءه نادل شاب وسأله هل يرغب في شيء آخر. تردد تنغو لحظة ثم طلب بوربون مع مكعبات الثلج وطبقاً آخر من المكسرات المُشَكَّلة. «البوربون الوحيد المتوفر لدينا هو فور روزس، إذا كان ذلك يرضيك». قال له تنغو لا بأس بأي شيء. ثم عاد يفكر في أومامه. فاحت ناحيته من المطبخ رائحة فطائر بيتزا وهي تُخبز.

ممن ربما تختبئ أومامه؟ الشرطة؟ ولكن تنغو لا يمكنه أن يصدق أنها أصبحت مجرمة. أي نوع من الجرائم قد تكون ارتكبتها؟ لا، لا

يمكن أن تكون الشرطة هي مَن تلاحقها. أيّاً كان أو مهما كان، فليس للقانون صلة بذلك قطعاً.

خطر لتنغو فجأة، ربما هم أنفسهم الذين يتعقبون فوكا-إري.

الناس الصغار؟ لماذا سيلاحق الناس الصغار أومامه؟

ولكن إذا كانوا حقاً هم مَن يلاحقون أومامه، فهل أكون أنا محور ذلك؟ لم يكن تنغو بالطبع يدرك لماذا كان عليه أن يصبح الشخص المحوري في هذه السلسلة من الأحداث، ولكن إن كان يوجد رابط بين المرأتين، فوكا-إري وأومامه، فلا يمكن أن يكون أحداً آخر سوى تنغو نفسه. **دون أن أعي ذلك حتى، ربما كنت أستخدم قدرة من نوع ما في تقريب أومامه إليّ.**

قدرة من نوع ما؟

حدق في يديه. وقال، **لا أفهم ذلك. من أين لي هذا النوع من القدرة؟**

وصل شرابه «فور روزس» مع مكعبات الثلج وطبق جديد من المكسرات. أخذ رشفة من الشراب، وقبض على بعض المكسرات في راحة يده، ثم هزّها مثلما يهزّ حجرَي نرد.

على أي حال، أومامه موجودة في هذا الحي. على مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام. هذا ما تقوله فوكا-إري. وأنا أصدق ذلك. سيكون من الصعب أن أقول لماذا، ولكني أصدق. لكن كيف يمكنني أن أعثر على أومامه وهي في مخبأها؟ من الصعب العثور على شخص يعيش حياة طبيعية، ولكن المهمة تزداد صعوبة دون شك عندما يختبئ هذا الشخص عمداً. هل يجب أن أجوب الشوارع وأنادي باسمها عبر مكبر صوت؟ بالتأكيد، سوف يجعلها

ذلك تلبي النداء وتأتيني في الحال. لكنه سوف ينبه الآخرين لوجودها ويعرِّضها لمخاطر إضافية.

قال تنغو في نفسه، لا بد أن هناك شيئاً آخر ينبغي أن أتذكره عنها.

كانت فوكا-إري قد قالت له: «تذكر بعض الأشياء عنها. ربما يفيدك أحدها». ولكن حتى قبل أن تقول له ذلك، كان تنغو يظن منذ وقت طويل أنه قد عجز عن تذكر واقعة مهمة أو واقعتين حول أومامه. بدأ ذلك يجعله يشعر بعدم الارتياح من حين لآخر، وأصبح كأن حصاة عالقة في حذائه. تملَّكه شعور مبهم ولكنه مستمر.

نظف تنغو ذهنه، كما لو كان يمسح سبورة، وبدأ ينبش الذكريات مرة أخرى - ذكريات أومامه، وذكرياته هو نفسه، وذكريات ما يحيط بهما من أشياء، ويجرف القاع الطيني الناعم مثل صياد سمك يسحب شبكته، ويرتب الأشياء ويتأملها بعناية بالغة. إلا أن هذه الذكريات وفي نهاية المطاف، قد مضى عليها عشرون سنة. وبقدر ما يمكنه ربما أن يتذكرها بوضوح، بقدر ما يوجد حد لمقدار ما يمكنه استرجاعه منها.

خطر له أن يحاول التفكير في خطي الرؤية. ما الذي كانت أومامه تنظر إليه؟ وما الذي كان تنغو نفسه ينظر إليه؟ **عليّ أن أعيد التفكير مرة أخرى في خَطَّي الرؤية المتحركين وتدفق الزمن.**

كانت الفتاة تقبض على يده وتنظر مباشرة في عينيه. وكان خط الرؤية لديها لا يتزعزع مطلقاً. ارتبك تنغو في أول الأمر ولم يفهم تصرفاتها، فبحث عن تفسير في عينيها. كان تنغو قد فكَّر، **لا بد أن في الأمر سوء فهم أو خطأ ما**. ولكن لم يكن في الأمر سوء فهم أو

خطأ. انتبه إلى أن عينيّ الفتاة شديدتا العمق والصفاء. لم يكن قد رأى قطّ عينين فيهما هذا الصفاء الخالص. كانت عيناها مثل ينبوعين، شفافتين تماماً، ولكنهما بعيدتا الغور ويتعذر رؤية قاعَيهما. شعر بأنهما قد يبتلعانه إن ظلَّ ينظر فيهما. ولذلك لم يجد مناصاً من أن يشيح بوجهه عنهما.

نظر أولاً إلى ألواح الأرضية التي تحت قدميه، ثم إلى مدخل الصف الدراسي الفارغ، وأخيراً مال برقبته قليلاً كي ينظر عبر النافذة. كل هذا الوقت مضى، ولم تهتز نظرة أومامه مطلقاً. ظلت تحدق في عيني تنغو، حتى وهو ينظر خارج النافذة.

كان يشعر أن خط الرؤية لديها يثقب جلده وأن أصابعها تقبض على يده اليسرى بقوة لا تلين وباقتناع تام. لم تكن خائفة. ولم يكن يوجد شيء عليها أن تخشاه. كانت تحاول إيصال هذا الشعور إلى تنغو عبر أنامل يدها.

ولأن لقاءهما أعقب تنظيف الصف الدراسي، فقد تُركت النافذة مفتوحة على مصراعيها كي تُدخل هواءً نقياً، وكان النسيم يداعب الستائر البيضاء. ومن خلفها تمتد السماء . لقد حلّ شهر ديسمبر، ومع ذلك لم تشتد البرودة. وعالياً في السماء كانت توجد سحابة واحدة، سحابة مستقيمة وبيضاء وتحتفظ ببقايا الخريف، وكأنها ضربات فرشاة جديدة في السماء. وكان هناك شيء آخر، يتدلى أسفل السحابة. هل هي الشمس؟ لا، لم تكن الشمس.

حبس تنغو أنفاسه، وضغط بأصابعه على صدغيه وحاول أن يدقق النظر في مكان أعمق من ذاكرته، متتبعاً خيطاً واهناً من الوعي كان يوشك أن ينقطع في أي لحظة.

وجدتُها. كان القمر طالعاً في السماء.

كانت الشمس لا يزال بينها وبين المغيب بعض الوقت، ولكنه كان هناك -القمر- في السماء، وقد اكتملت ثلاثة أرباعه تقريباً. شعر تنغو بالدهشة وهو يرى هذا القمر البازغ والكبير فيما لا يزال النهار طالعاً. تذكر ذلك. كانت الكتلة الصخرية الصماء تتدلى في السماء وكأنها، ليس لديها شيء أفضل تفعله، معلقة في خيط لا يُرى. وكانت تحيط بها هالة اصطناعية من نوع ما. للوهلة الأولى، بدت وكأنها قمرٌ زائف وقد أُستخدم كأداة مسرحية. لكنه كان، بالطبع، القمر الحقيقي. لا أحد سوف يتكلف الجهد والوقت كي يُعلق قمراً زائفاً في سماء حقيقية.

وفجأة أدرك تنغو أن أومامه لم تعد تنظر إليه. تحول خط الرؤية لديها إلى الوجهة نفسها التي تحول إليها خط الرؤية لديه. مثله، كانت أومامه ترنو إلى القمر الطالع في وضح النهار، وهي لا تزال قابضة على يده، وقد علت وجهها علامات الجدية الخالصة. نظر في عينيها مرة أخرى. لم تكونا بصفائهما السابق نفسه. لقد كان صفاءً خاصاً وعابراً، وبدلاً منه أصبح يرى شيئاً صلباً وبلورياً. وفي الوقت نفسه كان خادعاً وقاسياً، ومن نوعية تُذكر بالصقيع. لم يستطع تنغو أن يستكْنِهَ معناه.

وفي النهاية بدا أن الفتاة قد حسمت أمرها. وفجأة حررت يده من قبضتها، وأدارت ظهرها إليه، وأسرعت بالخروج من الغرفةِ دون كلمة منها أو نظرة إلى الوراء، تاركة تنغو في فراغ سحيق.

فتح تنغو عينيه، وخفَّف من حدة التركيز الذهني لديه، وأخرج نفساً عميقاً، ثم ازدرد جرعة من البوربون. شعر بالويسكي وهو يمر إلى المريء عبر حلقه. أخذ نفساً آخر ثم أخرجه. لم يعد يرى

أومامه. لقد أدارت ظهرها له وغادرت الصف الدراسي، ماحية نفسها من حياته.

مضى على ذلك عشرون سنة.

قال تنغو في نفسه، **إنه القمر. كنت أنظر إلى القمر، وكذلك كانت أومامه تفعل. إنه الكتلة الرمادية من الصخور التي تتدلى في السماء ولا يزال مشرقاً في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهيرة. ذلك التابع الصامت والوحيد. وقف كلانا جنباً إلى جنب، وكنا ننظر إلى ذلك القمر. ولكن ماذا يعني ذلك؟ هل يعني أن القمر سوف يرشدني إليها؟**

وفجأة خطر لتنغو أن أومامه ربما أفضت عندئذٍ بمشاعرها إلى القمر. ولعلها هي والقمر قد توصلا إلى اتفاق سري من نوعٍ ما. كانت نظرتها إلى القمر تنطوي على شيء بالغ الجدية يمكنه أنّ يثير الخيال.

لم يكن تنغو يدري، بطبيعة الحال، ما الذي قدمته أومامه إلى القمر في ذلك الوقت، ولكنه يستطيع أن يتخيل جيداً ماذا أعطاها القمر: عزلة وسكينة خالصتين. ذلك هو أفضل ما يمكن للقمر أن يعطيه لأحد.

دفع تنغو فاتورته وغادر بارلي هيد. ثم نظر إلى السماء فلم يجد القمر. كانت السماء صافية، ويجب أن يكون القمر ظاهراً، ولكنه لم يستطع رؤيته وهو واقف في الشارع الذي تحيطه المباني من جميع الجهات. وبيدين مدسوستين في جيبيه، مضى تنغو من شارع إلى آخر، بحثاً عن القمر. كان يريد الذهاب إلى مكان يكون فيه مجال الرؤية مفتوحاً، ولكن العثور على مثل هذا المكان في حي مثل كوينجي لم

يكن أمراً يسيراً. فالمنطقة كانت مسطحة للغاية وكان العثور على انحدار طفيف يتطلب جهداً كبيراً ولم تكن توجد تلال على الإطلاق. ربما يكون الأفضل هو أن يرتقي سطح بناية عالية ذات إطلالة على جميع الاتجاهات، ولكنه لم يكن قد رأى في المنطقة أي بنايات عالية يُسمح للناس فيها باعتلاء أسطحها.

وبينما كان يمشي هائماً، تذكر تنغو أن في المنطقة ملعب أطفال قريب، كان يمر به كثيراً أثناء تريضه مشياً. لم يكن ملعباً كبيراً، ولكن فيه على الأرجح زلّاقة. إذا ارتقاها، فسوف يكون لديه مجال رؤية أفضل للسماء. لم تكن زلاقة عالية، ولكن ينبغي أن تكون الرؤية منها أفضل من رؤية الشارع. مضى نحو الملعب. وكانت ساعة يده تشير إلى الثامنة تقريباً.

كان الملعب خالياً لا أحد فيه. وفي وسطه ثُبِّت مصباح مرتفع يعمل ببخار الزئبق، وينشر ضوءه في أركان المكان. وكانت توجد شجرة زيلكوفا ضخمة، لا تزال أوراقها غضة ووارفة. وكان يوجد فيه العديد من الشجيرات القصيرة، ونافورة مياه، ومقاعد، وأراجيح، وزلاقة. كان فيه أيضاً مرحاض عام، ولكن أغلقه عامل مع غروب الشمس، ربما كي يَصرِف المتشردين عن المكان. وخلال ساعات النهار، كانت الأمهات الشابات يأتين بأطفالهن الذين لم يكونوا قد بلغوا بعد سن الالتحاق برياض الأطفال، ثم يواصلن ثرثرتهن المفعمة بالحيوية فيما يلعب الأطفال من حولهن. كان تنغو قد رأى هذه المشاهد مرات ومرات. لكن حالما تغيب الشمس، لم يكن أحدٌ تقريباً يقرب المكان.

صعد تنغو الزلاقة، ثم وقف ساكناً، ونظر إلى سماء الليل. رأى منزلاً جديداً يتكون من ستة طوابق في الجانب الشمالي من الحديقة.

لم يكن قد رآه من قبل. لا بد أنه شُيد قبل فترة وجيزة للغاية. لقد حجب السماء الشمالية وكأنه جدار. أما في الجوانب الثلاثة الأخرى للملعب فلم تكن توجد سوى مبانٍ منخفضة الارتفاع. استدار تنغو كي يستطلع المنطقة فوجد القمر في الجنوب الغربي، يتدلى فوق منزل قديم من طابقين. كانت ثلاثة أرباعه مكتملة تقريباً. وقال في نفسه، **إنه يشبه تماماً القمر قبل عشرين سنة. الحجم نفسه والشكل نفسه. مصادفة مكتلمة الأركان. ربما.**

ولكن هذا القمر الساطع الذي يتدلى في سماء الليل في بدايات الخريف، كانت له حواف حادة وواضحة وينبعث منه ذلك الدفء الذاتي الذي يميز هذا الفصل. كان الانطباع الذي يعطيه يختلف كثيراً عن ذلك الذي يمنحه القمر في الساعة الثالثة والنصف في سماء ما بعد الظهيرة في ديسمبر. كان بهدوئه ووهجه الطبيعي يملك القدرة على مواساة القلوب وشفائها مثل تيار من المياه الصافية أو حفيف هادئ لأوراق الشجر.

وقف تنغو على أعلى نقطة في الزلاقة، وراح ينظر إلى ذلك القمر نظرة طويلة للغاية. من جهة الطريق الدائري السابع تناهى إلى سمعه خليط من أصوات الإطارات مختلفة الأحجام، وكأنه هدير البحر. وفجأة ذكَّر ذلك الصوت تنغو بالمصحة التي يقيم فيها والده على شاطئ تشيبا.

كما هي دائماً، كانت أضواء المدينة تحجب النجوم. وكانت السماء جميلة وصافية، ولكن لا يُرى فيها سوى نجوم قليلة، تلك التي كانت بالغة السطوع وتلمع مثل نقاط شاحبة هنا وهناك. ومع ذلك، كان القمر ساطعاً في السماء. يتدلى فيها بإخلاص، دون أن تصدر عنه كلمة واحدة للشكوى من أضواء المدينة أو الضوضاء أو تلوث الهواء.

إذا دقق نظره بشدة في القمر، فسيكون بوسعه أن يرى تلك الظلال الغريبة التي شكلتها حفره ووديانه العملاقة. أُفرِغ ذهن تنغو وهو يحدق في ضوء القمر. في داخله، بدأت تثور الذكريات التي جاءته من الماضي السحيق. وقبل أن يعرف البشر النار أو الأدوات أو اللغة، كان القمر حليفهم. فكان يهدئ مخاوف الناس بين حين وآخر عندما يضيء لهم العالم المظلم وكأنه قنديل سماوي. وبفضل أطواره أدرك الناس مفهوم الزمن. وحتى الآن، ورغم أن الظلام قد تبدد في معظم أرجاء العالم، لا يزال هناك شعور إنساني بالامتنان إزاء القمر وحُنوه غير المشروط. لقد انطبع ذلك في الجينات البشرية باعتباره ذاكرة جماعية دافئة.

قال تنغو في نفسه، **عندما أُمعن التفكير في ذلك، أكتشف أنني لم أدقق النظر هكذا في القمر منذ زمن. متى كانت آخر مرة؟ عندما يعيش المرء في المدينة في سباق محموم يوماً وراء يوم، يكون أكثر ميلاً للنظر نحو الأرض، بل ربما ينسى النظر إلى السماء ليلاً.**

وعندئذٍ انتبه تنغو إلى أن قمراً آخر يتدلى في السماء. في البداية، ظنّ أنه خداع بصري، مجرد خدعة سببتها أشعة الضوء، ولكن كلما أطال النظر، تأكد لديه وجود قمر ثانٍ له حواف جامدة هناك. أصبح ذهنه صفحة بيضاء وهو يحدق فيه فاغراً فاه. وقال في نفسه، **ما الذي أراه؟** لم يستطع أن يقرر. أبَت الحواف والمادة أن تتداخلا، مثلما تخفق الكلمة والمفهوم في أن يتماسكا.

قمر آخر؟

أغمض عينيه، وفتح يديه، وفرك خديه. **ماذا دهاني؟ لم أسرف في الشراب.** أخذ نفساً طويلاً وهادئاً، ثم أخرجه بهدوء. تفحص نفسه كي يتأكد أن ذهنه صافٍ. **مَن أنا؟ وأين أنا الآن؟ وماذا أفعل؟**

سأل نفسه في الظلام الكامن وراء جفنيه المغلقين. **نحن في سبتمبر 1984، وأنا تنغو كاوانا، وموجود في ملعب في كوينجي في إقليم سوجينامي، وها أنا أنظر إلى القمر الذي يتدلى في السماء ليلاً. هذه أمور لا يرقى إليها شك.**

ثم فتح عينيه ببطء ونظر إلى السماء مرة أخرى، بحذر، وبعقل هادئ، ومع ذلك رأى قمرين.

لا خداع في ذلك. يوجد قمران. كوّر تنغو يده لتصبح قبضة ثم أبقاها كذلك مدةً طويلة.

كدأبه دائماً، كان القمر صامتاً. ولكنه لم يعُد وحيداً.

الفصل التاسع عشر

أومامه
عندما تستيقظ دوهتا

كانت 'الشرنقة الهوائية' قصة فانتازية، لكنها اتخذت شكل رواية قصيرة ومشوقة ترويها من بدايتها وحتى نهايتها بأسلوب بسيط وبلغة الحياة اليومية، فتاةٌ في العاشرة من عمرها. ابتعدت عن التعقيد في مفرداتها أو منطق الأحداث فيها، وجاءت خالية من الشروح الطويلة أو الإطناب في العبارات. اتسمت كلمات الرَاوِية الصغيرة وأسلوبها بجاذبية بالغة - فجاءت الكلمات موجزة، وفي معظم الحالات عذبة - ولكن ذلك لم يكن يفسر شيئاً تقريباً من الوقائع التي ترويها. وبدلاً من ذلك، كانت الفتاة تنساق مع التدفق السردي وهي تروي ما رأته بعينيها، دون التوقف مطلقاً للنظر في «ما الذي يجري هنا؟» أو «ما الذي قد يعنيه ذلك؟» كان الكتاب يمضي قدماً بوتيرة هادئة تلائم القصة التي ترويها. وقد تابعها قراؤها، وتبنوا بشكل طبيعي للغاية وجهة نظرها، ودون أن يشعروا، وجدوا أنفسهم في عالم آخر - **عالم ليس هو هذا العالم**، عالم يصنع فيه الناسُ الصغار الشرانق الهوائية.

بعد انتهائها من قراءة الصفحات العشر الأولى، وجدت أومامه نفسها تتفاعل بقوة مع أسلوب الرواية. إذا كان هذا فعلاً هو أسلوب

تنغو، فإنه حتماً موهوب. كان تنغو الذي عرفته أومامه عبقرياً في الرياضيات في الأصل. كان يقال عنه إنه طفل معجزة، ويستطيع بسهولة حلّ المسائل الرياضية التي تستعصي على معظم البالغين. وكانت درجاته في المواد الدراسية الأخرى مدهشة أيضاً، إذا لم تعادل ما يحققه في الرياضيات. كان أيضاً صاحب بنيان قوي وقوام رياضي ومتعدد المواهب، ولكن أومامه لا تتذكر أي شيء عن كونه كاتباً رائعاً. ربما حَجَب هذه الموهبة ظِلّ الرياضيات.

لكن من جهة أخرى، ربما كان تنغو لم يفعل سوى أنه نقل الصوت الروائي للمؤلفة إلى الصفحة كما قرأه في أول الأمر. وربما لم يُضِف إبداعه سوى أقل القليل لأسلوبها. لكنها شعرت بأن الأمر ليس هكذا. فعلى الرغم من أن ظاهر الكتابة كان يوحي ببساطتها، فإن القراءة المتأنية تكشف أن أسلوب الرواية في واقع الأمر محسوب ومرتب بعناية كبيرة. لا حشو فيه، ولكنه في الوقت ذاته يتضمن كل ما تحتاجه الرواية. أُبقيت التعبيرات المجازية عند حدها الأدنى، ومع ذلك ظلت الأوصاف مفعمة بالحيوية والخيال. وفوق كل شيء، كان للأسلوب جرس موسيقي رائع. وحتى من دون قراءتها بصوت عالٍ، يستطيع القارئ أن يدرك عمق رنينها الصوتي. ليست هذه كتابة تنساب طبيعياً من قلم فتاة في السابعة عشرة من عمرها.

بعد أن تيقنت من كل ذلك، باشرت أومامه قراءة البقية بعناية كبيرة.

كانت البطلة فتاة صغيرة. وتنتمي إلى بلدة جبلية صغيرة اسمها «التجمع». يعيش أبواها هناك حياة جماعية. ليس لديها إخوة أو أخوات. ولأن الفتاة قد جيء بها إلى هنا بعد ولادتها بفترة وجيزة،

فليس لديها أي معرفة تقريباً بالعالم الخارجي. ورغم أن أفراد الأسرة الثلاثة لديهم جداول عمل مزدحمة لا تمنحهم سوى فرصة ضئيلة في قضاء بعض الوقت معاً في أحاديث يسودها الودّ، فقد ظلوا قريبين بعضهم من بعض. تقضي الفتاة أيامها في المدرسة الابتدائية المحلية بينما يوجه أبواها جهدهما في المقام الأول إلى العمل الزراعي. ويساعد الأطفال أيضاً في العمل الزراعي خلال أوقات فراغهم.

يحمل جميع الأشخاص البالغين داخل التجمع كراهية للعالم الخارجي. ولا يفوتون فرصة لا يعبِّرون فيها عن رضاهم بالعالم الذي يعيشون فيه قائلين إنه جزيرة جميلة ومعزولة تطفو في بحر من «الرأسمالية». لا تعرف الفتاة ماذا يقصدون بـ«الرأسمالية» (أو الكلمة الأخرى التي يستخدمونها في بعض الأحيان وهي «المادية»)، ولكنها تستشف من نبرة الازدراء التي تظهر عندما ينطقون الكلمتين الرأسمالية والمادية، أنها أشياء ملتوية للغاية وتتعارض مع الطبيعة والحق. وقد لُقنت الفتاة أنها كي تُبقي جسدها وأفكارها في حالة نقاء، فإن عليها أن تقلل من اتصالها بالعالم الخارجي. وإلا فإن عقلها سوف «يتلوث».

يتكون التجمع من حوالي خمسين رجلاً وامرأة في سن الشباب تقريباً، وهم ينقسمون إلى مجموعتين. مجموعة تهدف إلى إشعال «ثورة» فيما تهدف المجموعة الأخرى إلى تحقيق «السلام». ويميل والدا الفتاة إلى مجموعة السلام. وقد اضطلع والدها وهو أكبر عضو ضمن هذه المجموعة، بدور رئيس منذ تأسيس التجمع.

لا تستطيع الفتاة ذات العشر سنوات، بطبيعة الحال، أن تقدم تفسيراً منطقياً للتعارض القائم بين المجموعتين، ولا هي تفهم الفرق بين «الثورة» و«السلام». فليس لديها سوى ذلك الانطباع الغامض بأن «الثورة» هي طريقة مُدببة في التفكير، بينما يأخذ «السلام» شكلاً

دائرياً. ولكل «طريقة تفكير» شكلها ولونها الخاص، وهي تكبر وتصغر مثل القمر. هذا هو كل ما تفهمه.

ولا تعرف الفتاة كثيراً عن الكيفية التي تشكَّل بها «التجمع» أيضاً. فقد قيل لها إنه وقبل عشر سنوات، بعد ولادتها مباشرة، كان يوجد حراك كبير في المجتمع، وترك بعض الناس العيش في المدينة وخرجوا إلى قرية معزولة في الجبال. وهي لا تعرف الكثير عن المدينة. ولم تستقل قطار أنفاق في حياتها أو تركب مصعداً. ولم ترَ قَطّ مبنى يضم أكثر من ثلاثة طوابق. وتوجد أمور كثيرة لا تعرف عنها شيئاً. وهي لا تستطيع أن تفهم سوى تلك الأشياء التي تحيط بها ويمكنها أن تراها وتلمسها.

ومع ذلك، فإنّ خط الرؤية منخفض الزاوية لدى الفتاة وصوتها الروائي الخالي من المُحسِّنات يصوران بشكل واضح وطبيعي مجتمعاً صغيراً يُسمى «التجمع»، بطريقة تتناول تركيبته وطبيعته الجغرافية وعادات ساكنيه من الناس وطرائق تفكيرهم.

ورغم الانقسام القائم في طرائق تفكير ساكنيه، فإن لديهم إحساس قوي بالتكاتف. فهم يجتمعون على أن من الخير لهم أن يعيشوا بمعزل عن «الرأسمالية»، ويدركون جيداً أنه ورغم أن طرائق تفكيرهم قد تختلف في شكلها ولونها، فإنَّ عليهم أن يكونوا يداً واحدة إذا كانوا يرجون البقاء على قيد الحياة. وهم يدبرون احتياجاتهم المعيشية بشق الأنفس. فالناس هناك يكدون في أعمالهم كل يوم دون انقطاع. يزرعون الخضراوات ويتبادلون منتجاتهم مع القرى المجاورة، ثم يبيعون الفائض، ويتجنبون قدر المستطاع استخدام المواد التي أنتجت وفق نظام الإنتاج الضخم، وعموماً يقضون حياتهم وسط الطبيعة. وعندما لا يجدون مناصاً من استخدام

أحد الأجهزة الكهربائية، فإنهم يبحثون عن أحدها وسط كومة من الأجهزة الملقاة في النفايات ثم يقومون بإصلاحه. وغالباً ما تكون جميع الملابس التي يرتدونها مستعملة وأُرسلت إليهم من مكان آخر.

ولأن بعض أفراد هذا المجتمع يعجزون عن التكيف مع هذه الحياة التي رغم نقائها فإنها تتسم بالصعوبة، فإنهم يغادرون التجمع في نهاية المطاف، ولكن لا يلبث آخرون أن يأتوا للانضمام إليه. والأعضاء الجدد يفوقون في عددهم أولئك الذين يغادرون، ولذلك يزداد عدد سكان التجمع شيئاً فشيئاً. وهو اتجاه يلقى الترحيب. وتضم القرية المهجورة التي استوطنوها العديد من المنازل التي تصلح للعيش فيها بعد إصلاحات قليلة، وتضم أيضاً العديد من الحقول التي يمكن استزراعها. وكان المجتمع يسعد باستقبال عمال جدد.

أما الأطفال فيتراوح عددهم داخل التجمع بين ثمانية أطفال وعشرة. وقد وُلد معظمهم في التجمع. وبطلة القصة هي أكبر الأطفال سناً، أو الفتاة. وهم يذهبون إلى مدرسة ابتدائية محلية، ويمشون معاً في طريقهم من وإلى المدرسة كل يوم. وبموجب القانون فهم ملزمون بالذهاب إلى إحدى مدارس الحي، كما أن مؤسسي التجمع يؤمنون أن الحفاظ على علاقات جيدة مع سكان الحي هو أمر ضروري لبقاء التجمع. ومع ذلك، كان أطفال الحي الآخرين، تستفزهم سلوكيات أطفال التجمع، فكانوا إما يجتنبونهم أو يتنمرون بهم، ولذلك اعتاد أطفال التجمع أن يمشوا معاً ويبقوا معاً لحماية أنفسهم من التعرض للأذى البدني ومن «تلوث» العقل.

ويمتلك التجمع مدرسته الخاصة المنفصلة تماماً عن المدرسة الحكومية في الحي، حيث يتناوب الأعضاء الدور في التدريس للأطفال. وليس هذا بالعبء الكبير، لكون غالبيتهم ممن تلقوا تعليماً

عالياً، ولأن العديد منهم يحملون شهادات في التدريس. إنهم يؤلفون مناهج كتبهم ويُعلمون الأطفال أسس القراءة والكتابة والحساب. ويعلمونهم أيضاً أساسيات الكيمياء والفيزياء وعلم وظائف الأعضاء وعلم الأحياء وأحوال العالم الخارجي. فالعالم يضم نظامين هما «الرأسمالية» و«الشيوعية» اللذين يكرهان بعضهما بعضاً. ومع ذلك فإن كلا النظامين يواجهان مشكلات كبرى، ولذلك فإن العالم عموماً يسلك وجهة لا خير فيها. كانت الشيوعية في الأصل أيديولوجية مميزة وتقوم على مُثل عُليا، ولكنها حرِّفت من قبل «السياسيين الساعين لخدمة مصالحهم الذاتية». وقد عُرضت على الفتاة صورة شخصية لأحد هؤلاء «السياسيين الساعين لخدمة مصالحهم الذاتية»، فخالته الفتاة بأنفه الكبير ولحيته الكثة السوداء، ملك الشياطين.

ليس للتلفزيون مكان في التجمع، والاستماع إلى المذياع ليس مسموحاً به إلا في مناسبات خاصة. أما الصحف والمجلات فهي محدودة. وتُقرأ الأخبار التي تعتبر ضرورية شفهياً أثناء العشاء في قاعة الجمعية، حيث يتفاعل الحاضرون مع كل خبر إما بالتهليل أو الامتعاض - وغالباً بالامتعاض. وهذه هي التجربة الوحيدة للفتاة مع وسائل الإعلام. فهي لم ترَ فيلماً سينمائياً قطّ. ولم ترَ رسماً كرتونياً قطّ. ولا يُسمح لها إلا بالاستماع للموسيقى الكلاسيكية. إذ تضم قاعة الجمعية جهاز ستريو وكثير من الأسطوانات التي ربما جلبها شخص كمجموعة واحدة. وفي وقت الفراغ، يجوز لها الاستماع إلى سيمفونية برامز أو مقطوعة بيانو من عزف شومان أو موسيقى لوحة المفاتيح لباخ أو موسيقى دينية. هذه هي الأوقات الثمينة لدى الفتاة ومصدر الترويح الوحيد لديها.

وذات يوم وقع ما استوجب عقاب الفتاة. فقد كُلِّفت في ذلك الأسبوع بأن تعتني بقطيع صغير من الماعز في التجمع كل صباح ومساء، ولكن لأنها كانت مثقلة بواجبات مدرسية وأعمال منزلية يومية، فقد فاتها ذلك ذات ليلة. وفي صباح اليوم التالي، وجدت الماعز الكبرى، وكانت عمياء، ميتة. وعقاباً لها، تقرَّر عزل الفتاة عن بقية أفراد التجمع على مدى عشرة أيام.

كان المجتمع يمنح هذه الماعز تحديداً أهمية خاصة، رغم كونها كبيرة في السن، ورغم أن مرضاً ما قد نشب مخالبه في جسمها العليل، ولذلك سواء اعتنى بها أحدٌ أو لا، فلا أمل في شفائها. لكن ذلك، لم يخفف من شدة جريمة الفتاة بأي شكل من الأشكال. وهي لا تُلام في ذلك على موت الماعز نفسها فحسب، ولكن على تقصيرها في واجباتها أيضاً. والعزلة هي إحدى أشد العقوبات التي يمكن أن يُنزلها التجمع بأفراده.

حُبست الفتاة في مخزن طيني صغير وقديم مع الماعز العمياء الميتة. كان المخزن يُسمى غرفة التأمل. وكان أي شخص ينتهك قواعد التجمع يتم إيداعه هناك كي يتأمل جريمته. لم يكن أحد يتحدث إلى الفتاة أثناء عزلتها. وكان يتعين عليها أن تحتمل عشرة أيام كاملة من الصمت المطبق. كان يُقدَّم إليها مقدارٌ ضئيل من الماء والطعام، ولكن المخزن نفسه كان مظلماً وبارداً ورطباً، وتنبعث منه رائحة الماعز الميتة. أُغلق الباب من الخارج. وفي أحد أركان الغرفة وُضع دلوٌ تقضي فيه حاجتها. وفي أعلى أحد الحوائط توجد نافذة صغيرة تسمح بدخول ضوء الشمس والقمر. ومن خلالها، يمكن أيضاً رؤية عدد قليل من النجوم عندما تصفو السماء من الغيوم. لا يوجد ضوء آخر. كانت تتمدد على حشوة صلبة وضعت على الأرض، وتدثِّر نفسها بلحافين

قديمين. وتمضي الليل ترتجف. كان الوقت هو شهر أبريل، ولكن الجو يبرد ليلاً في الجبال. عندما يحل الظلام، تلمع عين الماعز الميتة في ضوء النجوم. وبسبب خوفها، كانت الفتاة لا تكاد تستطيع النوم.

وفي الليلة الثالثة، انفتح فم الماعز واسعاً. كان قد انفتح من الداخل، ليخرج منه عدد من أناس صغار، وإجمالاً ستة. لا يتجاوز طول الواحد منهم أربع بوصات عند ظهورهم أول مرة، لكنهم ما إن يطأوا بأقدامهم الأرض، حتى يبدأوا في النمو وكأنهم فطر الغراب الذي ينبت بعد المطر. وحتى مع ذلك، لا تزيد أطوالهم عن قدمين. ثم يخبرون الفتاة بأنهم يسمون الناس الصغار.

تقول الفتاة في نفسها، **إنهم يشبهون «سنو وايت والأقزام السبعة»**، ثم تستحضر في ذاكرتها قصة قرأها عليها والدها وهي صغيرة. **ولكن أحدهم مفقود.**

يقول لها واحد من الناس الصغار بصوت ناعم: «إذا كنت تفضلين أن نكون سبعة، فنحن نستطيع أن نكون سبعة»، إنهم يستطيعون، على ما يبدو، الاطلاع على فحوى أفكارها. تحصيهم مرة أخرى، فتجدهم الآن سبعة. لكن الفتاة لا تجد غرابة كبيرة في ذلك. فقد تغيرت قواعد العالم بالفعل عندما خرج الناس الصغار من فم الماعز. كل شيء وارد الحدوث بعد ذلك.

تسأل وقد لاحظت أن صوتها يبدو غريباً: «لماذا خرجتم من فم الماعز الميتة؟». كانت طريقة كلامها أيضاً تبدو مغايرة لطريقتها المعتادة، ربما لكونها لم تتحدث إلى أحد على مدى ثلاثة أيام.

يجيبها واحد من الناس الصغار بصوت أجش: «لأن فم الماعز تحوَّل إلى ممر. ولم نكن نعلم أنها ماعز ميتة حتى خرجنا منها بالفعل».

يضيف أحدهم بصوت زاعق: «نحن لا يهمنا على الإطلاق. ماعز أو حوت أو قشرة بازلاء: طالما أنه ممر».

يقول صاحب الصوت الناعم: «أنت صنعتِ الممر، ولذلك رأينا أن نجرب ونرى من أين يأتي».

تقول الفتاة: «أنا صنعت الممر؟» لا، لا يبدو ذلك مثل صوتها.

يقول أحد الناس الصغار بصوت خافت: «صنعتِ لنا معروفاً».

تعبر بعض الأصوات الأخرى عن موافقتها.

يقول أحدهم بصوت جهير: «هيا بنا نلعب. دعونا نصنع شرنقة هوائية».

يرد صاحب صوت مرن: «نعم. لأننا تحملنا كثيراً من المشاق حتى أتينا إلى هنا».

تسأل الفتاة: «شرنقة هوائية؟».

يقول صاحب صوت غليظ: «نحن ننتف الخيوط من الهواء ونصنع بيتاً. ثم نجعله أكبر وأكبر!»

تسأل الفتاة: «بيتاً؟ لمن؟».

يقول صاحب الصوت متوسط الجهير: «سوف ترين».

يقول صاحب الصوت الغليظ: «سوف ترينه عندما يظهر».

يضرب أحدهم على الإيقاع نفسه، ويقول: «هاها».

تسأل الفتاة: «هل يمكنني المساعدة؟».

يقول صاحب الصوت الأجش: «بالطبع».

فيقول صاحب الصوت الجهير: «أنتِ أسديتِ لنا معروفاً. هيا بنا نعمل معاً».

وعندما تبدأ الفتاة في تعلّمه، تجد أن نتف الخيوط من الهواء

ليس أمراً شديد الصعوبة. ولأنها تجيد دائماً العمل بيديها، فقد استطاعت أن تتقن هذه العملية في الحال. عندما تدقِّقين النظر، فإن هناك الكثير من الخيوط المتدلية في الهواء. يمكنك رؤيتها إن حاولتِ.

يقول صاحب الصوت الخافت: «نعم، هكذا، إنك تصنعينها بشكل سليم».

فيقول صاحب الصوت الزاعق: «أنتِ فتاة ذكية جداً. وتتعلمين بسرعة».

يرتدي الناس الصغار ملابس متماثلة وتبدو وجوههم متشابهة، لكن لكل منهم صوت يختلف تماماً عن صوت الآخر. وهم يرتدون ملابس عادية، من النوع الذي يمكن أن يُرى في أي مكان. صحيح أن وصف ملابسهم بهذه الطريقة يُعد وصفاً غريباً، ولكن لا توجد طريقة أخرى لوصفها. وبمجرد أن ترفع عينيك عن ملابسهم، لا يمكنك أن تتذكر كيف كانت تبدو. والأمر نفسه يقال عن وجوههم، فملامحهم ليست بالحسنة ولا بالدميمة. وإنما ملامح عادية. والأمر نفسه يسري على شَعرهم، الذي ليس طويلاً ولا قصيراً، وإنما شعر عادي. ويوجد شيء واحد ليس لديهم وهو أنهم بلا أي رائحة.

عندما يبزغ الفجر ويصيح الديك وتضيء السماء من ناحية الشرق، يتوقف الناس الصغار السبعة عن العمل ويبدأون في التمدّد. ثم يخبئون الشرنقة الهوائية التي لم يكملوها، والتي تعادل تقريباً حجم أرنب صغير، في ركن الغرفة، وذلك حتى لا يراها الشخص المكلف بإحضار الوجبات على الأرجح.

يقول صاحب الصوت الخافت: «إنه الصباح».

فيرد صاحب صوت الغليظ: «انتهى الليل».

وتقول الفتاة في نفسها، **إذا كانت لديهم كل هذه الأصوات المختلفة، فيجب أن يُكوِّنوا جوقة غنائية.**

يقول صاحب الصوت الجهير: «ليس لدينا أي أغانٍ».

يقول ضابط الإيقاع: «هاها».

ينكمش جميع الناس الصغار إلى حجمهم الأصلي وهو أربع بوصات، وينتظمون في طابور، ثم يدخلون فم الماعز الميتة.

يقول صاحب الصوت الخافت قبل أن يوصد فم الماعز من الداخل: «سوف نعود الليلة. يجب ألّا تخبري أي أحد بشأننا».

ويضيف صاحب الصوت الأجش: «إذا أخبرت أحداً بشأننا، فسوف يصيبك مكروه».

يقول ضابط الإيقاع: «هاها».

تقول الفتاة: «لن أخبر أي أحد».

وحتى لو فعلتُ، فلن يصدقني أحد. كانت الفتاة توبَّخ في أحيانٍ كثيرة ممن هم حولها من الكبار بسبب إفصاحها عمّا يدور بخاطرها. وكانوا يقولون إنها لا تميز بين الواقع وخيالها. يبدو أن أفكارها تختلف كثيراً في شكلها ولونها عن أفكار الآخرين. فهي لا تستطيع أن تفهم ما يعيبونه عليها بشدة. وعلى أي حال، كان الأحرى بها ألا تخبر أحداً بشأن الناس الصغار.

بعد أن اختفى الناس الصغار، وانغلق فم الماعز، تُجري الفتاة تفتيشاً شاملاً للمنطقة التي خبؤوا فيها الشرنقة الهوائية، فلا تعثر لها على أثر. لقد أخفوها بشكل متقن! إن المكان ضيق، ومع ذلك لا يمكنها أن تكتشف مكان إخفائها. تُرى أين يمكن أن يخبئوها؟

بعد ذلك، تدثرت بلحافين وخلدت إلى النوم. كان ذلك أول نوم

مريح لها منذ مدة طويلة: لا أحلام ولا تقطعات. وعلى غير المعتاد استمتعت بنوم عميق.

تظل الماعز الميتة ميتة طوال اليوم، بدنها متيبس، وعيناها غائمتان مثل قطعتيّ رخام. ومع ذلك، فحالما تغيب الشمس، ويخيم الظلام على المخزن، تلمع العينان في ضوء النجوم، وينفتح الفم فجأة مصحوباً بصوت طقة، فيبرز الناس الصغار، كما لو أنهم يهتدون بالنور. وفي هذه المرة يوجد منهم سبعة منذ البداية.

يقول صاحب الصوت الأجش: «هيا بنا نستأنف من حيث توقفنا ليلة أمس».

يعبر كل واحد من الأصوات الستة عن موافقته بأسلوبه الخاص.

يتحلق الناس الصغار السبعة والفتاة في دائرة حول الشرنقة ويتابعون العمل فيها، ينتزعون الخيوط البيضاء من الهواء ويضيفونها إلى الشرنقة. لا يتحدثون إلا نادراً، ويوجهون كل طاقاتهم للعمل. وبسبب انهماكها في تحريك يديها، لا تكترث الفتاة ببرودة الليل. ولا تكاد تشعر بمرور الوقت، ولا تشعر بالملل ولا بالنعاس. يكبر حجم الشرنقة، ببطء ولكن بوضوح.

عندما يقترب وقت الفجر، تسأل الفتاة: «بأي حجم سنصنعها؟» تريد أن تعرف إذا كانت المهمة سيتم إنجازها خلال الأيام العشرة التي هي مدة حبسها في المخزن.

يجيب صاحب الصوت الزاعق: «بأكبر حجم نستطيعه».

يقول صاحب الصوت الجهير مبتهجاً: «عندما تبلغ حجماً معيناً، فسوف تنفتح من تلقاء نفسها».

ويقول صاحب الصوت متوسط الجهير بنبرة مفعمة بالحيوية: «شيء ما سوف يخرج منها».

تسأل الفتاة: «شيء من أي نوع؟».

يقول صاحب الصوت الخافت: «ما الذي سوف يخرج؟».

يقول صاحب صوت الغليظ: «انتظر فحسب!».

يقول ضابط الإيقاع: «هاها».

يردد الستة الآخرون: «هاها».

كانت تسود الرواية عتمة غريبة. حالما استشعرتها أومامه، عَبس وجهها قليلاً. إنها تشبه قصة أطفال رائعة، ولكن يَسري في أعماقها تيارٌ خفي وقوي ومعتم. كان بوسع أومامه أن تسمع دمدمة تنذر بالسوء وراء الجُمل البسيطة في القصة، وإيحاءات مشؤومة تنبئ عن مرض قادم - مرض عضال ينخر في صمت روح المرء من داخلها. إن الذين جلبوا المرض معهم هم جماعة الناس الصغار السبعة الذين يشبهون الجوقة. قالت أومامه في نفسها، **يوجد شيء مُمْرض هنا، لا أشك في ذلك**. ومع ذلك كان بوسعها أن تسمع في أصواتهم شيئاً أدركته في نفسها، وهو شيء تألفه ألفة شديدة.

رفعت أومامه عينيها عن الكتاب وتذكرت ما قاله الزعيم عن الناس الصغار قبل موته.

تابعت أومامه قراءة القصة.

«وقد عشنا معهم منذ زمن سحيق، وقبل أن يوجد الخير والشر، وعندما كانت عقول الناس لا تزال أسيرة للجهل».

يتابع الناس الصغار والفتاة العمل وبعد عدة أيام كانت الشرنقة الهوائية قد نمت حتى أصبحت تشبه في حجمها كلباً كبيراً.

تقول الفتاة للناس الصغار فيما كان الفجر ينبلج: «غداً تنتهي عقوبتي. وبعد ذلك سأخرج من هنا».

يستمع الناس الصغار السبعة في هدوء لما تقوله لهم الفتاة.

«لذلك لن أستطيع بعد الآن أن أشارككم في صنع الشرنقة الهوائية».

يقول صاحب الصوت الجهير، وهو يبدو آسفاً: «يؤسفنا جداً سماع ذلك».

يقول صاحب الصوت متوسط الجهير: «لقد قدَّمت لنا مساعدات كثيرة».

يقول صاحب الصوت الزاعق: «لكن الشرنقة توشك أن تكتمل. سوف تكون جاهزة بعد أن نضيف إليها خيوطاً قليلة».

يقف الناس الصغار في صف واحد، يحدقون في الشرنقة الهوائية وكأنهم يقيسون حجم ما صنعوه حتى الآن.

يقول صاحب الصوت الأجش وكأنه يقود فريقاً من الجوقة في أغنية بحَّار رتيبة: «قليلة جداً فقط!».

يردد ضابط الإيقاع: «هاها».

يردد الستة الآخرون: «هاها».

تنتهي الأيام العشرة المقررة لعزلة الفتاة ومِن ثم تعود إلى التجمع. استأنفت حياتها الجماعية مرة أخرى، وانهمكت بشدة في اتباع جميع القوانين حتى لم تعُد تجد وقتاً تنفرد فيه بنفسها. وبطبيعة الحال، لم تعد تستطيع العمل مع الناس الصغار في الشرنقة الهوائية. وفي كل ليلة قبل أن تأوي إلى فراشها، تُخيِّل لنفسها أن الناس الصغار السبعة لا يزالون يتحلقون حول الشرنقة الهوائية كي يجعلوها أكبر

حجماً. هذا هو كل ما يمكنها أن تفكر فيه. بل يبدو أن الشرنقة الهوائية برمتها قد انزلقت بالفعل داخل رأسها.

تتحرق الفتاة شوقاً لمعرفة ما الذي يمكن أن يوجد داخل الشرنقة الهوائية. ما الذي سوف يظهر عندما تنضج الشرنقة وتنفتح؟ يتملكها الأسف حينما تدرك أنها لن تستطيع أن ترى المشهد بعينيها. **لقد عملتُ معهم بكلّ جد كي أساعدهم في صنعها، يجب أن يُسمح لي بأن أكون موجودة حينما تنفتح**. بل إنها تفكر جدياً في ارتكاب جريمة أخرى حتى تُعاقَب بفترة أخرى من العزلة في المخزن. ولكن حتى إن كانت سوف تتكبد كل هذه المشقة، فربما لا يظهر الناس الصغار. لقد حُملت الماعز الميتة بعيداً ودُفنت في مكان ما. ولن تومض عيناها على ضوء النجوم مرة أخرى.

تتابع القصة وصف الحياة اليومية للفتاة في التجمع، ما بين الجدول الصارم، والواجبات الثابتة، والتوجيه والرعاية التي تقدمها للأطفال الآخرين باعتبارها الأكبر سناً بينهم، ووجبات طعامها البسيطة، والقصص التي كان أبواها يقرآنها لها قبل النوم، والموسيقى الكلاسيكية التي تستمع إليها كلما أتيح لها قليل من وقت الفراغ. حياة خالية من «التلوث».

يزورها الناس الصغار في أحلامها. فهم يستطيعون الدخول إلى أحلام الأشخاص كيفما يشاؤون. يخبرونها أن الشرنقة الهوائية توشك أن تنفتح، ويدعونها للقدوم إليهم كي تراها. «تعاليّ إلى المخزن ومعك شمعة بعد غروب الشمس. لا تدعي أحداً يراك».

لا تستطيع الفتاة أن تكبح جماح فضولها. تنسل من فراشها وتسلك طريقها إلى المخزن وهي تحمل الشمعة التي جهزتها. لا أحد هناك. لا شيء هناك سوى الشرنقة الهوائية القابعة في صمت حيث

تركت فوق أرضية المخزن. كبر حجمها بمقدار الضعف عمّا كانت عليه في آخر مرة رأتها، وزاد طولها على أربعة أقدام. ينبعث من سطحها كله وهجاً هادئاً، أما شكلها المنحني الجميل فظهر في منتصفه ضيقٌ يشبه الخصر، وهو ما لم يكن موجوداً من قبل، حينما كانت أصغر حجماً. كان جلياً أن الناس الصغار يكدّون في عملهم. بدأت الشرنقة تنفتح بالفعل. وظهر شق عمودي في جانبها. تنحني الفتاة وتدقق النظر في الفتحة.

تكتشف أنها هي نفسها موجودة داخل الشرنقة. تحدق في هذه الذات الأخرى لها التي ترقد على ظهرها وهي عارية مُغمَضة العينين وغائبة عن الوعي على ما يبدو، ولا تتنفس، وكأنها دمية.

يتحدث إليها أحد الناس الصغار، إنه صاحب الصوت الأجش، فيقول: «هذه هي دوهتا الخاصة بك»، ثم ينظف حنجرته.

تستدير الفتاة فتجد الناس الصغار السبعة وقد اصطفوا وراءها في صف.

تقول: «دوهتا» وهي تردد الكلمة بشكل تلقائي.

فيقول صاحب الصوت الغليظ: «أما أنتِ فتُسمين «مازا»».

تقول الفتاة: «مازا ودوهتا».

يقول صاحب الصوت الزاعق: «إن دوهتا هي بمثابة البديل لمازا».

تسأل الفتاة: «هل يمكن أن أنقسم إلى اثنتين؟».

يقول صاحب الصوت الجهير: «لا على الإطلاق. هذا لا يعني أنك انقسمت إلى اثنتين. أنت كما أنت في كل شيء. لا داعي للقلق. إن دوهتا هي مجرد ظلّ لقلب مازا وعقلها في شكل مازا».

«ومتى سوف تستيقظ؟».

يقول باريتون: «قريباً جداً. عندما يحين الوقت».

تسأل الفتاة: «وماذا سوف تفعل دوهتا كظل لقلبي وعقلي؟».

يقول صاحب الصوت الخافت خلسة: «سوف تكونين بصيراً».

تقول الفتاة: «بصيراً».

يقول صاحب الصوت الأجش: «نعم. إنها هي التي تبصر».

يقول صاحب الصوت الزاعق: «إنها تنقل ما تبصره للسميع».

يقول صاحب الصوت الجهير: «بعبارة أخرى، تصبح دوهتا ممراً لنا».

تسأل الفتاة: «بدلاً من الماعز؟»

يقول صاحب الصوت الغليظ: «الماعز الميتة كانت مجرد ممر مؤقت. يجب أن يكون لدينا دوهتا حية كبصيرة تربط مكان عيشنا بهذا المكان».

تسأل الفتاة: «وماذا تفعل مازا؟».

يقول صاحب الصوت الزاعق: «مازا تمكث بالقرب من دوهتا».

تسأل الفتاة: «ومتى سوف تستيقظ دوهتا؟».

يقول صاحب الصوت الجهير: «يومين من الآن، أو ربما ثلاثة».

يقول صاحب الصوت الخافت: «هذا أو ذاك».

يقول صاحب الصوت متوسط الجهير: «احرصي على الاعتناء جيداً بدوهتا. إنها دوهتا خاصتك».

يضيف صاحب الصوت الزاعق: «ودون الاعتناء بمازا، لا يمكن لدوهتا أن تكتمل. ولا يمكنها أن تعيش طويلاً من دونها».

يقول صاحب الصوت الجهير: «إذا فُقِدَتْ دوهتا، فسوف تفقد مازا ظلّ قلبها وعقلها».

تسأل الفتاة: «وماذا يحدث لمازا عندما تفقد ظلّ قلبها وعقلها؟».

ينظر الناس الصغار بعضهم إلى بعض. لا أحد منهم سوف يجيب عن هذا السؤال.

يقول صاحب الصوت الأجش: «عندما تستيقظ دوهتا، سوف يظهر في السماء قمران».

يقول باريتون: «سوف يلقي القمران ظلهما على القلب والعقل».

تردد الفتاة بشكل تلقائي: «سوف يظهر قمران».

يقول صاحب الصوت الخافت خلسة: «سوف توجد علامة. راقبي السماء باهتمام كبير. راقبي السماء باهتمام كبير. وعُدِّي الأقمار».

يقول ضابط الإيقاع: «هاها».

يردد الستة الآخرون: «هاها».

تهرب الفتاة.

وقع خللٌ ما. شيء ما اعتراه الخلل. شيء ما أصابه تشوه شديد. شيء يناقض الطبيعة. الفتاة تعرف ذلك. إنها لا تعرف ماذا يريد الناس الصغار، ولكن رؤيتها صورة نفسها داخل الشرنقة الهوائية تجعلها ترتجف. لا يمكنها أن تعيش مع ذاتها الأخرى الحية والمتحركة. يجب عليها أن تهرب من هنا. في أسرع وقت ممكن. قبل أن تستيقظ دوهتا. قبل أن يظهر هذا القمر الثاني في السماء.

في التجمع يُحظر على الأفراد امتلاك المال. ولكن والد الفتاة كان قد أعطى الفتاة ذات يوم ورقة من فئة العشرة آلاف ين وبعض النقود المعدنية. قال لها: «خبئي هذه حتى لا يعثر عليها أحد».

أعطاها أيضاً قصاصة ورقية وقد كَتب عليها اسم شخص ما، وعنوان، ورقم هاتف. «إذا كان عليك أن تهربي من هذا المكان، فاستعيني بالمال لشراء تذكرة قطار واذهبي إلى هناك».

لا بد أن والدها كان يعرف وقتئذٍ أن شيئاً سيئاً قد يقع في التجمع. لم تتردد الفتاة. جاءت أفعالها سريعة. ليس لديها وقت كي تودّع والديها.

استخرجت العشرة آلاف ين والفكة الأخرى والقصاصة الورقية من جرة كانت مدفونة في الأرض. وخلال الحصة الدراسية، أخبرت المعلم أنها ليست على ما يرام، فحصلت على إذن للذهاب إلى مكتب الممرضة. وبدلاً من ذلك غادرت المدرسة وركبت حافلة متجهة إلى المحطة. قدَّمت العشرة آلاف ين إلى الشباك كي تشتري تذكرة إلى تاكاو، غرب طوكيو. ردّ لها موظف الشباك الفكة. هذه هي المرة الأولى في حياتها التي تشتري فيها تذكرة أو تتلقى فكة أو تصعد على متن قطار، ولكن والدها أعطاها تعليمات مفصَّلة وحفظت هي ما عليها أن تحفظه.

كما هو مبيَّن على الورقة، نزلت الفتاة من القطار في محطة تاكاو في خط تشو لاين، واستخدمت هاتفاً عمومياً كي تتصل بالرقم الذي أعطاه لها والدها. كان الرجل الذي رد عليها صديقاً قديماً لأبيها، فنان يرسم بالطريقة اليابانية التقليدية. إنه يكبر والدها بعشر سنوات. ويعيش في التلال مع ابنته بالقرب من جبل تاكاو. كانت زوجته قد ماتت قبل فترة قصيرة. أما ابنته المسماة كورومي فكانت تصغر الفتاة بسنة واحدة. سارع بالمجيء إلى المحطة كي يصطحب الفتاة فور اتصالها به، ورحب بحرارة بهذه الهاربة الصغيرة في بيته.

بعد يوم من اصطحابها إلى منزل الرسام، نظرت الفتاة إلى السماء

من غرفتها فرأت في السماء قمرين. بالقرب من القمر المعروف يوجد قمرٌ ثانٍ أصغر حجماً ويتدلى مثل بازلاء خضراء وقد ذبُلَت قليلاً. قالت الفتاة في نفسها، **لا بد أن دوهتا الخاصة بي قد استيقظت.** كان القمران يلقيان بظلّهما على قلبها وعقلها. سرت قشعريرة في قلبها. **لقد تغيّر العالم. وثمة شيء بدأ يحدث.**

لم تتلق الفتاة أي اتصالات من والديها. ربما لم يلحظ أحد في التجمع اختفاءها. وذلك لأن ذاتها الأخرى، دوهتا، قد بقيت وراءها. الاثنتان تبدوان متشابهتين تماماً، ولذلك لا يدرك معظم الناس الفرق. لكن والديها، بالطبع، يستطيعان أن يدركا أنّ دوهتا ليست هي الفتاة الحقيقية، وأنها ليست سوى الذات الأخرى للفتاة، وأن ابنتهم الحقيقية قد هربت من التجمع، وخلّفت دوهتا وراءها في مكانها. ليس هناك سوى مكان واحد يمكن أن تكون الفتاة قد قصدته، ومع ذلك لا يحاول والداها مطلقاً الاتصال بها. وهذا في حدّ ذاته ربما يكون رسالة ضمنية للفتاة كي تبقى بعيداً.

لم تنتظم الفتاة في ذهابها إلى المدرسة. فالعالم الخارجي الجديد كان يختلف اختلافاً كبيراً عما كان عليه عالم التجمع الذي كبرت فيه. القوانين مختلفة، والأهداف مختلفة، والكلمات التي يستخدمونها مختلفة. ولذلك، فهي تجد صعوبة في تكوين صداقات في هذا العالم الجديد. ولم تستطع اعتياد حياة المدرسة.

لكنها في المدرسة الإعدادية، تصادق فتى. اسمه تورو. إنه ذو جسم ضئيل وقوام نحيل، وتظهر في وجهه العديد من التجاعيد البارزة كتلك التي تظهر لدى قرد. يبدو أن مرضاً خطيراً قد أصابه وهو صغير ولا يمكنه أن يشارك في الأنشطة الرياضية. يعاني بعض التقوس في

عموده الفقري. وفي وقت الراحة، دائماً ما يجلس وحده، يطالع كتاباً. مثلما هي الفتاة ليس له أصدقاء. جسمه ضئيل للغاية وملامحه دميمة للغاية. وفي إحدى استراحات الغداء، تجلس الفتاة بجواره وتبدأ في التحدث إليه. تسأله عن الكتاب الذي يطالعه. فيقرأ لها بصوت عالٍ. تحب صوته، الذي كان خافتاً ومبحوحاً ولكنه واضح تماماً لديها. يجرفها الحماس وهي تستمع إلى تلك القصص بصوته. إنه يقرأ النثر بصوت جميل حتى وكأنه يلقي شعراً. سرعان ما أصبحت تقضي معه وقت الغداء كل يوم، حيث تجلس أمامه ساكنة وتستمع باهتمام بالغ إلى القصص التي يقرأها عليها.

لكن لم يمضِ وقت طويل حتى فقدت الفتاة تورو. انتزعه الناس الصغار منها.

وذات ليلة تظهر في غرفة تورو شرنقة هوائية. يضيف الناس الصغار كل ليلة إلى حجمها المزيد وهو نائم، ويُطلعون الفتاة على المشهد عبر أحلامها. ليس بوسع الفتاة أن توقفهم. وفي نهاية المطاف يكتمل حجم الشرنقة الهوائية ويظهر في أحد جوانبها شقٌّ عمودي، تماماً كما حدث مع الفتاة. ولكن داخل هذه الشرنقة توجد ثلاثة ثعابين كبيرة سوداء اللون. تبدو الثعابين الثلاثة متشابكة تشابكاً شديداً، ولا أحد، بما في ذلك الثعابين نفسها، يمكنه أن يفك هذا التشابك. تبدو الثعابين مثل عقدة متشابكة دائماً ولامعة ولها ثلاثة رؤوس. تغضب الثعابين أشدّ الغضب كونها لا تستطيع أن تخرج. تتلوى في محاولة محمومة كي تفصل نفسها بعضها عن بعض، ولكنها كلما تلوّت، زاد تشابكها. يُظهر الناس الصغار هذه الكائنات للفتاة. يواصل الفتى المسمى تورو النوم بجوارها، وهو لا يدري. ولا أحد سوى الفتاة يرى كل ذلك.

يمرض الفتى فجأة بعد بضعة أيام، ويتم إرساله إلى مصحة نائية. لم يتم الكشف عن طبيعة مرضه. على أي حال، فإن تورو لن يعود بالتأكيد إلى المدرسة. لقد ضاع إلى غير رجعة.

تدرك الفتاة أن هذه رسالة موجهة من الناس الصغار. يبدو أنهم لا يستطيعون أن يلحقوا أي أذى مباشر بالفتاة، مازا. ما يستطيعونه بدلاً من ذلك هو إيذاء أو حتى تدمير مَن حولها من الناس. ولكنهم لا يستطيعون أن يقوموا بذلك مع أي أحد هكذا - فهم لا يستطيعون أن يقربوا من ولي أمرها، الرسام، أو ابنته، كورومي. وبدلاً من ذلك يختارون الشخص الأضعف كي يكون فريستهم. سحبوا الثعابين السوداء الثلاثة من أعماق عقل الفتى وأيقظوها من نومها. وبتدميرهم الفتى، فقد أرسلوا تحذيراً للفتاة وهم يحاولون جهدهم أن يعيدوها إلى دوهتا خاصتها. يقولون لها: «في نهاية المطاف، أنتِ مَن تسبَّب في ذلك».

تعود الفتاة إلى عزلتها. تتوقف عن الذهاب إلى المدرسة. صداقتها مع أي أحد يمكن أن تعرِّضه للخطر. هذا هو ما يحدث عندما تعيش تحت قمرين. وهذا هو ما تعلَّمته الفتاة.

تحسم الفتاة أمرها في نهاية المطاف وتبدأ في صناعة الشرنقة الهوائية الخاصة بها. وهي قادرة على عمل ذلك. كان الناس الصغار قد قالوا لها إنهم جاءوا إلى عالمها عبر ممرّ قادمين من المكان الذي ينتمون إليه. إذا كان ذلك هو الحال، فإنها هي نفسها يجب أن تكون قادرة على الذهاب إلى ذلك المكان عبر ممرّ في الاتجاه المعاكس. إذا ذهبت إلى هناك، فسيكون بوسعها أن تعرف أسرار وجودها هنا وما الذي تعنيه «مازا» و«دوهتا». ربما تنجح أيضاً في إنقاذ تورو المفقود.

تبدأ الفتاة في صنع ممر. كل ما عليها عمله هو نتف الخيوط من الهواء ونسج شرنقة. سوف يستغرق الأمر وقتاً، ولكنها تستطيع إذا خصَّصت لذلك الوقت المطلوب.

ومع ذلك، وفي بعض الأحيان، تصبح غير متأكدة ويستولي عليها الارتباك. **هل أنا حقاً مازا؟ ألا يمكن أن أكون قد بدلت مكاني مع دوهتا؟ وكلما فكرت في ذلك، تصبح أقل يقيناً. كيف أثبت إنني أنا نفسي الحقيقية؟**

تنتهي القصة رمزياً عندما تفتح الفتاة باب ممرها. لا تقول شيئاً عمّا سيحدث وراء الباب - ربما لأنه لم يحدث حتى الآن.

قالت أومامه في نفسها، **دوهتا. هذه الكلمة استخدمها الزعيم قبل وفاته. قال إن ابنته قد هربت، وتركت دوهتا خلفها، كي تنشئ قوة تعادل قوة الناس الصغار. ربما حدث ذلك بالفعل. وربما أنا لست الوحيدة التي ترى قمرين في السماء.**

ومع ذلك، رأت أومامه أن بوسعها أن تفهم السبب الذي جعل هذه الرواية تحقق هذا الرواج الواسع بين القراء. ورغم أن القصة كانت تدور حول تجربة خيالية لفتاة واجهت ظروفاً غير عادية، فقد كان فيها أيضاً ما استدعى التعاطف الطبيعي من الناس. وربما أثارت شيئاً في اللاوعي، ما جعل القراء ينجذبون إليها ويواصلون قراءتها.

لا شك أن تنغو قد أسهم إسهاماً كبيراً في القيمة الأدبية التي تحققت للكتاب، وكذلك في أوصافه الحيوية والدقيقة، ولكنها لا تستطيع أن تحصر إعجابها بهذا الجانب وحده. كان عليها أن تركز على أجزاء القصة التي يباشر الناس الصغار العمل خلالها. رأت أومامه فيها **قصة واقعية** للغاية -دليلاً عملياً- يتوقف عليه حياة وموت

أناس حقيقيين. كان عليها أن تكتسب معرفة ملموسة منها، وأن تضيف ما تستطيعه من التماسك والتفاصيل لفهمها للعالم الذي ضلت طريقها فيه.

لم تكن 'الشرنقة الهوائية' مجرد خيال جامح اختلقته فتاة في السابعة عشرة من عمرها. ربما حدث تغيير في الأسماء، ولكن أومامه كانت تعتقد اعتقاداً جازماً بأن غالبية الأشياء التي صورت فيها هي وقائع حقيقية عاينتها الفتاة بنفسها. لقد سجلت فوكا-إري هذه الأحداث من حياتها الخاصة بأكبر قدر ممكن من الدقة، كي تكشف هذه الأسرار الدفينة للعالم بأسره، وكي تخبر عدداً كبيراً من الأشخاص بوجود الناس الصغار وأفعالهم.

لا بد أن دوهتا التي تركتها الفتاة وراءها قد أضحت ممراً للناس الصغار وأرشدتهم إلى الزعيم، والد الفتاة، الذي حولوه بعدئذٍ إلى سميع. ثم بعد ذلك دفعوا أعضاء أكيبونو الذين كانوا معدومي الجدوى لهم إلى انتحار جماعي، وحولوا ما بقي من جماعة ساكي جاكه إلى تنظيم ديني بارع ومسلح ويدعو إلى كراهية الأجانب، وربما كانت هذه هي البيئة الأكثر مواتاة وراحة للناس الصغار.

تساءلت أومامه ما إذا كانت دوهتا فوكا-إري قد استطاعت البقاء مدة طويلة من دون مازا خاصتها. كان الناس الصغار قد قالوا إنه من شبه المستحيل أن تستمر دوهتا على قيد الحياة دون مازا. وماذا عن مازا؟ كيف كانت حياتها بعد أن فقدت ظلّ قلبها وعقلها؟

بعد هروب الفتاة من ساكي جاكه، استخدم الناس الصغار على الأرجح العملية نفسها لإيجاد نماذج جديدة من دوهتا. وكانت غايتهم أن يوسعوا ويعززوا الممر الذي كانوا يغدون ويروحون عبره، وكأنهم يُضيفون مسارات جديدة لطريق سريع. وهكذا أصبحت صور دوهتا

بُصراء للناس الصغار وقاموا بدور عذراوات الضريح. وكانت تسوباسا إحداهن. إذا كان الزعيم لم يكن يقيم علاقات جنسية مع مازا الحقيقية للفتيات وإنما مع ذواتهن الأخرى، التي تسمى الواحدة منها دوهتا، فعندئذٍ تُفهم عبارة الزعيم «دخل معها في قران غامض». كما فسرت أيضاً عيني تسوباسا المسطحة الخالية من العمق وفقدانها القدرة على الكلام تقريباً. لم تكن أومامه تدري كيف أو لماذا هربت دوهتا تسوباسا، من التنظيم الديني، ولكنها وُضعت غالباً في شرنقة هوائية ثم «استعيدت» كي يتم ردّها إلى مازا الخاصة بها. وقد كانت عملية القتل الدموية للكلبة بمثابة تحذير من الناس الصغار، مثلما جرى مع تورو في القصة.

كانت كل دوهتا تريد أن تحمل بولد الزعيم، ولكن، لأنهن يفتقرن إلى المادة، فإنهن لا يحضن. مع ذلك، وبحسب الزعيم، فقد كن يرغبن بشدة في أن يحملن. لماذا ينبغي أن يكون ذلك؟

هزت أومامه رأسها. لا يزال يوجد الكثير الذي لم تفهمه.

تمنت أومامه لو كان بوسعها أن تخبر الأرملة الثرية بذلك في أقرب وقت، وبأن الرجل في واقع الأمر ربما لم يغتصب سوى ظلال الفتيات، وأنهما ربما لم يكونا مضطرتين لقتله على أي حال.

ولكن حتى إن أوضحت لها هذه الأمور، فلن يكون من السهل أن تجعل الأرملة تصدقها. كانت أومامه تعرف كيف سيكون شعور الأرملة. الأرملة، أو أي شخص عاقل، سوف يجد صعوبة في القبول بأشياء مثل الناس الصغار أو مازا أو دوهتا أو الشرانق الهوائية باعتبارها حقائق. فعند العقلاء، لن تعدو هذه الأشياء أن تكون مجرد اختلاقات كتلك التي تظهر في قصص الخيال، ولن تبدو أكثر واقعية

من «ملكة القلوب» أو الأرنب الأبيض والساعة في قصة «أليس في بلاد العجائب».

ولكن أومامه نفسها قد رأت قمرين -القديم والجديد- يتدليان معاً في السماء. لقد كانت في واقع الأمر تعيش تحت ضوئهما. وقد شعرت بجاذبيتهما المائلة على بشرتها. وبيدها قتلت الرجل الذي يُدعى الزعيم في غرفة فندق مظلمة.

لم تكن أومامه تعرف ما الذي كان الناس الصغار يأملونه من وراء السيطرة على ساكي جاكه. ربما كانوا يريدون أشياء تتجاوز الخير والشر، ولكن البطلة الصغيرة في 'الشرنقة الهوائية' أدركت بالبديهة أنه لا خير يرجى من هذه الأشياء، وحاولت أن تردّ بطريقتها الخاصة. كانت قصتها هي وسيلتها. أصبح تنغو هو شريكها الذي يساعدها في نشر القصة. ربما لم يكن تنغو نفسه يفهم مغزى الدور الذي كان يؤديه في هذه المرحلة، وربما لم يفهم ذلك حتى الآن.

على أي حال، فقد كانت القصة المسماة 'الشرنقة الهوائية' هي المفتاح الرئيس.

كل شيء بدأ من هذه القصة.

ولكن أين مكاني فيها؟

منذ تلك اللحظة التي استمعت فيها إلى مقطوعة سينفونيتا التي ألفها ياناتشيك وهبطتُ درج الطوارئ هرباً من الزحام المروري على الطريق السريع، تمّ استدراجي إلى هذا العالم الذي تضمّ سماؤه قمرين، عالم **1Q84 المليء بالألغاز. ما الذي يمكن أن يعنيه ذلك؟**

أغمضت عينيها وتابعت التفكير.

ربما تم اجتذابي إلى ممر «القوة المناوئة للناس الصغار» التي

شكلتها فوكا-إري وتنغو. وقد حملتني هذه القوة نحو هذا الجانب. ما هو التفسير الآخر لذلك؟ إن الدور الذي أؤديه في هذه القصة ليس دوراً صغيراً على الإطلاق. بل ربما أكون أنا إحدى الشخصيات المحورية.

نظرت أومامه فيما حولها. وقالت في نفسها، بعبارة أخرى فأنا موجودة في القصة التي أطلقها تنغو. بمعنى من المعاني، أنا موجودة بداخله - داخل جسده. أنا داخل هذا الضريح إذا جاز التعبير.

لقد شاهدتُ فيلمَ خيالٍ علمي قديم على شاشات التلفزيون منذ مدة. كان الفيلم يحكي قصة مجموعة صغيرة من العلماء استطاعوا أن يجعلوا أجسامهم تنكمش حتى بلغت حجماً مجهرياً، ثم ركبوا سيارة تشبه الغواصة (التي كانت قد انكمشت هي الأخرى)، ودخلوا الأوعية الدموية لمريضهم، ومنها دخلوا إلى دماغه كي يجروا له عملية جراحية معقدة كان محالاً إجراؤها في الظروف العادية. ربما هذا يشبه حالي. فأنا في دماء تنغو وأدور في جسمه. قاتلتُ خلايا الدم البيضاء التي هاجمت الجسم الغريب الغازي (أنا) عندما توجهت إلى السبب الجذري للمرض، ولا بد أنني نجحت في «إزالة» ذلك السبب عندما قتلت الزعيم في فندق أوكورا.

استطاعت أومامه أن تحمِّس نفسها نوعاً ما بهذه الأفكار. لقد نفذتُ المهمة التي كُلفت بها. كانت مهمة صعبة، بلا شك، وكنت خائفة، ولكني نفذتها بهدوء ودون هفوة واحدة وسط كل ذلك الرعد - وربما كان تنغو ينظر إليّ. استشعرت الفخر بما أنجزت.

وكي أتابع تشبيه الدم، يجب إدخالي سريعاً إلى أحد الأوردة وأنا منهكة، وبعد أن أكون قد حققت غايتي. لن يطول الوقت حتى

يتم طردي من الجسم. هذه هي القاعدة التي يعمل بموجبها نظام الجسم - مصير حتمي. ولكن ما الذي يعنيه ذلك؟ أنا داخل تنغو الآن، يغمرني دفئه، وأهتدي بنبضات قلبه، وأسترشد بمنطقه وقواعده، وربما باللغة التي يكتبها. كم هو رائع أن أكون بداخله على هذا النحو!

كانت أومامه لا تزال تجلس على الأرض وهي مغمضة العينين. وضعت أنفها على صفحات الكتاب، كي تستنشق روائحه - رائحة الورق، ورائحة الحبر. تركت نفسها بهدوء لتدفقه وهي ترهف السمع إلى دقات قلب تنغو.

قالت في نفسها، هذا هو الملكوت.

وأنا مستعدة للموت، في أي وقت كان.

الفصل العشرون

تنغو
حيوان الفظ وصانع القبعات المجنون

لا شك في ذلك: كان يوجد قمران.

أحدهما هو القمر الذي ظل موجوداً دائماً، والآخر حجمه أصغر كثيراً، ولونه ضارب إلى الخضرة، وشكله مائل قليلاً، وضوؤه أقل سطوعاً. كان يبدو وكأنه طفل رقيق الحال ودميم الخلقة ولا تربطه سوى قرابة بعيدة بأسرة فرضته عليها ظروفٌ مؤسفة ولا أحد يرحِّب بوجوده. ولكنه كان موجوداً دون أدنى شك، وهو ليس شبحاً ولا خداعاً بصرياً، ويتدلى في الفضاء مثل بقية الأجرام السماوية، ككتلة صلبة لها محيط واضح المعالم. ليس طائرة، وليس منطاداً، وليس قمراً صناعياً، وليس قمراً من ورق صنعه شخص ما على سبيل المرح. كان دون أدنى شك كتلة من الصخور، وقد استقرت بهدوء وعناد في موقع ما من السماء ليلاً، مثل علامة ترقيم لم توضع إلّا بعد تفكير طويل أو جاسوس زرعه القدر.

حدّق تنغو في القمر الجديد طويلاً كما لو كان يتحداه، دون أن يُحول بصره عنه، ودون حتى أن تطرف عيناه. ولكن أيّاً كانت المدة

التي أبقى فيها عينيه مسلطتين عليه، فقد أبى أن يتزحزح. وبقي رابضاً في مكانه في السماء بإصرار صامت وقلب متحجر. فتح تنغو قبضته اليمنى، ودون أن يعي تقريباً، هز رأسه هزة خفيفة. **اللعنة، إنه هو نفسه الموجود في 'الشرنقة الهوائية'! عالم به قمران يتدليان جنباً إلى جنب في السماء. عندما تولد دوهتا، يظهر قمرٌ ثانٍ.**

كان أحد الناس الصغار قد قال للفتاة: «ستكون هذه هي العلامة. راقبي السماء باهتمام شديد».

إن تنغو هو مَن كتب هذه الكلمات. وبناء على نصيحة كوماتسو، جعل وصفه للقمر الجديد حِسياً ومفصَّلاً قدر الإمكان. كان ذلك هو القسم الذي بذل فيه قصارى جهده. ولذلك جاء شكل القمر الجديد كله تقريباً من ابتداع تنغو.

كان كوماتسو قد قال له: «فكر فيه على هذا النحو يا تنغو. لقد رأى قراؤك السماء وبها قمر واحد مرات لا حصر لها، أليس كذلك؟ ولكني أشك أنهم قد رأوا سماء بها قمرين جنباً إلى جنب. عندما تُقدِّم أشياء لم يرها معظم القراء من قبل في أي عمل قصصي، فعليك أن تصفها بأكبر قدر ممكن من التفاصيل الدقيقة».

كانت نصيحة تحمل الكثير من المنطق.

وبينما كان تنغو لا يزال يرنو إلى السماء، هز رأسه مرة أخرى. إن القمر الجديد يشبه تماماً في حجمه وشكله ذاك القمر الذي ابتدع له وصفاً. بل وحتى المفردات المجازية التي استخدمها فإنها تلائم هذا القمر تقريباً.

قال تنغو في نفسه، **هذا مستحيل. أي نوع من الواقع ذلك الذي يحاكي إبداعات الخيال؟** وقال بصوتٍ عالٍ أو حاول أن يقول: «لا، هذا مستحيل». لم يكد صوته يُسمع. جف حلْقه، كما لو كان قد

ركض لتوه مسافة طويلة. **هذا لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال. هذا عالم خيالي، عالم لا وجود له في الواقع**. كان عالماً جاء في قصة خيالية روتها فوكا-إري لأزامي ليلة وراء ليلة، والتي أكملها تنغو.

سأل تنغو نفسه، **هل يعني ذلك، إذاً أن هذا هو عالم الرواية؟ هل يمكن أن أكون قد غادرت العالم الحقيقي بطريقة أو بأخرى ودخلت عالم «الشرنقة الهوائية» مثل «أليس» عندما سقطت في حفرة الأرنب؟ أو لعل العالم الحقيقي قد تغير حتى أصبح يماثل قصة 'الشرنقة الهوائية'؟ هل يعني ذلك أن العالم الذي كان، العالم المعتاد الذي يضم قمراً واحداً، لم يعد له وجود في أي مكان؟ وهل لقدرة الناس الصغار صلة بذلك بطريقة أو بأخرى؟**

نظر حوله، آملاً أن يجد لأسئلته أجوبة، فلم يجد أمام عينيه سوى ذلك الحي السكني العادي من المدينة. لم يجد فيه شيئاً مما قد يبدو غريباً أو غير معتاد - لا «ملكة قلوب»، ولا حيوان الفظ، ولا «صانع القبعات المجنون». لم يجد حوله غير صندوق رمل فارغ وأراجيح ومصباح بخار زئبقي ينبعث منه ضوء مُعقِّم، وشجرة زيلكوفا وقد نشرت أغصانها، ومرحاض عام مغلق، ومنزل يتألف من طوابق ستة (لا إضاءة إلا في أربع شقق منه فقط)، ولوحة إعلانات، وماكينة بيع مشروبات حمراء اللون تحمل شعار كوكا كولا، وسيارة فولكس فاجن جولف خضراء اللون من طراز قديم وقد رُكنت في مكان مخالف، وأعمدة هاتف وخطوط كهرباء، ولوحات نيون تبدو من بعيد، وضوضاء المدينة وأضواؤها المعتادة. لقد عاش تنغو هنا في كوينجي سبع سنوات. لا لأنها لاقت هوى خاصاً لديه، ولكن تصادف أنه وجد بها شقة رخيصة لم تكن تبعد كثيراً عن محطة القطار. وكانت

ملائمة لقطع الرحلة اليومية، وكان انتقاله إلى مكان آخر ينطوي على متاعب كثيرة لا طاقة له بها، ولذلك مكث فيها. ولكنه كان على الأقل يعرف المنطقة معرفة دقيقة، ويجب أن يلحظ من فوره أي تغيير.

منذ متى كان يوجد أكثر من قمر؟ لم يكن تنغو يدري. ربما كان يوجد قمران منذ سنوات ولكنه لم يلحظهما فحسب. وقد فاتته أشياء كثيرة بالطريقة نفسها. لم يكن كثير القراءة للصحف، ولم يشاهد التلفزيون في حياته. كانت تواجهه أشياء لا حصر لها يعرفها الجميع ولكنه الوحيد الذي لا يعرفها. ربما حدث شيء ما في الآونة الأخيرة جعل هناك قمرين. أراد أن يسأل أحداً: «من فضلك، لدي سؤال غريب، ولكن منذ متى كان يوجد قمران؟ حسبتك ربما تعرف ذلك». لكنه لم يجد أحداً يسأله، بل لم يجد حتى قطة.

لا، يوجد شخصٌ ما هنالك. كان يوجد شخصٌ ما بالقرب يُمسك بمطرقة ويدق مسماراً في جدار. بوم بوم بوم. تواصل صوت الدق دون انقطاع، مسمار صلب للغاية يُدق في جدار صلد للغاية. تُرى مَن الذي يمكن أن يدق مسامير في مثل هذا الوقت؟ راح تنغو ينظر حوله حائراً، ولكنه لم يستطع أن يرى أي جدار، ولم يجد أي أحد يدق مسامير.

وما هي إلا لحظة حتى أدرك تنغو أنه كان يستمع إلى صوت دقات قلبه. مدفوعاً بالأدرينالين، كان قلبه يضخ دفقات من الدم عبر جسده. فيدق صوتها في أذنيه.

اعترى تنغو دوارٌ خفيف لدى رؤية القمرين، كما لو كان ذلك قد أحدث خللاً ما في جهازه العصبي. جلس في أعلى الزلاقة، وقد أسند جسمه إلى الحاجز الحديدي، وأغمض عينيه، وراح يقاوم

الدوار. شعر كما لو أن تغيراً طفيفاً قد طرأ على قوة الجاذبية من حوله. كان المد يعلو في مكان ما، وفي مكان آخر كان ينحسر. وكان الناس بوجوههم الجامدة، يسيرون جيئة وذهاباً ما بين «مجنون» و«مجذوب».

أثناء شعوره بالدوار، خطر فجأة لتنغو أن صورة أمه وهي في قميص نومها الأبيض لم تدهمه منذ مدة طويلة. بل لقد نسي تقريباً أنه ظل يتعذب بهذا الخداع على مدى سنوات. تُرى متى رآها آخر مرة؟ لم يستطع أن يتذكر بالضبط، ولكنها كانت حينما بدأ في كتابة روايته الجديدة غالباً. ولسبب لا يفهمه، فقد توقف شبح والدته عن الظهور له منذ هذه اللحظة وحتى الآن.

بدلاً من ذلك، جلس تنغو الآن على أعلى نقطة في زلاقة موجودة في ملعب في كوينجي، وراح ينظر إلى قمرين موجودين في السماء. أحاط به في صمت عالمٌ جديد مبهم مثل مياه داكنة من حوله. ربما أزاحت مشكلة جديدة المشكلة القديمة. وربما يكون اللغز القديم المألوف قد حلّ محله لغزٌ جديد. خطرت هذه الأفكار لتنغو دون سخرية. ولم يشعر بأي حاجة للشكوى من ذلك. **أيّاً كانت تركيبة هذا العالم الجديد، فلا خيار لي سوى قبوله في صمت. ليس لي أن أنتقي وأختار. حتى في العالم الذي كان موجوداً حتى الآن، لم يكن لدي خيار. والأمر نفسه هنا.** وفوق ذلك، سأل نفسه، **حتى إذا كنت أريد أن أرفع شكوى، فمن يا تُرى موجود هناك كي أرفع له الشكوى؟**

تواصلت دقات قلبه القوية والجافة، ولكن إحساسه بالدوار كان يتراجع تدريجياً. وبينما كان قلبه يدق في أذنيه، أسند تنغو رأسه إلى حاجز الزلاقة وراح ينظر إلى القمرين اللذين يتدليان في سماء

كوينجي. يا له من مشهد غريب، عالم جديد وفيه قمر جديد. أصبح كل شيء موضعَ شك، ومن ثم يكتنفه الغموض. قال تنغو في نفسه، ولكن يوجد شيء واحد أستطيع أن أعلنه بيقين. **أيّاً كان ما سوف يحدث معي في المستقبل، فإن هذا المشهد الذي يظهر فيه قمران جنباً إلى جنب، لن يبدو لي أبداً، أو في ما مضى، مشهداً عادياً وواضحاً.**

تساءل تنغو، أي اتفاق سري عقدته أومامه آنئذٍ مع القمر. واستحضر تلك النظرة شديدة الجدية التي ظهرت بعينيها وهي ترنو إلى القمر في وَضَح النهار. أي شيء ذاك الذي عرضته على القمر؟

وما الذي سوف يقع لي من الآن فصاعداً؟

عندما كان تنغو في العاشرة من عمره، وبينما كان يقف خائفاً إزاء الباب الكبير للصف الدراسي، كان يسأل نفسه هذا السؤال مرة تلو مرة فيما تقبض أومامه على يده في الصف الدراسي الفارغ. ولا يزال تنغو حتى الآن يتساءل حول الشيء نفسه. كان يشعر بالقلق نفسه، والخوف نفسه، وتأخذه الرجفة نفسها. كان الباب قد أصبح الآن جديداً وأكبر حجماً. وكان القمر يتدلى هناك مرة أخرى، ولكن في هذه المرة يوجد قمران، وليس واحداً. أين يمكن أن تكون أومامه؟

استطلع تنغو المنطقة مرة أخرى من مكانه على الزلاقة، ولكن لم يجد أي شيء مما كان يرجو. بسط راحة يده اليسرى وحاول جاهداً أن يجد مفتاحاً للغز، ولكنه لم يجد سوى خطوطها الطبيعية الغائرة. وتحت الضوء المسطح لمصباح البخار الزئبقي وجدها تشبه تلك القنوات الموجودة على سطح المريخ، ولكنها لم تخبره بأي شيء على الإطلاق. كان أكثر ما يستطيع أن يستخلصه من هذه اليد الكبيرة هو

أنه قد قطع شوطاً طويلاً للغاية منذ كان في سن العاشرة، وصولاً إلى أعلى هذه الزلاقة الموجودة في ملعب صغير في كوينجي حيث يتدلى قمران في السماء.

سأل تنغو نفسه مرة أخرى، **أين يمكن أن تكون أومامه؟ أين تختبئ؟**

لقد قالت فوكا-إري: «إنها قد تكون في مكان قريب جداً. على مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام».

إذا افترضنا أنها في مكان قريب، هل هي أيضاً تستطيع أن ترى القمرين؟

قال تنغو في نفسه، **نعم، أنا واثق أنها تراهما**. لم يكن لديه دليل، بطبيعة الحال، ولكن كان لديه اقتناع مبهم بصحة ذلك. لا ريب أنها تستطيع رؤية ما يستطيع هو رؤيته. كوَّر يده اليسرى لتصبح قبضة قوية ثم هوى بها على سطح الزلاقة بقوة أوجعته.

ولذلك يجب أن نلتقي في مكان قريب لا يبعد سوى مسافة يمكن قطعها سيراً على الأقدام. يوجد شخصٌ ما يتعقب أومامه، وهي تختبئ مثل قط جريح. وأنا ليس لدي ما يكفي من الوقت كي أعثر عليها. ولكن أين يمكن أن تكون؟ هذا ما لم يكن تنغو يدري عنه شيئاً.

نادى ضابط الإيقاع: «هاها».

انضم إليه الستة الآخرون: «هاها».

الفصل الحادي والعشرون

أومامه

ماذا علي أن أفعل؟

في تلك الليلة، خرجت أومامه إلى الشرفة وهي ترتدي قميصاً رياضياً رمادي اللون وحذاءً خفيفاً كي تلقي نظرة على القمرين. كانت ممسكة بكوب من الكاكاو. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تراودها فيها منذ مدة الرغبة في شرب الكاكاو، ولكن رؤيتها لعلبة كاكاو «فان هوتين» في إحدى خزانات المطبخ هي ما حرَّكت لديها هذه الرغبة فجأة. هناك قمران -أحدهما كبير والآخر صغير- يتدليان في سماء صافية في جهة الجنوب الغربي. وبدلاً من أن تتنهد، أطلقت أنَّةً صغيرة. لقد وُلدت «دوهتا» من شرنقة هوائية، ولذلك أمست ترى قمرين. لقد تبدل عام 1984 إلى 1Q84. وقد تلاشى العالم القديم، ولن تستطيع العودة إليه أبداً.

وبينما كانت أومامه تجلس على كرسي مريح في الشرفة، وترتشف رشفات صغيرة من الكاكاو الساخن وهي تنظر إلى القمرين بعينين مُضيَّقتين، حاولت أن تستحضر أشياء تنتمي إلى العالم القديم. لكن كل ما يمكنها تذكره في هذا الوقت، هو نبات الفيكس المطاط الموضوع في الوعاء الذي تركته في شقتها. تُرى أين يمكن أن يكون

الآن؟ هل تامارو يعتني به كما وعد؟ طمأنت أومامه نفسها، بالطبع. لا شيء يدعو للقلق. تامارو رجل يفي بوعوده. صحيح أنه قد يقتلك دون تردد إذا لزم الأمر، ولكنه مع ذلك، سوف يعتني بنباتك حتى النهاية. ولكن لماذا كل هذا الانشغال بنبات الفيكس المطاط؟

لم تكن أومامه تفكر في هذا النبات إلا نادراً حتى جاء ذلك اليوم الذي تركته وراءها في شقتها. لم يكن سوى نبات فيكس مطاط يبدو حزيناً وذا لون شاحب وكامد، وتظهر حالته السيئة عند النظر إليه. كان يحمل علامة سعر كُتب عليها 1800 ين في عرض خاص، ولكن البائع خفَّض السعر إلى 1500 ين دون طلب منها، ولو أن أومامه قد ساومت البائع، لربما حصلت عليه بثمن أقل. كان واضحاً أنه بقي كاسداً مدة طويلة، وقد ظلت طوال طريقها إلى المنزل تشعر بالندم على اندفاعها في شرائه، لا لأنه كان يبدو حزيناً وكبير الحجم ويصعب حمله فقط، ولكن لأنه كائن حي.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تمتلك في حياتها كائناً حياً. وسواء أكان حيواناً أليفاً أو نباتاً في وعاء، فإنها لم تشتر يوماً حيواناً أو نباتاً أو تتلق أياً منهما أو تعثر على أيٍّ منهما. كان نبات الفيكس المطاط هو أول تجربة لها في العيش مع كائن له حياته الخاصة. عندما وقعت عيناها على السمكتين الذهبيتين الصغيرتين في غرفة المعيشة وسمعت من الأرملة أنها اشترتهما من أجل تسوباسا من متجر في سوق المدينة، رغبت أومامه أن يكون لديها سمكها الخاص - رغبت بشدة. كانت لا تكاد ترفع عينيها عنهما. من أين جاءت هذه الرغبة فجأة؟ ربما شعرت بالغيرة من تسوباسا. لم يكن أحدٌ قط قد اشترى لأومامه أي شيء من سوق المدينة - أو حتى اصطحبها إلى

هناك. ولأن والديها كانا عضوين متقديّ الحماس في جمعية الشهود، ويؤمنان بشدة بتعاليم الكتاب المقدس، فقد كانا يزدريان ويتجنبان كل أسواق العالم الدنياوية.

ولذلك عقدت أومامه عزمها على الذهاب إلى متجر بالقرب من المحطة في منطقة جيوجاوكاكي كي تشتري سمكة ذهبية. إذا لم يكن أحد سوف يشتري لها سمكة ذهبية ووعاء، فسوف تفعل هي ذلك. وقالت في نفسها، **ما العيب في ذلك؟ أنا بالغة، أنا في الثلاثين من عمري، وأعيش في شقتي الخاصة. ولدي رزم من المال مكدسة في خزانتي في البنك. ليس علي أن أطلب إذناً من أحد كي أشتري لنفسي سمكة ذهبية.**

ولكنها عندما قصدت قسم الحيوانات الأليفة ورأت سمكة ذهبية حقيقية تسبح في الحوض، وتخفق بزعانفها المزركشة، شعرت أومامه بأنها لا تستطيع شراءها. لم تستطع منع نفسها من الشعور بأن دفع المال مقابل اقتناء كائن حي عملٌ لا يليق. وجعلها ذلك تفكر، أيضاً، في نفسها عندما كانت صغيرة. كانت السمكة الذهبية بلا حول ولا قوة وحبيسة وعاء زجاجي صغير، ولا تستطيع الذهاب إلى أي مكان. لم يكن يبدو أن هذه الحقيقة تزعج السمكة الذهبية نفسها. وربما ليس لديها أي مكان تريد الذهاب إليه. ولكن ذلك كان يمثل هاجساً حقيقياً لدى أومامه.

لم تشعر بشيء من ذلك عندما رأت السمكتين الذهبيتين في غرفة المعيشة لدى الأرملة الثرية. كان يبدو أنهما يستمتعان بالسباحة برشاقة في الوعاء الزجاجي، فيما يتموج ضوء الصيف خلال الماء. بدا لها أن العيش مع سمكة ذهبية فكرة رائعة. يجب أن يضفي ثراء على حياتها. ولكن رؤية أومامه للسمكة الذهبية في قسم الحيوانات الأليفة

في المتجر القريب من المحطة قد جعلتها تشعر بضيق التنفس. **لا، هذا مستحيل. لا يمكنني اقتناء سمكة ذهبية.**

كان نبات الفيكس المطاط هو ما استرعى انتباهها في تلك اللحظة، وهو موجود في إحدى زوايا المتجر. يبدو أنه قد زُج به في أدنى بقعة يمكن ملاحظتها، كي يتوارى مثل يتيم منبوذ. أو هكذا بدا لأومامه على الأقل. كان تعوزه النضارة والبريق، ويوحي شكله بسوء حالته، ولكنها ودون أي فكرة تقريباً في ذهنها، اشترته - لا لكونها أحبته ولكن لأنها كانت مضطرة لذلك. وفي واقع الأمر، وحتى بعد أن جاءت به إلى المنزل ووضعته على الأرض، كانت لا تكاد تنظر إليه إلّا في تلك المرات النادرة التي كانت تسقيه فيها.

لكنها عندما خلفته وراءها في الشقة، وأدركت أنها لن تراه مرة أخرى، لم تستطع أومامه أن تمنع نفسها من القلق بشأن النبات. تجهمت تجهماً شديداً، على النحو الذي كانت تفعله غالباً عندما تتملكها الرغبة في الصراخ بصوت عالٍ من الارتباك، فتشد كل عضلة في وجهها حتى تبدو وكأنها شخص آخر. وعندما انتهت من شدّ وجهها في كل زاوية ممكنة، عادت أومامه أخيراً إلى ملامحها الطبيعية.

لماذا كل هذا الانشغال بنبات الفيكس المطاط؟

على أي حال، أنا واثقة أن تامارو سوف يعتني بالنبات جيداً. إنه معتاد على حب الكائنات الحية ورعايتها. على النقيض مني. إنه يعامل كلابه وكأنها توأم روحه. ويستغل وقت فراغه كي يجوب حديقة الأرملة الثرية، ويتفحص نباتاتها بعناية كبيرة. عندما كان في دار الأيتام، خاطر بحياته لحماية طفل يصغره سناً ويعاني إعاقة

جسدية. لا يمكنني أن أقوم بأي شيء من هذا القبيل. لا يمكنني تحمل مسؤولية حياة آخرين. كل ما يمكنني هو أن أتحمل عبء حياتي ووحدتي.

«وحدتي» جعلت أومامه تستحضر أيومي.

ثمة رجل قد كبَّل يديها في سرير داخل أحد فنادق الحب، واغتصبها بعنف، ثم خنقها حتى الموت بوشاح لرداء حمام. على حدّ علم أومامه، فإن القاتل لم يتم إيداعه السجن. **أيومي كانت لديها أسرة وزملاء، ولكنها كانت وحيدة - وحيدة للغاية حتى إنها أُضطرت لمواجهة مثل هذه الموتة البشعة. ومع ذلك، لم أكن بجانبها. كانت تريد مني شيئاً ما، لا شك في ذلك. ولكن كانت لدي أسراري الخاصة -ووحدتي الخاصة- التي علي أن أحميها. لم أكن أستطيع البوح بها لأيومي مطلقاً. لماذا اختارتني أنا، من دون الناس جميعاً، وفي هذا العالم كثيرون غيري؟**

أغمضت أومامه عينيها وتخيلت نبات التين المرن في الوعاء الذي تركته في شقتها الفارغة.

لماذا كل هذا الانشغال بهذا النبات؟

قضت أومامه الدقائق التالية في البكاء. تساءلت وهي تهز رأسها، **ماذا أصابني؟** إنني أبكي كثيراً هذه الأيام. كان البكاء هو آخر ما تريده. ولكنها لم تستطع كفكفة الدموع. كان كتفاها يرتجفان. **لم يتبقَّ لدي أي شيء. تلاشى كل شيء ذي قيمة كنت أمتلكه، شيئاً تلو آخر. ضاع كل شيء - فيما عدا دفء ذكرياتي التي تجمعني بتنغو.**

قالت أومامه في نفسها، **يجب أن أوقف هذا البكاء.** ها أنا ذا، داخل تنغو، مثلما فعل العلماء في فيلم Fantastic Voyage. نعم،

هذا هو! اسم الفيلم كان Fantastic Voyage. شعرت أومامه بالرضا بعد تذكرها الاسم، فهدأت وتوقفت عن البكاء. **مهما سالت دموعي، فلن يغير ذلك من الأمر شيئاً. يجب أن أعود إلى أومامه الهادئة الصلبة.**

مَن يريد لذلك أن يحدث؟

أنا أريد ذلك أن يحدث.

نظرت حولها. كانت لا تزال ترى قمرين في السماء.

كان أحد الناس الصغار، صاحب الصوت الخافت، قد قال: «ستكون هذه هي العلامة. راقبي السماء باهتمام شديد».

وقال ضابط الإيقاع: «هاها».

وعندئذٍ انتبهت أومامه إلى أنها لم تكن الوحيدة التي تنظر إلى القمرين. كان بوسعها أن ترى شاباً في الملعب عبر الشارع. كان يجلس أعلى الزلاقة وينظر في الوجهة نفسها التي تنظر فيها. أدركت بالبديهة، **إنه يرى قمرين، مثلي تماماً. لا شك أنه ينظر إلى ما أنظر إليه.** يمكنه أن يقول: **هناك قمران في هذا العالم. ولكن الزعيم كان قد قال إنه ليس كل مَن يعيش في هذا العالم يمكنه أن يرى القمرين.**

لم يكن ثمة مجال للشك: هذا الشاب ضخم البنيان ينظر إلى القمرين الموجودين في السماء. **أراهن على ذلك بأي شيء. أستطيع أن أجزم بأنه يجلس هناك، وينظر إلى القمر الكبير الأصفر والقمر الصغير المائل الذي يبدو مُخضراً بلون الطحالب. يبدو أنه يفكر بعمق في معنى وجودهما. أيكون هو أيضاً قد انزلق إلى عالم 1Q84؟ ربما اختلط عليه الأمر، وليس بمقدوره أن يفهم معنى هذا العالم الجديد. نعم، لا بد أن الأمر هكذا. لا بد أنه بسبب ذلك**

اضطر للصعود إلى أعلى الزلاقة في هذا الملعب ليلاً، وراح يحدق في القمرين وحيداً، فيما تدور في ذهنه جميع الاحتمالات، وجميع الفرضيات التي يمكن أن يفكر فيها، ويتفحصها بالتفصيل. ولكن لا، ربما لا يكون الأمر كذلك على الإطلاق. ربما يعمل لحساب ساكي جاكه. ربما يكون هنا بحثاً عني.

تسارعت دقات قلب أومامه عندما خطرت ببالها هذه الفكرة. امتدت يدها اليمنى لا شعورياً إلى المسدس الآلي الموجود في حزامها، وأمسكت مقبضه بشدة.

ومع ذلك، فقد تعذَّر عليها أن تتبيَّن أيّ إحساس بالتوتر أو الاستعجال لدى الرجل الموجود على الزلاقة، ولم يكن يبدو عليه ما يشي بالعنف. كان يجلس هناك وحيداً فحسب، فيما يسند رأسه إلى الدرابزين، وينظر مباشرة إلى القمرين الموجودين في السماء، وهو مستغرق في أفكاره. كانت أومامه في شرفة الطابق الثالث، فيما كان هو في الأسفل. كانت تجلس في كرسي مريح، وهي تنظر إلى أسفل نحو الرجل عبر فجوة بين ستارة الشرفة البلاستيكية غير الشفافة والسور الحديدي. حتى إذا كان عليه أن ينظر لأعلى نحو أومامه، فلن يتمكن على الأرجح من رؤيتها، ولكن الرجل كان على أي حال يبدو مستغرقاً تماماً، وهو يحدق في السماء دون أدنى شعور بأن شخصاً ما ربما يحدق فيه.

هدَّأت أومامه نفسها وأخرجت بهدوء ذلك النَفَس الذي كانت تحبسه. خففت حدة التوتر الذي اعترى أصابعها ورفعت يدها عن المسدس. بقيت على وضعها، واستمرت في مراقبة الرجل. من نقطة المراقبة، لم يكن بوسعها أن ترى إلا وجهه. كان مصباح البخار الزئبقي في الملعب يصب ضوءه الساطع عليه من أعلى. كان رجلاً

طويل القامة وعريض المنكبين. كان شعر رأسه يبدو متيبساً وقصيراً، وكان يرتدي قميص «تي شيرت» طويل الأكمام، ولكنه شُمِّر حتى مرفقيه. لم يكن وسيماً تماماً ومع ذلك كانت ملامحه حسنة ومميَّزة ولم يكن شكل رأسه سيئاً. لو أنه كان أكبر سناً قليلاً وشعره متقصف، لبدا جميل الملامح تماماً.

وفجأة أدركت أومامه:

إنه تنغو.

ثم قالت في نفسها، **لا، ربما لا يمكن أن يكون هو. هزّت رأسها عدة مرات قصيرة وحادة. مستحيل. لا بد أنني مخطئة. ما هكذا تسير الأمور.** بات متعذراً عليها أن تتنفس أنفاساً طبيعية. لم يكن جسدها يعمل بشكل سليم. لم تعد أفكارها تتزامن مع أفعالها. قالت في نفسها، **يجب أن ألقي عليه نظرة فاحصة أخرى،** ولكن لسبب ما لم تستطع أن تحمل عينيها على التركيز. فجأة بدا أن شيئاً ما يجعل ما تراه بعينها اليمنى يختلف كثيراً عما تراه بعينها اليسرى. ودون أن تدري لَوَت قسمات وجهها بشكل غير طبيعي.

ماذا عليّ أن أفعل؟

قامت عن الكرسي ونظرت حولها بلا حول ولا قوة. ثم تذكرت أن هناك منظار نيكون في الخزانة، فمضت كي تحضره. عادت مسرعة إلى الشرفة وهي تحمل المنظار وتنظر نحو الزلاقة. كان الشاب لا يزال هناك. في الموضع نفسه، وعلى الهيئة نفسها، ينظر في السماء. بأصابع مرتجفة، ركزت المنظار ونظرت نحوه مستخدمة تقنية التقريب، وهي تحبس أنفاسها، وتركز. لا شك في ذلك: إنه تنغو. ربما مرت عشرون سنة، ولكنها أدركت على وجه اليقين: لا يمكن أن يكون أي أحد سوى تنغو.

كان أكثر ما أدهش أومامه هو أن مظهر تنغو لم يتغير تقريباً عمّا كانه وهو في العاشرة، وكأنما طفل العاشرة قد تقدمت به السنون مباشرة إلى رجل الثلاثين. ليس معنى ذلك أن ملامحه كانت طفولية. فجسده ورأسه، بالطبع، كانا أكبر كثيراً، وأصبحت ملامحه الآن ملامح شخص بالغ. واكتسبت تعبيرات وجهه عمقاً جديداً. كانت يداه الموضوعتان على ركبتيه كبيرتين وقويتين، وتختلفان كثيراً عن تلك اليد التي اعتصرتها قبل عشرين سنة في ذاك الصف الدراسي في المدرسة الابتدائية. ومع ذلك، بقيت تلك الهالة المنبعثة من حضوره المادي هي نفسها. كان جسده المتين والضخم يمنحها شعوراً طبيعياً وعميقاً بالدفء والأمان. شعرت برغبة قوية في أن تضع خدها على صدره، وهو شعور ملأها بالبهجة. كان جالساً على زلاقة في ملعب، وقد راح ينظر في السماء ويحدق بشدة في الوجهة ذاتها التي كانت تنظر إليها - القمرين. **نعم، من الممكن أن يرى كلانا الأشياء نفسها.**

ماذا علي أن أفعل؟

لم تكن أومامه تدري ماذا عليها أن تفعل بعد ذلك. وضعت المنظار في حجرها وضمت قبضتيها بشدة جعلت أظافرها تترك أثراً في جلدها. كانت قبضتاها المشدودتان ترتجفان قليلاً.

ماذا علي أن أفعل؟

كانت تصغي إلى أنفاسها اللاهثة. وفجأة، بدا لها أن جسمها قد انشطر نصفين. النصف الأول يرغب في قبول حقيقة أن تنغو هو الذي يجلس هناك أمام عينيها. أما النصف الآخر فيرفض ذلك، ويحاول إقناع نفسه بأن ذلك لم يحدث. في داخلها، كانت هاتان القوتان

تتصارعان، وكل منها تحاول استدراجها في جهتها. بدا لها كما لو أنّ كل قطعة من جسدها تتمزق ومفاصلها تتفكك وعظامها تتهشم.

أرادت أومامه أن تركض مباشرة صوب الملعب، وتصعد إلى الزلاقة، وتتحدث إلى تنغو. ولكن ماذا عساها أن تقول؟ لم تكن تعرف كيف تحرك عضلات فمها. هل بوسعها أن تُخرج من فمها بضع كلمات؟ «اسمي أومامه. أنا مَن قبضت على يدك داخل صف دراسي في المدرسة الابتدائية في إتشيكاوا منذ عشرين سنة. هل تذكرني؟»

أهذا هو ما ينبغي أن تقوله؟

ينبغي أن يوجد ما هو أفضل، ولو قليلاً.

وجهت لها أومامه الأخرى أمراً: «ابقي مختبئة في هذه الشرفة. ليس لك أن تفعلي شيئاً. أنت تعلمين ذلك. لقد أبرمتِ صفقة مع الزعيم في الليلة الماضية: سوف تنقذين تنغو وتساعدينه على البقاء في هذا العالم بتخلصك من حياتك الخاصة. هذه هي فحوى الصفقة. وتم إبرام العقد. وقد بعثتِ بالزعيم إلى العالم الآخر وقبلتِ التضحية بحياتك. أي جدوى يمكن أن تُرجى من رؤيتك تنغو الآن والحديث معه عن الماضي؟ وماذا ستفعلين إذا لم يتذكرك أو إذا كان لا يعرفك إلا باعتبارك «الفتاة الغريبة التي اعتادت أن تردد هذه الصلوات المُنفرة؟» ثم كيف سيكون شعورك وأنت تذهبين إلى حتفك؟».

تيبس جسدها كله لهذه الفكرة. وأخذتها رجفة تعذّر عليها التحكم فيها، كما لو أن نزلة برد شديدة أصابتها وربما يتجمد جسمها حتى النخاع. احتضنت نفسها وقتاً، وهي ترتجف، ولكنها لم تحول عينيها قطّ عن تنغو الجالس أعلى الزلاقة وهو ينظر في السماء. ربما يختفي في مكان ما في اللحظة التي تُحول نظرها عنه.

كانت تريد من تنغو أن يضمها بين ذراعيه، وأن يُمسِّدها بيديه

الكبيرتين. كانت تريد لجسدها كله أن يستشعر دفئَه، وأن يمسدها من رأسها حتى أخمص قدميها وأن يُدفئها. **أريده أن يُذهِب عني هذا البرد الذي يخترق جسدي حتى النخاع. وأريده أن يلج إلى داخلي ويُحركني بكل ما أوتي من قوة، وكأنه ملعقة تحرك كوباً من الكاكاو، ببطء، ووصولاً إلى آخر القاع. إذا كان سيفعل ذلك بي، فسوف أموت عندئذٍ راضية. حقاً.**

قالت أومامه في نفسها، **لا، هل هذا صحيح؟ إذا حدث ذلك حقاً، فربما لن أرغب في الموت الآن. وربما أرغب في البقاء معه إلى الأبد. وربما يتبخر عزمي على الموت، مثلما تتبخر قطرة ندى في شمس الصباح. أو ربما أشعر برغبة في قتله، بأن أطلق عليه الرصاص من مسدس هيكلر أند كوخ، ثم أفجر عقلي بعدئذٍ. لا يمكنني أن أتنبأ بما سيحدث أو بما سيكون باستطاعتي عمله.**

ماذا علي أن أفعل؟

لم تستطع أومامه أن تقرر. أصبحت تجد صعوبة في التنفس. لاح بخاطرها خليط من الأفكار، واحدة بعد أخرى، أفكار متشابكة تتحدى محاولاتها لفرض النظام عليها. ما هو الصواب؟ ما هو الخطأ؟ ثمة شيء واحد كانت على يقين منه: أنها تريد من هاتين الذراعين الغليظتين أن يضماها الآن. وأمّا ما يحدث بعد ذلك: فدع الرب أو الشيطان يُقدِّره.

حسمت أومامه رأيها. مضت إلى الحمَّام ومسحت عن وجهها آثار دموعها. ثم نظرت في المرآة وسرعان ما أصلحت شعرها. كان وجهها مضطرباً بشدة. وعيناها محتقنتان. أما ثيابها فكانت في حال

يُرثى لها، ففي الخلف من قميصها الرياضي الباهت ظهرت انبعاجة من أثر حملها للمسدس في حزامها. لم تكن هذه هي الهيئة التي تُقدم بها نفسها للرجل الذي ظلت تتحرق إليه شوقاً على مدى عشرين عاماً. لماذا لا ترتدي شيئاً أكثر ملاءمة ولو قليلاً؟ لكن فات أوان ذلك. لا وقت لديها كي تبدل ملابسها. ارتدت حذاء رياضياً وراحت تركض وهي تهبط ثلاثة طوابق على درج طوارئ المبنى، ثم عبرت الشارع، ودخلت الملعب الفارغ، حيث مضت نحو الزلاقة، فلم تجد أثراً لتنغو. رغم أن الضوء الاصطناعي لمصباح البخار الزئبقي كان يغمره، فقد بدا أعلى الزلاقة مهجوراً، وأكثر إعتاماً وبرودة وفراغاً من الجانب الآخر للقمر.

أتكون هذه هلوسة؟

قالت أومامه في نفسها وهي تلهث، **لا، لم تكن هلوسة. تنغو كان موجوداً هناك منذ لحظة، دون أدنى شك.** صعدت أعلى الزلاقة وراحت تنظر حولها. **لا أثر لأي أحد. ولكن لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيراً. كان هنا منذ بضع دقائق - أربع دقائق أو خمس على الأكثر. إذا ركضتُ، فيجب أن ألحق به.**

لكن أومامه غيَّرت رأيها. أوقفت نفسها بالقوة تقريباً. **لا، لا أستطيع ذلك. فأنا لا أعرف حتى أي طريق سلكها عندما مشى من هنا. لا أود أن أركض هائمة في شوارع كوينجي ليلاً. لا ينبغي أن أفعل شيئاً من هذا القبيل.** كان تنغو قد هبط الزلاقة وغادر المكان حينما كانت أومامه أسيرة تردّدها في الشرفة، وتتساءل عمّا ينبغي عليها أن تفعل. **عندما أمعن النظر، أرى أن هذا هو قدري. ترددتُ كثيراً وفقدتُ قدرتي على تقدير الأمور للحظات، وأثناء ذلك كان تنغو قد مضى. هذا هو ما حدث.**

قالت أومامه في نفسها، هذا أفضل. ربما هذا هو أفضل ما يمكن أن يحدث. فقد نجحتُ على الأقل في العثور على تنغو. رأيته عبر الشارع. ارتجفت عندما لاحت لي إمكانية أن يضمني بذراعيه. لو حظيت بذلك بضع لحظات، لكان لي أن أذوق طعم هذه البهجة الغامرة والإثارة. أغمضت عينيها وقبضت على الدرابزين المعدني للزلاقة وهي تعضّ شفتها.

جلست أومامه أعلى الزلاقة متخذة الوضعية نفسها التي كان عليها تنغو. نظرت نحو السماء في جهة الجنوب الغربي، حيث كان القمران، الكبير والصغير، يتدليان جنباً إلى جنب. قبل لحظات فقط، كانت ترقب تنغو من شرفة شقتها، حيث كان تردّدها الشديد لا يزال يتملكها.

1Q84: هذا هو الاسم الذي أُطلق على هذا العالم. دخلتُه قبل ستة أشهر دون قصد، والآن أوشك على مغادرته عن عَمد. أما تنغو فسوف يمكث هنا بعد ذهابي. بالطبع، لا أدري أي عالم ذلك الذي سيجده تنغو. لا سبيل لديّ لمتابعة ذلك حتى النهاية. ولكن ماذا يعني ذلك؟ سوف أموت في سبيله. لم أستطِع العيش من أجل نفسي: لقد حُرمت من هذا. وبدلاً من ذلك، سيكون بوسعي أن أموت من أجله. وهذا يكفيني. أستطيع أن أموت وأنا مبتسمة.

لا كَذِب في ذلك.

حاولت أومامه جاهدة أن تتحسَّس أي أثر ربما خلفه تنغو وراءه أعلى الزلاقة، ولكنها لم تجد دفئاً من أي نوع. كانت الرياح الليلية، المنذرة بقدوم الخريف، تمر عبر أوراق شجرة زيلكوفا، وتمحو عنها كلّ أثر لتنغو. ومع ذلك، بقيت أومامه جالسة هناك، ترنو إلى

القمرين، فيما يغمرها ضوؤهما الغريب الفاتر. امتزجت أصوات المدينة معاً لتصنع ضجيجاً واحداً يحيطها بجهيره المتواصل. خطرت ببالها تلك العناكب الصغيرة التي نسجت بيوتها على درج الطوارئ في الطريق السريع. ألا تزال تلك العناكب على قيد الحياة ومحافِظة على بيوتها؟

ارتسمت على وجهها ابتسامة.

وقالت في نفسها، **أنا جاهزة. لقد أتممتُ ترتيباتي.**

ولكنْ يوجَد مكانٌ يجب أن تزوره أولاً.

الفصل الثاني والعشرون

تنغو

مادام في السماء قمران

بعد نزوله من الزلاقة ومغادرته الملعب، هام تنغو على وجهه في شوارع كوينجي، وهو يمشي من كتلة سكنية إلى أخرى، ولا يكاد يعي إلى أين تأخذه قدماه. حاول أن يُنظم أفكاره المُضطربة، ولكنه وجد نفسه عاجزاً عن التفكير المُوحَّد الآن، ربما لأنه فكر في أشياء كثيرة في آنٍ واحد وهو جالس على الزلاقة: في عدد الأقمار، وفي أواصر الدم، وفي بدء صفحة جديدة في حياته، وفي حلم اليقظة الحقيقي والمذهل الذي كان يتراءى له، وفي 'الشرنقة الهوائية' لفوكا-إري، وفي أومامه، المختبئة غالباً في مكان قريب. وبينما كانت تتشابك الأفكار في رأسه، شعر تنغو بأن قدرته على التركيز تتعرض لضغط شديد. تمنى لو استطاع أن يأوي إلى فراشه ويغط في نوم عميق. يمكنه أن يستأنف هذه العملية في الصباح. ومهما أطال التفكير الآن فلن تتضح لديه الرؤية.

عندما عاد إلى شقته، وجد فوكا-إري تجلس إلى مكتبه، وباهتمام شديد تستعين بسكين جيب صغيرة في بري أقلام رصاص. اعتاد تنغو أن يحتفظ بعشرة أقلام في حامل الأقلام، ولكنه وجد الآن

ما لا يقل عن عشرين قلماً. لقد أدت عملية بري جميلة للأقلام. لم يكن تنغو قد رأى قطّ أقلاماً مبرية بهذا الجمال. وكانت أسنانها حادة كما الإبر.

قالت له وهي تتحقق من حدة قلم الرصاص الحالي بإصبعها: «جاءتك مكالمة هاتفية مِن تشيكورا».

«ما كان يُفترض أن تردي على الهاتف».

«كانت مكالمة مهمة».

ربما كان بوسعها أن تجزم بأهميتها قياساً على رنتها.

سألها تنغو: «عن أي شيء كانت؟».

«لم يقولوا».

«ولكنها من المصحة في تشيكورا، أليس كذلك؟».

«يريدون اتصالاً».

«يريدون مني أن أتصل بهم؟».

«اليوم. حتى لو في وقت متأخر».

تنهد تنغو: «أنتِ لا تعرفين الرقم، أظن ذلك».

«أعرفه».

كانت قد حفظت الرقم. دَوَّنه تنغو. ثم نظر في الساعة. كانت الثامنة والنصف.

سألها: «متى كان اتصالهم؟».

«قبل قليل».

ذهب تنغو إلى المطبخ وشرب كوباً من الماء. وبينما كان متكئاً بيديه على حافة الحوض، أغمض عينيه، وتأكد أن دماغه يعمل بشكل طبيعي. ثم مضى إلى الهاتف وطلب الرقم. ربما مات والده. أو لعلها على الأقل مسألة حياة أو موت. لم يكونو ليتصلوا في هذا

الوقت المتأخر دون أن يكون ثمة شيء مهم. كانت امرأة هي مَن ردت على الهاتف. عرَّف تنغو بنفسه وقال إنه يتصل بناء على طلبهم.

سألته المرأة: «ابن السيد كاوانا؟».

قال تنغو: «نعم».

قالت: «تقابلنا هنا ذاك اليوم».

تخيل تنغو صورة الممرضة متوسطة العمر وهي ترتدي نظارة ذات إطار معدني. لم يستطع تذكر اسمها.

تمتم ببضع كلمات مهذبة، وأضاف: «أظن أنك اتصلتِ في وقت سابق؟».

«نعم فعلت. سوف أوصلك بالطبيب المختص حتى تتحدث إليه مباشرة».

واضعاً السماعة على أذنه، انتظر تنغو طويلاً حتى رد عليه الطبيب. بدا كما لو أن عزف أغنية Home on the Range سوف يستمر إلى الأبد. أغمض تنغو عينيه وتصور المصحة الموجودة على شاطئ شبه جزيرة بوسو على المحيط الهادئ. أشجار الصنوبر الكثيفة ذات الأغصان المتشابكة، ونسيم البحر الذي يمرّ من خلالها، وأمواج المحيط الهادئ وهي تتكسر دائماً على الشاطئ. بهو المدخل الذي يخيم عليه الصمت وقد خلا من الزوار. صوت الأَسرّة المتحركة التي يتم جرّها بعجلات عبر الممرات. الستائر التي حال لونها بسبب تعرضها لأشعة الشمس. والزي الأبيض المكوي جيداً لطاقم التمريض. القهوة الخفيفة في قاعة الغداء.

وأخيراً، رفع الطبيب السماعة.

«آسف لجعلك تنتظر. تلقيت اتصال طوارئ من إحدى غرف المرضى الآخرين قبل بضع دقائق».

قال تنغو: «لا بأس». حاول تنغو أن يتذكر كيف يبدو طبيب والده، حتى خطر له أنه لم يلتق الرجل قطّ. لم تكن وظائف دماغه قد عملت بشكل صحيح بعد. «إذاً، هل أصاب والدي مكروه؟».

صمت الطبيب لحظة ثم قال: «حسناً، لا شيء محدد حدث اليوم، كل ما هنالك أن حالته لم تكن جيدة في الآونة الأخيرة. يؤسفني أن أقول ذلك، ولكنه في غيبوبة».

«هل تعني، أنه غائب عن الوعي تماماً؟».

«بالضبط».

حاول تنغو جاهداً أن يجعل وظائف دماغه تعود للعمل: «هل أصيب بشيء جعله يدخل في غيبوبة؟».

قال الطبيب بصعوبة واضحة: «إذا تحدثنا بشكل صحيح، لا».

انتظر تنغو.

«من الصعب أن أشرح لك على الهاتف، ولكن لا شيء بعينه أصابه. فهو ليس مصاباً بالسرطان أو الالتهاب الرئوي أو أي مرض آخر نعرفه بالاسم. وإذا تحدثنا بلغة طبية، فنحن لا نستطيع رؤية أي أعراض مميزة. ولا نعرف السبب الذي قد يكون وراء ذلك، ولكن في حالة والدك، يبدو أن قوة إدامة الحياة الطبيعية تضعف بوضوح. ولأننا لا نعرف السبب، فإننا لا نعرف ما هو العلاج الذي يجب أن نقدمه. نحن مستمرون في التغذية الوريدية، ولكن ذلك لا يعالج سوى الأعراض فقط».

سأل تنغو: «هل يمكنني أن أسألك سؤالاً مباشراً؟».

قال الطبيب: «نعم، بالطبع».

«هل ما تقوله يعني أن والدي لن يعيش طويلاً؟».

«قد يكون ذلك احتمالاً قوياً إذا بقي على حالته الراهنة».

«إذاً فقد بدأ جسمه غالباً يضمر بسبب كِبر السن؟».

أصدر الطبيب صوتاً مبهماً عبر الهاتف. ثم قال: «والدك لا يزال في الستينيات من عمره، ولم يصل بعد إلى أن «يضمر بسبب كبر السن». إنه بصحة جيدة في الأشياء الأساسية. لم نجد لديه أي خلل إلا في قدراته الإدراكية الضعيفة. وهو يحرز درجات جيدة نسبياً في القياسات الدورية للقوة التي نجريها له. ولا علم لنا بأي مشكلة محددة قد تكون لديه».

توقف الطبيب عن الكلام عند هذه النقطة. ثم تابع:

«لكن ... عند التفكير في الأمر... ومع مراقبته خلال الأيام القليلة الماضية، ربما ظهر لديه شيء ممّا تسميه «الضمور المصاحب لكبر السن». فقد تراجعت وظائف الجسم بشكل عام، ويبدو أنه يفقد إرادة الحياة. وعادة، لا تظهر هذه الأعراض إلا مع مريض جاوز منتصف الثمانينيات. فعندما يبلغ شخص ما هذه السن، نجده غالباً ما يسأم الحياة وينصرف عن سعيه للحفاظ عليها. ولكن لا أدري أي سبب يجعل ذلك يحدث مع رجل في الستينيات مثل السيد كاوانا».

عضّ تنغو شفته وراح يفكر في ذلك بعض الوقت.

سأله تنغو: «ومتى بدأت الغيبوبة؟».

قال الطبيب: «قبل ثلاثة أيام».

«هل تعني أنه لم يستيقظ منذ ثلاثة أيام؟».

«ولا مرة».

«وعلاماته الحيوية تضعف تدريجياً؟».

قال الطبيب: «ليس بشكل حاد، ولكن كما قلت للتو، فإن مستوى قوة إدامة الحياة لديه يضعف تدريجياً، ولكن بوضوح، مثل قطار يُهدئ سرعته شيئاً فشيئاً كي يبدأ في التوقف».

«كم تبقى له من الوقت في رأيك؟».

قال الطبيب: «لا أستطيع أن أحدد على وجه اليقين. إذا استمرت حالته الراهنة كما هي، فربما يكون لديه أسبوع آخر في أسوأ الأحوال».

غيَّر تنغو مِسكته للسماعة وعض شفته مرة أخرى.

قال تنغو: «سأكون موجوداً غداً. حتى لو لم تتصل، فقد كنت أفكر في القدوم قريباً. ولكني أشكرك على اتصالك. أنا ممتنّ جداً».

بدا الارتياح على الطبيب لدى سماعه ذلك: «أرجوك أن تأتي. أعتقد أنك كلما أسرعت، كان ذلك أفضل. ربما لن يستطيع التحدث معك، ولكني واثق أن والدك سوف يُسر لأنك هنا».

«لكنه فاقد الوعي تماماً، أليس كذلك؟».

«نعم. إنه لا يعي ما حوله».

«هل تعتقد أنه يتألم؟».

«في الوقت الراهن، لا، ربما لا. هذا هو الشيء الإيجابي الوحيد في كل ذلك. إنه في نوم عميق».

قال تنغو: «أشكرك جزيلاً».

قال الطبيب: «أتعرف يا سيد كاوانا إن والدك كان من المرضى الذين تسهل متابعتهم جداً. ولم يسبب مشكلة لأي أحد».

قال تنغو: «وهكذا كان دائماً». ثم، شكر الطبيب مرة أخرى، وأنهى المكالمة.

أعد تنغو قهوته ثم شربها على مائدة المطبخ، وهو يجلس قبالة فوكا-إري.

سألته فوكا-إري: «سوف تغادر غداً».

أومأ تنغو: «صباح غد يجب أن أستقل القطار وأذهب إلى بلدة القطط مرة أخرى».

سألته فوكا-إري دون أي تغير في تعبيرات وجهها: «أنت ذاهب إلى بلدة القطط».

سألها تنغو: «سوف تنتظرين هنا». بعد معايشته فوكا-إري، اعتاد أن تأتي أسئلته دون نبرة استفهام.

«سوف أنتظرك هنا».

قال تنغو: «سوف أذهب إلى بلدة القطط وحدي». أخذ رشفة من القهوة. ثم خطر له فجأة أن يسألها: «هل تريدين شيئاً تشربينه؟».

«نبيذ أبيض إن كان لديك بعضه».

فتح تنغو الثلاجة كي يرى هل لديه أي نبيذ أبيض مبرَّد. في آخر الثلاجة، وجد قنينة من شاردونيه كان قد اشتراها ضمن عرض خاص. كان الملصق يحمل صورة خنزير بري. سحب غطاء الفلين، وصب بعضها في كوب، ثم وضعه أمام فوكا-إري. بعد شيء من التردد، صب لنفسه كوباً هو الآخر. كان بالتأكيد في مزاج يشجع على النبيذ أكثر مما يشجع على القهوة. كانت مبردة أكثر ممّا ينبغي قليلاً، وحلوة الطعم أكثر مما ينبغي قليلاً، ولكن الكحول هدَّأ أعصاب تنغو بعض الشيء.

سألته فوكا-إري مرة أخرى: «سوف تذهب إلى بلدة القطط غداً».

قال تنغو: «سوف أستقل أول قطار في الصباح».

وبينما أمال رأسه إلى الخلف وهو يشرب كوب النبيذ الأبيض، تذكر تنغو أنه قذف داخل جسد الفتاة الجميلة ذات السبع عشرة سنة التي تجلس قبالته الآن. لم يحدث ذلك سوى ليلة أمس، ولكن كان

يبدو وكأنه شيء جرى في الماضي البعيد - يكاد يكون حدثاً من أحداث التاريخ. ومع ذلك، لا يزال إحساسه بما جرى حياً داخله.

قال تنغو وكأنه يُطلعها على سرّ، وهو يدير كوب الشراب في يده ببطء: «أصبح لدينا قمران. عندما نظرت إلى السماء قبل قليل، كان يوجد قمران - أحدهما كبير وأصفر، والثاني صغير وأخضر. ربما كانا موجودين من قبل، ولكني لم ألحظهما قطّ. أدركتُ ذلك منذ مدة قصيرة».

لم تجد فوكا-إري ما تقوله تعليقاً على ذلك، ولم يلمس تنغو لديها أي شعور بالدهشة من الخبر. ملامحها لم تتغير على الإطلاق. بل حتى لم تَصدر عنها تلك الهزة المعتادة بكتفها الصغيرة. لم يكن يبدو أن ذلك يمثل خبراً لديها.

قال تنغو: «لا شك أنك تعرفين أن وجود قمرين في السماء هو الأمر نفسه الموجود في عالم 'الشرنقة الهوائية'. والقمر الجديد يبدو تماماً كما وصفتُه، في نفس حجمه ولونه».

لم يكن لدى فوكا-إري ما تقوله. فهي لم تُجب قطّ عن أسئلة ليست بحاجة إلى أجوبة.

«لماذا حدث هذا الشيء في رأيك؟ وكيف لشيء من هذا القبيل أن يحدث؟».

ومع ذلك لم تُجب.

قرر تنغو أن يسألها مباشرة: «هل يعني هذا أننا قد دخلنا إلى العالم الذي تصوّره 'الشرنقة الهوائية'؟».

أمضت فوكا-إري عدة لحظات وهي تتفحص بعناية شكل أظافرها. ثم قالت: «لأننا كتبنا الكتاب معاً».

وضع تنغو كوب النبيذ على الطاولة. ثم سأل فوكا-إري: «كتبنا

’الشرنقة الهوائية‘ ونشرناها. كانت جهداً مشتركاً. ثم أصبح الكتاب من أفضل الكتب مبيعاً، وانكشفت للعالم معلومات عن الناس الصغار والمازا والدوهتا. ونتيجة ذلك، أنت وأنا دخلنا معاً هذا العالم الذي تبدَّل حديثاً. هل ذلك هو ما يعنيه؟».

«أنت بمثابة سميع».

قال تنغو مردداً كلماتها: «أنا بمثابة سميع. صحيح أنني كتبت عن هؤلاء السُمعاء في ’الشرنقة الهوائية‘، ولكني لم أفهم شيئاً مما كتبت. ماذا يفعل السميع تحديداً؟».

هزَّت فوكا-إري رأسها هزة صغيرة، قاصدة أنها لا تستطيع أن تشرح ذلك.

كان والد تنغو قد قال له: «إذا لم تستطع أن تفهم شيئاً دون شرح، فلن تفهمه بشرح».

قالت فوكا-إري: «يحسن بنا المكوث معاً حتى تجدها».

تطلع تنغو في فوكا-إري بعض الوقت، وهو يحاول أن يقرأ تعبيرات وجهها، ولكن كدأبها، لم تكن تظهر على وجهها أي تعبيرات يمكن قراءتها. لا شعورياً، التفت جانباً كي ينظر من النافذة، فلم يرَ أي أقمار، وإنما مجرد كتلة من الأسلاك الكهربية القبيحة والملتوية.

«هل يتطلب الأمر موهبة خاصة حتى يمكن للمرء أن يكون سميعاً؟».

حركت فوكا-إري ذقنها قليلاً لأعلى وأسفل، ما يعني أن الأمر يتطلب بعض الموهبة.

«ولكن ’الشرنقة الهوائية‘ كانت في الأصل قصتك، وأنتِ مَن كتبتها من الصفر. نبعت من داخلك. كل ما فعلتُه هو أنني توليتُ مهمة إصلاح الأسلوب. كنت مجرد فني».

قالت فوكا-إري كما قالت من قبل: «لأننا كتبنا الكتاب معاً».

وضع تنغو دون أن يشعر أصابعه على صدغه: «هل تقولين إنني كنت سميعاً منذئذٍ دون أن أدرك؟».

قالت فوكا-إري: «من قبل ذلك». وأشارت بالسبابة اليمنى إلى نفسها ثم إلى تنغو: «أنا بصير، وأنتَ سميع».

«بعبارة أخرى، أنت تبصرين وأنا أسمع؟».

أومأت فوكا-إري إيماءة قصيرة.

عبس تنغو قليلاً: «إذاً كنت تعلمين أنني سميع أو أمتلك موهبة السميع، ولذلك سمحت لي أن أعيد كتابة 'الشرنقة الهوائية'. من خلالي، قمت بتحويل ما رأيتِه إلى كتاب. أهذا هو ما حدث؟».

لا جواب.

تلاشى عبوس تنغو. ثم، قال وهو ينظر في عيني فوكا-إري: «ما زلتُ لا أستطيع أن أحدد اللحظة بالضبط، ولكني أخمن أنني في ذلك الوقت تقريباً، كنت قد دخلت بالفعل هذا العالم الذي يضم قمرين. كنت أتغاضى عن هذه الحقيقة حتى الآن. لم تسنح لي قطّ فرصة النظر في السماء ليلاً، ولذلك لم ألحظ وجود القمرين قطّ. هذا هو ما جرى، أليس كذلك؟».

بقيت فوكا-إري على صمتها. كان صمتها يطفو ويتعلق في الهواء مثل غبارٍ دقيق. هذا هو الغبار الذي نثرته قبل لحظات فقط مجموعة من الفراشات البيضاء القادمة من فضاء خاص. ظلّ تنغو مدةً ينظر في الأشكال التي صنعها الغبار في الهواء. شعر أنه قد أصبح مثل صحيفة مسائية صدرت قبل يومين. كانت المعلومات الجديدة تتوارد إليه يوماً وراء يوم، لكنه الوحيد الذي لم يعرف شيئاً منها.

قال تنغو وهو يستعيد حضوره الذهني: «يبدو أن العلة والمعلول

قد اختلطا معاً. لا أدري ماذا جاء قبل، وماذا جاء بعد. على أي حال، رغم ذلك، نحن الآن داخل هذا العالم الجديد».

رفعت فوكا-إري وجهها وحدقت في عيني تنغو. ربما كان يتخيل ذلك، ولكنه ظنّ أنه قد لمح بصيصاً لوهج حنون في عينيها.

قال تنغو: «على أي حال، العالم الأصلي لم يعُد موجوداً».

هزت فوكا-إري كتفيها هزة صغيرة: «سوف نواصل العيش هنا».

«في العالم الذي يوجد به قمران؟».

لم ترد فوكا-إري على هذا السؤال. مطّت الفتاة الجميلة ذات السبعة عشر ربيعاً شفتيها في خط مستقيم، ونظرت مباشرة في عيني تنغو -بالطريقة نفسها التي كانت أومامه تنظر بها في عيني تنغو ذي العشر سنوات في الصف الدراسي الفارغ، وهي في تركيز ذهني قوي وعميق. بينما كانت فوكا-إري لا تزال تحدق فيه بشدة، شعر تنغو أنه ربما يتحول إلى حجر، ثم يتحول إلى القمر الجديد- القمر المائل الضئيل. بعد لحظة، خففت فوكا-إري أخيراً من تحديقتها. رفعت يدها اليمنى وضغطت بأطراف أصابعها على صدغها كما لو أنها تحاول قراءة أفكارها السرية الخاصة.

سألته الفتاة: «أنت تبحث عن شخص ما».

«نعم».

«لكنك لم تجدها».

قال تنغو: «لا، لم أجدها».

لم يجد أومامه، ولكنه بدلاً من ذلك اكتشف وجود القمرين. ذلك أنه قد اتبع اقتراح فوكا-إري بالحفر عميقاً في ذاكرته، ونتيجة ذلك خطر له أن ينظر إلى القمر.

خفَّفت الفتاة من حدة نظرتها نوعاً ما وتناولت كوب النبيذ.

أخذت رشفة وأبقتها في فمها برهة ثم ابتلعتها بأناة، مثل حشرة ترتشف ندى الصباح.

قال تنغو: «أنت تقولين إنها تختبئ في مكان ما. إذا كان الأمر كذلك، فلن يكون العثور عليها سهلاً».

قالت الفتاة: «لا داعي للقلق».

ردد تنغو كلماتها: «لا داعي للقلق».

أومأت فوكا-إري إيماءة ظاهرة.

«هل تقصدين، أنني سأجدها؟».

قالت فوكا-إري بصوت مثل نسيم يمرّ فوق حقل من العشب الناعم: «هي سوف تجدك».

«هنا، في كوينجي؟».

أمالت فوكا-إري رأسها جانباً، ممّا يعني أنها لا تعرف، وقالت: «في مكان ما».

قال تنغو: «في مكان ما من **هذا العالم**».

أومأت فوكا-إري إيماءة خفيفة: «مادام في السماء قمران».

فكر تنغو في ذلك للحظة وقال ببعض الإذعان: «أظنني لا أملك إلّا أن أصدقك».

قالت فوكا-إري بتأمل: «أنا أرى وأنت تتلقى».

قال تنغو: «أنت ترين وأنا أتلقى».

أومأت فوكا-إري.

كان تنغو يريد أن يسأل فوكا-إري: **ولذلك اقترن جسدانا؟ في تلك العاصفة العاتية في الليلة الماضية. تُرى ما الذي كان يعنيه ذلك؟** لكنه لم يسأل هذه الأسئلة، التي ربما كانت غير لائقة، ويعرف أنها لن تجيب عنها أبداً.

إذا لم تستطع أن تفهم شيئاً من دون شرح، فلن تفهمه بشرح، هكذا قال والد تنغو في مكان ما.

أعاد تنغو قوله مرة أخرى: «أنت ترين وأنا أتلقى. تماماً مثل قيامي بإعادة كتابة 'الشرنقة الهوائية'».

هزت فوكا-إري رأسها. ثم دفعت شعرها إلى الوراء، لتكشف عن أذن جميلة وصغيرة وكأنها ترفع هوائياً للاستقبال.

قالت فوكا-إري: «ليس هكذا تماماً. لقد غيَّرت».

ردد تنغو: «أنا غيَّرت».

أومأت فوكا-إري.

«كيف غيَّرت؟».

راحت فوكا-إري تحدق طويلاً في كوب النبيذ الذي تحمله، وكأنما ترى فيه شيئاً مهماً.

قالت الفتاة الجميلة: «سوف تكتشف ذلك عندما تذهب إلى بلدة القطط». ثم ارتشفت رشفة من النبيذ الأبيض فيما كانت أذنها لا تزال ظاهرة.

الفصل الثالث والعشرون

أومامه
ضع نمراً في خزان وقودك

استيقظت أومامه بعد السادسة صباحاً بقليل. كان نهاراً صحواً وجميلاً. أعدَّت لنفسها فنجاناً من القهوة، وحمَّصت بعض الخبز، وسلقت بيضة. وأثناء تناول فطورها، كانت تطالع الأخبار التلفزيونية كي تتأكد أنه لا تقارير حتى الآن عن وفاة الزعيم. كان واضحاً أنهم تخلصوا من الجثة سراً ولم يحرروا محضراً لدى الشرطة ولم يسمحوا لأي أحد بمعرفة ذلك. لا ضير. فالميت يظل ميتاً بغض النظر عن كيفية التخلص من جثمانه.

في الساعة الثامنة تحممتْ، ومشّطت شعرها بشكل شامل بالفرشاة أمام المرآة، ووضعت مسحة بسيطة لا تكاد تُلحظ من أحمر الشفاه. ولبست جورباً. ثم لبست بلوزة بيضاء من الحرير كانت قد علقتها في الخزانة وتوجت ملبسها بسترتها الأنيقة من ماركة جونكو شيمادا. وبينما أخذت تهز جسمها وتتلوى بضع مرات كي تجعل حمالة الصدر السلكية المبطنة أكثر ملاءمة لهيئتها، وجدت نفسها مرة أخرى تتمنى لو كان نهداها أكبر. لا بد أن هذه الفكرة نفسها قد جالت بخاطرها 72 ألف مرة على الأقل وهي تنظر في المرآة. **ولكن**

ما الذي يعنيه ذلك؟ يمكنني التفكير في ما أريد كيفما أريد. قد تكون هذه هي المرة الـ 72 ألف، ولكن ما العيب في ذلك؟ ما دمت على قيد الحياة، يمكنني التفكير في ما أريده، وقتما أريده، وبأي طريقة أريده، وبقدر ما أريده. ولا أحد يستطيع أن يطلب مني غير ذلك. ثم ارتدت حذاءها عالي الكعبين من ماركة «شارل جوردان».

وقفت أمام المرآة ذات الحجم الطبيعي الموجودة بجوار باب الشقة، وتأكدت أن ثيابها لا تشوبها شائبة. رفعت أحد كتفيها قليلاً وفكرت في مدى إمكانية أنها قد تشبه فاي دوناواي في فيلم «قضية توماس كراون». في هذا الفيلم أدت فاي دوناواي دور محققة تأمينات هادئة الأعصاب، امرأة مثل سكين بارد: مثيرة جنسياً، وتبدو رائعة المظهر وهي ترتدي بذلة رسمية. بالطبع لم تكن أومامه تبدو مثل فاي دوناواي، ولكن الهالة التي تنبعث منها كانت تجعلها قريبة الشبه أو على الأقل لا تختلف تماماً. كانت هالة مميزة ولا يمكن أن تنبعث إلا من شخص محترف رفيع المستوى. وبالإضافة إلى ذلك، كانت حقيبة كتفها تحتوي على مسدس آلي بارد وصلب.

ارتدت نظارتها الشمسية النحيفة من ماركة «راي بان»، ثم غادرت الشقة. عبرت الشارع قاصدة الملعب، ومشت نحو الزلاقة حيث كان تنغو يجلس، وأعادت تشغيل مشهد ليلة أمس في رأسها. لقد حدث قبل اثنتي عشرة ساعة. كان تنغو الحقيقي موجوداً هناك، **لا يفصله عني سوى الشارع. جلس هناك مدة طويلة، وحيداً، وهو يرنو إلى القمرين** - إنهما القمران نفسيهما اللذان كانت تنظر إليهما.

شعرت أومامه أن كونها قد أصبحت شديدة القرب من تنغو هو شيء أشبه بمعجزة أو وحيٍ من نوع ما. ثمة شيء أدخلها إلى وجوده.

وبدا أن الحدث قد أعاد هيكلة وجودها المادي بشكل كبير. منذ اللحظة التي استيقظت فيها صباحاً، وهي تستشعر احتكاكاً من نوع ما في جميع أجزاء جسمها. **ظهر أمامي ثم مضى. لم يتمكن كلّ منا من الحديث إلى الآخر أو لمسه. ولكن في هذه الفترة الزمنية القصيرة، حوَّل أشياء كثيرة بداخلي. وحرَّك فعلياً ذهني وجسمي بالطريقة التي تُحرِّك بها ملعقةٌ كوباً من الكاكاو، حتى وصل إلى أعماق أعضائي الداخلية ورحمي.**

وقفت هناك خمس دقائق كاملة، وهي تضع يداً على إحدى درجات الزلاقة، وتقطَّب جبينها قليلاً، فيما تغرز كعب حذائها الحاد في الأرض. تحرَّت الدرجة التي حُركت بها جسمانياً وذهنياً، وراحت تتلذذ بهذا الإحساس. وأخيراً، حسمت أمرها، وغادرت الملعب ومضت صوب أقرب شارع رئيس، حيث استقلت سيارة أجرة.

«أريدك أن تذهب إلى يوهجا أولاً، ثم تسلك الطريق السريع رقم 3 في المسارات القادمة حتى قُبيل مخرج إيكيجيري»، هكذا طلبت من السائق الذي اختلطت عليه هذه التوجيهات حسبما هو متوقع.

سألها بلهجة هادئة: «إذاً، هل يمكنك أن تقولي لي بالضبط، يا آنسة، ما هي وجهتك النهائية؟».

«مخرج إيكيجيري. حتى الآن».

«حسناً، إذاً، سوف يكون أقرب كثيراً أن نذهب مباشرة إلى إيكيجيري من هنا. أما قطع الطريق كله إلى يوهجا فستكون التفافة كبيرة. وفي هذا الوقت من الصباح، ستكون مسارات القادمين في الطريق رقم 3 مزدحمة للغاية. لن يكون فيها حركة تقريباً. أنا متأكد من ذلك مثل تأكدي أن اليوم هو الأربعاء».

«لا يهمني إذا كان الطريق السريع مزدحماً. لا يهمني إذا كان اليوم هو الخميس أو الجمعة أو عيد ميلاد الإمبراطور. ما أريده هو أن تذهب إلى الطريق السريع من يوهجا. لديّ وقت كثير».

كان السائق في أوائل الثلاثينيات من عمره. كان نحيفاً، وله وجه طويل شاحب، ويشبه حيواناً خائفاً في مرعى. كانت ذقنه بارزة كتلك التي في الوجوه الحجرية الموجودة على «جزيرة الفصح». كان ينظر إلى أومامه عبر مرآة الرؤية الخلفية، محاولاً أن يتبين من ملامحها ما إذا كان راكبه الحالي معتوهاً أو أنه مجرد إنسان عادي يواجه موقفاً صعباً. لكن لم يكن من السهل عليه أن يتبين ذلك، وخصوصاً من صورتها في المرآة الصغيرة.

أخرجت أومامه حافظة نقودها من حقيبة كتفها ومدَّت يدها نحو وجهه بورقة جديدة من فئة العشرة آلاف ين. بدت النقود وكأنها قد طُبعت لتوها.

قالت أومامه باقتضاب: «لا حاجة لي بالباقي ولا حاجة لي بإيصال. واحتفظ بآرائك لنفسك وافعل ما أطلبه منك. اذهب أولاً إلى يوهجا، ثم اصعد إلى الطريق السريع، وامضِ إلى إيكيجيري. هذه سوف تغطي الأجرة حتى إذا علقنا في زحام المرور».

قال السائق، وهو لا يزال مرتاباً بها: «بالطبع، إنها تكفي وزيادة. هل لديكِ بعض الأعمال الخاصة على الطريق السريع؟».

هزت أومامه ورقة النقود في وجهه وكأنها راية وسط ريح: «إذا كنت لا تريد إيصالي إلى هناك، فسوف أنزل وأجد سيارة أجرة أخرى. إذاً احسم رأيك، من فضلك. الآن».

حدق السائق في الورقة ذات العشرة آلاف ين عشر ثوانٍ وقد عقد

حاجبيه. ثم حسم رأيه وأخذ المال. وبعد أن أمسك بالورقة في اتجاه الضوء كي يتحقق من صحتها، دسَّها في حقيبة نقوده.

«حسناً، إذاً، لنذهب إلى الطريق السريع رقم 3. سيكون الزحام فيه شديداً. أؤكد لك ذلك، يا سيدتي. ولا يوجد مخرج ما بين يوهجا وإيكيجيري. ولا مرحاض أيضاً. لذلك إذا كان هناك أي احتمال أنك قد تحتاجينه، فالأفضل أن تهتمي بذلك الآن».

«لا تقلق، خذني مباشرة إلى هناك فحسب».

شق السائق طريقه للخروج من شبكة الشوارع السكنية إلى الطريق الدائري رقم 8 وانضم إلى حركة المرور عالية الكثافة المتجهة صوب يوهجا. لم ينبس هو ولا أومامه بكلمة واحدة. كان يستمع إلى الأخبار، فيما هي شاردة في أفكارها. لدى اقترابهما من مدخل الطريق السريع، خفَّض السائق صوت المذياع وسأل أومامه سؤالاً.

«ربما لا يكون هذا من شأني، يا سيدتي، ولكن هل لديك مهمة عمل خاصة؟».

قالت أومامه دون تردد: «أنا محقِّق تأمينات».

ردَّد السائق كلماتها بعناية، كما لو كان يستلذّ بصنف جديد من الطعام: «محقق تأمينات».

قالت أومامه: «مهمتي هي البحث عن الأدلة في قضايا الاحتيال في مجال التأمينات».

قال السائق وقد بدت عليه بوضوح علامات الإعجاب: «رائع. هل للطريق السريع رقم 3 علاقة بمسألة الاحتيال في التأمينات هذه؟».

«بالفعل له علاقة».

«تماماً مثل الفيلم، أليس كذلك؟».

«أي فيلم؟».

قال: «فيلم قديم، مثَّل فيه ستيف ماكوين. لا أتذكر اسمه».

قالت أومامه: «قضية توماس كراون».

«نعم هو ذاك. فاي دوناواي كانت تؤدي دور محقق تأمينات. كانت مختصة بالتأمين ضد السرقة. أما ماكوين فهو الرجل الثري الذي يرتكب الجرائم من أجل المتعة. كان فيلماً عظيماً. شاهدته عندما كنت في المدرسة الثانوية. وأحببت فيه الموسيقى. كانت هادئة جداً».

«ميشيل ليجراند».

دندن السائق بالجمل الأولى القليلة من أغنية الفيلم (لحن البداية والنهاية). ثم نظر في المرآة نظرة فاحصة أخرى نحو أومامه.

«عند تدقيق النظر، يا سيدتي، فإن بكِ شيئاً يذكِّرني بفاي دوناواي».

قالت أومامه: «أشكرك»، وهي تغالب نفسها كي تخفي الابتسامة التي أُرتسمت حول شفتيها.

كما تنبأ السائق، كان المسار القادم من الطريق السريع رقم 3، شديد الزحام. راح يخفِّف السرعة قبل مائة خطوة من وصوله إلى المدخل، كان ذلك تقريباً هو النمط المثالي من الفوضى التي تريدها أومامه. الزي نفسه، والطريق نفسها، والزحام المروري نفسه. لكن للأسف، لم تكن مقطوعة سينفونييتا لمؤلفها ياناتشيك تُعزف عبر مذياع السيارة، كما أن جودة الصوت لا ترقى إلى النوعية التي كانت تصدر عن ستريو السيارة تويوتا كراون رويال صالون، ولكن ذلك كان سيعني المبالغة.

كانت السيارة تسير ببطء شديد، وتحيطها الشاحنات. كانت تبقى في المكان الواحد مدة ثم وعلى نحو يتعذر التنبؤ به تزحف إلى الأمام. كان السائق الشاب الذي يقود شاحنة التبريد في المسار المجاور ينشغل بتصفح إحدى مجلات «المانجا» المصوَّرة خلال فترات التوقف الطويلة. أما الزوجان متوسطا العمر اللذان كانا يستقلان سيارة تويوتا كورونا من الفئة مارك 2 قشدية اللون فكانا ينظران بوجهين عابسين أمامهما مباشرة، ولكن دون أن يُكلم أحدهما الآخر. ربما لم يكن لديهما ما يتحدثان فيه، أو ربما كانا قد انتهيا من حديثهما ومن ثم سكتا عن الكلام الآن. كانت أومامه تغوص في مقعدها، أما سائق السيارة فكان يستمع إلى المذياع.

اجتازت سيارة الأجرة أخيراً علامة كومازاوا فيما واصلت زحفها البطيء نحو سانجينجايا. كانت أومامه ترفع رأسها من حين إلى آخر كي تحدق من النافذة. **لن أرى هذه المنطقة مرة أخرى. أنا ذاهبة الآن إلى مكان بعيد.** ولكنها لم تكن موشكة على الحنين إلى شوارع طوكيو. فجميع المباني على امتداد الطريق السريع كانت قبيحة وملطخة بالسخام المصاحب لعوادم السيارات، وتعلوها لوحات إعلانية ذات ألوان صارخة. أثقل المشهد قلبها. **لماذا يجب على الناس بناء هذه المباني التي تبعث على الاكتئاب؟ لا أقصد أن كل زاوية وركن في العالم يجب أن يتَّسم بالجمال، ولكن هل يجب أن يكون على هذا القبح؟**

أخيراً، وبعد مُضي بعض الوقت، دخلت السيارة منطقة كان مجال الرؤية فيها مألوفاً لدى أومامه، إنه المكان الذي نزلت فيه من سيارة الأجرة. كان السائق متوسط العمر قد قال لها، كما لو أنه يُلمح إلى مغزى أعمق، يُوجد درج للطوارئ على جانب الطريق. ووجدت

أمامهما مباشرة لوحة الإعلان الضخمة لبنزين إسو. نمرٌ يبتسم ويمسك بخرطوم غاز. إنها لوحة الإعلانات نفسها التي كانت من قبل.

Put a tiger in your tank «ضع نمراً في خزان وقودك». هكذا يقول الإعلان.

انتبهت أومامه فجأة لجفاف حلقها. سعلت مرة واحدة، فمدَّت يدها إلى حقيبة كتفها، وأخرجت علبة بها قطرات مضادة للسعال بنكهة الليمون. بعد أن وضعت قطرة في فمها، أعادت العلبة إلى الحقيبة. وبينما كانت يدها داخل الحقيبة، قبضت على «هيكلر أند كوخ» بشدة، كي تستمد بعض الطمأنينة من وزنه وصلابته. قالت في نفسها، حسناً. تحركت سيارة الأجرة إلى الأمام بعض الشيء.

قالت أومامه إلى السائق: «انتقل إلى المسار الأيسر، هل يمكنك ذلك؟».

اعترض بنبرة هادئة: «لكن المسار الأيمن يتحرك بشكل أفضل. كما أن مخرج إيكيجيري في جهة اليمين. إذا انتقلتُ إلى المسار الأيسر، فسوف يكون عليّ العودة إلى اليمين مرة أخرى».

لم تكن أومامه مستعدة لقبول اعتراضاته: «لا يهم، انتقل إلى المسار الأيسر فحسب».

قال السائق بإذعان: «وهو كذلك، يا سيدتي».

مال بجسمه وأخرج يده خارج النافذة الأمامية، وأشار إلى شاحنة التبريد التي كانت وراءه في المسار الأيسر. بعد تأكده أن السائق قد رآه، رفع زجاج النافذة مرة أخرى وأقحم السيارة في المسار الأيسر. مضت السيارة خمسين خطوة حتى توقفت الحركة مرة أخرى تماماً.

قالت أومامه: «والآن افتح الباب. سأنزل هنا».

«تنزلين؟»، سألها السائق، مندهشاً. لم يقم بأي حركة لسحب رافعة فتح الباب الخلفي. «هنا؟!».

«نعم، هذا هو المكان الذي سأنزل فيه. لدي شيء عليّ القيام به هنا».

«ولكننا في منتصف الطريق السريع. ونزولك هنا فيه خطر كبير، وحتى إن فعلتِ، فلا مكان هنا يمكنك الذهاب إليه».

«لا تقلق، يوجد هنا درج طوارئ».

هز رأسه: «درج طوارئ. لا أدري إن كان يوجد درج الطوارئ أو لا، ولكن إذا اكتشف أحدهم أني سمحتُ لراكب بالنزول في مثل هذا المكان، فسوف يُدخلني ذلك في متاعب كبيرة مع شركة سيارات الأجرة وشركة إدارة الطريق السريع. لذلك لا تحاولي النزول..».

قالت أومامه: «عفواً، ولكن لا بد لي من النزول هنا». أخرجت من حافظتها ورقة نقدية أخرى من فئة العشرة آلاف ين، وطرقعتها، ودفعتها إلى السائق. «أعرف أنني أطلب منك عملاً لا ينبغي لك عمله. وهذا ثمن ما قد تواجهه من مشكلات. لذلك من فضلك كُف عن الجدل واسمح لي بالنزول».

لم يأخذ السائق المال، ولكنه امتثل لها وسحب الرافعة. وفتح باب الراكب في الجهة اليسرى.

«لا، شكراً، لقد دفعتِ لي بالفعل ما يكفي وزيادة. ولكن من فضلك خذي حذرك. ليس للطريق السريع أكتاف، ومهما بلغت شدة الزحام هنا، فمن الخطر جداً أن يمشي أي أحد هنا».

قالت أومامه: «شكراً لك». وبعد نزولها، نقرت على النافذة الأمامية في جهة السائق، وجعلته يُنزل الزجاج قليلاً. ثم مالت إلى داخل السيارة، ووضعت ورقة العشرة آلاف ين في يد السائق.

«لا عليك، خذها فحسب. ولا تقلق، لدي مال وفير ولا أعرف كيف سأنفقه».

راح السائق ينظر بعينيه جيئة وذهاباً ما بين النقود ووجه أومامه.

قالت أومامه: «إذا تسبب لك ذلك في مشكلة مع الشرطة أو الشركة، فقل لهم فقط إنني هدّدتك بمسدس. وأنك لم يكن لديك بديل عن السماح لي بالنزول. هذا سوف يُخرسهم».

بدا أن السائق لا يستطيع استيعاب ما تقوله. مال وفير لا تعرف كيف تنفقه؟ هددته بمسدس؟ ومع ذلك، فقد أخذ النقود، ربما خوفاً من أنها قد تأتي عملاً آخر أكثر خروجاً على المعقول إنْ هو رفض.

تماماً كما فعلت من قبل، جعلت أومامه طريقها بين الجدار الجانبي للطريق السريع والسيارات في المسار الأيسر، في اتجاه شيبويا. كان عليها أن تمشي زهاء خمسين خطوة. بدأ الناس في السيارات ينظرون إليها بارتياب، ولكن أومامه لم تدعهم يُربكونها. مشت إلى الأمام، بخطى واسعة وواثقة، وبظهر مستقيم، مثل عارضة أزياء على منصة عرضٍ باريسية. كانت الرياح تثير شعرها، فيما يهتز الطريق تحت عَجَلات الشاحنات التي تسير مسرعة عبر المسارات المفتوحة في الاتجاه المعاكس. بدت لها لوحة إعلان «إسو» أكبر عندما اقتربت منها، حتى وصلت في النهاية إلى موقف الطوارئ المعروف لديها.

بدا كل شيء كما كان من قبل - الحاجز المعدني، والصندوق الأصفر بجانبه الذي يحتوي على هاتف للطوارئ.

قالت أومامه في نفسها، **هذا هو المكان الذي بدأ فيه عام 1Q84**.

عالم حلَّ مكان عالم آخر منذ أن هبطتُ درج الطوارئ إلى الطريق رقم 246 أدناه. لذلك سأحاول الهبوط مرة أخرى. في المرة الأولى التي فعلت ذلك، كان الشهر هو أبريل، وكنت أرتدي معطفي. ولكننا الآن في أوائل سبتمبر، والطقس شديد الحرارة ولا يَسمح بمعطف. لكن باستثناء المعطف، فأنا أرتدي الثياب نفسها التي كنت أرتديها ذلك اليوم بالضبط، حينما قتلت ذلك الرجل المرعب الذي كان يعمل في مجال النفط - بذلتي ماركة «جونكو شيمادا» وحذائي عالي الكعبين ماركة «تشارلز جوردان». وبلوزة بيضاء. وجوربان وصدرية بيضاء. ورفعتُ تنورتي القصيرة لأعلى حتى أجتاز الحاجز وأهبط درج الطوارئ من هنا.

سأحاول فعل الشيء نفسه مرة أخرى - بدافع الفضول فحسب. أريد فقط أن أعرف ما الذي سيحدث إذا فعلت الشيء نفسه في المكان نفسه وأنا أرتدي الثياب نفسها. لا آمل أن يكون في ذلك إنقاذ لي. فأنا لا أخشى الموت. وإذا اقتضى الأمر ذلك، فسوف أموت دون تردد. يمكنني أن أموت وأنا مبتسمة. لكن أومامه لم تكن تريد أن تموت وهي تجهل ماذا جرى، وعاجزة عن فهم الكيفية التي كانت تسير بها الأمور. أريد أن أبذل قصارى جهدي، فإذا لم أفلح، فيمكنني أن أتوقف. ولكنني سوف أفعل كل ما بوسعي حتى آخر نَفَس. هذه هي طريقتي في الحياة.

مالت أومامه على الحاجز المعدني وبحثت عن درج الطوارئ. لم تجده هناك.

بحثت مراراً وتكراراً، فواجهت النتيجة نفسها. لقد تلاشى درج الطوارئ.

عضت أومامه على شفتها ولوت قسمات وجهها بشكل غريب.

هذا ليس المكان الخطأ. إنه قطعاً موقف الطوارئ نفسه. كل شيء هنا يبدو هو نفسه. وها هي لوحة إعلان إسو. درج الطوارئ كان موجوداً في ذلك المكان في عالم 1984. كانت أومامه قد وجدته بسهولة، بالضبط حيثما قال لها سائق سيارة الأجرة الغريب أنه سيكون. وقد استطاعت أن تجتاز الحاجز وتهبط. ولكن في عالم 1Q84، لم يعُد لدرج الطوارئ وجود.

كان المَخرج مغلقاً.

أرخت أومامه قسمات وجهها وراحت تدقق النظر فيما حولها. نظرت إلى لوحة إسو مرة أخرى. ممسكاً بخرطوم الغاز في يده، وبذيله المجعد الذي يتجه إلى أعلى، كان النمر ينظر من الإطار نظرة ماكرة ومطلعة وبابتسامة سعيدة، ابتسامة مفعمة ببهجة بالغة ويبدو وكأنها تقول من المستحيل أن يوجد رضا يفوق هذا الرضا.

قالت أومامه في نفسها، **نعم، بالطبع.**

كانت تعرف ذلك منذ البداية. كان الزعيم قد قال لها ذلك قبل أن تقتله في جناح فندق أوكورا: لا يوجد أي طريق للعودة من 1Q84 إلى عام 1984. الباب المؤدي إلى هذا العالم لا يفتح إلّا في اتجاه واحد.

وحتى مع ذلك، كانت أومامه بحاجة إلى تأكيد هذه الحقيقة بعينيها. هكذا هي طبيعتها. وها هي قد تأكدت الآن. انتهى الأمر. انتهى البرهان. وهذا هو المطلوب إثباته.

مالت أومامه على الحاجز الحديدي ونظرت إلى السماء. كان الطقس مثالياً. وكانت العديد من السحب الطولية والضيقة ترسم

خطوطاً مستقيمة عبر سماء داكنة الزرقة. كان بوسعها أن ترى السماء بعيدة في نهاية الأفق. لم تكن تبدو مثل سماء مدينة من المدن. ولكن ليس بها أي أقمار. أين ذهب القمران؟ آه، **حسناً، القمر هو القمر، وأنا هو أنا. لكل منا طريقة حياة مختلفة. ولكل منا خططه الخاصة.**

لو أنها كانت فاي دوناواي، لكانت أومامه قد أخرجت في هذه اللحظة سيجارة رفيعة وأشعلتها في هدوء بقداحة سجائر، وهي تضيّق عينيها على نحو أنيق. لكن أومامه لا تدخن السجائر، ولم يكن معها سجائر ولا قداحة. كل ما لديها في حقيبتها زجاجة بها قطرات للسعال بنكهة الليمون. هذا بالإضافة إلى مسدس آلي صلب من طراز 9 مم وكسارة ثلج مصنوعة خصيصاً وقد استخدمتها في طعن عدد من الرجال في مؤخَّر رقابهم. وكلاهما قد يكون أكثر فتكاً من السجائر.

نظرت إلى طابور السيارات المتكدس. كان الناس يحدقون نحوها باهتمام وهم داخل سياراتهم. بالطبع. فنادراً ما تتاح للناس فرصة يرون فيها شخصاً عادياً يمشي بامتداد الطريق السريع، ولا سيما إذا كانت امرأة شابة، ترتدي تنورة قصيرة وكعباً عالياً مدبباً، وتلبس نظارة شمسية خضراء وترسم على شفتيها ابتسامة. ولا بد أن أي أحد لم يكن ينظر إليها فإنه يعاني خللاً ما.

كانت غالبية السيارات العالقة على الطريق من فئة الشاحنات الكبيرة التي تجلب إلى طوكيو كل أنواع البضائع من شتى الأماكن. وقد قضى السائقون الليل كله غالباً وهم يقودون سياراتهم. والآن هم عالقون في زحام مروري مشؤوم في الصباح. كانوا ضجرين ويائسين ومتعبين. قصارى ما يريدون هو أن يتحمموا ويحلقوا ذقونهم، ثم يضّجعون، ويخلدون إلى النوم. كانوا يحدقون إلى أومامه مشدوهين،

وكأنما ينظرون إلى حيوان نادر. كان التعب قد نال منهم ولم يعد بوسعهم أن يتفاعلوا معها بشكل إيجابي.

بين هذه الشاحنات الكثيرة، كانت توجد سيارة مرسيدس بنز فضية اللون من طراز كوبيه وقد انحشرت مثل ظبية رشيقة علقت بين قطيع من وحيد القرن. كان جسمها الجميل، الذي يبدو أنه خرج لتوه من المصنع، يعكس شمس الصباح المشرقة. كان لون طاسات إطار السيارة متناسق مع جسمها. إنها سيارة مستوردة، حيث يوجد مقودها على الجانب الأيسر. وكانت نافذة السائق مفتوحة حيث راحت امرأة متوسطة العمر وحسنة الهندام تنظر مباشرة إلى أومامه. كانت ترتدي نظارة شمسية ماركة جيفنشي. كانت يداها على المقود وتلمع الخواتم في أصابعها.

كان للمرأة وجه عطوف الملامح، وبدت قلقة على أومامه. لا بد أنها كانت تسأل نفسها ما الذي تفعله امرأة شابة حسنة الهندام على الطريق السريع وأي سبب دفعها لأن توجد هناك. كانت تبدو مستعدة لدعوة أومامه للركوب معها. إذا طلبتْ منها، فربما تقلها إلى أي مكان تريده.

خلعت أومامه نظارتها الشمسية ووضعتها في جيب سترتها. ولأنها كانت تحدق في ضوء الصباح المشرق، فقد أمضت بعض الوقت تفرك الآثار التي أحدثتها النظارة على جانبي أنفها. مررت لسانها على شفتيها الجافتين وأحست بطعم خفيف لأحمر الشفاه. نظرت إلى السماء الصافية ثم نظرت في الأرض تحت قدميها مرة.

فتحت حقيبة كتفها وببطء أخرجت منها مسدس هيكلر أند كوخ، ثم أسقطت الحقيبة عند قدميها كي تُفرغ يديها. وبيدها اليسرى، حررت مزلاج الأمان وسحبت الأجزاء، كي ترسل رصاصة إلى حجرة

الإطلاق. قامت بهذه السلسلة من الحركات المتعاقبة بسرعة ودقة وبأقل عدد من الطقطقات. هزت المسدس بخفة في يدها، وعاينت وزنه. كان المسدس وحده يزن 480 جراماً، يضاف إليه وزن سبع طلقات. لا شك، أنه معبأ بالطلقات. يمكنها أن تجزم بذلك استناداً إلى الفرق في الوزن.

كانت أومامه لا تزال ترسم ابتسامة على شفتيها المستقيمتين. انصرف اهتمام الناس إلى تصرفاتها. لم يندهشوا عندما رأوها تُخرج مسدساً من حقيبتها، أو على الأقل لم يظهروا الدهشة على وجوههم. ربما لم يصدقوا أنه مسدس حقيقي. **لكنه كذلك**، هكذا حدثتهم أومامه في نفسها.

بعد ذلك وجهت المسدس إلى أعلى ووضعت فوهته في فمها. أصبح الآن موجهاً مباشرة إلى مخها، تلك المتاهة الرمادية التي يسكن فيها الوعي.

خطرت لها تلقائياً كلمات الصلاة، دون تفكير. رددتها بسرعة فيما لا تزال فوهة المسدس في فمها. لا أحد يستطيع أن يسمع ما أقوله، أنا متأكدة. ولكن لا يهم. مادام الرب يسمعني. عندما كانت أومامه فتاة صغيرة، لم تكن تفهم كلمات الصلوات التي ترددها، ولكن الكلمات كانت تنفذ إلى صميم فؤادها. كانت تحرص على ترديدها قبل طعام الغداء في المدرسة، بمفردها، ولكن بصوت عال، ودون اكتراث بنظرات الفضول وضحكات الازدراء التي تأتيها من الأطفال الآخرين. **الشيء المهم هو أن الرب يراقبك. وليس لأحد أن يتحاشى نظرته.**

الأخ الكبير يراقبك.

أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك إلى أبد الآبدين، وليأت ملكوتك إلينا. اغفر لنا خطايانا الكثيرة، وأسبغ بركاتك على سُبلنا المتواضعة. آمين.

كانت السيدة حسنة المظهر ومتوسطة العمر التي تمسك بمقود السيارة الجديدة «مرسيدس بنز» لا تزال تنظر مباشرة إلى أومامه. كما الناس الآخرون الذين يشاهدونها، بدا أنها لا تستطيع فهم المعنى من وراء المسدس الذي تمسك به أومامه. قالت أومامه في نفسها، **إذا فهمتْ ذلك، فسوف تشيح بوجهها عني. إذا رأت ذهني يتشظى في كل اتجاه، فربما لن تستطيع أن تتناول طعام غدائها اليوم - أو عشائها.** وتحدثت إليها أومامه دون أن تنطق بكلام، **لن ألومك إذا حولتِ وجهك عني. لم آتِ إلى هنا كي أنظف أسناني. لقد وضعت هذا المسدس الآلي ألمانيّ الصنع في فمي. وتلوتُ صلواتي. ينبغي أن تعرفي ماذا يعنيه ذلك.**

وإليك نصيحتي - نصيحة مهمة. لا تنظري إلى أي شيء. قودي سيارتك «مرسيدس بنز» الجديدة مباشرة إلى منزلك- منزلك الجميل، حيث ينتظرك زوجك الحبيب وأبناؤك الأعزاء وواصلي حياتك الهادئة. هذا ليس شيئاً ينبغي لمثلك أن تراه. هذا مسدس قبيح، مسدس حقيقي، معبأ بسبع طلقات عيار 9 مم. وكما قال أنطون تشيخوف، عندما يظهر مسدس في أحداث قصة، فلا بد أن يُطلق النار في مرحلة معينة. هذا هو ما نعنيه بـ«قصة».

ولكن السيدة متوسطة العمر لم تُحول عينيها عن أومامه. ويأساً منها، هزت أومامه رأسها هزة خفيفة. **المعذرة، ولكني لا أستطيع أن أنتظر أكثر. انتهى وقتي. هيا بنا نبدأ.**

ضع نمراً في خزان وقودك.
قال ضابط الإيقاع: «هاها».
انضم إليه الناس الصغار الستة الآخرون: «هاها».
قالت أومامه: «تنغو!» وبدأت الضغط على الزناد.

الفصل الرابع والعشرون

تنغو
مادام الدفء باقياً

استقل تنغو قطاراً سريعاً في الصباح من محطة طوكيو إلى تاتياما، ومن هناك استقل قطاراً داخلياً وصولاً إلى تشيكورا. كان الصباح مشرقاً وجميلاً. فالرياح راكدة، ولا تكاد تُرى موجة واحدة عبر المحيط. انتهى الصيف منذ مدة. كان يرتدي سترة خفيفة من القطن فوق قميص بأكمام قصيرة، وهي ثياب تبيَّن أنها ملائمة تماماً للطقس. بدت البلدة الساحلية على نحو غير معهود هادئة ومهجورة في غياب المصطافين. قال تنغو في نفسه، **كأنها بلدة قطط حقيقية.**

تناول غداء خفيفاً بجوار المحطة ثم أخذ سيارة أجرة أقلته إلى المصحة، ليصل إلى هناك بعد الواحدة ظهراً. استقبلته الممرضة متوسطة العمر نفسها في مكتب الاستقبال، وهي ذاتها المرأة التي ردت على مكالمته الهاتفية في الليلة السابقة. الممرضة تمورا. تذكرت تنغو وكانت معه ألطف مما كانت في المرة الأولى، حتى إنها اصطنعت له ابتسامة خفيفة، ربما متأثرة بثيابه الجميلة.

أرشدت تنغو أولاً إلى قاعة الغداء وصبَّت له فنجان قهوة. «من فضلك انتظر هنا. سوف يأتي الطبيب لرؤيتك». وبعد عشر دقائق، ظهر

طبيب والده، وهو يجفف يديه بمنشفة. كانت بقع الشيب قد بدأت تظهر في شعر رأسه المتيبس. ربما كان يناهز الخمسين من عمره. ولم يكن يرتدي معطفاً أبيض، وكأنه قد انتهى لتوه من بعض المهام. بدلاً من ذلك كان يرتدي كنزة رمادية اللون، تتماشى مع بنطال رياضي رمادي، وحذاء رياضي قديم. كان قوي البنية ولا يبدو طبيباً من هيئته بقدر ما يبدو مدرباً رياضياً في كلية لم يتجاوز قطّ القسم الثاني.

أعاد الطبيب على مسامع تنغو ما قاله له تقريباً عبر الهاتف الليلة السابقة. ومِن تعبيرات وجهه وكلماته، كان يبدو محزوناً فعلاً عندما قال: «يؤسفني أن أقول إنه لم يعد لدينا تقريباً ما يمكن عمله له من الناحية الطبية في هذه المرحلة. الشيء الوحيد الذي تبقى هو أن ندعه يسمع صوت ابنه. ربما يعزز ذلك إرادته في الحياة».

سأله تنغو: «هل تعتقد أنه يسمع ما يقوله الناس؟».

قطّب الطبيب جبينه في تمعّن وهو يرتشف شايه الأخضر الفاتر. «حتى أكون صريحاً معك، ليس لدي جواب عن ذلك. والدُك في غيبوبة. وهو لا يُبدي أي استجابة محسوسة على الإطلاق عندما نتحدث إليه. رغم ذلك، توجد حالات يدخل فيها الشخص في غيبوبة عميقة ويمكنه سماع مَن يتحدثون من حوله، بل ويفهم أحياناً ما يُقال».

«ولكنك لا تستطيع أن تجزم بذلك بمجرد النظر إليهم».

«لا، لا تستطيع».

قال تنغو: «يمكنني البقاء هنا حتى السادسة ونصف مساء. سوف أجلس معه طوال اليوم وأتحدث إليه قدر ما أستطيع. دعنا نرى إن كان ذلك سوف يفيد».

قال الطبيب: «من فضلك أخبرني إذا أظهر استجابة من أي نوع. سأكون هنا في الجوار».

أرشدت ممرضة شابة تنغو إلى غرفة والده. كانت ترتدي شارة اسم تُقرأ «أداتشي». كان والده قد تم نقله إلى غرفة خاصة في الجناح الجديد، جناح الحالات الحرجة. بعبارة أخرى، تم تقديم التروس سِناً واحدة للأمام. لا يوجد مكان آخر للانتقال إليه بعد ذلك. كانت غرفة صغيرة شاحبة، وطولية، ويشغل السرير أكثر من نصف مساحتها. وفيما وراء النافذة تمتد غابة الصنوبر التي كانت مصداً للرياح. كانت الحديقة كثيفة الأشجار تشبه جداراً يفصل المصحة عن حيوية العالم الحقيقي. غادرت الممرضة، وتركت تنغو وحده مع والده، الذي كان ممدداً على ظهره، ومستغرقاً في نوم عميق. جلس تنغو على كرسي خشبي صغير بجانب السرير وراح ينظر إلى والده.

بالقرب من مقدمة السرير، وُضع جهازٌ للتغذية الوريدية، حيث كان يتم ضخ السائل الموضوع في كيس من البلاستيك عبر أنبوب إلى أحد أوردة ذراع والده. كانت توجد أيضاً قسطرة لتلقي البول، وكان مستغرباً أن كمية ضئيلة فقط من البول هي ما تم جمعها. بدا أن والده قد نقص مقاساً أو اثنين منذ الشهر السابق. ظهر على وجنتيه الضامرتين وذقنه شعر لحية بيضاء عمره يومين. كان لوالده دائماً عينان غائرتان، ولكنهما أصبحتا الآن أكثر غوراً مما كانتا في أي وقت مضى. لم يستطع تنغو أن يمنع نفسه من التساؤل عما إذا كان من الضروري سحب مقلتي عينيه من مجحريهما بجهاز طبي ما. كان جفناه مغلقان بإحكام عند قيعان تلك الكهوف مثل مصاريع تم إنزالها، وكان فمه مفتوحاً قليلاً. لم يستطع تنغو أن يسمع أنفاس والده، ولكن كان بوسعه عندما اقترب بأذنه، أن يستشعر حركة هواء خفيفة. كانت الحياة مستمرة بهدوء عند حدها الأدنى.

بدأت كلمات الطبيب عبر الهاتف في الليلة السابقة «مثل قطار

يُهدئ سرعته شيئاً فشيئاً كي يبدأ في التوقف» تبدو حقيقية للغاية لدى تنغو. كان قطار «الأب» يهدئ سرعته تدريجياً، في انتظار توقف قوته الدافعة، ويستعد لتوقف هادئ وسط سهلٍ خال. على الأقل لم يبقَ على متنه راكبٌ واحد، ولا أحد كي يرفع شكوى حتى إذا توقف القطار عن السير. كان ذلك هو المخرج الوحيد.

شعر تنغو بأن عليه أن يتحدث إلى والده، ولكنه لم يكن يعرف ما ينبغي له قوله، أو كيف ينبغي أن يقوله، أو ما هي نبرة الصوت التي يجب أن يستخدمها. قال لنفسه، **حسناً، قل شيئاً**، ولكن لم تخطر بباله أي كلمات ذات معنى.

غامر بالقول هامساً «أبي»، ولكن لم تتبع ذلك أي كلمات أخرى.

نهض واقفاً، واقترب من النافذة، ونظر إلى الحديقة التي تحظى بعناية كبيرة والسماء الممتدة عالياً فوق غابة الصنوبر. كان يوجد غرابٌ وحيد قد حطّ فوق هوائي كبير، يحدق في المكان بازدراء وهو يستقبل أشعة الشمس. وُضع بالقرب من مقدمة السرير مذياع ترانزستور مدمج معه منبه ساعة، ولكن والده لم يكن بحاجة لأي من الوظيفتين.

«أنا تنغو. جئت للتو من طوكيو. هل تسمعني؟» قال وهو واقف عند النافذة، ينظر نحو والده، الذي لم يرد على الإطلاق. بعد اهتزازه للحظة في الهواء، لم يبق لوقع صوته أثر بعد أن امتصه الفراغ الذي أصبح يحتل الغرفة.

قال تنغو في نفسه، **هذا الرجل يحاول أن يموت**. كان بوسعه أن يجزم بذلك بمجرد النظر في عينيه الغائرتين. **اتخذ قراره بإنهاء حياته، ومن ثم أغمض عينيه وراح في نوم عميق. مهما قلتُ له، ومهما حاولت إفاقته، سيكون من المحال رده عن قراره.** من الناحية

الطبية، كان لا يزال على قيد الحياة، ولكن الحياة لدى هذا الرجل قد انتهت بالفعل. لم يعُد لديه سبب أو إرادة كي يواصل نضاله. كان قصارى ما يمكن لتنغو أن يفعله هو أن يحترم رغبة والده ويدعه يموت في سلام. كانت تظهر على وجهه نظرة هدوء تام. لا يبدو أنه يعاني ألماً على الإطلاق. كما قال الطبيب عبر الهاتف، كان ذلك هو السبيل الوحيد للخلاص.

ومع ذلك، كان لا بد لتنغو أن يتحدث إلى والده، على الأقل لأنه وعد الطبيب بأنه سيفعل. وكان يبدو أن الطبيب يشمل والده برعاية حقيقية. ثانياً، كان تنغو يرى في ذلك مسألة «أدب وذوق». لم يكن تنغو قد دخل في حديث مُطوّل مع والده منذ مدة طويلة للغاية، ولا حتى دردشة قصيرة. وفي الحقيقة ربما كان تنغو في المدرسة الإعدادية عندما دار بينه وبين والده آخر حوار حقيقي. كان تنغو نادراً ما يقرب المنزل بعد ذلك، وحتى عندما تقتضي بعض شؤونه الذهاب إلى البيت، كان يبذل قصارى جهده كي يتفادى رؤية والده.

والآن، وبعد أن كان قد أدلى باعتراف حقيقي أمام تنغو بأنه ليس والده الحقيقي، أصبح بوسع الرجل أن يضع عن كاهله هذا العبء أخيراً. كانت تبدو عليه بعض مشاعر الارتياح. **وهذا يعني أن كلاً منا استطاع أن يضع عبئه عن كاهله في آخر لحظة ممكنة.**

هذا هو الرجل الذي ربَّى تنغو كابنٍ له، فجعله بهذه الصفة في سجل العائلة رغم انعدام رابطة الدم، وظل يرعاه حتى بلغ وأصبح قادراً على إعالة نفسه. قال تنغو في نفسه، **أنا مدين له بالكثير. يجب علي أن أخبره كيف عشت حياتي حتى الآن، وأخبره كذلك ببعض الأفكار التي عايشتها وأنا أخوض غمار هذه الحياة. لا، ليس ذلك من باب الإلزام بقدر ما هو من باب الذوق واللطف. لا يهم هل ما**

أقوله سوف يصل إلى أذنيه أو هل كلامي معه سوف يحقق أي فائدة.

جلس تنغو مرة أخرى على الكرسي المجاور للسرير وبدأ يحكي خلاصة حياته حتى اليوم، بداية من تركه المنزل والانتقال للعيش في مهجع الجودو عندما التحق بالمدرسة الثانوية. منذ ذلك الوقت وحتى الآن، انفصمت كلّ عرى الاتصال تقريباً بينه وبين والده، ما أدى بهما إلى وضع لا يشعر فيه أيهما بأدنى اهتمام إزاء الآخر. شعر تنغو بأنه ربما عليه أن يملأ هذا الفراغ الكبير على أكمل وجه يستطيعه.

لكن وفي نهاية الأمر، لم يجد تنغو تقريباً ما يقوله عن حياته في المدرسة الثانوية. كان قد التحق بمدرسة ثانوية خاصة في إقليم تشيبا حيث كان برنامج الجودو يحظى بسمعة جيدة. كان باستطاعته أن يلتحق بمدرسة أفضل، ولكن المزايا التي عرضتها عليه هذه المدرسة كانت هي الأفضل. فقد تنازلت عن الرسوم الدراسية وسمحت له بالعيش في المهجع، حيث يحصل على ثلاث وجبات يومياً. أصبح تنغو عضواً أساسياً في فريق الجودو، ويتلقى دروسه في ما بين حصص التمرين (كان يستطيع تحقيق أعلى الدرجات في صفه دون مجهود شاق في المذاكرة)، وخلال العطلات كان يتقاضى نقوداً إضافية عبر قيامه بأعمال يدوية متنوعة مع زملائه في الفريق. ولأنه كان لديه الكثير الذي عليه عمله، فقد كان دائماً في عجلة من أمره. لم يجد ما يقوله عن السنوات الثلاث التي قضاها في المدرسة الثانوية سوى أنها كانت سنوات مزدحمة بالعمل. لم تكن فيها متعة كبيرة، ولم يستطع خلالها أن يُكوِّن أصدقاء مقربين. لم يحب المدرسة قطّ، بسبب كثرة الأوامر والنواهي. وكان يؤدي ما عليه أن يؤديه حتى ينسجم مع زملائه، ومع

ذلك لم يكونوا متفاهمين حقاً. وبكل صراحة، لم يشعر تنغو قطّ بأي التزام كامل إزاء لعبة الجودو كرياضة. كان يسعى لتحقيق الفوز من أجل إعالة نفسه، ولذلك كان يكرس قدراً كبيراً من طاقته للتمرين حتى لا يُخيب توقعات الآخرين. ومن وجهة نظره، لم تكن رياضة بقدر ما كانت وسيلة عملية للبقاء على قيد الحياة - وظيفة. أمضى السنوات الثلاث في المدرسة الثانوية وهو يُمني نفسه بالتخرج حتى يمكنه أن يبدأ حياة أكثر جدية في أقرب وقت.

ورغم ذلك، فقد ظل حتى بعد التحاقه بالكلية يمارس لعبة الجودو، وعاش بشكل أساسي نمط الحياة نفسه الذي عاشه من قبل. كان استمراره في لعبة الجودو يعني استمرار عيشه في المهجع، وهكذا يُجنب نفسه أي صعوبة في إيجاد مكان للنوم أو طعام يتناوله (رغم أنه كان أقل القليل). وتلقى أيضاً منحة دراسية، لكنها لم تكن تكفي لإعاشته. كان تخصّصه في الرياضيات، بطبيعة الحال. وأصبح يستذكر دروسه بجدية ويحقق درجات جيدة في الكلية أيضاً. وقد حثه المشرف على متابعة دراساته العليا. لكن مع انتقاله إلى السنة الثالثة ثم الرابعة في الكلية، بدأ شغفه بالرياضيات كتخصص أكاديمي يخبو سريعاً. إنه لا يزال يحب الرياضيات كثيراً كما كان من قبل، ولكنه لم يكن راغباً في أن يصبح باحثاً في هذا المجال. كان ذلك هو الموقف نفسه الذي اتخذه من لعبة الجودو. فهي رياضة جيدة كهواية لكنه لم يجد ميلاً أو دافعاً كي يؤسس حياته كلها على ذلك، وهو شيء كان يعلمه جيداً.

ومع تضاؤل اهتمامه بالرياضيات واقتراب تخرجه في الكلية، تبخرت الأسباب التي كانت تدفعه لمواصلة ممارسة الجودو ولم يعد يدري أي المسارات ينبغي أن يسكلها في حياته لاحقاً. كانت حياته

قد بدأت تفقد مركز جاذبيتها، ليس معنى ذلك أن حياته كان لها حقاً مركز جاذبية في أي وقت مضى، ولكن حتى ذلك الحين، كان يوجد أشخاص آخرون يعلقون عليه آمالاً ومطالب، وكانت استجابته لهم هي الشيء الذي يُبقيه مشغولاً. ولكن عندما تلاشت هذه الآمال والمطالب، لم يجد شيئاً يستحق الحديث عنه. كانت حياته بلا هدف. ولم يكن لديه أصدقاء مقرّبون. كان ينساق مع التيار ولا يستطيع أن يركز طاقته على أي شيء.

رافَق عدداً من الصديقات خلال سنوات دراسته في الكلية، وخاض تجارب جنسية كثيرة. لم يكن وسيماً بالمعنى المتعارف عليه. ولم يكن بالشخص الذي يُستأنس به بشكل واضح، ولا كان مسلياً أو خفيف الظل بدرجة كبيرة. وكان دائماً في حاجة إلى المال وليس أنيقاً في ملبسه بالمرة. ولكن كما تجتذب رائحةُ نباتات بعينها الفراشات، كان تنغو يجتذب أنواعاً معينة من النساء، ويجتذبهن بقوة.

اكتشف هذه الحقيقة لدى بلوغه العشرين تقريباً (وهو الوقت نفسه تقريباً الذي بدأ يفتقد فيه شغفه بالرياضيات كتخصص أكاديمي). فكان دائماً، ودون أن يفعل أي شيء من جانبه، يجد نساءً يملن إليه ويبادرن بالاقتراب منه. كُن يردن منه أن يضممهن بين ذراعيه الكبيرتين، أو على الأقل كن لا يبدين مقاومة قطّ حينما يفعل ذلك. لم يكن يفهم كيف يحدث ذلك في البداية، وكانت استجابته يعتريها قدر كبير من الارتباك، ولكنه في النهاية تعلم الطريقة واكتسب المهارة، وبات يعرف كيف يستغل هذه القدرة، ولذلك أصبح تنغو نادراً ما يجد نفسه من دون امرأة. لكنه مع ذلك، لم يكن يحمل أي شعور إيجابي بالحب إزاء أيٍّ منهن. كان يرافقهن ويمارس الجنس معهن فحسب. وكانت كل منهن تملأ فراغاً تتركه أخرى. ورغم الغرابة التي قد يبدو عليها

ذلك، فإنه لم يشعر قط بعاطفة قوية تجذبه نحو أي من النساء اللواتي كن يشعرن إزاءه بعاطفة قوية تجذبهن إليه.

روى تنغو هذه الأحداث إلى والده الذي كان غائباً عن الوعي، وكان ينتقي كلماته ببطء وعناية في البداية، ثم بسلاسة أكبر مع مرور الوقت، وأخيراً أصبح حديثه مفعماً بشيء من الانفعال. بل حتى إنه خاض في أمور جنسية بأكبر ممكن من الصراحة. وقال لنفسه، **لا جدوى الآن من الحرج في هذه الأمور**. كان والده يرقد ممدداً على ظهره ولا يحرك ساكناً، ويأخذه نومٌ عميق لا يقطعه شيء، وتخرج أنفاسه بإيقاع لا يتغير.

جاءت ممرضة قبل الساعة الثالثة، وغيَّرت كيس البلاستيك الذي يحوي السائل الوريدي، واستبدلت كيس البول الممتلئ بآخر فارغ، ثم قامت بقياس درجة حرارة والده. كانت امرأة قوية البنية وعامرة الصدر وفي أواخر الثلاثينيات من عمرها. حسبما تقول بطاقتها، فإن اسمها هو «أومورا». وكانت تعكص شعرها على شكل كعكة مشددوة في الجزء الخلفي من رأسها، وتضع فيه قلماً جافاً.

«هل طرأ أي تغيير في حالته؟» سألتْ تنغو وهي تسجل بالقلم أرقاماً على الحافظة.

قال تنغو: «لم تطرأ أي تغييرات على الإطلاق. إنه مستغرق في نومه طوال الوقت».

«من فضلك اضغط هذا الزر إذا جرى أي شيء»، قالت وهي تشير إلى زر الاستدعاء المتدلي فوق مقدمة السرير. ثم أعادت القلم الجاف مرة أخرى إلى شعرها.

«فهمت».

بعد وقت قصير من خروج الممرضة، سمع نقرة سريعة على الباب ووجد الممرضة تمورا ذات النظارة الطبية تطل برأسها.

«هل لديك رغبة في بعض الطعام؟ يمكنك الذهاب إلى قاعة الغذاء».

قال تنغو: «أشكرك، ولكني لست جائعاً الآن».

«كيف حال والدك؟».

أومأ تنغو. «كنت أتحدث إليه طوال الوقت. لكني لا أستطيع الجزم هل يسمعني أو لا».

قالت: «يجدر بك أن تظلّ تتحدث إليه». ثم ابتسمت إليه ابتسامة مشجعة: «لا تقلق، أنا متأكدة أنه يسمعك».

أوصدت الباب بهدوء. والآن أصبح تنغو ووالده وحدهما مرة أخرى في الغرفة الصغيرة.

تابع تنغو حديثه.

تخرَّج في الكلية ثم بدأ يُدرِّس الرياضيات في إحدى المدارس التأهيلية في المدينة. لم يعد ذلك الطفل النابغة في الرياضيات الذي يعلق عليه الناس آمالاً كبيرة، ولا هو ذلك العضو الواعد في فريق الجودو. بل أضحى مجرد معلم في مدرسة تأهيلية. ولكن هذه الحقيقة في حدّ ذاتها جعلت تنغو يبدو سعيداً. فقد أصبح بوسعه أخيراً أن يلتقط أنفاسه. وللمرة الأولى في حياته، يصبح حراً: يمكنه أن يعيش حياته الخاصة كيفما يريد ودون أن يساوره القلق بشأن أي أحد آخر.

وفي نهاية المطاف، اتجه نحو كتابة القصة. وشارك في عدة مسابقات بعدد قليل من قصصه المكتملة، ما قاده إلى التعرف على محرر مراوغ اسمه كوماتسو. وقد عهد إليه هذا المحرر لاحقاً بمهمة

إعادة صياغة 'الشرنقة الهوائية'، وهي قصة لفتاة في السابعة عشرة من عمرها اسمها فوكا-إري (كان اسمها الحقيقي هو إريكو فوكادا). كانت فوكا-إري هي مؤلفة القصة، ولكن لكونها تفتقر إلى موهبة الكتابة، فقد أخذ تنغو على عاتقه هذه المهمة. أدى تنغو عملاً بارعاً جعل الرواية تفوز بجائزة الكتّاب الجُدد التي تمنحها إحدى المجلات الأدبية، ثم تُنشر بعد ذلك في كتاب أصبح ضمن قائمة أفضل الكتب مبيعاً. ولولا ذلك النقاش واسع النطاق الذي أثاره الكتاب، لما نأت عنه لجنة الاختيار التابعة لجائزة أكوتاجاوا، وهي أرفع الجوائز الأدبية. ورغم أنه لم يفز بهذه الجائزة الثانية، فقد بيعت من الكتاب نسخٌ كثيرة للغاية ما جعل كوماتسو يقول بطريقته الفظة المعتادة، «يا للعجب، مَن يحتاج كل ذلك؟».

لم يكن تنغو واثقاً أن حكايته تصل إلى آذان والده، وحتى إن كانت تصل، فلا يستطيع أن يجزم هل يفهم والده ما يقوله. شعر بأن كلامه عديم التأثير ولم يستطع أن يلمس أي استجابة. وحتى إن كان كلامه يصل إلى والده، فما من سبيل لديه لمعرفة ما إذا كان والده يهتم بسماعه. وربما وجد الرجل العجوز كلامه مزعجاً. ربما يقول في نفسه، «ومَن يهتم بقصص تدور حول حياة الآخرين؟ دعني أنام!» رغم ذلك، كان قصارى ما يستطيعه تنغو هو أن يتابع قول ما يردُ بخاطره. لا يستطيع أن يجد شيئاً أفضل من ذلك كي يفعله وهو محشور مع والده في هذه الغرفة الضيقة.

لم تند عن والده أي حركة. كانت عيناه مغمضتين تماماً عند الجزء السفلي من هذين التجويفين العميقين المظلمين. لعله كان في انتظار حلول الشتاء وامتلاء التجويفين بالثلج.

«لا أستطيع القول إن الأمور تمضي على ما يرام في الوقت الحالي، ولكني أود أن تكون الكتابة هي مصدر دخلي الذي أعتاش منه، وإذا أمكن - ليس مجرد إعادة كتابة ما كتبه الآخرون ولكن كتابة ما أريد أن أكتب، وعلى النحو الذي أريد كتابته به. وفي اعتقادي فإن الكتابة ولا سيما كتابة القصة، تتماشى تماماً مع شخصيتي. ومن المفيد للشخص أن يكون لديه عمل يريد أن ينجزه، وقد أصبح الآن لديّ هذا الشيء أخيراً. حتى الآن لم يُنشر لي أي شيء باسمي، ولكن ذلك سوف يحدث عمّا قريب. لست كاتباً سيئاً في الحقيقة، إذا جاز لي قول ذلك عن نفسي. ويوجد محررٌ واحد على الأقل يُقدر موهبتي حق قدرها. ولذلك فلست قلقاً من هذه الناحية».

هَمَّ تنغو أن يضيف، **ويبدو أنّ لدي الصفات اللازمة التي تؤهلني لأن أصبح سميعاً. وإلا لما أُستدرِجت إلى ذلك العالم الخيالي الذي رسمته بنفسي**. ولكن هذه الغرفةِ ليست بالمكان الذي أبدأ فيه حديثي عن هذه الأمور المعقدة. فهذه قصة أخرى تماماً. ومن ثم قرر أن يُغير الموضوع.

«والمشكلة الأكثر إلحاحاً لدي هي أني لم أستطع أن أحبّ أي أحد حباً حقيقياً. فمنذ ولدت لم أشعر قطّ نحو أي أحد بحب خالص غير مشروط، ولم أشعر قطّ بأني أستطيع أن أَهَب نفسي إلى ذلك الشخص الواحد. ولو مرة واحدة».

ورغم ذلك، وجد تنغو نفسه يتساءل عمّا إذا كان هذا الرجل العجوز الذي يبدو بائساً أمامه قد جرَّب أن يحب أحداً من صميم قلبه. لعله أحب والدة تنغو حباً حقيقياً، وهو ما جعله مستعداً ربما لأن يتعهد تنغو بالتربية كما لو كان ابنه، رغم علمه أنه لا توجد رابطة

دم تجمعهما. إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أنه قد عاش حياة روحانية أكثر إشباعاً من تلك التي عاشها تنغو.

«لكن الاستثناء الوحيد الممكن كان لفتاة أتذكرها جيداً. كنا واقفين في صف دراسي في إتشيكاوا. نعم، أنا أتحدث هنا عن شيء جرى قبل عشرين سنة. كنت أشعر بانجذاب شديد نحوها. وظلت تسكن في خواطري كل هذه السنين، ولا أزال حتى الآن أفكر فيها. ولكني في واقع الأمر لم أتحدث إليها بكلمة. وانتقلتْ إلى مدرسة أخرى، ولم أرها منذئذٍ. ولكن شيئاً ما داخلي جعلني أرغب في العثور عليها. أدركت أخيراً أني أحتاج إليها، وأني أرغب في رؤيتها والتحدث معها حول كل ما يخطر بالبال. ولكني لم أستطع اقتفاء أثرها. أظن أنه كان يجدر بي بدء البحث عنها قبل الآن بزمن. ربما كان البحث أسهل بكثير».

سكت تنغو عن الكلام، في انتظار نفاذ الأشياء التي تحدَّث بها إلى ذهن والده - أو بدلاً من ذلك، نفاذها إلى ذهنه هو. ثم استأنف حديثه مرة أخرى.

«نعم، كنت شديد الجبن في هذه الأمور. وهذا السبب نفسه هو ما منعني من البحث في السجل العائلي. لو أني أردتُ حقاً أن أعرف هل والدتي ماتت أو لا، لكان بوسعي أن أكتشف ذلك بسهولة. ما كان عليّ سوى الذهاب إلى مجلس المدينة والبحث في السجل. وقد هممتُ بذلك فعلاً مرات ومرات. وكنت أتوجه إلى مجلس المدينة، ثم لا أستطيع أن أحمل نفسي على طلب الوثائق. كنت أخشى رؤية الحقيقة ماثلة أمام عينيّ. كنت أخشى أن أزيح عنها الغطاء بيدي. ولذلك انتظرتها حتى تظهر من تلقاء نفسها، بشكل طبيعي».

أطلق تنغو تنهيدة.

«حسناً، وبغض النظر عن كل ذلك، كان ينبغي لي بدء البحث عن الفتاة منذ زمن. لقد دخلت في انعطافة طويلة. ولم أستطع أن أحمل نفسي على مواصلة البحث. أنا. . . كيف لي أن أعبر عن ذلك؟ أنا جبان حينما يتعلق الأمر بأحوال القلب. هذا هو خطئي المميت».

نهض تنغو واقفاً، ومضى نحو النافذة، ونظر إلى الخارج حيث غابة الصنوبر. كانت الرياح قد سكنت. لم يعد يسمع الهدير المنبعث من المحيط. ورأى قطة كبيرة تجتاز الحديقة. بناء على خصرها المترهل، ربما تكون حاملاً. رقدت عند جذع شجرة، وبسطت ساقيها، وأخذت تلعق بطنها.

بينما كان يتكئ على حافة النافذة، تابع تنغو حديثه إلى والده.

«ولكن مهما يكن، فقد بدا لي في الآونة الأخيرة وكأن حياتي قد بدأت أخيراً تتغير. هكذا أشعر. وحتى أكون صريحاً معك، فأنا أكرهك منذ زمن. منذ صغري، وأنا أعتقد أني لا أنتمي إلى هذا المكان الضيق البائس، وأني أستحق ظروفاً أفضل. كنت أشعر أنه ليس عدلاً أن تعاملني بالطريقة التي عاملتني بها. كان يبدو أن جميع زملائي يعيشون حياة سعيدة ومُرضية. كانوا أطفالاً أقل موهبة وبراعة مني بكثير ومع ذلك يجدون متعة تفوق ما أجده كل يوم بكثير. تمنيت فعلاً لو أنك لم تكن والدي. تخيلت أن خطأً ما قد وقع؛ وأنك لا يمكن أن تكون والدي الحقيقي؛ لا يمكن أن تجمعنا صلة دم».

نظر تنغو من النافذة مرة أخرى إلى القطة. كانت لا تزال منهمكة في لعق بطنها المنتفخة، وهي لا تدرك أن أحداً يرقبها. ظلّ تنغو يحدق في القطة فيما واصل حديثه.

«لم أعد أشعر بذلك على الإطلاق. أصبحتُ الآن أعتقد أني عشت في الظروف المناسبة وأنه كان لدي الأب المناسب. إنني أعني

ما أقوله حقاً. وحتى أكون صريحاً معك، فقد كنتُ إنساناً لا جدوى منه وشخصاً عديم القيمة. وبمعنى من المعاني، فأنا المسؤول عن تدمير نفسي: فعلتُ ما فعلت بنفسي. أستطيع أن ألمس ذلك الآن. كنت نابغة في الرياضيات عندما كنت صغيراً، وهذا ما لا شك فيه. وحتى الآن لا أزال أمتلك موهبة حقيقية. كان الجميع يضعون عيونهم عليّ ويتوقعون مني الكثير والكثير. ولكنها في النهاية، كانت موهبة لا أمل في تطويرها إلى أي شيء ذي معنى. وكنت دائماً فتى ضخم البنية وأجيد لعبة الجودو، وكنت دائماً أُبلي بلاء حسناً في البطولات على مستوى المحافظات. ولكني عندما خرجت إلى العالم الأوسع، وجدت أشخاصاً كثيرين يفوقوني قوة. ولم يتم اختياري مطلقاً لتمثيل جامعتي في البطولات الوطنية. وهذه كانت صدمة كبيرة لي، وظللتُ لفترة لا أعرف مَن أنا. ولكن ذلك كان أمراً طبيعياً، لأنني في الحقيقة لم أكن أي أحد».

فتح تنغو زجاجة المياه المعدنية التي أحضرها معه وأخذ منها رشفة. ثم جلس على الكرسي مرة أخرى.

«قلت لك ذلك من قبل، وإنْ كنت ممتناً لك. أعتقد أني لست ابنك الحقيقي، بل أكاد أجزم بذلك. أنا ممتن لك لأنك ربيتني رغم أنه لا صلة دم تربطنا. أنا واثق أنه لم يكن سهلاً على رجل بمفرده أن يربي طفلاً صغيراً. ولكني أجدني الآن حينما أستحضر كيف كنت تصحبني في جولات تحصيل رسوم اشتراكات «إن إتش كيه»، أجدني أشعر بمرارة في قلبي. لم تبق لديّ من ذلك سوى ذكريات بشعة. ولكني متأكد أنك لم تكن تستطيع أن تجد طريقة أخرى للتواصل معي. كيف لي أن أعبر عن ذلك؟ ربما كان ذلك هو أفضل ما يمكنك عمله. كان ذلك العمل هو نقطة اتصالك الوحيدة مع المجتمع، وكنت

تريد أن تريني كيف يبدو العالم الخارجي. أستطيع أن أدرك ذلك الآن. وبالطبع، كنت تدرك أيضاً أن اصطحابك طفلاً سوف يجعل مهمتك في تحصيل الاشتراكات أيسر. ولكني أظن أن ذلك لم يكن كل ما في ذهنك».

انتظر تنغو فترة قصيرة حتى يسمح لكلماته بالنفاذ إلى ذهن والده وحتى يرتب أفكاره.

«بالطبع، لم أكن أرى الأمر على هذا النحو عندما كنت طفلاً. كان يحرجني ويؤلمني أن أجدني ملزماً بالخروج معك في هذه الجولات فيما زملائي يُقضون أيام الآحاد في لهو ولعب. لا أستطيع مهما قلت أن أعبر عن كراهيتي لأيام الآحاد عندما كانت تأتي. ولكني الآن، وإلى حد ما على الأقل، أستطيع أن أتفهم ما كنت تفعل. لا أقول إنه كان صواباً. فقد ترك داخلي ندوباً. كان أمراً لا يتحمله طفل. ولكن ما جرى قد جرى. لا تدع ذلك يزعجك. والفائدة الوحيدة منه هي أنه جعلني أكثر صلابة. وتعلمتُ أنه ليس من السهل على المرء أن يشق طريقه في دروب هذا العالم».

فتح تنغو يديه ونظر في كفيه وقتاً.

«سأواصل حياتي بطريقة أو بأخرى. أعتقد أني أستطيع أن أُبلي فيها بلاء حسناً من الآن فصاعداً، ودون الدخول في هذه الانعطافات عديمة الجدوى. لا أدري ماذا تريد أن تفعل. لعلك لا تريد سوى مواصلة نومك في هدوء، ودون أن تستيقظ مرة أخرى. هذا هو ما يجب عليك إن شئت ذلك. لا أستطيع أن أقف في طريقك إن كان هذا هو ما ترجوه. قصارى ما يمكنني عمله هو أن أدعك تواصل نومك. على أي حال، كنت أود أن أقول لك كل هذا، وأن أخبرك بما فعلتُ في هذه الحياة وما أفكر فيه. لعلك لم تكن تفضل الاستماع

لأي شيء من هذا، فإذا كنت كذلك، فأنا آسف لأني أرغمتك عليه. وعلى أي حال، ليس لدي أكثر ممّا قلته. لقد قلت تقريباً كل ما أظن أن عليّ قوله. لن أزعجك أكثر من ذلك. والآن يمكنك أن تنام قدر ما تشاء».

بعد الساعة الخامسة، جاءت الممرضة أومورا، التي تضع قلماً جافاً في شعرها، إلى الغرفة وتحققت من كمية السائل الوريدي المتبقي في الكيس. في هذه المرة لم تقم بقياس درجة حرارة والده.

سألت: «هل يوجد شيء يمكنني تسجيله؟».

أجاب تنغو: «لا شيء تقريباً. لقد ظلّ نائماً طوال الوقت».

أومأت الممرضة: «الطبيب سيكون هنا حالاً. حتى متى يمكنك أن تتأخر هنا اليوم، يا سيد كاوانا؟».

نظر تنغو في ساعته: «سوف ألحق بقطار السابعة، وعليه يمكنني البقاء حتى السادسة ونصف».

دوّنت الممرضة شيئاً ما في الحافظة الخاصة بوالده ثم أعادت القلم إلى شعرها.

قال تنغو: «لقد تحدثت إليه طوال فترة ما بعد الظهيرة، ولكن لا يبدو أنه يسمعني».

قالت الممرضة: «إذا كنت قد تعلمت شيئاً في مدرسة التمريض، فهي أن طبلة الأذن تهتز طرباً للكلمات الحلوة. لأن صوت الكلمات الحلوة يُطرب. وحتى إذا لم يفهم المريض ما تقوله، فإن طبلة أذنه سوف تهتز فعلاً للطول الموجي المفرح. لقد تعلمنا أن نتحدث دائماً إلى المريض بصوت واضح ومفرح سواء كان يسمع أو لا يسمع. فهذا قطعاً يفيده، مهما كان منطق الكلام. أقول ذلك من واقع تجربة».

فكر تنغو في هذه الملاحظة، وقال: «أشكرك». انحنت الممرضة أومورا انحناءة خفيفة، ثم غادرت الغرفة بخطى سريعة.

بعد ذلك، التزم تنغو ووالده بصمت طويل. لم يكن لدى تنغو المزيد الذي يقوله، ولكن الصمت كان يزعجه. كان ضوء ما بعد الظهيرة يتلاشى تدريجياً، فيما طلائع المساء تحوم في الأفق. وكانت الأشعة الأخيرة للشمس تسري في صمت وخلسة خلال الغرفة.

تساءل تنغو فجأة هل حدَّث والده بأي شيء عن القمرين. شعر بأنه لم يفعل غالباً. كان تنغو يعيش الآن في عالم يضم قمرين. وهمّ أن يقول «إنه مشهد غريب للغاية، بغض النظر عن عدد المرات التي أراه فيها»، ولكنه شعر أيضاً بأنّ ذِكْرَه ذلك لن يكون ذا فائدة كبيرة. لأن عدد الأقمار في السماء لم يكن يهم والده في شيء. ومن ثم يجب على تنغو أن يعالج هذه المشكلة بنفسه.

ومع ذلك، وفي نهاية المطاف، وسواء كان هذا العالم (أو ذلك العالم) يضم قمراً واحداً أو قمرين أو ثلاثة، فإنه لا يضم سوى تنغو واحداً فقط. وما الفرق الذي يصنعه ذلك؟ أيّاً كان العالم الذي يوجد فيه، فإن تنغو هو تنغو، وهو الشخص ذاته بمشكلاته الفريدة وخصاله الفريدة. لم تكن المشكلة الحقيقية تكمن في الأقمار ولكن في تنغو نفسه.

بعد نصف ساعة، عادت الممرضة أومورا إلى الغرفة مرة أخرى. لسبب ما، لم تعد تضع قلماً في شعرها. تُرى أين يمكن أن يكون؟ وجد تنغو نفسه منشغلاً على نحو غريب بالقلم. رافقها موظفان من الرجال، يدفعان سريراً متحركاً. كان الرجلان عريضَي المنكبين وداكنَي البشرة، ولم ينبس أي منهما بكلمة. ربما كانا من بلاد أجنبية.

قالت الممرضة: «يجب علينا أن نأخذ والدك لإجراء بعض الفحوص يا سيد كاوانا. هل ترغب في الانتظار هنا؟».

نظر تنغو إلى الساعة. «هل به مكروه؟».

هزت الممرضة رأسها. «لا، لا على الإطلاق. كل ما هنالك أن أجهزة الفحص لا توجد في هذه الغرفة، لذلك سوف نأخذه إلى حيث توجد الأجهزة. هذا شيء عادي. وبعد ذلك سوف يتحدث إليك الطبيب».

«فهمت. سوف أنتظر هنا».

«يمكنك أن تذهب إلى قاعة الغداء وتحتسي بعض الشاي الساخن. يجب أن تحصل على بعض الراحة».

قال تنغو: «أشكرك».

رفع الرجلان جسم والده النحيف بلطف، والأنابيب الوريدية لا تزال معلقة، ونقلاه إلى السرير المتحرك، وراحا يدفعان السرير وحامل كيس السائل الوريدي عبر الممر بحركات سريعة ومدرَّبة. وكانا لا يزالان لم يتفوها بكلمة واحدة.

قالت الممرضة: «لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً».

ولكن والده لم يعد إلى الغرفة وبقي حيث هو وقتاً طويلاً. بدأ الضوء الذي يدخل الغرفة عبر النافذة يضعف تدريجياً، ولكن تنغو لم يقُم بتشغيل المصباح. رأى أنه إذا فعل ذلك، فإن شيئاً مهماً هنا سوف يضيع.

بقيت في السرير فجوة حيث كان مَرقد والده. ربما كان والده الآن ضئيل الوزن، ولكنه مع ذلك ترك فجوة واضحة تطابق هيئته. عندما نظر تنغو إلى الفجوة، تملكه شعورٌ قوي بأنه قد تُرك وحيداً في

هذا العالم. بل وشعر أن الفجر ربما لن يطلع أبداً مرة أخرى، عندما تغرب الشمس هذه الليلة.

بينما كان تنغو جالساً على الكرسي بجوار السرير، وتغمره ألوان المساء المقترب، ظل في المكان نفسه مستغرقاً في أفكاره. ثم خطر له فجأة أنه لم يكن في واقع الأمر يفكر في أي شيء، بل كان منغمساً في فراغ بلا هدف. نهض واقفاً ببطء، وذهب إلى المرحاض حيث قضى حاجته. بعد أن غسل وجهه بماء بارد، جفف وجهه بمنديله ونظر إلى نفسه في المرآة. ثم تذكر ما قالته له الممرضة، فنزل إلى الطابق السفلي حيث قاعة الغداء فشرب بعض الشاي الأخضر الساخن.

لم يكن والده قد أعيد إلى الغرفة عندما عاد تنغو إليها بعد عشرين دقيقة أمضاها في الطابق السفلي. بدلاً من ذلك، وجد في التجويف الذي تركه والده في السرير جسماً أبيض اللون لم يره من قبل.

كان طوله يناهز خمسة أقدام، وفيه ثنايا ناعمة وجميلة. للوهلة الأولى، بدا أنّ الجسم يأخذ شكل قرن فول سوداني، فيما يغطي سطحه كله شيءٌ يشبه زغباً قصيراً وناعماً وينبعث منه وهج خافت ولكنه مستمر. في الغرفة التي كان الظلام يزحف إليها مسرعاً، أصبح الضوء الشاحب الذي يميل للزرقة يلف الجسم بهدوء. كان ذلك الجسم يرقد ساكناً في السرير كما لو أنه يملأ الفراغ الفردي الذي خلّفه والده وراءه مؤقتاً. توقف تنغو في المدخل، ويده على مقبض الباب، وراح يحدق في الجسم الغامض. بدت شفتاه تتحركان حركة طفيفة، ولكن دون أن تخرج منهما أي كلمات.

ما هو هذا الشيء؟ سأل تنغو نفسه وهو واقف هناك، متجمداً في

مكانه، وقد ضيَّق عينيه. كيف لهذا الشيء أن يكون هنا في مكان والده؟ لم يأتِ به طبيب أو ممرضة، كان ذلك واضحاً. وحوله كان يحوم نوع خاص من الهواء غير المتزامن مع الواقع.

ثم خطر له فجأة: **هذه هي الشرنقة الهوائية!**

كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها تنغو شرنقة هوائية. كان قد وصف بعضها بقدر كبير من التفصيل في الرواية، ولكنه بالطبع لم يكن قد رأى شرنقة حقيقية بأم عينيه، بل إنه لم يعدّها قطّ من الأشياء الموجودة في الواقع. ولكن الشيء الذي كان يراه الآن أمامه كان هو الجسم نفسه الذي تصوره ذهنه ووصفته كلماته: شرنقة هوائية. انتابه إحساس عنيف بأنه رأى هذا المشهد من قبل وشعر كما لو أن حزاماً معدنياً قد شُد حول بطنه. رغم ذلك، دخل إلى الغرفة وأوصد الباب. الأفضل ألا يدع أحداً يراه. ازدرد الريق الذي تجمع في فمه، محدثاً صوتاً غريباً في حلقه.

تسلل تنغو نحو السرير، وتوقف عندما لم يعد يفصله عن الجسم سوى خطوة واحدة، وراح يتفحص الشرنقة الهوائية بمزيد من التدقيق. أصبح الآن على يقين بأن الجسم يشبه تماماً الصورة التي رسمها للشرنقة الهوائية عندما كتب القصة. كان قد رسم رسماً بسيطاً بالقلم الرصاص قبل أن يحاول وصف الشرنقة الهوائية، بأن وضع أولاً الصورة الذهنية لديه في شكل بصري ومن ثم حولها إلى كلمات. وترك الصورة معلقة على الحائط فوق مكتبه عندما كان يعيد كتابة 'الشرنقة الهوائية'. كانت تشبه في شكلها خادرة أكثر ممّا تشبه شرنقة، ولكن الشرنقة الهوائية هو الاسم الوحيد الذي أطلقته فوكا-إري (وتنغو نفسه) على هذا الشيء.

أثناء مراجعته للقصة، ابتكر تنغو معظم الصفات الخارجية

للشرنقة الهوائية، وأضافها لوصفها، بما في ذلك الخصر الذي يضيق برشاقة في الوسط، والانبعاج الدائري المنمق الجميل في طرفيها. كانت هذه الصفات نابعة من ذهن تنغو بشكل كامل. ولم يرد ذكرها في الرواية الأصلية التي قدمتها فوكا-إري. وبالنسبة إلى فوكا-إري، كانت الشرنقة الهوائية هي مجرد شيء يقع في منزلة وسطى بين الجسم والصورة، ويبدو أنها لم تكن بحاجة كبيرة لأن تقدم وصفاً لمظهرها بالكلمات. ولذلك كان على تنغو أن يبتكر كل التفاصيل بنفسه، وكانت الشرنقة الهوائية التي يراها الآن تتضمن التفاصيل نفسها بحذافيرها: الخصر في الوسط والانبعاج الجميل في كلا الطرفين.

قال تنغو في نفسه، **هذه هي بالضبط الشرنقة الهوائية التي رسمتها ووصفتها. والأمر نفسه حدث مع القمرين**. لسبب ما، أصبحت الآن جميع التفاصيل التي أوردها في الكتاب حقيقة واقعة. اختلطت العلة بالمعلول.

سرى في أطراف تنغو الأربعة إحساسٌ غريب ومتوتر ومتداخل، وبدأ يشعر بخَدر في جسمه. لم يعد يستطيع أن يميز ما هو مقدار الواقع في هذا العالم الحالي، وما هو مقدار الخيال. وما هو المقدار الذي ينتمي إلى فوكا- إري، وما هو المقدار الذي يعود لتنغو، وما هو المقدار الذي يعود «إلينا»؟

ظهر فتقٌ صغير في أعلى الشرنقة الهوائية: كانت الشرنقة توشك أن تنشطر إلى نصفين. ربما يبلغ طول الفجوة التي ظهرت بوصة. إذا انحنى للأمام وقرَّب عينيه من الفتحة، فربما يرى ما بداخلها. لكن تنغو لم يجد لديه الشجاعة التي تتيح له ذلك. جلس على الكرسي المجاور للسرير، وراح يحدق في الشرنقة الهوائية فيما كتفاه يرتفعان وينخفضان على نحو لا يكاد يُلحظ وهو يجاهد للتحكم في أنفاسه.

كانت الشرنقة البيضاء لا تزال موجودة هناك، وينبعث منها وهجٌ خافت، وبهدوء تنتظر، وكأنها فرضية رياضية، مِن تنغو أن يقترب منها.

ما الذي يمكن أن يكون داخل الشرنقة؟

ما الذي كانت تحاول أن تريه إياه؟

في رواية 'الشرنقة الهوائية'، تكتشف الفتاة وهي بطلة الرواية ذاتَها الأخرى داخل الشرنقة. دوهتا الخاصة بها. تُخلِّف دوهتا الخاصة بها وراءها وتهرب من التجمع وحدها. ولكن ماذا يمكن أن يكون داخل الشرنقة الهوائية الخاصة بتنغو؟ (معتمداً على حدسه، شَعر تنغو أن هذه الشرنقة الهوائية لا بد أن تكون شرنقته الخاصة). هل هي مصدر خير أو شر؟ هل هي شيء سوف يرشده إلى مكان ما أو شيء سوف يعوق طريقه؟ ومَن الذي يمكن أن يكون قد أرسل إليه هذه الشرنقة الهوائية هنا؟

كان تنغو يدرك تماماً أن عليه أن يتصرف. ولكنه لا يجد الشجاعة الكافية كي يقف وينظر داخل الشرنقة. كان خائفاً. قد يصيبه ذلك الشيء الموجود بداخل الشرنقة بأذى أو يغير حياته تغييراً كبيراً. جعلت هذه الفكرة تنغو يتيبس مكانه ويجلس على الكرسي الصغير كمن فقد ملاذاً للجوء. شعر بالخوف نفسه الذي منعه من البحث في السجل العائلي لوالديه أو البحث عن أومامه. لم يكن يريد أن يعرف ما الذي يوجد داخل الشرنقة الهوائية وأُعد له. إذا كان باستطاعته أن يمر من جوارها دون أن يعرف ماذا يوجد بداخلها، فهكذا كان يريد الخروج من هذه الغرفة. إذا أمكن، فإنه يريد أن يغادر هذه الغرفة الآن، ويصعد على متن القطار، ويعود أدراجه إلى طوكيو. كان يريد أن يغمض عينيه، ويصم أذنيه، ويحفر لنفسه جُحراً في عالمه الصغير.

ولكن تنغو كان يعرف أيضاً أن هذا مستحيل. **إذا خرجتُ من هنا دون أن أرى ما بداخل الشرنقة، فسوف أندم على ذلك بقية عُمري. وربما لن أغفر لنفسي أنني حولت عينيّ عن ذلك الشيء، بغض النظر عما قد يكونه.**

بقي تنغو جالساً على الكرسي مدة طويلة، وهو لا يدري ماذا عليه أن يفعل؛ فهو لا يسعه أن يمضي قدماً أو يرجع للوراء. وبينما كان يضع يديه على ركبتيه، راح يحدق في الشرنقة الهوائية الموجودة على السرير، ويلقي ما بين فينة وأخرى نظرة إلى خارج النافذة، وكأنه يأمل الهرب. كانت الشمس قد غربت، وكانت حمرة الشفق الشاحب قد بدأت تغلف ببطء غابة الصنوبر. كانت الرياح لا تزال راكدة، ولم يعد يستطيع أن يسمع صوت الأمواج. أصبح يسود المكان سكون غامض. ومع زيادة ظلمة الغرفة، أمسى الضوء المنبعث من الجسم الأبيض أعمق وأكثر وضوحاً. وبدت الشرنقة نفسها لتنغو وكأنها كائن حي، بوهج الحياة الهادئ المنبعث منها، وبدفئها الفريد، وباهتزازها غير المحسوس تقريباً.

وأخيراً حسم تنغو أمره، ونهض واقفاً، ومال نحو السرير. لم يعُد الهرب الآن وارداً. لا يمكنه أن يعيش إلى الأبد كطفل خائف، يشيح بوجهه عن الأشياء التي أمامه. لا يمكن للناس أن يحصلوا على النوع السليم من القوة إلا عبر معرفة الحقيقة مهما كانت هذه الحقيقة.

كان الفتق في الشرنقة الهوائية ثابتاً لا يتغير، لم يكبر ولم يصغر عما كان عليه من قبل. ضيَّق عينيه، وراح ينظر عبر الفتحة، لكن بصره لم يبلغ نقطة بعيدة في الداخل. كانت مظلمة من داخلها، وبدا أن هناك غشاء رقيقاً يمتد داخلها. هدَّأ تنغو من أنفاسه، وتأكد أن يديه لا

تهتزان. ثم وضع أصابعه في الفتحة التي يبلغ طولها بوصة وفصلها ببطء، كما لو كان يفتح ضلفتي باب مزدوج. انفتحت بسهولة دون مقاومة تُذكر أو صوت يُسمع، كما لو أنها كانت تنتظر يديه.

كان ضوء الشرنقة الهوائية نفسها الآن ينير داخلها بهدوء، وكأنه ضوء منعكس من الثلوج. ومع ذلك، لم يكن يرى ما بداخلها إلّا على نحو باهت.

وجد تنغو داخلها فتاة جميلة في العاشرة من عمرها.

كانت مستغرقة في نوم عميق، وترتدي ثوباً بسيطاً أبيض اللون أو لعله قميص نوم خالٍ من الزركشة. وكانت تضم يديها الصغيرتين أعلى صدرها المسطح. أدرك تنغو على الفور مَن تكون هذه الفتاة. كان لها وجه نحيل، وشفتان تشبهان خطاً مستقيماً، وكأنما رُسمتا بمسطرة. كان شعر ناصيتها الذي صُفِّف بإتقان ينسدل على جبينها الأملس الجميل. وبدا أن أنفها الصغير يبحث عن شيء ما، ويتجه في تردد إلى أعلى. كانت عظام وجنتيها تمتد قليلاً في كلا الجانبين. ورغم أن عينيها كانتا مغمضتين، فقد كان تنغو يعرف كيف ستبدوان عند فتحهما. وكيف لا يعرف؟ فقد عاش عشرين سنة يحمل صورة هذه الفتاة في قلبه.

قال تنغو بصوت عال: «أومامه».

كانت الفتاة مستغرقة في نوم عميق، نوم عميق وطبيعي تماماً، ولا تُسمع لها سوى أنفاس خافتة. وكانت نبضات قلبها عابرة ويتعذر سماعها. لم تكن تجد من القوة ما يكفي لأن ترفع جفنيها. لم يأن أوان ذلك بعد. لم يكن عقلها الواعي هنا ولكن في مكان آخر بعيد. ومع ذلك، أحدثت الكلمة التي نطق بها تنغو اهتزازاً طفيفاً في طبلتي أذنيها. كانت الكلمة هي اسمها.

سمعت أومامه النداء آتياً من بعيد. قالت في نفسها، **إنه تنغو.** نطقت الكلمة بفمها بوضوح، رغم أنها لم تحرك شفتي الفتاة الموجودة في الشرنقة الهوائية أو تصل إلى آذان تنغو.

وكأنما هي روحه وقد أُنتزعت منه، راح تنغو يحدق بنهم في الفتاة، ويأخذ نفساً ضحلاً تلو آخر. بدا وجهها هادئاً تماماً، ولا يظهر عليه أي أثر للحزن أو الألم أو القلق. كانت شفتاها الرقيقتان الضئيلتان تبدوان وكأنهما توشكان أن تتحركا في أي لحظة كي تصوغا كلمات ذات معنى. وبدا أنّ جفنيها يوشكان أن ينفتحا. صلّى تنغو من صميم فؤاده راجياً حدوث ذلك. لم تأتِ صلاته في شكل كلمات محددة، ولكن فؤاده هو ما نسج هذه الصلاة الغامضة وأرسل بها إلى السماء. لكن الفتاة لم تُظهر أي علامة على الاستيقاظ.

نادى تنغو مرة أخرى: «أومامه».

كانت لديه أشياء يجب أن يقولها لأومامه، ومشاعر يجب أن يفضي بها إليها. فقد ظلّ طوال سنوات يعيش مع هذه الأشياء والمشاعر ويحتفظ بها داخله. ولكن تنغو لم يكن بوسعه الآن سوى أن ينطق باسمها.

نادى: «أومامه».

وعندئذٍ تجاسر على أن يمدّ يده ويلمس يد الفتاة التي ترقد في الشرنقة الهوائية، فوضع يده كبيرة الحجم على يديها. كانت هذه هي اليد الصغيرة التي قبضت بشدة على يد ذاته ذات العشر سنوات. كانت هذه اليد قد جاءت إليه مباشرة، تريده، وتمنحه التشجيع. كان دفء الحياة الواضح الذي لا لبس فيه ينبعث من يد الفتاة النائمة في غمرة الوهج الباهت. قال تنغو في نفسه، **أومامه جاءت إلى هنا كي تنقل إليّ دفئها. كان ذلك هو المغزى من الحزمة التي قدّمتها لي ونحن**

في ذلك الصف الدراسي قبل عشرين سنة. وأخيراً ها هو الآن يستطيع فتح الحزمة والاطلاع على محتوياتها.

قال تنغو: «أومامه. سوف أجدك، مهما كان».

بعد أن فقدت الشرنقة الهوائية وهجها تدريجياً وتلاشت، وكأنما قد ابتلعها الظلام، واختفت أومامه الصغيرة، وجد تنغو نفسه لا يستطيع أن يقرر هل كل ما جرى قد جرى فعلاً. لكنه وجد أصابعه تحتفظ بذلك الملمس والدفء الحميمي الذي كان ينبعث من يدها الضئيلة.

قال تنغو في نفسه، وهو جالس في القطار السريع المتجه إلى طوكيو، **هذا الدفء لن يتلاشى على الأغلب أبداً**. لقد عاش تنغو على مدى العشرين سنة الماضية مع ذكرى لمستها. يجب أن يكون قادراً على مواصلة العيش بهذا الدفء الجديد.

ظلّ القطار السريع يتبع قوساً ضخماً على امتداد ساحل المحيط أسفل الجبال الشاهقة، حتى وصل إلى نقطة على الساحل يمكن فيها رؤية القمرين يتدليان جنباً إلى جنب في السماء فوق البحر الهادئ. كان القمران، القمر الكبير الأصفر والقمر الصغير الأخضر، ظاهرين بوضوح ولكن المسافة بينهما كانت تستعصي على الفهم. تحت ضوئهما، كانت التموجات الصغيرة في المحيط تلمع على نحو غامض وكأنها قطع زجاج متناثرة. ومع استمرار القطار في الدوران مع المنحنى، انتقل القمران ببطء عبر النافذة، وتركا تلك القطع الدقيقة وراءهما، مثل تلميحات صامتة حتى اختفت عن الأنظار.

وما إن اختفى القمران حتى عاد الشعور بالدفء إلى صدر تنغو.

ورغم أنه عاد بقدر طفيف، فقد شعر بوجوده دون شك، وهو يحمل له وعداً كأنه مصباح يهتدي به المسافر من بعيد.

قال تنغو في نفسه وقد أغمض عينيه، **سوف أواصل حياتي في هذا العالم**. لم يكن يعرف كيف رُكِّب هذا العالم معاً أو ما هي المبادئ التي يتحرك بموجبها، ولم يكن لديه طريقة للتنبؤ بما سوف يجري هناك. ولكن لا بأس بذلك. لم يكن عليه أن يخاف. أيّاً كان ما ينتظره، فإنه سوف يبقى على قيد الحياة في هذا العالم الذي يضم قمرين، وسوف يجد الطريق التي يتعين عليه أن يسلكها - مادام لم ينسَ هذا الدفء، ومادام قلبه لم يفقد هذا الشعور.

ظل تنغو مغمضاً عينيه هكذا مدة طويلة. وعندما فتح عينيه أخيراً، راح يحدق إلى خارج النافذة في عتمة ليلة من ليالي مطلع الخريف. كان المحيط قد اختفى من مجال الرؤية منذ مدة.

أقسم تنغو لنفسه، **لَسوف أجد أومامه، مهما يكن، ومهما قد يكونه العالم، ومهما قد تكونه هي نفسها.**

هاروكي موراكامي

1Q84

قمران...
عالَمان...
فتاة...
فتى...
قصة حب...

أجواء من السحر والفانتازيا، ورحلة لاكتشاف الذات، وقصة وجودين متوازيين، وعالم خيالي يضاهي عالم جورج أورويل... إن 1Q84 لهاروكي موراكامي هي حتى الآن روايته الأعلى طموحاً، رواية عميقة الأثر، آسرة وممتعة إلى أقصى الحدود.

إنها عملٌ فذ وتحفة فنية وتجربة مفعمة بالذكاء والإثارة والتشويق، حيث أحدثت ضجة كبيرة في اليابان لدى نشرها، ونفدت طبعتها الأولى في يوم واحد، فيما بِيع منها مليون نسخة في شهرها الأول.

❖ ❖ ❖

«إذا كانت هذه الرواية أشبه ببيت المرح، فإنه ذلك المرح الموغل في الجدية، والذي عندما تدخله تجازف بما لديك من قَناعات».

مجلة نيوزويك

«رواية عظيمة تحقق الوظيفة الرئيسة للأدب: وهي إعادة رسم العالم وصياغته عبر الخيال... وفي صميم عالم 1Q84 يكمن سؤال الحب، وكيف نجده وكيف نمسك به».

جريدة لوس أنجلس تايمز

«أوهامه وتنغو يسيران بعضهما نحو بعض وكأنهما غواصان يشقان طريقيهما نحو سطح الماء. عندما انتهيتُ من قراءة 1Q84 شعرت كما لو أني، أنا الآخر، كنت أصعد نحو السطح؛ وحتى بعد أيام من قراءتها، ظل العالم لا يبدو لي مثلما كان عليه».

مجلة ذي كريستيان ساينس مونيتر

ISBN 978-9953-68-850-3
9 789953 688503

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص.ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص.ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com